

تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساساني

تأليف: حسن پيرنيا

محمد نور الدين عبد المنعم

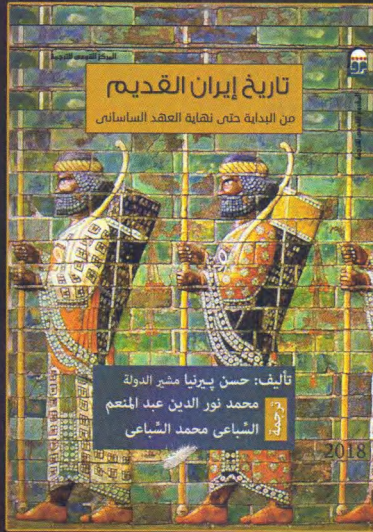
السَّباعي محمد السَّباعي

١٤٣٩
هـ

2018

لا يمكن لأحد أن ينكر أن الأمة الإيرانية أمة عريقة ذات حضارة قديمة أسهمت في تقدم العالم، وشاركت في بناء صرح الحضارة الإنسانية، مع غيرها من الحضارات الأخرى التي وجدت على وجه البسيطة لتشكل في النهاية هذا العالم المتحضر الذي نعيش فيه اليوم. وعندما اعتنق الإيرانيون الإسلام، ودخلوا في دين الله أفواجا، قاموا بدور نشط وفعال في دعم الحضارة الإسلامية وتوطيد أركانها، وساهم علماء الفرس بجهود عظيمة في تمكين هذه الحضارة وانتشارها في ربوع العالم الإسلامي.

ولا شك أن ترجمة مثل هذا الكتاب سوف تضيف سفرا جديدا إلى المكتبة العربية، وتلقى الضوء على مسيرة أمة من الأمم، حتى نتعرف على أوضاعها قبل الإسلام ونقارن بين هذه الأوضاع وبين حالتها بعد الإسلام وماذا أصابها من تغير وتحول، وما الذي قدمته للحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الإسلامية بوجه خاص.



تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساساني

المركز القومي للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

- العدد: 2018
- تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني
- حسن بيرنيا
- محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة كتاب :

أرأغازتا انقراض ساسانيان

للمؤلف: حسن بيرنيا

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - لقاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساساني

تأليف : حسن پيرنيا

ترجمة : محمد نور الدين عبد المنعم
السباعي محمد السباعي



2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

بيرنيا ، حسن.
تاريخ إيران القديم: من البداية حتى نهاية العهد الساساني /
تأليف: حسن بيرنيا، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم ،
السباعي محمد السباعي.
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣
٥١٦ ص، ٢٤ سم
١ - إيران - تاريخ
(أ) عبد المنعم، محمد نور الدين (مترجم)
(ب) السباعي، السباعي محمد (مترجم مشارك)
(ج) العنوان
٩٥٥

رقم الإيداع: ٢٠١١/ ١٧١٤٩
الترقيم الدولي: 5 - 784 - 704 - 977 - 978 - I.S.B.N
طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة
للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم
ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

17 مقدمة
21 سيرة حسن بيرنيا مشير الدولة
75 جغرافية الهضبة الإيرانية
81 الأجناس - الجنس الأبيض - الشعوب الهندو أوربية
84 الآريون - الشعبة الإيرانية
86 قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية
89 مذهب الآريين وأخلاقهم
91 الأسرة - الطبقات - شكل الحكومة

مختصر لتاريخ عيلام

94 مقدمة - حدود عيلام
95 الجنس
96 اللغة - الخط
97 الدين - مدينة شوش
98 تقسيم تاريخ العيلاميين

العصر الأول منذ أقدم العصور حتى عام ٢٢٢٥ ق.م

100 السومريون والأكاديون
101 الديانة
102 رؤساء المدن السومريون (ياتسى ها)

103 الأكاديون والجنس السامى
104 ازدهار السومريين
105 انقراض دولة السومريين على يد العيلاميين
106 ما قدمه السومريون للبشرية من إنجازات وأعمال
107 أوضاع عيلام

المرحلة الثانية من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق . م

108 ازدياد قوة البابليين
108 الأسرة الأولى
109 الأسرة الثالثة أو الكاسيون
110 الأسرة الرابعة أو الپاشون
111 الأسرة السادسة أو البازيون

المرحلة الثالثة من ٧٤٥ حتى ٦٤٥ ق . م

114 حروب آشور وعيلام
116 آشور بانينبال وحروبه
119 سقوط عيلام
121 الخاتمة

تاريخ آري إيران

122 مقدمة
125 ما خلفه اليونان القدماء عن تاريخ إيران القديم

الباب الأول دورة الميديين

127	مقدمة
129	الفصل الأول : الملوك الميديون
131	ديا أكو وتأسيس دولة الميديين
132	فرورتيش
132	هووخ شتر
135	ليديا
137	إيختوويكو
139	الفصل الثانى : حضارة الميديين

الباب الثانى الفترة الأولى لحكم الفرس

151	مقدمة
155	الفصل الأول : الملوك الهخامنشيون
157	الأول - كوروش الكبير
157	خروج برايخو نويوگو
159	الاستيلاء على ليديا
161	الاستيلاء على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى ...
163	الاستيلاء على الممالك الشرقية
164	الاستيلاء على بابل
166	خصال كوروش

168 الثاني - كمبوجيه
171 واقعة برديا المكذوب
175 الثالث - داريوش الأول - الكبير
178 نظم داريوش
181 الاستيلاء على البنجاب والسند
182 غزو أوربا - الاستيلاء على تراكية ومقدونيا
183 الحرب مع اليونان
188 خصال داريوش
189 الرابع - خشيا رشا (حربه مع اليونان)
194 أسباب هزيمة إيران في تلك الحرب
197 الخامس - أردشير الأول
199 السادس - خشيا رشا الثاني
199 السابع - سغد يانس
199 الثامن - داريوش الثاني
202 التاسع - أردشير الثاني
206 العاشر - أردشير الثالث
207 الحادي عشر - آرشك
208 الثاني عشر - داريوش الثالث
 الفصل الثاني : غزو الإسكندر لإيران وانقراض الأسرة الهخامنشية
211 مقدمة
212 حرب غرانيك
214 حرب أيسوس (٣٣٣ ق.م)

217 حرب گوگامل
221 الفصل الثالث : حضارة إيران فى العصر الهخامانى
223 اتساع الدولة الهخامانىة
224 النظم
225 العدالة والجزاءات
226 الجيش
227 الدين
230 نظام الطبقات
231 الصناعات
233 آثار العصر الهخامانى
234 فى شوش
235 سروسنان وفيروز آباد
235 اللغة والخط
236 النقوش

الباب الثالث

العصر المقدونى واليونانى

الإسكندر والسلوكيون

251 الفصل الأول : فتوحات الإسكندر بعد موت داريوش الثالث
253 الاستيلاء على الممالك الشرقية لإيران
253 الحرب مع بلاد الهند
255 عودة الإسكندر إلى إيران ثم وفاته
257 الفصل الثانى : سلوك الإسكندر وأعماله
263 الفصل الثالث : خلفاء الإسكندر

الباب الرابع عصر البارثيين

- 273 الفصل الأول : البارثيون والملوك الأشكانيون
- 276 أشك الأول
- 276 أشك الثاني
- 277 أشك الثالث
- 277 أشك الرابع
- 278 أشك الخامس
- 278 أشك السادس
- 278 أشك السابع
- 280 أشك الثامن
- 280 أشك التاسع
- 282 أول اتصال بين إيران والروم
- 283 أشك العاشر - سندروگ
- 283 أشك الحادي عشر - فرهاد الثالث
- 284 أشك الثاني عشر - مهرداد الثالث
- 285 أشك الثالث عشر - أرد الأول
- 289 أشك الرابع عشر - فرهاد الرابع
- 289 الحرب الثانية مع الروم
- 291 الحرب الثالثة مع الروم
- 293 أشك الخامس عشر - فرهاد الخامس

293 أشك السادس عشر - أرد الثاني
299 أشك السابع عشر - فنانان
299 أشك الثامن عشر - أردوان الثالث
295 أشك التاسع عشر - العشرون - الواحد والعشرون
295 أشك الثاني والعشرون - بلاش الأول
297 تتويج تيرداد في بلاد الروم
298 بلاش - باكر الثاني - أردوان الرابع
298 أشك الثالث والعشرون - خسرو
300 أشك الرابع والعشرون - الخامس والعشرون
301 أشك السادس والعشرون - بلاش الرابع
302 أشك السابع والعشرون والثامن والعشرون
	الفصل الثاني : أحوال إيران في عصر البارثيين - الحضارة
305 الأشكانية
307 اتساع الدولة الأشكانية
307 النظم الإدارية في الدولة الأشكانية
309 الديانة
310 اللغة والخط
312 الصناعات والفنون
313 التجارة
314 النقود
315 الديانات الأجنبية
315 النتيجة

الباب الخامس

عصر البارسيين (الفرس) الثاني

- 325 الفصل الأول : الملوك الساسانيون
- 327 مقدمة
- 327 الأول - أردشير الأول
- 331 الثاني - سابور الأول
- 331 - الحرب الأولى مع الروم
- 331 - الحرب الثانية
- 333 - أعمال سابور في وقت السلم
- 334 الثالث - هرمز الأول
- 334 الرابع - بهرام الأول
- 335 الخامس - بهرام الثاني
- 336 السادس - بهرام الثالث
- 336 السابع - نرسی
- 338 الثامن - هرمز الثاني
- 338 التاسع - أنز نرسی
- 339 العاشر - سابور الثاني
- 339 - الحرب الأولى مع الروم
- 340 - الحرب الثانية مع الروم
- 344 الحادي عشر - أردشير الثاني
- 344 الثاني عشر - سابور الثالث
- 345 الثالث عشر - بهرام الرابع

- 346 الرابع عشر - يزدگرد الأول
- 346 الخامس عشر - بهرام الخامس
- 348 - الحرب مع بلاد الروم الشرقية
- 350 السادس عشر - يزدگرد الثاني
- 351 السابع عشر - هرمز الثالث
- 351 الثامن عشر - فيروز الأول
- 352 - حروب الهياطلة
- 353 التاسع عشر - بلاش
- 354 العشرون - قباد الأول
- 355 - ظهور مزدك - خلع قباد وعودته إلى الحكم
- 355 - الحرب مع بيزنطة
- 356 - الحرب الثانية مع بيزنطة
- 358 - أتباع مزدك
- 359 - الحادى والعشرون - خسرو الأول
- 359 - السياسة الداخلية
- 361 - السياسة الخارجية
- 362 - الحرب الأولى مع بيزنطة
- 363 - الحرب من أجل لازيكا
- 364 - الحرب مع الهياطلة
- 365 - الحرب مع الخزر
- 365 - السيطرة على اليمن
- 366 - الحرب مع الترك

- 367 - الحرب الثالثة مع بيزنطة
- 368 - صفات أنوشيروان
- 369 - الثاني والعشرون - هرمز الرابع
- 370 - الثالث والعشرون - خسرو الثاني المعروف بكسرى پرويز
- 371 - حروب كسرى پرويز مع بيزنطة
- 373 - حروب هرقل
- 374 - حصار القسطنطينية
- 374 - معركة دستگرد
- 375 - خلع كسرى پرويز وقتله
- 375 - صفات كسرى پرويز
- 377 - الرابع والعشرون - قباد الثاني
- 378 - الخامس والعشرون - أردشير الثالث
- 378 - السادس والعشرون إلى الرابع والثلاثين
- 379 - الخامس والثلاثون - يزدگرد الثالث
- 380 - نهوض العرب نحو إيران
- 382 - واقعة ذي قار
- 382 - موقعة ذات السلاسل
- 383 - موقعة الجسر
- 384 - معركة القادسية والاستيلاء على المدائن
- 386 - موقعة جلولاء
- 387 - موقعة نهاوند
- 388 - الاستيلاء على ولايات إيران وموت يزدگرد
- 389 - الأسيرة الساسانية بعد موت يزدگرد

390 إيران بعد موقعة نهاوند.....
 الفصل الثاني : الحضارة الإيرانية في العصر الساساني.....
 المبحث الأول : طبقات الشعب - النظم الإدارية - النقود
395 التجارة - العلاقات الخارجية.....
395 الطبقات.....
397 النظم الإدارية.....
398 المالية.....
400 الجيش.....
402 القضاء.....
404 دوائر البريد.....
404 رجال الدين.....
405 النقود الساسانية.....
406 الرصيد النقدي للخزانة.....
407 الحرف والتجارة.....
408 علاقات إيران بالدول الأجنبية.....
411 المبحث الثاني : الديانات في العصر الساساني.....
411 الدين الزرتشتي.....
411 زمن ظهور زرتشت.....
412 حياة زرتشت.....
413 ديانة زرتشت.....
416 ديانة ماني.....
418 دين مزدك.....
419 القسم الثاني : عبادة الشمس.....

420 المسيحية والبوذية
420 الدين المسيحي
421 البوذية
422 معتقدات الآريين الإيرانيين من وجهة نظر التاريخ
425 المبحث الثالث : الأخلاق والعقوبات
425 الأخلاق
426 العقوبات
	المبحث الرابع : اللغة - الكتب البهلوية - الآداب - الخط
429 التاريخ -
429 اللغة - الكتب البهلوية
431 الآداب
432 الخط في العصر الساساني
433 التاريخ
435 المبحث الخامس : الفنون
435 العمارة والنحت
437 النقوش الحجرية الساسانية
439 الرسم
439 الشعر
439 الموسيقى
439 اللغات الإيرانية القديمة وخطوطها
469 الخاتمة
479 ملحق خاص بالأسرات التي حكمت في إيران القديمة

مقدمة

هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للقارئ العربى هو ترجمة لكتاب تاريخ ايران قديم از آغاز تا انقراض ساسانيان" تأليف حسن پيرنيا مشير الدولة، وهو كتاب يتناول حقبة تاريخية مهمة من تاريخ ايران القديم منذ بداية التاريخ وحتى العصر الساسانى، ولا يقتصر المؤلف على ذكر الأحداث والوقائع التاريخية فحسب؛ بل إنه يركز أيضا على الجوانب الحضارية فى كل فترة من الفترات التاريخية التى تناولها وقام بدراستها وبحثها، وهو فى كل هذا يعتمد على مصادر ومراجع أصيلة تتحدث عن هذه الحقبة التاريخية الطويلة.

وهذا الكتاب مختصر لسفر أكبر يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة، ولكننا رأينا أن ترجمة هذا المختصر تفى بالغرض من أجل التعرف على تاريخ ايران القديم قبل دخول الإسلام إليها، ومن السهل على الباحث أو الدارس لتاريخ ايران تداول مثل هذا الكتاب والاستفادة منه، لأنه يلقي الضوء الكافى لبيان تاريخ هذه الأمة وحضارتها.

والحقيقة أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن الأمة الإيرانية أمة عريقة ذات حضارة قديمة أسهمت فى تقدم العالم وشاركت فى بناء صرح الحضارة الإنسانية، تلك الحضارة التى تكاثفت مع غيرها من الحضارات الأخرى التى وجدت على وجه البسيطة لتشكل فى النهاية هذا العالم المتحضر الذى نعيش فيه اليوم. وعندما اعتنق الإيرانيون الإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا قاموا بدور نشط وفعال فى دعم الحضارة الإسلامية وتوطيد أركانها، وأسهم علماء الفرس بجهود عظيمة فى تمكين هذه الحضارة وانتشارها فى ربوع العالم الإسلامى.

أما عن مؤلف هذا الكتاب فهو حسن بېرنيا مشير الدولة الذى ولد عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤م) وقد وفر له أبوه سبل التعليم داخل إيران ثم خارجها حيث ذهب إلى روسيا لاستكمال دراسته القانونية فى كلية الحقوق بموسكو، ثم عين فى وظيفة ملحق بالسفارة الإيرانية فى بطرسبورج، وعندما تولى والده منصب وزير الخارجية عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) أحضر ابنه حسن من هناك وعينه سكرتيرا له، وكان من أهم أعماله فى هذه الفترة تنظيم أرشيف وزارة الخارجية.

ولما كان مشير الدولة مغرما بالقانون ودراسته فقد عمل على تأسيس مدرسة لدراسة القانون وأعد مناهجها بنفسه، وتم افتتاحها فى شهر شعبان من عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م). وتعتبر هذه المدرسة هى النواة الحقيقية لما يسمى اليوم بكلية الحقوق فى طهران.

تدرج مشير الدولة فى المناصب السياسية حيث عين سفيرا لإيران فى بطرسبورج بعد ذلك على عهد مظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧م)، ثم شارك فى وضع الدستور، وعين وزيرا للخارجية فى وزارة ميرزا أبى القاسم خان ناصر الملك فى عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧م)، ثم وزيرا للعدل فى وزارة ولى خان عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) ثم وزيرا للعدل أيضا فى وزارة سبهسالار عام ١٣٢٨ (١٩١٠م) وعدة وزارات أخرى.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن مشير الدولة قد قام هو نفسه بتشكيل عدة وزارات بعد ذلك، حيث شكل أول وزارة يرأسها فى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤م) وتولى فيها أيضا منصب وزير الحربية بالإضافة إلى رئاسته للوزراء. أما وزارته الثانية التى يرأسها فقد كانت فى عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩م) وتولى فيها مصدق السلطنة أو الدكتور محمد مصدق منصب وزير العدل. وقد شكل وزارته الثالثة فى عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١م)، وهى التى قدمت استقالتها فى نفس ذلك العام ولم تستمر طويلا. ثم شكل وزارته الرابعة فى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢م)، وكان هذا التشكيل الأخير هو آخر المناصب السياسية التى تولاها مشير الدولة. وقد امتدت حياته السياسية من عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) وحتى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م)، ثم

اعتزل العمل السياسي وفضل التفرغ للكتابة والتأليف؛ فكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا ثمرة لهذا الجهد العلمي إلى أن توفاه الله عام ١٣٥٤ هـ — (١٩٣٥م) وكان عمره آنذاك ثلاثا وستين سنة.

ومن هنا ندرك مدى أهمية هذا الكتاب ومؤلفه؛ حيث عُرف عنه ثقافته الواسعة وحبه للعلم ورغبته في إحياء القومية الإيرانية عن طريق الكتابة عن تاريخ إيران القديم وذكر أمجاد أسلافه الذين بنوا حضارة هذه الأمة العظيمة، ولكي يكون ما يكتبه دافعا للأجيال الحديثة حتى تتقدمى بالقدماء ومفاخرهم.

ولا شك أن ترجمة مثل هذا الكتاب سوف تضيف سفرا جديدا إلى المكتبة العربية، وتلقى الضوء على مسيرة أمة من الأمم، حتى نتعرف على أوضاعها قبل الإسلام ونقارن بين هذه الأوضاع وبين حالتها بعد الإسلام وماذا أصابها من تغير وتحول، وما الذي قدمته للحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الإسلامية بوجه خاص. إن هذا هو دور دارسي اللغات الشرقية الإسلامية وخريجها الذين يجب عليهم اختيار المزيد من المؤلفات المكتوبة بهذه اللغات وترجمتها إلى اللغة العربية، حتى تزداد معرفتنا بهذه الشعوب المسلمة وتاريخها وحضارتها.

إننا نأمل أن يفيد طلاب الدراسات الإيرانية والحضارة الإسلامية من هذه الترجمة وأن يروا فيها أصول الحضارة الإيرانية التي استمرت في ظل إيران الإسلامية لتنتقل إلى العربية خير ما في التراث الفارسي من أدب وعلم وتاريخ، هذا التراث الذي نجده في كتب ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم، ونرجو أن نكون قد وفقنا في نقل هذا المرجع التاريخي المهم إلى اللغة العربية حتى يفيد منه الباحثون والدارسون ممن يهتمون بتاريخ إيران القديم. والله ولي التوفيق...

المترجمان

القاهرة في يوم الجمعة

الموافق ١٣ من ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ - ١٨ من مارس ٢٠١١م

ملحوظة

ترجم النصف الأول من الكتاب (حتى نهاية الباب الثالث)

الدكتور السباعي محمد السباعي

وترجم النصف الثاني من الكتاب (من بداية الباب الرابع وحتى نهاية الكتاب)

الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

حرص المترجمان على الإبقاء على الحروف الفارسية المستخدمة في الأعلام كما هي، والنطق الصحيح للحروف الفارسية الغربية عن العربية كما يلي:

١- الحرف الفارسي پ ينطق P

٢- الحرف الفارسي چ ينطق مثل Ch

٣- الحرف الفارسي ژ ينطق مثل J

٤- الحرف الفارسي گ ينطق مثل الجيم في اللهجة المصرية، أو حرف G في كلمة Go الإنجليزية.

٥- حرف الواو إذا كان متحركاً ينطق مثل حرف V في اللغات الأوروبية، كما في الكلمات: أوستا، والرین، وره ران ، وپرویز.

سيرة حسن بيرنيا مشير الدولة^(١)

ما زلت أكتب فى التاريخ مجتهدا

حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا

شيخ نائين - يوجد فى مدينة نائين (التي تقع على بعد عشرين فرسخا من أصفهان، وخمسة وعشرين فرسخا من مدينة يزد) مزار يدعى "المصلى"، يقصده اليوم أهالى نايين ويؤمنونه ويعتقدون فيه. وقد دفن فى هذا الحرم متصوف اسمه "مير عبد الوهاب" وكان درويشا متفانيا فى محبة الله وعارفا ممعنا فى الحقيقة^(٢)، وهو من متصوفة فرقة النور بخشية، وتولى الخلافة بعد مير محمد تقى شاهى^(٣).

قدم محمد حسن كوزه كنانى (الأذربايجانى) مع أبيه فى أوائل العصر القاجارى من تبريز إلى يزد ثم انتقلا إلى نايين، والتحق محمد حسن بخدمة الشيخ وأصبح مريدا له وحصل على مقام رفيع عنده.

كان لـ "أقا محمد" ابن الحاج عبد الوهاب الذى توفى فى حياة والده ثلاث بنات أعطى الشيخ إحداهن إلى مريده الحاج محمد حسن كوزه كنانى. وتوفى الشيخ فى عام ١٢١٢هـ = ١٧٩٧م ودفن فى نايين، ووصلت خلافته ولقبه إلى الحاج محمد حسن، وهذا هو نفسه الحاج محمد حسن الذى دعا لمحمد ميرزا عند مرور عباس ميرزا نائب السلطنة وابنه محمد ميرزا بنايين لإخماد ثورة فى كرمان عام ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م)^(٤) وذلك عندما ملأ محمد ميرزا غليوننا وناوله للحاج فى

التكية (الخانقاه) وتنبأ له بأنه سيكون ملكا في المستقبل، وقد أشار إلى ذلك تلميحا في حضوره، ونوه إلى توليه الملك صراحة في غيابه^(٥).

عاش الحاج محمد حسن أربعاً وتسعين سنة وتوفي عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)^(٦). وشيّد بناء المصلى الذى يعد اليوم مزارا له بأمر من محمد شاه بعد توليه الملك^(٧).

وكان لأقا محمد بن الشيخ عبد الوهاب ابنان أيضا، أحدهما يدعى أبو طالب، ووُلد له ابن يدعى محمد، وهو والد ميرزا نصر الله خان النائيني المعروف الذى لقب بلقب مشير الدولة وهو والد حسن بيرنيا.

ويجب القول إن أولاد الشيخ من بناته اشتهروا باسم بير زاده^(٨). واشتهر أولاده من أبنائه باسم "بيرنيا"، ويطلق على هذه الأسرة أصلا فى نايين أسرة "المصلايين".

مشير الدولة الكبير :

ترك نصر الله خان فى أوائل عمره مدينة نايين، وقدم إلى طهران بثلاثة رؤوس أموال كبيرة حصل عليها بعمل وهمة أهل يزد، وذكاء وعقل أهل أصفهان، وقناعة وتحمل وصبر أهل خور وبيابانك، وتقع نايين بين هذه النواحي الإيرانية المعروفة.

ويقال إنه كان يشتغل بالكتابة ليوفر سبل معيشته، وخدم بعد ذلك فى إدارة ميرزا عبد الوهاب خان نصير الدولة (أصف الدولة) بمرتب شهرى قدره اثنان أو ثلاثة تومانات، إلى أن تولى ميرزا وسعيد خان مؤتمن الملك وزارة الخارجية فدخل معه ميرزا نصر الله خان للعمل فى الوزارة، إلى أن كلف المرحوم إبراهيم خان نائب الوزارة بتولى مهام وزارة الخارجية فى آذربايجان فذهب معه ميرزا

نصر الله أيضا بوصفه سكرتيرا إلى تبريز، وهناك تزوج واختار ابنة الحاج ميرزا نقي الياور الخاص بالإدارة (وهي أم حسن بيرنيا). وعاد بعد وفاة نائب الوزراء إلى طهران^(٩).

تولى في بداية الأمر وظيفة محاسب ومديرا في وزارة الجيش، ثم تقدم تدريجيا حتى نال اهتمام الأتابك ميرزا علي أصغر خان، فمنحه في نهاية الأمر وزارة الجيش، وعندما كانت وزارة المخازن العسكرية في يد معير الممالك كان هو يتولى وزارة الجيش، وكان يوافق على ميزانية المخازن ويوقع عليها. وفي عام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) قبل مشير الدولة وزارة الحربية بشرط قبول وزارة الجيش^(١٠).

وفي بداية العمل بوزارة الخارجية (١٢٩٩هـ = ١٨٨١م) لُقّب بلقب مصباح الملك، وفي عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) لُقّب بلقب مشير الملك. وبعد مقتل ناصر الدين شاه (١٨٤٧ - ١٨٩٦م)، توفي محسن خان مشير الدولة الذي كان يتولى وزارة الخارجية والذي ذهب للعلاج في باريس. وفي هذا الوقت نُقل الأتابك ميرزا نصر الله خان من وزارة الجيش إلى وزارة الخارجية، وفي شهر ربيع الثاني من عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) أسندت إليه وزارة الخارجية ولقب بلقب مشير الدولة^(١١).

وفي تلك الأيام كانت الثورة الدستورية في إيران قد بلغت مرحلتها النهائية، واتضحت معالم الصورة تماما، وبرز المطالبون بالحرية من كل حذب وصوب يطالبون بالحرية والعدالة.

وفي يوم الأربعاء الموافق العاشر من جمادى الآخر عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) أغلقت الأسواق أبوابها ونصّب تلاميذ المدارس الخيام في السفارة الإنجليزية، وفي هذه الأثناء دخل إلى السفارة رجل يمتطي بغلا وقال: "أيها الناس أبشروا فقد عُزل معين الدولة". والخلاصة أنهم أعطوا منصب الصدارة (رئاسة الوزارة) لمشير الدولة الذي كان منذ ثلاثين سنة سكرتيرا وكاتباً لنظام السلطنة، وكان راتبه في

الشهر ثلاثة تومانات^(١٢) وقد تشكلت أول حكومة شرعية لمشير الدولة فى ١٨ شعبان عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م).

مشير الدولة الكبير ومحمد عليشاه :

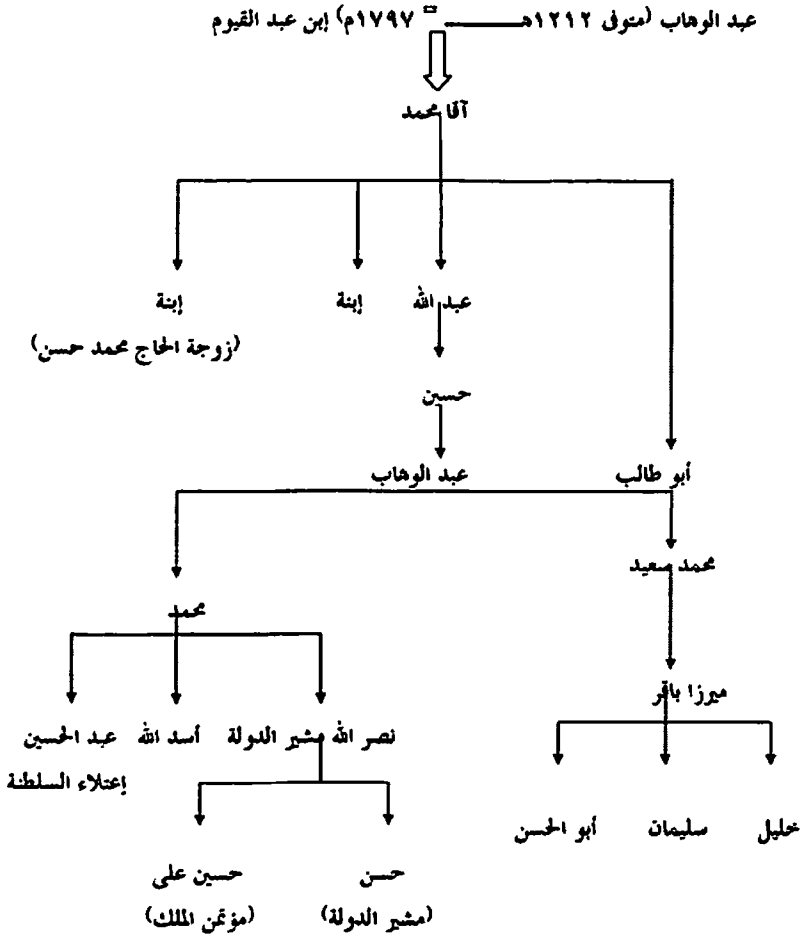
توفى مظفر الدين شاه فى خريف عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م). وكان مشير الدولة كغيره من الوزراء الشيوخ لا يرغبون فى تنويج محمد عليشاه (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) الشاب المغرور.

والخلاصة أن مشير الدولة ظل فى منصب الصدارة إلى أن حضر محمد على شاه الأتابك من أوروبا، فتمارض ميرزا نصر الله خان وترك عمله^(١٣). وربما يرجع السبب وراء تخليه عن العمل إلى عجزه عن منع جموح الملك وسياسته التى تتنافى مع الوطنية بالنسبة لحل البرلمان بأى شكل من الأشكال، حتى لو كان ذلك عن طريق التدخل الأجنبى^(١٤) (محرم ١٣٢٥هـ = ١٧ مارس ١٩٠٧م).

وقد تم ترشيح الوزراء الجدد فى يوم ٢١؛ فأرسل الملك برقية لأمين السلطان الذى كان ما زال موجودا فى سويسرا يطالبه بالعودة إلى طهران^(١٥)؛ فعاد فى ٢٧ ربيع الأول من أوروبا إلى إيران بعد لقائه بالزعماء الروس.

وفى الرابع من شهر شعبان عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، يتوفى مشير الدولة دون أن يصيبه المرض فى رستم آباد بشميران، وربما يكون قد مات مسموما، ذلك لأن علاء الدولة كان ضيفا عليه فى رستم آباد وتناولوا معا طعام الغداء، وما إن دخل الصدر الأعظم بعد ذلك إلى داخل منزله إلا واضطربت حالته بعد فترة وجيزة، وتوفى بعد ساعة من بداية الليل^(١٦).

شجرة أسرة عبد الوهاب



نقلا عن: (سفرنامه حاجي بهرامزاده، ايرج الشار)

حسن پيرنيا

دراسته :

في أوائل عام ١٢٩١هـ (١٢٥٢ش = ١٨٧٤م) ولد في أسرة نصر الله خان مشير الدولة صبي، وولد من بعده بعامين صبي آخر يدعى حسين. وقد اهتم ميرزا نصر الله خان بتربية هذين الولدين اهتمامًا كبيرًا، ولما كان هو نفسه رجلاً كريم الأصل وراقياً ومحبا للفضيلة؛ فقد فكر منذ بداية الأمر في تعليم أبنائه، ولهذا وفر لهم منذ الصغر كل وسائل الدراسة والتحصيل. تعلم حسن خان مبادئ الفارسية والعربية على يد معلمين خصوصيين، وما إن تعرف حسن وحسين وأخوهما الصغير على مبادئ اللغة والأدب، إلا وأرسلهم أبوهم إلى أوروبا للدراسة؛ فذهب حسن إلى روسيا وذهب حسين وعلى إلى باريس، وهم ما زالوا في سن مبكرة، فقد كان عمر حسن في ذلك الوقت أربعة عشر عاماً. يقول المستوفى : عندما كان نصر الله خان مصباح الملك^(١٧) ورئيس إدارة الروس أرسل أولاده الثلاثة حسن وحسين وعلى للدراسة في أوروبا. وعندما تغير لقبه من مصباح الملك إلى مشير الملك في عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) كان يرى أنه من الواجب عليه أن يرسل ابنه حسن الذي كان في سن السابعة عشرة إلى الخارج.

أتم حسن خان دراسته العسكرية ثم دراسته القانونية في كلية الحقوق بموسكو، وبعد أن أنهى دراسته عُيِّن في وظيفة ملحق بالسفارة الإيرانية في بطرسبورج.

وفي عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) عندما وصل أبوه إلى منصب وزير الخارجية، استدعى ابنه حسن خان من بطرسبورج وجعله سكرتيراً له، ثم عُيِّن في

منصب رئيس مجلس وزارة الخارجية وكذلك في وظيفة السكرتير الخاص للصدر الأعظم ومنح لقب مشير الملك^(١٨).

ويعتبر تأسيس مجلس الوزارة وكذلك أرشيف وزارة الخارجية من أعماله المهمة.

مدرسة العلوم السياسية :

لاشك أن طبيعة وشخصية ميرزا حسن خان مشير الدولة البارزة قد ساهمت في معرفته بالقانون وعلمه به وعشقه له؛ فلقد كان جل هم هذا الرجل العظيم في أي حال من الأحوال وفي كل الأوقات والظروف هو تطبيق المبادئ والقوانين ورعايتها، وكثيرا ما ساعد هذا التشدد في تطبيق المبادئ والقوانين على إنتحاره السياسي.

وقد أدت دراساته العليا في الحقوق إلى إدراكه الواعي بأهمية القانون وتأثير المبادئ والقيم في المجتمعات ورفى الشعوب؛ ومن ثم فإنه بمجرد أن وطأت قدمه أرض إيران، اهتم بضرورة إنشاء مركز لتعليم أصول وقواعد الحقوق الإنسانية، وفتح مدرسة تعلم الشعب الإيراني القانون والحقوق.

ولإنجاز هذه المهمة استعان بمنزلة والده نصر الله خان وشخصيته، وهو الذي كان بدوره رجل مبادئ وأصول. يقول المرحوم المستوفى :

إن تأسيس مدرسة سياسية هي نتاج فكر ميرزا حسين خان مشير الملك ابن ميرزا نصر الله خان مشير الدولة. لقد بين الابن والأب للصدر الأعظم (رئيس الوزراء) والملك مزايا هذه الفكرة؛ فأصدرا أمرا بتنفيذها وخصصا مبلغ أربعة آلاف تومان سنويا لنفقات هذه المدرسة من دخل الفيروز الذي تنتجه خراسان. وقد أعد مشير الدولة برنامج هذه المدرسة ومناهجها، وشغل على الفور باختيار المعلمين ومكان المدرسة ونشر إعلانا لقبول طلبات الالتحاق بها.

وتقرر الافتتاح الرسمي للمدرسة السياسية فى منتصف شهر شعبان من عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) الموافق ٢٨ من شهر أذر، ودعى جمع غفير فى عصر ذلك اليوم من قبل نصر الله خان مشير الدولة^(١٩). وتولى رئاسة المدرسة فى بداية الأمر مشير الملك، ثم انتقلت الرئاسة بعد سفره إلى بطرسبورج (عام ١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) إلى أخيه ميرزا حسين خان بيرنيا، الذى عاد من بطرسبورج إلى طهران. هذه المدرسة السياسية هى فى الحقيقة النواة والقاعدة الأساسية لمدرسة الحقوق أو ما يسمى اليوم بكلية الحقوق، ولا يمكن لأحد أن ينكر دورها فى التحول الفكرى والقضائى فى مجتمع إيران المعاصر. وقد ظهر تأثيرها السحرى بسرعة فى تلك الأيام، أى بعد ست أو سبع سنوات فى إيران، فى تنظيم وتوجيه الثورة الدستورية وإدارتها والاستفادة منها. وكان حسن خان مشير الدولة يقوم بنفسه بتدريس القانون الدولى فى هذه المدرسة، وكانت مدة الدراسة فى هذه المدرسة أربعة أعوام فى بداية الأمر ثم زيدت بعد ذلك، وكان من بين مدرسيها أيضا المرحوم محمد حسين فروغى نكاه الملك الذى تولى رئاستها أيضا فيما بعد.

مشير الدولة يتولى منصب السفير:

سافر مشير الدولة برفقة مظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧م) إلى أوروبا فى رحلته الثانية (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) كمرجم له، وبعد عودة الشاه تم تعيينه سفيرا لإيران فى بطرسبورج.

ومع حداثة سنه أدى عمله على الوجه الأكمل وأدار سفارة بطرسبورج بكل النجاح، وكان منزله داخل السفارة. ومنذ أن تولى سفارة بطرسبورج أمر بمنع ذكر ألقاب فى بطاقاته على الإطلاق، وكان يكتفى بتعريف نفسه فى البطاقات على أنه ميرزا حسن خان الوزير المفوض لإيران. وكان يبدى نوعا من الصبر والهدوء فى تأدية عمله

فى السفارة، حيث إنه كان شابا صغيرا على تولى هذا المنصب، بل كان أصغر من نائب السفارة مشاور الممالك عليقلى خان الأنصارى بخمس أو ست سنوات.

وكان يجيد اللغة الروسية ويتحدث مع الإمبراطور بلغته الأم ويرد عليه الإمبراطور أيضا باللغة الروسية، بينما كان يتحدث مع الآخرين باللغة الفرنسية^(٢٠).

وفى أيام سفارته هذه فكر مظفر الدين شاه فى السفر إلى أوروبا للمرة الثالثة، وبطبيعة الحال كان ذلك عن طريق روسيا طبقا للمعتاد. "عندما حل عيد وربيع عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، فكر الشاه فى أوروبا، وتلقى مشير الملك (حسن خان بيرنيا) برقية حتى يكون فى استقباله، وفى أوائل يونيو وصلت برقية أخرى تفيد مجئ الشاه إلى بطرسبورج، وبالفعل وصل إليها فى شهر يوليو.

أنهى الشاه رحلته إلى أوروبا، وعند عودته عن طريق روسيا قام مشير الدولة بتوديعه حتى الحدود، وقد اهتم الشاه بأمره كثيرا فى هذه الرحلة، حيث قدم هدية أيضا إلى الشاه عبارة عن اليوم مغلف بغلاف من الفضة المنقوشة بالميناء، وعندما أراد الشاه فتح الألبوم، قال أحد الفضوليين بالبلاط : "مولاي إن الألبوم ليس به صور"، وأدرك الشاه سوء أدبه فقال : "هل تعرف لماذا أريد فتح الألبوم ؟ لأنى أريد أن أكتب فى حاشيته شرحا لحسن استقبال مشير الملك، فأعطني قلمًا ودواة". عندئذ أدرك هذا الرجل سوء أدبه وتراجع، وكتب الشاه شرحا فى حاشية إحدى صفحات الألبوم وأغلقه^(٢١).

وبعد عودة مظفر الدين شاه بأسبوع، توجه مشير الملك إلى إيران بعد إجازة لمدة عشرة أو عشرين يوما بموجب التصريح الذى حصل عليه أثناء ملازمته لركاب الملك حتى حدود إيران وبعد عودته إلى بطرسبورج^(٢٢).

الثورة الدستورية ومشير الدولة :

تصادف مجئ حسن خان مشير الملك مع السنوات المليئة بالتوتر بسبب الثورة الدستورية في إيران التي حملت معها نسائم التجديد والحرية وأمواج التحرر والمساواة إلى سواحل النظام القائم في إيران، وجددت آمال الذين كانوا يغطون في سبات عميق لمدة ألفين وخمسمائة عام في تلك الديار، والذين انتظروا وهم يفركون أعينهم بزوغ أشعة شمس الحرية.

ويتدخل مشير الملك ويساعد بما توفر لديه من دراسات عليا في الحقوق وأفكار سامية للمطالبة بالحرية في عمل أبيه الذي كان صدرا أعظم ويناصر المطالبين بالحرية ويؤيدهم. يقول ناظم الإسلام :

أنجب مشير الدولة ولدين هما ميرزا حسن خان مشير الملك وميرزا حسين خان مؤتمن الملك وابنة واحدة، والواقع أن هذين الابنين كان يشار إليهما بالبنان نظرا لحسن تربيتهما ورقيهما، وكانا محل حسد من أمثالهما وأقرانهما، والواقع أن مشير الدولة خلف شينين عظيمين وكبيرين، أولهما الثراء الفاحش الذي جمعه من مرافقته لأمين السلطان وفي وقت رئاسته^(٢٣)، وثانيهما هذان الابنان اللذان كانا للحق والإنصاف سببا في حسن سيرة أبيهما، ولم يكن العلماء الذين تحملوا الصعاب والمشقة من أجل الحصول على الحكم النيابي والحكم الوطني يتوقعون مطلقا الوصول إلى هذه النتيجة وهذه الثمرة، بل إنهم كانوا يمهدون لعشرة أعوام قادمة، كما طالب الذين يعملون في السفارة أيضا بالحكومة الشرعية في نهاية الأمر، وفي هذه الأثناء وطبقا للمعلومات التي كانت لدى ابني مشير الدولة أدرجوا مصطلح "كنستي توسيون"^(٢٤) في المرسوم الذي أصدره مظفر الدين شاه بخط يده وقد خرج الأمر من يد رجال البلاط بعد إعلانه رسميا وإطلاع السفراء عليه^(٢٥).

وأول من استخدم كلمة "كنستى توسيون" (الدستور) على لسانه هو المرحوم ميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدولة^(٢٦).

وفى الرابع عشر من جمادى الثانية عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م) صدر فرمان المشروعية (الحكم النيابى أو الدستورى) وتم تشكيل مجلس الشورى فى ١٨ شعبان^(٢٧).

يقول المرحوم ملك زاده :

أعدت مجموعة من المطالبين بالحرية ومن الأشخاص المطلعين على بواطن الأمور من أمثال صنيع الدولة ومخبر السلطنة ومشير الملك ومحتشم السلطنة لائحة الانتخابات بعد أن ترجموا لوائح الانتخابات عند الشعوب الأخرى وعدلوا فيها؛ ولكنهم واجهوا مشكلتين إحداهما من قبل الزعماء الدينيين والأخرى من قبل رجال البلاط المستبدين وعلى رأسهم من الباطن ولى العهد؛ حيث كانت وجهة نظر رجال الدين ألا يدخل البرلمان أحد من البابيين أو من لا دين له، أما وجهة نظر المستبدين من رجال البلاط أن تكون كل القوى فى المملكة خاضعة لإرادة الملك وهى كل لا يتجزأ.

وفى عصر يوم الخميس الموافق الثامن عشر من ١٨ جمادى الآخرة من عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، قدم إلى المدينة مشير الملك الابن الأكبر للصدر الأعظم مع السيد ميرزا محمد صادق وجماعة آخرين من نوى الشأن، ودخلوا السفارة وجلسوا داخل خيمة التجار الكبيرة، وجلس مشير الملك فى هذا المجلس، فصعد سيد عبد الحسين الواعظ على المنبر وتحدث للناس عن عطف ولطف جلالة الملك، ثم صعد مشير الملك على كرسيه وقرأ مرسوم الملك، وتلى الإقرار المكتوب بخط يده والذي تضمن العفو عن المعتصمين.

وكان تاريخ كتابة الدستور فى الثامن عشر، إلا أنه بمجرد توافقه مع عيد ميلاد الملك؛ فقد سجلوه فى الرابع عشر^(٢٨).

يقول المرحوم المستوفى :

"قدم مشير الملك وأخوه مؤتمن الملك نتيجة معرفتهم بلوائح الدستور ومتماتها عونا كبيرا فى تقديم الحكم الدستورى، وربما إذا لم يكن هذان الاثنان موجودين لما عرف المطالبون بالحرية بحماس ماذا يجب عليهم فعله"^(٢٩).

يقول المرحوم هدايت :

"دُعينا أنا وصنيع الدولة، ومحتشم السلطنة وميرزا حسنخان وميرزا حسين خان ابنا ميرزا نصر الله خان مشير الدولة فى ٢١ جمادى الثانى ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) ومن قبل مشير الدولة لإعداد اللائحة وجلسنا فى رستم آباد، ورأينا الصلاح فى الانتخابات الطبقية نظرا لما تقتضيه الظروف، وقد عبرت المسودة عن هذا المعنى"^(٣٠).

وفى تلك الأيام كان محمد على شاه قد قدم إلى طهران، وتمكن مشير الدولة وابناه من الحصول على توقيع محمد على شاه الشاب المغرور على الدستور أثناء لقائهم مع ولى العهد وأعضاء المجلسين (وكان المرحوم ميرزا نصر الله خان قد حصل على التوقيع الملكى عليه وهو فى مرض الموت)^(٣١).

مشير الدولة واتفاقية ١٩٠٧م :

ب وفاة مظفر الدين شاه تم تتويج محمد على شاه (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) على يد نصر الله خان مشير الدولة كما ذكرنا من قبل، شعر :

وقع بالعون الإلهى محمد على بالخاتم الملكى

وقد سافر حسن خان مشير الملك إلى الدول الأوروبية للإعلان عن مراسم تتويج الملك الجديد، وكان قد عين في شهر رجب عام ١٣٢٥ (١٩٠٧م) في وزارة مشير السلطنة وزيرا للعدل. يقول المستوفى :

"وفي الشهر الثاني من ربيع عام ١٣٢٥ بدأ سفر مشير الملك كمبعوث فوق العادة للإعلان عن التتويج"^(٣٢).

وكان المرحوم المستوفى أيضا يرافق مشير الدولة في هذا السفر، وقد توجهوا أولا إلى روسيا ثم إلى برلين وذهبا من هناك إلى لندن.

وفي إنجلترا التقى مشير الملك بالسير إدوارد جراي وزير الخارجية الإنجليزي، وفي تلك الأيام كانت اتفاقية عام ١٩٠٧م المعروفة بين روسيا وإنجلترا حول تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ قد أشرفت على الإعداد. وقد حدث هذا على أثر صدام التوازن السياسي بين الدول الأوروبية وقوة اتحاد دول ألمانيا والنمسا وإيطاليا، حيث فكرت فرنسا في عقد اتفاقية مودة بين روسيا وإنجلترا، وتكون هي نفسها طرفا فيها، ولهذا عندما عقد مؤتمر دولي في الجزائر عام ١٩٠٦م، توسطت على هامش الجلسات بين ممثلي روسيا وإنجلترا من أجل عقد اتفاقية ١٩٠٧م المعروفة.

ذهب مشير الدولة من لندن إلى كاليه، وبقي هناك ثلاثة أيام، ثم قدم إلى باريس، ومثّل في حضرة آرماند فالنير رئيس الجمهورية الفرنسية، وحصل على وسام "لژیون دونور" (وسام جوقة الشرف) (LÉGION D'HONNEUR) من الطبقة الأولى. وبعد ثمانية أيام من التوقف في باريس توجه إلى إسبانيا للاستمتاع بالعطلة والمياه المعدنية هناك، ثم عاد إلى بطرسبورج^(٣٣).

وفي نفس تلك الأيام (حوالي شهر رمضان عام ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) بلغه خبر موت أبيه ميرزا نصر الله خان مشير الدولة، وهو في بطرسبورج واستدعى إلى طهران.

وفى هذه الأثناء أيضا سقطت وزارة مشير السلطنة، وأصبح ميرزا أبو القاسم خان ناصر الملك رئيسا للوزراء فى ١٨ رمضان عام ١٣٢٥هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٠٧م، أبان ٢٨٦ش)، وعين مجلس وزرائه. وقد حصل ميرزا حسن خان على منصب وزير الخارجية فى هذه الوزارة، ومنح لقب والده وهو مشير الدولة، وعين مؤتمن الملك وزيرا للتجارة.

وفى تلك الأيام أيضا وصل إلى وزارة الخارجية أولا إعلان اتفاقية عام ١٩٠٧م بين الروس والإنجليز حول تحديد منطقتى النفوذ فى إيران من قبل سفارتى روسيا وإنجلترا^(٣٤). وقد رد مشير الدولة على رسالتى السفارتين بجواب منطوقى حتى يرضى الرأى العام والمطالبين بالحرية.

ونتيجة لرد وزير الخارجية والاعتراضات الكثيرة من قبل الصحف والقوميين الإيرانيين التى وجهت لهذا التصرف، تركت هذه الاتفاقية أثرا سيئا فى أذهان الشعب، مما دفع أولياء الأمر فى الحكومة الإنجليزية إلى الرجوع عنها.

مشير الدولة والقانون :

يجب التفتيش والبحث عن شخصية مشير الدولة من خلال معرفته بالقانون، فهو يعد رائدا فى مجال إصلاح العدالة وتقدمها فى إيران، حيث كانت دراساته كلها فى الحقوق، وعندما عاد إلى إيران سعى لتأسيس مدرسة العلوم السياسية، وكان مغرما بالعدالة. وفى الوقت الذى ذهب فيه إلى لندن للإعلان عن تنويع محمد عليشاه، وبعد أن حصل على الأوسمة والتقى بوزير الخارجية وسائر المسئولين، وعندما سأله عن الأماكن الجديرة بالمشاهدة والجمعيات المهمة التى يرغب فى زيارتها خلال برنامج زيارته القصير، قال بلا تردد : إننى أربغ فى المشاركة فى إحدى جلسات المحاكمات. يقول المرحوم المستوفى :

"ذهبت ذات يوم إلى محكمة جنائية وذلك بإصرار من مشير الدولة، فقد أراد رؤية محاكم الجنايات، وكان القاضى يجلس مرتديا قبعة ذات ضفائر وعباءة حريرية سوداء. ويجلس على جانبيه مساعدين للقاضى... وكان جناب السفير الكبير (مشير الملك) يعرف قدرا من اللغة الإنجليزية، وألم بشئ منها أثناء مباحثاته... وعاد مشير الملك بعد الظهر بثلاث ساعات، وعُرف أن دارلينج القاضى الأول لمدينة لندن قد دعا سيادة السفير بعد انتهاء المحاكمة وتعرفه عليه، وأنه تناول طعام الغداء معه. وكان مشير الملك يقول : سألت دارلينج أثناء تناول الغداء : هل ينص القانون الإنجليزي على عقوبة الإعدام، فأجاب : لحسن الحظ نعم^(٢٥).

وقد اهتم مشير الدولة منذ بداية عمله بعيوب الجهاز القضائى ونواقصه، وواصل دراساته وبحوثه فى كل مكان من أجل تحسين هذه الأوضاع.

"وفى عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وبعد فتح طهران وتشكيل وزارة ولى خان القائد الأعظم أصبح مشير الدولة وزيرا للعدل، وقام بإقضاء عدد من القضاة بدون محاكمة من الوزارة مخالفا بذلك الدستور، وكان هذا التصرف مخالفا لما توقعه الشعب من مشير الدولة^(٢٦). وكان هذا الموقف من المواقف التى تجاهل فيها مشير الدولة المبادئ القانونية من أجل تحسين وضع العدالة.

ويتحدث المرحوم صدر الأشراف عن تجديد حياة القضاء وإصلاحات مشير الدولة فى الجهاز القضائى الإيرانى فيقول :

"فى عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) عُين المرحوم مشير الدولة وزيرا للعدل فى حكومة سپهسالار (المقصود به سپهدار نفسه). وطلب من البرلمان ورئيس الحكومة الإذن بالبقاء فى منزله لمدة سنة أشهر حتى يقوم بتنظيم القوانين والمؤسسات ومبادئ المحاكمات، ووافق البرلمان والحكومة على هذا الطلب.

وتوجه مشير الدولة إلى منزله وكلف مجد السلطان محمد صدر وكيل وزارة العدل بإدارة شؤون وزارة العدل.

يقول صدر الأشراف بعد ذلك : كتب مشير الدولة بعد عدة شهور قانون الأجهزة والهيئات القضائية وقانون أصول المحاكمات وقدمه إلى البرلمان. وتمت المصادقة على قانون الهيئات، إلا أن قانون أصول المحاكمات ووجهه بمعارضة شديدة من كبار العلماء. واضطرت أنا محسن صدر، صدر الأشراف، وكانت لي علاقة صداقة قوية مع المرحوم مشير الدولة وكان يستشيرني أثناء تنظيم قانون أصول المحاكمات في معظم الأوقات، إلى الذهاب إلى المرحوم سيد حسن مدرس الذي كان مؤثرا وذا شخصية بارزة في هيئة العلماء، ونجحنا في لفت نظره، ومن ثم وافق مشير الدولة إلى ضم ثمانى مواد إقترحها كبار العلماء إلى بداية القانون، وتم التصديق على ذلك القانون في لجنة العدل، ثم مر من البرلمان بسهولة ويسر، وتمت الموافقة عليه في عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م).

وقد تنبه المرحوم مشير الدولة إلى الحاجة إلى مستشار أجنبي لتغيير قواعد المحاكم الإيرانية، وبناء على أوامر منه قدم للعمل في إيران "مسيو أدولف برنى" المستشار الفرنسى، وظل بوزارة العدل الإيرانية حتى عام ١٣٠٥ (١٨٨٧م)، وكان يتقاضى عشرة آلاف تومان سنويا كمرتب وحوافز غير عادية^(٣٧) حتى ينظم الأمور، وقد كتب قانون العقوبات على يد "برنى".

والخلاصة أنه حدث في نفس عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) أن طالب مشير الدولة في البرلمان بميزانية مستقلة وخاصة لوزارة العدل، وكان هذا الأمر من التطورات والتحولات العظيمة والغريبة في مجال القضاء الإيراني؛ ذلك لأنه حتى ذلك الوقت كان القضاة مضطرين لكسب قوتهم عن طريق تحصيل مبالغ من طرفى الدعوى، مما جعل هذا القضاء بطبيعة الحال لا يخلو من الشبهة والشك، وعادة ما كان سببا في خراب الأمور من أساسها.

وقد نادى مشير الدولة في عام ١٣٢٨هـ في مجلس الشورى الوطنى بأنه ينبغي على المجلس الموافقة على تخصيص ميزانية لمرتبات موظفى المحاكم وإدارات وزارة العدل، وأن يعطونه مهلة لإعداد قانون هيئات وزارة العدل وإداراتها.

ويجب أن نعلم أن مشير الدولة كان يتولى منصب وزير العدل فى حكومة ناصر الملك (ارديبهشت ١٢٨٨ش - ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) وفى حكومة سيهدار الثانية والثالثة (آذر ١٢٨٨ش - ١٣٢٨هـ - حتى اردبيبهشت ١٢٨٩ش - ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) وفى حكومة سيهدار الرابعة (اسفند ١٢٨٩ش - ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) وحكومة صمصام السلطنة البختيارى الأولى والثانية (مرداد ١٢٩٠ش - ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) واستطاع خلال مدة توليه الوزارة الطويلة نسبيا أن يرسخ قواعد وزارة العدل الجديدة التى حاول المرحوم داور ترسيخها قبل ذلك. وكان مشير الدولة يفكر فى إصلاح هذه الوزارة على عهد داور ويؤيده فى الإصلاح بلا حدود وفى تطوير القضاء فى بلاده.

وكان داور قد شكل لجنة لإصلاح قوانين القضاء عند حل وزارة العدل (فى بهمن ١٣٠٥ش = ١٩٢٥م) وشكلت هذه اللجنة من المرحوم مشير الدولة، والمرحوم منصور السلطنة، وميرزا أحمد خان شريعت زاده، والمرحوم الدكتور محمد مصدق، والمرحوم صدر الأشراف. وفى الجلسة الأولى التى عقدت فيها اللجنة اجتماعها الرسمى فى غرفة الوزير، تم انتخاب مشير الدولة رئيسا للجنة وصدر الأشراف نائبا للرئيس ومنصور السلطنة وشريعت زاده كسكرتيرين لها، وتقرر عقد جلساتها بعد ذلك فى منزل مشير الدولة^(٣٨).

وقد جعل المرحوم مشير الدولة - ولأول مرة فى إيران - التقاضى على درجتين، مما أدى إلى تأسيس المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف. وكان دائما ما يراقب أوضاع القضاء وأحكامه. وعندما سمع بخبر الحكم على نصرة الدولة الحاكم العام بالنسج لمدة سنة أشهر، وقرأ وثيقة حكم المدعى العام، أرسل رسالة

إلى رئيس الجهاز القضائي يخبره فيها بأنه "مما لا شك فيه أنه ربما يكون نصرة الدولة قد ارتكب جرائم كثيرة، إلا أنها يمثل هذا الحكم وهذه الإدانة لم تكن نصرة الدولة". وكان يقول مرارا إن مصباح العدل والقضاء كان مضيئا بشكل جيد في أوائل عمر العصر النيابي، إلا أن الحكومة كانت على عجل.

الاستبداد الصغير:

بعد وفاة مظفر الدين شاه، ساءت العلاقات بين محمد علي شاه والشعب والبرلمان بشكل أكبر ويوما بعد يوم. وفي هذه الفترة الحساسة من تاريخ الحكم النيابي تبرز أيضا شخصية مشير الدولة؛ هذه الشخصية التي جسدت في كل مكان صورة الوسيط بين قوة الحكم المستبد وثورة الشعب؛ ذلك لأن معنوياته العالية ومكانته السامية وثقة الشعب وجهاز الدولة في فكره الإصلاحى وكفاءته وعدم وجود أغراض أو أطماع له، كل هذا أدى إلى قبول الجانبين لتحكيمه ووساطته.

أرسل أعضاء البرلمان، الذين تنبهوا إلى تدهور الأوضاع ورأوا أن غضب الشاه يشكل خطرا على الحكم النيابي بأى حال من الأحوال، رسالة إلى رئيس البرلمان في ذى القعدة عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) بمساعدة مشير الدولة بشأن تصرفات وسلوكيات محمد علي شاه، وفي الحقيقة أنهم علقوا الجرس فى رقبة القطة، أى أن إجراءات مشير الدولة أدت إلى أن يوقع محمد علي شاه فى ١٧ من ذى القعدة رسالة القسم ويرسلها إلى البرلمان.

وقد أقسم محمد علي شاه القسم التالى :

"أقسم بكلام الله المجيد أن أرى وأدعم نظام الحكم النيابي والدستور بشكل كامل وتام. ليلة ١٧ ذى القعدة عام ١٣٢٥هـ".

وعلى الفور أرسل مشير الدولة البرقية التالية إلى العالم حتى يعرف ما وصل إليه الحكم الدستوري في إيران الذي كان يواجه آنذاك دعايات مضادة ومغرضة، وكان نص البرقية على النحو التالي :

"إن الخلاف الذي دب بين الشعب والحكومة قد زال بحمد الله تماما، وتعهد جلالة الملك في مجلس الشورى الوطنى بتوقيعه على القرآن المجيد بالمحافظة على النظام الدستوري طبقا للدستور، وقد ساد الاطمئنان، وأصبحت الوزارة الجديدة مسنولة عن إزالة الخلافات".

(مشير الدولة)

وقد ختم محمد على شاه القرآن بخاتمه وأرسله كوثيقة إلى البرلمان.

وفي الرابع من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) تشكلت حكومة نظام السلطنة وكان مشير الدولة وزيرا للخارجية فيها، ولم تستمر هذه الوزارة كثيرا إلا وتولت حكومة أحمد خان مشير السلطنة في ٨ جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ، وكان مشير الدولة وزيرا للعلوم بها.

وكان هذا هو آخر تشكيل حكومى فى العصر الدستوري الأول يقدم إلى البرلمان، ذلك لأن الخلافات والمشاكل بين الشاه والبرلمان كانت قد وصلت إلى أبعد مدى لها تدريجيا. يقول المرحوم كسروى : "منذ ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ كان يقوم بالوساطة مشير الدولة ومؤتمن الملك إلا أنهما كانا يريدان إرضاء الجانبين. فقدم مشير الدولة ومؤتمن الملك ونير الدولة إلى البرلمان وجلس معهم مستشار الدولة وممتاز الدولة وآخرون، وأخذوا يتباحثون، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة ما"^(٣٩).

وفي هذه اللعبة، نشطت السفارة الروسية أكثر من أى مكان آخر، وخاصة فى تفاوضها مع السفارة الإنجليزية التى كانت تعمل معها وبمساعدة محمد عليشاه،

ووصل تدخلها إلى حد أن السفير الروسي تباحث مع وزير خارجية إيران مشير الدولة على النحو التالي :

”قدم موسيو هارت ويج M.HARTWIG سفير روسيا إلى منزل وزير الخارجية، وقال السفير الروسي : إن حياة الشاه في خطر، هل يحارب هؤلاء الوطنيون وهم بمثابة خدام لجلالة الملك وخاصة الأمير بهادر ؟ إن الأمر وصل بالجمعيات والوطنيين إلى حد المناداة بعزل الشاه، وإذا حدث ذلك فإن روسيا ستضطر للتدخل وسوف تساعدنا أيضا إنجلترا. وصدق مارلينج الملحق بسفارة إنجلترا أيضا على هذا الكلام“^(٤٠).

وكان حسن خان مشير الدولة قد ترك العمل قبل هذه الأحداث بخمسة أيام، إلا أنه كان يباشر العمل إلى حين تعيين من يحل محله. الخلاصة أن مشير الدولة أسرع إلى البرلمان، وأعطى رئيس البرلمان تقريرا عن الوضع، وفي اليوم التالي (الرابع عشر من خرداد عام ١٢٨٧ش = ٤ جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) توجه الشاه إلى "باغ شاه".

السهام تصطدم بالصخر :

لم تتوصل المباحثات إلى نتيجة؛ فقد أرسل الشاه الذي كان قد تأذى من أعضاء المجلس رسالة خطية إلى مشير الدولة رئيس الوزراء فجأة مضمونها : "صاحب السعادة مشير السلطنة، لما كان جو طهران حارا، ويصعب علينا تحمله، لذا فقد انتقلنا إلى باغ شاه، الخميس الرابع من جمادى الأولى - قصر باغ شاه".

والمعروف أن حرارة الجو كانت حجة لضرب البرلمان؛ فاعتصم الوطنيون في البرلمان، وجعلوا منه مقرا لهم، غير أن وساطة مشير الدولة واتصالاته لم

تقطع، ذلك لأنه لم يكن يتسم بديكتاتورية العامة أو الخاصة، كما تعقدت الأوضاع بشكل حاد ومتشدد، يقول المرحوم كسروى :

عقد البرلمان جليستين في يومى ٢١ و ٢٢ من جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ على خلفية الوساطة النهائية، وجرت المفاوضات بينه وبين البلاط بتوكيل مشير الدولة ومؤتمن الملك. إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة في هذا الصدد، وأرسل محمد عليشاه البرقية التالية إلى كل المحافظات فى يوم ٢٢ جمادى الأولى:

"إن هذا البرلمان يتعارض مع الحكم الدستورى، وكذا من يتجاوز أوامرنا، فإنه سيقع تحت طائلة العقاب والمحاسبة. محمد على شاه".

وفى مساء ذلك اليوم جاء مشير الدولة ومؤتمن المالك إلى البرلمان، وأخبروا أعضائه بأن الشاه مصر على حل البرلمان^(٤١).

فى تلك الأيام توجه عدد من رجال الدين أيضا إلى "باغشاه"، أيسوا محمد عليشاه فى معارضته للحكم الدستورى، وأصابوه بالغرور حتى أنه أصدر البيان التالى:

"باسمه تعالى، السادة العلماء الأعلام، حيث إن البرلمان يتناقض مع قواعد الإسلام كما ترون، وقد حكمتم بحرمة الحكم الدستورى؛ فإننا صرفنا النظر عنه تماما نحن أيضا، وتأكدوا أن البرلمان لن تقوم له قائمة مرة أخرى".

ومن الأمور المعروفة أن الحاج الشيخ فضل الله نورى عندما عاد من باغشاه إلى منزله قال للناس : "حضرنا الآن من باغشاه، قرأنا الفاتحة على روح الحياة النبوية وشربنا القهوة عليها".

صمد البرلمان فى مواجهة البلاط، وكان الشاه قد أصر على القضاء على الحكم النيابى. وفى يوم السبت الموافق ٢٣ من جمادى الثانى ضرب البرلمان بالمدافع.

وتوجهت قوات بختياري من أصفهان وسيهدار من جيلان إلى طهران، ونشط أيضا ستارخان وباقرخان في تبريز.

حاصر الجيش طهران، وفي يوم ٢٣ من جمادى الثاني عام ١٣٢٧ (١٩٠٩م)؛ أى بعد عام كامل من إطلاق قذائف مدافع القائد الروسى للقوازق لياخوف، دخلت قوات المطالبين بالحرية العاصمة طهران من الأبواب الشمالية واندفعت إلى البرلمان وعسكرت هناك، وتوجه الملك إلى السفارة الروسية ثم فر فى نهاية الأمر إلى روسيا.

نصّب المنتصرون السلطان أحمد ميرزا ابن محمد على شاه سلطانا، ولما كان صغير السن فقد اختاروا عضد الدولة الذى يعد شيخا للقاجاريين كنائب له. وبعد فترة توجه الشاه المخلوع من روسيا إلى إيران وقدم إلى باستر آباد، إلا أنه هُزم هذه المرة من القوات الحكومية فعاد إلى روسيا.

فى هذه السنوات نفسها ظهر حزبا الثورة والاعتدال، وهما اللذان عرفا بعد افتتاح البرلمان باسم الحزب الديمقراطى الشعبى وحزب الاجتماعيين الاعتداليين. وكانت المناصب التى تولاها مشير الدولة فى هذه السنوات هى :

تولى مشير الدولة منصب وزير العدل فى ربيع الأول عام ١٣٢٩هـ — (١٩١١م) حتما كان سيهدار رئيسا للوزارة. وعين وزيرا للبريد والبرق فى وزارة سيهدار الثانية التى شكلت فى ٢٠ اسفند ١٢٨٩ش (٢٢ رجب ١٣٢٩هـ)، ونصّب وزيرا للعدل فى حكومة صمصام السلطنة التى تشكلت فى مرداد ١٢٩٠ش (٢٩ رجب ١٣٢٩هـ)، ثم وزيرا للعلوم والأوقاف، وكذلك تولى منصب وزير العلوم والأوقاف فى وزارة علاء السلطنة (١٢٩١ش - ١٣٣١هـ).

توّج أحمد شاه رسميا فى ٢٧ شعبان ١٣٣٢هـ، وفى هذه الأثناء اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى، وشكل مستوفى الممالك حكومته بعد بدء هذه الحرب

بثمانية عشر يوما، وفي بداية عمله وبسبب تعطيل البرلمان كان يستشير بعض الرجال من ذوى التجربة والبصيرة لاتخاذ القرارات المناسبة، خاصة فى تلك الأوقات التى كان يختلئ فيها مع مشير الدولة ومؤتمن الملك، وقام بإصدار المرسوم التالى من قبا، الشاه بعد موافقتهما :

تظرا لنشوب الحرب فى هذه الأيام بين دول أوروبا مع الأسف.. فإن بلادنا تتمسك بالحياد تجاه هذا الأمر وتواصل علاقات الصداقة وترعاها مع الدول المتحاربة كما كان الحال من قبل، ١٢ ذو الحجة ١٣٣٢هـ = أول نوفمبر ١٩١٤م".

إلا أن هذا الحياد لم يدم طويلا كغيره من تعهدات الحياد.

أول وزارة لمشير الدولة:

لم تتمكن وزارة مستوفى الممالك من البقاء طويلا، واستطاع مؤتمن الملك فى يوم الخميس ٢٤ ربيع الثانى ١٣٣٣هـ (١١ مارس ١٩١٥م) بناء على أمر من الشاه رأى الأحزاب؛ فصوت الحضور جميعا وكان عددهم ٧٥ شخصا لصالح مشير الدولة. وتوجه مشير الدولة مباشرة من البلاط لزيارة مستوفى الممالك. وبعد ذلك قدم وزراءه فى يوم الأحد ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٣٣هـ الساعة الرابعة بعد الظهر، وهم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء ووزيرا للحربية
معاون الدولة	وزيرا للخارجية
مستشار الدولة	وزيرا للداخلية
حكيم الملك	وزيرا للمعارف
ذكاء الملك	وزيرا للعدل

مشار السلطنة وزيراً للمالية

نصر الملك وزيراً للبريد والبرق والتجارة

وكانت أول مشكلة تواجه الحكومة قضية تدخل الروس والإنجليز من ناحية، وتوقعات ما سوف يحدث من الألمان من ناحية أخرى، وفي هذه الأثناء كان ينبغي أيضاً تحديد مهمة صلاحيات المستشارين البلجيكيين الذين كانوا يسيطرون على الجمارك. وقد ظلت هذه الحكومة حتى العاشر من شهر أربيهشت من عام ١٢٩٣ش (١٩١٣م)، لكنها لم تعمر طويلاً وأوكل الأمر لعين الدولة.

ورغم ذلك فقد تولى مشير الدولة مناصب في وزارات السنوات التالية؛ إذ نصب وزيراً للحربية في وزارة علاء السلطنة التي استمرت من ١٥ خرداد ١٢٩٤ش (١٩١٤م) وحتى آبان ١٢٩٦ش (١٩١٦م)، وكذلك عُين وزيراً للحربية أيضاً في وزارة عين الدولة (من آبان حتى دى عام ١٢٩٦ش = ١٩١٦م). وعين مرة ثانية وزيراً للحربية في وزارة مستوفى الممالك الثانية التي استمرت من ٤ دى ١٢٩٦ش وحتى أربيهشت عام ١٢٩٧ش (١٩١٧م).

وتعتبر هذه الأيام أسوأ أيام مرت في تاريخ إيران، حيث ساعدت السياسة الخارجية والأوضاع المضطربة في الداخل على التمهيد لإنقلاب عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م)، وقد وصل أمر قصر عمر الحكومات وسقوطها بسرعة إلى تدهور الإدارة والنظام وعدم انضباط الأمور، وللأسف أيضاً فإن أحمد شاه الذي كان قد وصل إلى سن الرشد ولم يعد له نائب للسلطنة لم يتمكن من تدارك هذا الضعف.

اتفاقية عام ١٩١٩م:

طوت حكومة وثوق الدولة صفحة من تاريخ إيران، ووثوق الدولة هو رئيس الوزراء والشاعر الإيراني المعروف الذي قال في شعر له :

لن تصل إلى مقصودك وهدفك بالعقل الجرد

إن الأمر يلزمه هنا شيء من الجنون

وقد ارتكب نوعا من الجنون السياسى وعقد اتفاقية مع انجلترا أثارت كثيرا من الجدل فى إيران.

تولت حكومة وثوق الدولة شئون البلاد بعد السقوط الإجبارى لحكومة صمصام السلطنة فى شهر مرداد ١٢٩٧ش (شوال ١٣٣٦هـ = ١٩١٧م) واستمرت لمدة عامين وعقدت اتفاقية عام ١٩١٩م.

وفى فترة تولى هذه الحكومة سافر أحمد شاه إلى أوروبا، ويبدو أن سفره كان بهدف الحصول على موافقته على الاتفاقية. وكان من نتائج هذه الاتفاقية أن وضعت الشئون المالية وشئون الجيش الإيرانى تحت إشراف المعلمين والقادة الإنجليز، وضم قوات الدرك مع قوات القوازيق^(٤٢). وجاء إلى إيران شخصان أحدهما يدعى آرميتاج اسميث للإشراف على الشئون المالية، والثانى الجنرال ديكسون لإدارة شئون الجيش الإيرانى.

وبعد نشر مواد الاتفاقية، ظهرت تحريضات عنيفة فى الصحف ضد وثوق الدولة، ونشرت مجموعة من الديمقراطيين وسائر المطالبين بالحريّة صحفا مسائية وكتبوا مقالات شديدة اللهجة ضد الحكومة، وكان مركزهم أحيانا فى منزل الحاج إمام الجمعة الخويى وأحيانا أخرى فى منزل المرحوم سيد حسن مدرس، ويقال إن السلطان أحمد شاه أيضا كان يرافقهم، وأنه طلب اجرا فى مقابل التوقيع على الاتفاقية، وقال صراحة : إنكم قد نقاضيتم مالا ووقعتم، وأنا لم أنقأض مالا فلماذا أوقع ؟.

"ونتيجة للشغب العام، لم يتمكن وثوق الدولة من المقاومة، وسافر من طهران إلى أوروبا، وشكل ميرزا حسن خان مشير الدولة الذى كان ذا اتجاه وطنى وزارة جديدة بأمر الشاه، وكان مشير الدولة يهتم بأملكه فى مازندران، ويخشى

من خسارته الشخصية إذا ما سقطت هذه الولاية في أيدي المجاهدين والبلاشفة بالإضافة إلى الخسائر الأخرى النوعية التي ستمنى بها البلاد. ومن ثم أرسل على الفور حاكما من أقربائه وجعل استراسلسكى رئيس التكنات العسكرية مع قوات من القوازيق ممثلا له في مازندران حتى يفهم أن الحرب ليست مع الروس^(٤٣).

وزارة مشير الدولة الثانية :

كان وثوق الدولة قد أنهى جزءا من الانتخابات، ومما لا شك فيه أن هذا البرلمان هو الذى كان سيصادق على الاتفاقية، وهنا حدثت أزمة عندما كلف الشاه مشير الدولة بتشكيل الحكومة. شكل مشير الدولة حكومته فى ١٣ تيرماه عام ١٢٩٩ش (١٨ شوال ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م)، وتولى مصدق السلطنة (الدكتور محمد مصدق) فيها منصب وزير العدل، وكان أعضاء هذه الوزارة هم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حشمت الدولة	وزيرا للداخلية
مستشار السلطنة	وزيرا للخارجية
مصدق السلطنة	وزيرا للعدل
وثوق السلطنة	وزيرا للحربية
مخبر السلطنة	وزيرا للمالية
نير الملك	وزيرا للبريد والبرق
اعتلاء السلطنة	وزيرا للخدمات العامة
حكيم الملك	وزيرا للمعارف

مؤتمن الملك ومستوفى الممالك وزيران للدولة

وما إن مرت على تشكيل الحكومة عشرة أيام إلا وأعلن مشير الدولة فى ٢٨ شوال أن الاتفاقية ستبقى مع وقف التنفيذ إلى أن تعرض على البرلمان ويصادق عليها.

بعد أن عقد وثوق الدولة اتفاقية عام ١٩١٩م، فكر مشير الدولة فى إصلاح العلاقات مع جاره الشمالى العصبى، وعلم أن المصلحة تقتضى إقامة علاقات صداقة مع الحكومة الروسية السوفيينية الجديدة، وترك الباب مفتوحا، ولتحقيق هذا الهدف اقترح مشير الدولة فى بداية الأمر على ميرزا اسحق خان مفخم الدولة الذهاب إلى موسكو وإجراء مباحثات مع وكيل الخارجية السوفيينى تمهيدا لعقد اتفاقية صداقة، إلا أنه لم يوافق على ذلك. ثم اقترح مشير الدولة عن طريق برقية أرسلها إلى مشاور الممالك الأنصارى الذى كان موجودا فى اسطنبول الذهاب إلى موسكو، فذهب إلى القوقاز وبعد أن تلقى أوامر مشير الدولة توجه إلى موسكو.

هذه العلاقات الحسنة أزججت حكومة الجارة الجنوبية، فسعت إلى تضيق الخناق على حكومة مشير الدولة.

ويقال إن الشاه طلب مرتين أو ثلاث مرات من مشير الدولة تقديم استقالته، وقد جعل مشير الدولة اتخاذ القرار النهائى تبعاً لرأى مجلس الوزراء. وحدث اعتراض فى مجلس المبعوثين الإنجليز حول تقديم مساعدات من قبل البنك الملكى إلى الحكومة الإيرانية. وكانت هذه هى الضربة القاصمة، وأرادوا أن تدفع حكومة مشير الدولة غرامة. وقد توالى هذه الأحداث جميعها قبل وقوع انقلاب ١٢٩٩ش (١٩١٩م) بسبعة شهور.

تصاعد رائحة الانقلاب :

ربما أحس مشير الدولة من بعض الإرهاصات بقدم الانقلاب، وعمل حسابا لعاقبة الأمور، وطبقا لعادته ورؤيته الثاقبة ترك مكانه هذه المرة أيضا وتحنى جانبا بحجة تعبته وإنهاكه وحاجته للراحة، حيث إنه كان يفعل هذا دائما عندما كان يرى التوجهات الداخلية والخارجية تتعارض مع مصلحة إيران.

يتحدث اللورد كرازون وزير خارجية إنجلترا في خطابه في نفس هذه السنة (١٧ نوفمبر ١٩٢٠م - عقرب ١٢٩٩ش) عن مشير الدولة في مجلس الأعيان الإنجليزي؛ فيقول :

"تمنى وثوق الدولة الذي كان قد أسس الاتفاقية، وتولى الوزارة الجديدة شخص يعرف باسم مشير الدولة ولا أدري هل كان تعيينه شيئا إيجابيا أم سلبيا، وربما يمكن إعتباره ممثلا لكل مواطني الأمة، وكانت سياسته تختلف عن سياسة سلفه إلى حد ما، وقد فضلت حكومة مشير الدولة تأجيل العمل بالمعاهدة التي شرحتها لكم الآن حتى يصدق عليها البرلمان".

قدمت حكومة مشير الدولة استقالته في الثالث من شهر عقرب عام (١٢٩٩ش = ١٤ صفر ١٣٣٩هـ)، وكان مشير الدولة نفسه يقول إنه تعب من العمل وأنه يحتاج إلى الراحة.

ويقول هدايت : "لقد أنهكت المشكلات مشير الدولة فأخذ يسعى إلى الاعتزال وتتصيب سيدهار رشتي، ولم يجد أحمد شاه في بداية الأمر شخصا يصلح لهذا العمل، وقال له ناصر الملك فكر في تأمين المستقبل بقدر ما تستطيع فإن هؤلاء الناس لن يتمكنوا من القيام بهذه المهمة"^(٤٤).

غير أن وزارة سيهدار لم تتمكن أيضا من القيام بعملها على أكمل وجه؛ فأمر الشاه بعقد اجتماع للتشاور، شارك فيه رؤساء الوزراء السابقون وكبار رجال الدولة، وكان الهدف من ذلك إيجاد حل بعد دراسة الأوضاع القائمة.

وفي شهر جدى من عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م) عقد الأعيان وكبار رجال الدولة والأمراء اجتماعا كانت جلسته الأولى فى منزل صمصام السلطنة وجلسته الثانية فى منزل عين الدولة وجلسته الثالثة فى منزل مشير الدولة. ودار الحديث والنقاش فى هذه الجلسات حول الأوضاع والأحوال المتردية. وفى نهاية الجلسة الثالثة، استقالت حكومة سيهدار فى ٢٤ جدى = دى ١٢٩٩ش. وفى هذه الأثناء ظلت القوات الروسية أيضا فى ميناء "أنزلى". واقترحوا إسناد الوزارة لمستوفى الممالك إلا أنه لم يقبل.

وفى يوم ٢٩ جدى عام ١٢٩٩ش استدعى أحمد شاه مشير الدولة إلى البلاط وكلفه بتشكيل الوزارة إلا أنه لم يذعن لهذا التكليف. فتم تكليف سيهدار أعظم بتشكيل الحكومة من جديد، وأخيرا شكل حكومته فى ٢٨ دلو عام ١٢٩٩ش^(٤٥).

ولم تدم هذه الحكومة أكثر من عدة أيام، حيث وصل خبر فى غرة شهر حوت عام ١٢٩٩ش = ١٣٣٩هـ من "ينگى امام" إلى رئاسة الوزراء مفاده أن عددا من أفراد القوازق قد تحركوا من قزوین تحت قيادة العميد رضا خان ومعهم أربع عربات مدفعية وكمية من المعدات، ودخلوا "ينگى امام" فى يوم ٢٩ دلو، وتحركوا فى اتجاه العاصمة فى اليوم الأول من شهر حوت. ولم تنفع أوامر أمير نظام وزير الحربية ولا مكالمة الشاه التليفونية فى إعادتهم إلى مواقعهم. وفى صباح اليوم الثالث من شهر حوت عسكرت هذه المجموعة بالقرب من "شهرنو" خارج بوابة قزوین بطهران.

ودخل الجنود إلى المدينة في منتصف ليلة الثالث من شهر حوت واتخذوا مواقعهم في ساحة التدريب العسكري بالتواطؤ مع رؤساء قوات الدرك، وعند الفجر سمعت أصوات طلقات المدفعية. وفي الصباح قرأ الناس الجملة التالية بتوقيع "رضا" فوق أبواب وجدران المدينة وهي :

"... إننى أمر بأن يضع المواطنون نصب أعينهم مصلحة البلاد والوطن فقط، وأن يكرسوا أنفسهم لخدمته. وأنا أعين كاظم خان كحاكم عسكري، وسوف توقع العقوبة على كل من يخالف ذلك...".

وفي عصر اليوم الرابع من شهر حوت رأى الناس سيد ضياء الدين طباطبائي وهو يجلس في سيارة رئاسة الوزراء، وبهذه الطريقة أضيف فصل جديد في تاريخ إيران مكتوب بحروف بارزة.

استمرت هذه الحكومة، وهي التي أطلق عليها اسم الحكومة السوداء، حتى شهر خرداد من عام ١٣٠٠ أى حوالى أربعة أشهر، وتم اعتقال عدد من رجال الدولة في خراسان من بينهم قوام السلطنة.

ولم يكن مشير الدولة مرتاحا لهذه الوزارة ولا لسيد ضياء الدين أصلا، ومع أنه لم يكن ضمن المعتقلين أو المقبوض عليهم إلا أنه لم يقدم يد العون لهذه الحكومة، حتى أنه لم يحضر في الحفل الذى أقامه البلاط في مساء ليلة العشرين من شهر حمل عام ١٣٠٠، ويقال إنه لم يحضر هذا الحفل أيضا المستوفى ومشير الدولة ومؤتمن الملك ولم يلبوا الدعوة^(٤٦).

وفي شهر اردبهبشت عام ١٣٠٠ (١٩٢٠م) استقال مسعود كيهان وزير الحربية فى وزارة سيد ضياء وتولى رضا خان رئيس كتائب القوازيق منصب وزير الحربية تحت اسم "سردار سپه" (قائد الجيش).

وفى اليوم الرابع من شهر الجوزاء عام ١٣٠٠ش (١٧ رمضان ١٣٣٩هـ) أصدر الشاه مرسوما ملكيا بعد أن كلف سيد ضياء بتقديم الاستقالة ولكنه لم يقبل، كان نصه : .

"ظرا لما تقتضيه مصلحة البلاد، فقد عزلنا سيد ضياء الدين عن رئاسة الوزراء، ونعمل الآن على تشكيل مجلس وزراء جديد - الشاه".

وفى نفس الوقت كُلف مشير الدولة من قبل الشاه برئاسة الوزارة، إلا أنه أجاب بالسلب. حيث قال : "إن حبر مرسوم الملك لم يجف بعد، وقد وصف رجال إيران بشكل غير لائق، وهذه الإشارة التى كتبت بخط يد الشاه قد وزعت فى الثانى من شهر حوت على كل الولايات ومضمونها : (كان من نتائج غفلة المسؤولين وعبثهم فى العصور السابقة أن عم الإهمال العام واضطرب الأمن وتعكر صفو المملكة... وبمقتضى الاستعداد والكفاءة التى عهدناها فى جناب ميرزا سيد ضياء الدين فقد اخترناه لتولى منصب رئاسة الوزراء. شهر جمادى الآخر ١٣٣٩هـ - الشاه"^(٤٧).

ويقول شهاب الدولة ملك آراء : "عندما سقطت وزارة سيد ضياء الدين قام أحمد شاه بالبحث عن شخص يعينه كرئيس جديد للوزراء؛ فكلف كلا من مستوفى الممالك ومشير الدولة بتولى هذه المسئولية، إلا أنهما رفضا. وفى نهاية الأمر وبعد البحث والدراسة تقرر أن يتولى زمام الأمور قوام السلطنة المسجون فى عشرت آباد... فذهبت إلى عشرت آباد بالسيارة، ومن المعروف أن قائد الجيش قد اتصل به من قبل وأطلعته بأن شهاب الدولة سوف يصل إلى هناك للقيام بمهمة معينة... وبعد عدة دقائق حظى قوام السلطنة بالشرف وحصل على مرسوم تشكيل الوزارة".

رسائل وزير الحربية:

فى يوم الأربعاء الموافق ٢٠ جمادى الأولى من عام ١٣٤٠هـ — (١٩٢١م)، استقالت وزارة قوام السلطنة على أثر الجدل الذى ثار بين أعضاء البرلمان ووزرائه. وبعد هذه الاستقالة أصر الشاه على أن يقبل مشير الدولة رئاسة الوزراء، وفى اللقاءات الأولى مع الشاه رفض مشير الدولة قبول هذا المنصب، إلا أنه رضخ فى نهاية الأمر بعد هذا الإصرار المتزايد واستشارة عدد من أعضاء البرلمان شريطة أن تكون الأغلبية والأقلية المحايدة فى البرلمان مستعدة لمساعدة الحكومة والتعاون معها، وقبل رئاسة الوزارة فى الثالث من شهر يهمن عام ١٣٠٠هـ الموافق ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م)، وقدم وزراء وزارته فى اليوم الخامس والعشرين من جمادى الأولى فى "قرح آباد" وفى حضور الشاه.

وبعد تقديم الوزارة، توجه أحمد شاه عن طريق بغداد إلى أوروبا للاستراحة والعلاج وذلك فى ٢٦ جمادى الأولى، ورافقه قائد الجيش حتى "قصر شيرين" على سبيل التوديع. وكان أعضاء هذه الوزارة هم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حكيم الملك	وزيرا للخارجية
سردار سپه	وزيرا للحربية
تيمور تاش	وزيرا للعدل
مدير الملك (محمود جم)	وزيرا للمعارف
اعتلاء السلطنة	وزيرا للبريد والبرق
أديب السلطنة	وزيرا للخدمات العامة
نير الملك	وزيرا للعلوم

وقد عانت وزارة مشير الدولة هذه من القهر وكانت تتعرض للاستقالة دائما؛ وذلك بسبب الإحباطات الموجودة داخل البلاد، كما وجدت تحريضات في البرلمان مهدت السبيل أمام مشير الدولة لكي يتخلى عن منصبه حفاظا على كرامته ورغبته في رعاية كل المبادئ والأصول في إدارة البلاد.

وفي اليوم العاشر من شهر رمضان عام ١٣٤٠هـ (١٨ ثور ١٣٠١ش) قدم رئيس الوزراء استقالته إلى أحمد شاه تلغرافيا، وعندئذ قام سردار سپه دون أن يكون له منصب معين باستدعاء وكلاء الوزارات جميعا وأمرهم بتسيير الأعمال كما كان الحال قبل ذلك، وإطلاعه على كل الأمور.

وبطبيعة الحال لم يقبل البرلمان استقالة رئيس الوزراء، واجتمعت لجنة مشكلة من زعماء البرلمان من كل الأحزاب والطوائف والتقت بسردار سپه ومشير الدولة.

وفي ٢١ رمضان وصلت برفقية من قبل أحمد شاه إلى مشير الدولة من أوروبا نصها :

صاحب السعادة مشير الدولة رئيس الوزراء ..

إن تفتى بك لا تحتاج إلى بيان أو شرح؛ فقد قلت لك في برفيتي السابقة إن تخليكم عن العمل مدعاة للأسف والقلق، ويؤيد رأبي هذا المشاعر التي أعرب عنها مجلس الشورى الوطنى برفقيا، وأعتقد أن واجبكم الوطنى يحتم عليكم الرجوع عن الاستقالة بدون تردد، والاستمرار جديا فى أداء المهام الموكلة إليكم لخدمة البلاد، وآمل إن شاء الله أن توفق بمساعدة البرلمان المعروفة فى رعاية مصالح البلاد والصالح العام بشكل تام - الشاه.

وقد اضطر الشاه فى ٢١ جوزاء إلى إرسال برفقية تفيد تعيين قوام السلطنة رئيسا للوزراء، وتشكلت الوزارة فى ٢٦ جوزاء عام ١٣٠١ش (١٩٢١م) وكان سردار سپه بطبيعة الحال وزيرا للحربية فيها.

وفى تلك الأثناء قدم الشاه إلى إيران عن طريق الجنوب (بوشهر) ووصل إلى شیراز فى ١٢ قوس عام ١٣٠١ش (١٩٢١م).

وخلصة القول أن حكومة قوام السلطنة قدمت استقالتها أيضا فى ٥ دلو، وكان السبب الرئيسى وراء ذلك هو قضية نفط الشمال والعلاقات مع روسيا وإنجلترا، بالإضافة إلى المشاكل والإحباطات الداخلية، وفى نفس يوم ٥ دلو عام ١٣٠١ وافق البرلمان بأغلبية الأصوات على تعيين مستوفى الممالك الذى قدم وزارته فى ٢٦ دلو، وكان سردار سپه وزيرا للحربية فى وزارته مرة أخرى، ومن الملفت للنظر فى هذه الوزارات أن نفوذ وزير الحربية وقدرته هى التى كانت تأتي بالحكومات وتسقطها، وليس البلاط أو البرلمان.

بدأت حكومة مستوفى الانتخابات؛ وقد تم انتخاب لجنة الإشراف فى العاصمة برئاسة مشير الدولة بتاريخ ٢٤ حمل ١٣٠٢ الموافق ٢٧ شعبان، وتقرر توزيع البطاقات من ١١ إلى ١٨ ومن ٢٤ حتى آخر رمضان (١٥ يوما)، وأن تعاد البطاقات بعد التصويت وتوضع فى الصناديق من اليوم الثالث من شوال وحتى غروب اليوم السابع منه.

وكانت لجنة الإشراف على الانتخابات برئاسة المرحوم مشير الدولة محايدة إلى حد ما، إلا أنها لم تكن تعرف أن من مصلحتها ومن مصلحة البلاد توسيع دائرة توزيع البطاقات، كما أنها أضافت قيادا جديدا على المنتخبين بالإضافة إلى ضيق الوقت ما بين توزيع البطاقات واستعادتها، وهو ضرورة وجود هوية أو شهادة ميلاد. وقد أدى تصرف مشير الدولة هذا إلى اعتراض الصحف عليه، وتوجيه انتقادات له. وانتهت انتخابات البرلمان الخامس فى طهران، إلا أن الانتخابات فى المحافظات الأخرى استمرت حتى نهاية مدة البرلمان الرابع، وكانت أعمال الانتخابات فى المحافظات المختلفة بيد قادة الجيش ووزارة الحربية.

وفى أوائل خرداد ١٣٠٢ش (١٩٢٢م) وقعت وثيقة فى البرلمان أعرب فيها خمسة وأربعون شخصا من أعضائه عن عدم تقّتهم فى الحكومة، وفى نهاية الأمر قدم المرحوم مدرس وعدد آخر من زملائه استجابا حول رؤية الحكومة بشأن السياسة الخارجية وسلمت للبرلمان فى يوم ٢٠ جوزاء.

وكانت أصوات أعضاء البرلمان تميل ناحية مشير الدولة، ولم تمض ثلاثة أسابيع تقريبا إلا وقدمت الأغلبية فى البرلمان موافقتها لرئيس البرلمان على هذا الرجل العالم الشريف، وبعد إقصاء الحكومة وإبعادها وافقت الأقلية أيضا على هذا التوجه، وكانت النتيجة هى صدور مرسوم الشاه التالى باسم مشير الدولة فى يوم ٢٨ شوال ١٣٤١ الموافق ٢٤ خرداد (جوزاء) ١٣٠٢ش، والذى أعلن عنه فى نفس ذلك اليوم :

"لما كان تولى منصب رئاسة الوزراء يقتضى وجود شخص كفاء وجدير بالثقة؛ لذا فإننا قررنا تعيين صاحب السعادة مشير الدولة فى منصب رئيس الوزراء، وهو الذى نثق فيه ثقة كبيرة، وأمرنا بأن يقوم بأداء مهام هذا المنصب بكل اطمئنان وتحت الرعاية الملكية الخاصة - ٢٨ من شوال ١٣٤١هـ - الشاه".

وبعد يومين قدم مشير الدولة تشكيل وزارته على النحو التالى :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حكيم الملك	وزيرا للعدل
سردار سپه	وزيرا للحربية
حكيم الدولة	وزيرا للمعارف
مصدق السلطنة	وزيرا للخارجية
فهيم الدولة	وزيرا للبريد والبرق

ذكاء الملك فروغى

وزيرا للمالية

اعتلاء السلطنة

وكيلا لوزارة الداخلية

وقد تقرر تعريف وزير الخدمات العامة فيما بعد

قبض مشير الدولة على زمام الأمور بقوة، وكانت الآمال معقودة على أن الانتخابات ستسير سيرا حسنا فى عهده، ذلك لأنه لم يكن ينتمى لأى حزب من الأحزاب، كما كان موضع ثقة من الأحزاب جميعها، ولم يكن أحد يشعر تجاه سياسته الخارجية أيضا بأى قلق يذكر.

قتم مشير الدولة برنامج وزارته الذى كان يقوم على مبدأ التوازن فى الحفاظ على العلاقات الطيبة مع الدول الصديقة والمحايدة والإسراع فى إجراء الانتخابات، والرقابة والإشراف على تطبيق القوانين الخاصة بالميزانيات.

ولم يكن مشير الدولة، الذى قضى حياته بسيرة حسنة وعزة نفس ومحافظه على مكانته، مستعدا بطبيعة الحال لتحمل تشدد وزير حربيته وعنفه، هذا بالإضافة إلى أنه كان يرى أن كل الصلاحيات فى يد وزير الحربية، ولا توجد أى نقطة ارتكاز يمكن الحفاظ بها على القانون. وكان اهتمامه بالحفاظ على كرامته وكرامة وزرائه من أوليات اهتماماته قبل أى شىء آخر.

فقدت وزارة مشير الدولة مقاومتها فى مواجهة تهديدات وزير الحربية، ونتيجة لهذه التهديدات قدمت هذه الوزارة أيضا استقالتها قبل ظهر يوم ٢٩ ميزان ١٣٠٢ش الموافق ربيع الأول ١٣٤٢هـ (٢٢ أكتوبر ١٩٢٣م) فى قصر "صاحب قرانية" وفى حضور الشاه.

وطبقا لقول المرحوم هدايت : "قبل سردار سپه الذى كان صاحب عزم ورأى قوى اعتذار مشير الدولة وشكل هو نفسه وزارة أخرى". ويقول المرحوم

بهار : لقد طلبوا من مشير الدولة بيرنيا الاعتذار عن رئاسة الوزارة من تحت الطاولة، وقبضوا على زمام الأمور بأيديهم". وقد وقعت هذه الأحداث في ٦ أبان عام ١٣٠٢ (١٩٢٢م) أى بعد ما يقرب من أربعة أشهر من تولى مشير الدولة، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التى تولى فيها هذا المنصب.

آخر الدواء الكى :

صدر مرسوم رئاسة الوزراء لسردار سپه على الرغم من اعتراض مدرس ورفاقه ومساعدهم ورغمما عن الشاه نفسه (١٦ أبان ١٣٠٢) وكان ينص على مايلى :

"لما كان تولى منصب رئاسة الوزراء المهم يقتضى وجود شخص كفاء وجدير بالقيام بهذا العمل، لذا فقد قررنا تعيين صاحب السعادة سردار سپه الذى نثق فيه ثقة تامة كرئيس للوزراء، وقررنا أن يقوم بأداء مهام هذه الوظيفة - ١٦ ربيع الأول ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) - الشاه"^(٤٨).

وبعد فتح خوزستان والقضاء على خزل بمساعدة العميد فضل الله زاهدى (اول ارديبهشت ١٣٠٤ - ١٩٢٤م) اعتبر قائد الجيش هو المنقذ الحقيقى لإيران.

"بعد أن عاد قائد الجيش من خوزستان كان يقول فى جلساته الخاصة إننى لا أستطيع العمل مع هذين الأخوين أى أحمد شاه وولى العهد. وكان الحاضرون ينظرون إلى بعضهم بعضا وهم فى حيرة، ويكرر قائد الجيش حديثه ويطلب منهم إبداء الرأى فى هذا الموضوع. ويقول مشير الدولة إن لهذا التصرف مانعا قانونيا ويجب بحث الأمر من جميع جوانبه، ويقول قائد الجيش حسنا إدرسوا الموضوع وقدموا الرأى حوله فى جلسة أخرى. وقد عقدت الجلسة الثانية فى منزل حسين خان علاء دون أن يحضر قائد الجيش. ورأت الأغلبية إبداء الرأى بالسلب، وأن من يبلغه هذا الرأى هو مشير الدولة. وفى الجلسة التالية شرح مشير الدولة بخبرته

القانونية لقائد الجيش الوضع، وقال إننا لا يمكننا الموافقة على فكرة توليه السلطنة مراعاة للدستور.

وقد أصاب الملل قائد الجيش من مناقشات مشير الدولة ولكنه لم يتخل عن صبره، وقال له الآن وقد اعتبرت هذا الأمر مخالفا للقانون، أجد نفسي غير مستقر فى منصبى، ومن الممكن أن تلغى كل الجهود التى بذلتها فى الحفاظ على أمن المملكة بمرسوم يرسله الشاه من أوروبا. وانعقدت جلسة التشاور من جديد فى غياب السردار، وفى النهاية استتبخوا من إحدى مواد القانون أنه يمكن لمجلس الشورى الوطنى عند الضرورة إسناد قيادة كل القوات مباشرة لشخص معين، وقد استتبب هذا المعنى الدكتور محمد خان مصدق السلطنة وهو عالم من علماء القانون.

وبعد أن اطمأن سردار سپه للجنة التشاور هذه التى كان لها نفوذ فى البرلمان جعل الأعضاء يقدمون هذا الاقتراح إلى البرلمان ويمرون مثل هذا القانون.

وقبل اليوم التاسع من شهر آبان عام ١٣٠٣ (١٩٢٣م) بيوم، اتصل مستوفى الممالك تليفونيا بمنزل الدكتور مصدق وقال :

لقد أعدت مادة واحدة فى منزل سردار سپه ونقلوا الأعضاء إلى هناك حتى يوقعوا عليها، وقد امتنع السيد ميرزا حسين خان علاء الذى أخذوه إلى هناك عن التوقيع، وعندما كنت موجودا بالأمس فى منزل مؤتمن الملك وتشاورنا مع مشير الدولة ومؤتمن الملك فى هذا الموضوع وهو هل نذهب اليوم إلى البرلمان مع هذا الوضع أم لا ؟ ورأى السادة أنه من الصالح ألا نذهب اليوم إلى البرلمان. وكان مصدق قد قال : إنهم يدفعون رواتب للمدفعى والجندي لسنوات كى يعمل ذات يوم. فإذا لم نذهب اليوم إلى البرلمان، فإننا نكون قد خالفنا واجبات عضويتنا. وقبل مستوفى الممالك رأى الدكتور مصدق ووافق عليه واتصل تليفونيا بميرزا حسين خان علاء وجاء إلى منزله وذهبوا جميعا إلى البرلمان^(٤٩).

وفى الجلسة التى عقدت فى التاسع من أبان قدم الأعضاء المؤيدون لسردار سبه المشروع التالى : "مادة واحدة - يعلن مجلس الشورى الوطنى باسم الأمة نهائية السلطنة القاجارية وتكليف السيد رضا خان بهلوى بتشكيل حكومة مؤقتة طبقا للدستور والقوانين الوضعية فى البلاد، ويخضع التكليف النهائى بتشكيل الحكومة لرأى مجلس المؤسسين الذى يشكل لتغيير المواد ٢٦ و ٢٧ و ٣٨ و ٤٠ المكملة للدستور".

انتهت فترة البرلمان الخامس بعد شهرين أى فى رجب عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م = بهمن ١٣٠٤ش)، ولم يحدث خلال هذه الفترة أى إجراء مهم. وفى انتخابات الدورة السادسة، عُين مشير الدولة رئيسا للجنة المركزية فى طهران. وقد انتخبت مجموعة من الوطنيين فقط فى طهران ممن كانوا يتعاونون مع مشير الدولة.

حافظ مشير الدولة فى تلك الدورات على عضويته فى البرلمان :

فكان عضوا فى الدورة الثانية عن جرجان (استراباد)، وفى الدورة الثالثة عن طهران، وفى الدوريتين الرابعة والخامسة عن طهران، وفى السادسة (ذى الحجة ١٣٤٤هـ = ١٢٠٥ش = ١٩٢٥م) انتخب أيضا مستوفى الممالك ومؤتمن الملك ومشير الدولة، وكانت الجماهير تنتظر ليروا ماذا سيفعل هؤلاء الثلاثة تجاه قبول أو رفض هذا الانتخاب، وقد دارت أحاديث كثيرة لمدة يومين أو ثلاثة حول هذا الموضوع، وفى نهاية الأمر لم يقبل هؤلاء الثلاثة هذه العضوية أينما كانت، ولم يتمكن رجال البلاط رغم ما بذلوه من مساعٍ حثيثة من منعهم من اتخاذ هذه الخطوة وإقصائهم عن عزمهم.

وهكذا انتهت حياة حسن مشير الدولة بيرنيا السياسية التى امتدت من ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) عند توليه منصب وزير مفوض فى بطروجراد) وحتى عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، والتى كانت حوالى ثمانية وعشرين عاما.

اعتزاله واعتكافه في منزله :

تدل استقالة مشير الدولة من عضوية البرلمان على أنه لم يعد لهذا الرجل صبر ورغبة في التعاون مع الإدارة التي تدير شؤون البلاد، كما تدل سوابق أمره على أن أولياء الأمر لم يكونوا يرغبون في مثل هذا التعاون، وإلا فإن "الملوك هم الأكثر احتياجا إلى صحبة العقلاء من احتياج العقلاء إلى صحبة الملوك". إلا أن مشير الدولة الذي ذاق سم السياسة المغلف بالسكر لما يقرب من عشرين عاما، وشاهد نتائجها اختار زاوية الوحدة بفكر الشيخ العاقل، وأخذ ينظر من نافذة العبرة إلى الزمن المتقلب الغدار.

وإذا قلنا إن هذه العزلة والاعتكاف كان مفيدا إلى حد كبير في تاريخ البلاد، فإننا نكون غير مبالغين في هذا القول، لأنه من المسلم به أنه لو بقي مشير الدولة في العمل السياسي، لما كان عضوا مؤثرا ومفيدا، إلا أن هذه العزلة قد وفرت له نجاحا إجباريا حتى يتمكن من كتابة أعماله العلمية والبحثية ويتحول من الشكل إلى المضمون. وقد كان موته السياسي بداية لحياته المعنوية (بيت شعر) :

مت من الناحية الحيوانية وأصبحت إنسانا، فلم أخش النقصان من جراء الموت ؟

كان مشير الدولة قد ألف في عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) أي في فترة الصبا كتاب القانون الدولي وطبعه، وكان خاصا بطلاب مدرسة العلوم السياسية، ولم يؤلف شيئا بعد هذا الكتاب منذ ذلك التاريخ. ولما لم يجد فرصة بعد ذلك ومنذ عام ١٣٠٤ش (١٩٢٤م) للتدخل في الشؤون السياسية، شرع في تأليف كتابه المعروف "إيران القديمة" (إيران باستانی)، وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٠٦ش (١٩٢٦م). ويصل عدد صفحات هذا الكتاب إلى ٥٦٢ صفحة، ويشرح المرحوم مشير الدولة في مقدمة هذا الكتاب فلسفته من ناحية كتابة التاريخ فيقول :

"إن الهدف من وراء تأليف هذا الكتاب هو توضيح صورة إيران القديمة كما كانت... وقد خصصت نصف الكتاب تقريبا لبيان الحضارة الإيرانية القديمة أو مقارنة العصور ببعضها أو الموضوعات التي ليست لها صلة مباشرة بالتاريخ الخالص، والسبب وراء هذا الأسلوب هو أن الرأي الغالب منذ نصف قرن بين علماء علم التاريخ أن ذكر الأحداث والوقائع التاريخية وذكر أسماء السلاطين والعظماء فقط لا يكفي لفهم ماضى البلاد والعلم بأحوال شعوبها الدينية، بل يجب معرفة الأوضاع الحضارية للتعرف على أمجاد أمة من الأمم... وقد أولى بعض المنصفين أهمية لهذا الموضوع إلى حد ما، وفضلوا في الكتب المؤلفة حول التاريخ ذكر بعض من هذه المعلومات على ذكر الوقائع وأسماء الملوك والعظماء، أى فضلوا ذكر الجوانب الخاصة بالحضارة على الجوانب الخاصة بالتاريخ الخالص... وأرى من الضروري أن أعرب عن تقديري العميق للسيد سيد حسن تقى زاده الذى قدم لى مساعدات قيمة، وخاصة فيما يتعلق بالحصول على المصادر التى يصعب الحصول عليها ويستلزم ذلك الانتظار لوقت طويل، وهى مصادر نادرة وذات قيمة بالنسبة له، وهذا العمل يستحق منى جزيل الشكر وخالصه. كما أتوجه بالشكر أيضا إلى السيد البروفسور ارنست هرتسفلد الذى لم يتقاعس عن إيداء رأيه الصائب بخصوص آثار الميديين وخريطة الدولة الهخامنشية.

طهران - رمضان ١٣٤٦ الموافق لسفندارمذ ١٣٠٦ش = ١٩٢٧م - حسن بييرنيا".

ويشتمل هذا الكتاب على تاريخ إيران فى عصر عيلام وبابل وأشور وماد والعصر الهخامنشى والسلوكى والپارثى والساسانى، وخاصة المباحث المهمة عن الأوضاع الاجتماعية فى إيران فى العصر الأخير، كما يضم أيضا خرائط وصورا مهمة.

وبعد طباعة هذا الكتاب، وجد المرحوم بيرنيا أن القصص التاريخية القديمة وقصص البطولة والوطنية في إيران، وهي التي تحوى على جوانب تاريخية أيضا، قد تم تجاوزها، ومن ثم قام بتعويض هذا النقص عن طريق تأليف وطبع كتاب آخر هو كتاب "قصص إيران القديمة" (داستانهای ایران قديم). هذا الكتاب الذى طبع فى شهر امرداد عام ١٣٠٧ ش (١٩٢٧م) فى مائة وسبع وستين صفحة هو فى الحقيقة يعتبر عملا مكملا لكتاب "تاريخ إيران القديم"، وهو كما يقول المؤلف فى مقدمته: "إن هذا الكتاب يضم الخطوط العريضة للقصص الإيرانية القديمة مع ذكر المراجع ونتائج تقويمها مع الملاحق والحواشى المستتبطة والتي تتناول قرون ما قبل تاريخ الآريين الإيرانيين". وترى فى فصول هذا الكتاب موضوعات عن الپيشداديين وأسرّة الكيانيين والاسكندر والأشكانيين والساسانيين ويضم الكتاب فى فصول أخرى تقييما للقصص وكذلك تراكيب ومعانى وأسماء الأبطال الإيرانيين الأسطوريين، وهو عمل له قيمة كبيرة ودقيق.

وفى هذه السنوات نفسها اختير المرحوم مشير الدولة لعضوية لجنة المعارف، وكانت وظيفة هذه اللجنة بالإضافة إلى الإشراف على الكتب المدرسية والثقافية، هى توفير وسائل لترجمة الكتب المهمة والمؤلفات القيمة فى ذلك العصر وطباعتها ونشرها، والحق يقال إن مشير الدولة قد وفق فى القيام بهذه المهمة خير قيام، وتعد الكتب التى طبعت بتوجيه هذه اللجنة وبأمرها اليوم من أمهات الكتب الفارسية، وقد أعيد طبع الكثير منها عدة مرات.

وقد طبع ملخص لكتاب إيران القديمة تحت عنوان "إيران القديمة" فى عام ١٣٠٨ ش (١٩٢٨م)، ثم أعيد طبعه مرتين حتى شهر تير من عام ١٣١٠ ش (١٩٣٠م)، هذا الكتاب (وهو الموجود بين أيدينا الآن) يقع فى ٢٨٦ صفحة، ويضم مختصرا عن تاريخ عيلام وبابل وأشور وماد والهخامنشيين والإسكندر والسلوكيين

والپارثيين والساسانيين، وكذلك يحتوى على جانب مهم من الحضارة الإيرانية، وهو بأى حال من الأحوال مؤلف نفيس ذو قيمة.

وبعد أن نشر المرحوم بيرنيا كتابيه الأوليين فكر فى كتابة تاريخ إيران القديمة المهم، والجدير بالذكر أن التفكير فى الكتابة عن تاريخ إيران المفصل والعظيم كان يلقى قبولا فى لجان المعارف والمحافل الثقافية وأبدى كثيرون اهتماما بهذا الأمر، وكان ذلك نتيجة الاهتمام بمعارف إيران وتاريخها خلال أوائل السلطنة البهلوية وفى محاولة لتقوية النزعة الوطنية والقومية فى إيران، وكذلك نتيجة الاطمئنان من ناحية الإجراءات والتدابير المعرفية التى اتخذت من أجل الفضلاء والعلماء. ويتحدث المرحوم إقبال الأشتياني عن كيفية شروع هذه النهضة فيقول :

"عندما كنت فى باريس منذ سنة أعوام (١٣٠٦ش = ١٩٢٦م) وتشرفت هناك لحسن الحظ بالحديث مع عظماء أجلاء كانوا وما زالوا أساتذة لى مثل سعادة العلامة المفضل السيد ميرزا أبو الحسن خان فروغى، وغالبا ما كان الحديث يدور حول هذا الموضوع وهو أن نعد تاريخا عاما عن إيران معا على نهج كتب التاريخ التى تُولف فى أوروبا، وقد قضينا عدة جلسات فى ترتيب خطة هذا العمل واختيار الأسلوب والنظام والوسائل والمقدمات للقيام به، ولكن حال دون إنجاز هذا الأمر لسوء الحظ عدم توفر رأس المال وتولى سعادة ذكاء الملك شئون السفارة فى تركيا وعودة أخيه إلى إيران. وفى هذه الأثناء نُشر كتابان نفيسان هما كتاب (إيران القديمة) وكتاب (قصص إيران القديمة) من تأليف سعادة السيد ميرزا حسن خان مشير الدولة بيرنيا، وقوبلا بكثير من الرضا والترحيب، حيث كانا يشكلان الخطوة الأولى لهذا الرجل العظيم الذى اتسمت كتاباته بالدقة المتناهية وانتهاج نهج الأوروبيين فى العمل والاستفادة من جميع المصادر المتاحة، وبهذا فتح الطريق أمام كل من يرغب فى القيام بمثل هذا العمل.

وعند عودتي إلى طهران (١٣٠٧ = ١٩٢٧م) كانت وزارة المعارف الموقرة تعمل على سد حاجة المدارس عن طريق تأليف كتب دراسية، وقد اهتم بهذا الأمر سعادة السيد اعتماد الدولة قراگوزلو وزير المعارف آنذاك، وتقرر كتابة سلسلة عن تاريخ إيران من البداية وحتى العصر الدستوري على النحو التالي:

- من البداية وحتى صدر الإسلام بقلم سعادة السيد بيرنيا
- من الإسلام وحتى استيلاء المغول بقلم سعادة السيد تقى زاده
- من استيلاء المغول حتى إعلان الدستور بقلمى (عباس إقبال).

قضى السيد بيرنيا وقته الثمين للقيام بهذا العمل المقدس بذوقه الخاص، فأخرج بالإضافة إلى كتابي إيران القديمة وقصص إيران القديمة وملخصا لهما كتابين كبيرين حتى الآن (١٣١٢) يضمن تاريخ إيران من البداية وحتى أوائل العصر الأشكاني، وقد تم طبعهما وما زال يؤلف ويطلع الآن بقية تاريخ إيران حتى ظهور الإسلام في مجلدين آخرين.

والذين قرأوا هذين المجلدين الجاهزين واطلعوا عليهما يعلمون إلى أي حد تكبد المؤلف المحترم مشقة في إعدادهما، وأي خدمة جلييلة قدمها لمواطنيه. وبمجرد أن يخرج المجلدان القيمان بعد الطباعة فإنهما سيفتحان آفاقا جديدة وبأسلوب علمي أمام أهل هذا العصر الذين لا يعرفون شيئا عن أحوال أجدادهم بشكل عام وإيران القديمة بشكل خاص، ويدركون من قراءة سير أجدادهم التي تدعو للفخر مآثر شعوب إيران السابقة التي كانت دائما صاحبة شهرة وتأثير في العالم القديم، وكانت تقف على قدم المساواة مع الأمم العظيمة الأخرى، وسوف يكشف هذا الكتاب بشكل جيد النقاب عن المؤرخين الأعداء المغرضين الذين أهانوا الإيرانيين القدماء وكذلك المغرضين الجهلاء في العصر الحديث، مما يساعد على

توهج شعلة الحماس القومي مرة أخرى بين مواطنينا المعاصرين، ويقضى على الضعف والكسل في كيانهم ويقنون بأجدادهم العظماء^(٤٠).

استمر اشتغال المرحوم مشير الدولة بتدوين تاريخ إيران القديمة حتى نهاية عمره، وكرس جهده واهتمامه للقيام بهذا العمل، حيث كان يعمل في ترجمة وترتيب موضوعات الكتاب وتصحيح ومطابقة آخر النماذج المطبوعة لمدة أربع عشرة ساعة يوميا أحيانا.

ولا يخفى على القراء أن مصادر هذا الكتاب كانت أجنبية بشكل عام، بمعنى أن مصادره الأصلية إما أنها كانت يونانية أو رومية، وقد ترجمت بعد ذلك هذه الكتب إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية وغيرها، وقد حصل المرحوم بيرنيا على الترجمات المهمة للمصادر الأصلية للكتاب من الخارج وشرع في ترجمتها. وكان هو نفسه يجيد اللغتين الروسية والفرنسية إجابة تامة، كما كان يعرف الإنجليزية. وفي أواخر عمره، اضطر إلى تعلم اللغة الألمانية نظرا لحاجته إلى الاطلاع على مؤلفات العلماء الألمان، وأخذ يقضى ساعات من أوقات فراغه لتعلم هذه اللغة مثله في ذلك مثل تلاميذ المدارس^(٤١).

وفعلا تعلم الألمانية بمساعدة ابنه داوود بيرنيا ومعلمين آخرين. ولا شك أنه كان يجيد اللغة العربية أيضا، ولذلك فقد استفاد بنفسه من المصادر التاريخية الرئيسية^(٤٢). هذا بالإضافة إلى أنه لم يتوان مطلقا عن استشارة الفضلاء والعلماء وأخذ رأيهم، وكان يقضى معظم أوقاته في النقاش والتشاور مع عدد ممن يعرفون اللغات الأجنبية ولهم اطلاع كذلك على الحصار الإيرانية، ومن بين هؤلاء الأستاذ العظيم السيد سعيد نفيسى الذى كان من زملائه المقربين ومستشاريه الخاصين، وقد استمر هذا التعاون بينهما حتى نهاية عمر بيرنيا.

موت مشير الدولة:

استغرق تأليف كتاب إيران القديمة ما يقرب من عشر سنوات. وفي أواخر عام ١٣١٢هـ (١٩٣٢م) أصيب مشير الدولة بمرض البولينا ثم بالسكتة القلبية نتيجة كثرة قيامه بالعمل وهو في سن الشيخوخة، وقد أصابه شلل نصفي وضعفت عينه اليمنى، واستمرت مدة مرضه لعامين.

عاش مشير الدولة في كل الوظائف التي تولاها بطهارة ونقاء ومع ذلك لم يهدأ غبار الاتهامات والافتراءات الموجهة إليه، ولم يكن هو في حاجة إلى ارتكاب أخطاء، ذلك لأن أباه كان قد جمع ثروة طائلة ووفر لأبنائه حياة رغدة.

حافظ مشير الدولة في سياسته الداخلية والخارجية على سمعته الطيبة، وكان دائما يتعامل بحسن نية في كل المناصب التي تولاها، ويقدم خدماته.

وفي يوم ٢٩ أبان ماه من عام ١٣١٤هـ (١٩٣٤م)^(٥٢) أسلم مشير الدولة الروح في منزله الخاص، وكان قد بلغ من العمر ما يقرب من ثلاث وستين سنة. ودفن في مدفنه في ساحة ابن الإمام صالح بتجرش في مقبرة الأسرة^(٥٣).

وقد أقيم مجلس ختم القرآن على روحه بكل تكريم، ومع أنه كان قد تقرر في تلك الأيام طبقا للدستور أن تقام التعزية عموما بدون ضجة أو جلبة داخل المسجد ولمدة ساعتين فقط، إلا أن المرحوم فروغى قد إستأذن من جلالة الملك بإقامة العزاء في منزل المرحوم بيرنيا، فقال الملك: "من الطبيعي القيام بعمل اللازم كما ترون بخصوص موت مشير الدولة". وبهذا سُمح بإقامة مراسم العزاء في منزله الخاص.

أودع موت مشير الدولة أمل هذا الرجل العظيم في الانتهاء من كتابة تاريخ إيران القديم الثرى، إلا أن المرحوم بيرنيا كان قد أعد مسودات المجلد الرابع الخاص بالعصر الساساني ودفاتره، واستدعى في أخريات أيامه السيد سعيد نفيسي

وقال له لم يبق لى أمل فى أن يمتد العمر بى لاستكمال بقية التاريخ؛ فأرجو أن تكمله بالشكل الذى تراه مناسباً.

وكان المرحوم بيرنيا قد ألف تفسيراً على قانون العقوبات بالإضافة إلى مؤلفاته التى أشرنا إليها، ويقع فى حوالى مائتى صفحة، ولكنه لم يطبع حتى الآن، ويبدو أنه مكتوب على شكل مذكرات للطلاب. كما توجد أيضاً مسودات فى دفتر ذى غلاف أسود عن حياته، ما زال محفوظاً ضمن ممتلكات الأسرة الخاصة.

والعجيب فى الأمر أن أياً من أعمال المرحوم لم تنشر فى أى من مجالات البلاد وصحفها. ولم يكن له أى مشاركة أو عضوية خلال السنوات العشر الأخيرة من عمره والتى كانت تسمى العصر الذهبى للحكومة البهلوية سوى فى لجنة المعارف وجمعية الآثار الوطنية، ولم يقم بأى عمل اجتماعى آخر، وكان متفرغاً فقط لتأليف كتاب إيران القديمة. وقد حصل المرحوم مشير الدولة طوال حياته على الأوسمة والنياشين التالية :

نیشان أقدس حمايل من الطبقة الأولى (من أحمد شاه).

نیشان التاج الإيرانى من الطبقة الأولى.

نیشان العقاب الأبيض الروسى من الطبقة الأولى.

نیشان سان جورج الإنجليزى من الطبقة الأولى.

نیشان لژیون دونور الفرنسى.

نیشان جيوم دو داسو الهولندى من الطبقة الأولى.

نیشان المجيدية العثمانى من الطبقة الأولى.

وقد أنجب مشير الدولة ستة أبناء وابنة واحدة؛ وتزوجت ابنته "هما" بالمرحوم يد الله عضدى ابن أمير أعظم المعروف الذى تولى منصب حاكم شاهرود وكرمان وكان من ذوى النفوذ فى خراسان. وقد توفيت هذه الابنة فى شبابها أثناء الوضع وهى فى سن الثامنة عشرة من عمرها فى أواخر عام ١٢٩٨ (١٩١٨م) وأوائل عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م)^(٥٤). وقد حزن مشير الدولة على وفاتها حزنا شديدا. أما أبناؤه الستة فهم داوود وهرمز وباقر ومهدى وولى الله وأبو القاسم، ومن أشهر أحفاده السيد بيژن (ابن داود پيرنيا) الذى كان يقدم برنامج الأطفال فى الإذاعة الإيرانية.

الهوامش

- ١- كتب هذه المقدمة السيد باستانی پاریزی وفصل القول فيها عن حياة مشير الدولة وأعماله (المترجم).
- ٢- زين العابدين شيروانی، بستان السياحة، تحت كلمة ناين
- ٣- حاجی نايب الصدر شیرازی، طرايق الحقايق ص ٩٦
- ٤- تاريخ کرمان بتصحيح كاتب هذه السطور ص ٣٨٢
- ٥- روضة الصفا - مجلد القاجارية تحت أحداث ١٢٤٦هـ
- ٦- صدر بلاغی - حاشية تاريخ ناين، ص ١٢٤
- ٧- هدايت، خاطرات وخطرات، ص ٢٠٤
- ٨- أشهرهم حاجی پير زاده ناينی. انظر مقالة ايرج افشار حول ادوارد براون وحاجی پير زاده في مجلة يغما ٧ - ٤٢٠.
- ٩- ناظم الإسلام، تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٤٤.
- ١٠- ناظم الإسلام، تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٤٤.
- ١١- مستوفی، زندگانی من، ص ٩٨، تاريخ بيدارى ص ٤٤٥، تاريخ ناين ص ١٥٤.
- ١٢- تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٥٨.
- ١٣- خاطرات وخطرات ص ٢٠٣
- ١٤- براون، انقلاب ايران ص ١٤٥

- ۱۵- کتاب آبی ص ۵۹
- ۱۶- از تاریخ خطی شریف. بنقل از تاریخ مشروطیت ایران، محمد حسن ادیب. هروی ص ۹۷
- ۱۷- زندگانی من، ج ۲، ص ۹۹
- ۱۸- زندگانی من، ج ۲ ص ۹۹، تاریخ بیداری ایرانیان ص ۴۴۶
- ۱۹- زندگانی من، ج ۲ ص ۹۹
- ۲۰- زندگانی من ص ۱۲۵ و ۱۴۶ و ۱۷۷
- ۲۱- زندگانی من ص ۱۸۸
- ۲۲- زندگانی من ص ۲۲۲ و ۲۲۴
- ۲۳- کان نصر الله خان مشیر الدولة رجلا هادنا ومسالما، وقد سمعت من پیرزاده أنه عندما كان يمر من میدان نائین، كان أحد أبناء حاجی عبد الوهاب يجلس في الطابق العلوی المطل على الميدان، ويقول إن هذا الشاب له عند الله كرور (نصف مليون) واحد، وربما حصل عند وفاته على أكثر من ذلك (خاطرات وخطرات ص ۲۰۴).
- ۲۴- CONSTITUTION.
- ۲۵- تاریخ بیداری ایرانیان ص ۴۴۶
- ۲۶- براون : انقلاب ایران ص ۴۹۹
- ۲۷- تاریخ انقلاب مشروطیت، ج ۲ ص ۱۸۷
- ۲۸- تاریخ بیداری ایرانیان ص ۴۶۶، ۴۷۹، ۴۸۰، ۴۸۲

- ۲۹- زندگانی من ج ۲ ص ۳۲۸
- ۳۰- گزارش ایران، بخش ۴ ص ۱۰
- ۳۱- تاریخ بیداری ایرانیان ص ۱۰۲
- ۳۲- زندگانی من ج ۲ ص ۲۷۷
- ۳۳- زندگانی من ج ۲، ص ۲۷۷ و ۳۱۸
- ۳۴- زندگانی من ص ۳۴۱
- ۳۵- زندگانی من، ج ۲، ۲۹۸
- ۳۶- مجله یغما، رجال صدر مشروطیت، سال ۵، ۵۱۶
- ۳۷- از سخنرانی آقای گلشانیان در رادیو ایران. تابستان ۱۳۴۰
- ۳۸- سالنامه دنیا سال ۲۸ ص ۸۴.
- ۳۹- کسروی، تاریخ مشروطیت، ص ۶۰۴
- ۴۰- حیات یحیی، ج ۲ ص ۲۷۹
- ۴۱- تاریخ مشروطیت، کسروی ص ۶۲۳
- ۴۲- عقدت هذه الاتفاقية فی شهر ذی القعدة عام ۱۳۳۷ هـ (أغسطس ۱۹۱۹م)
- ۴۳- حیات یحیی، ج ۲ ص ۱۴۵
- ۴۴- گزارش ایران، ج ۴، ص ۲۶۹
- ۴۵- زندگانی أحمد شاه، ص ۲۴۳
- ۴۶- کودتای ۲۹۹، ج ۱، ص ۱۷۴

٤٧- تاريخ أحزاب سياسي ص ٢٠٩

٤٨- كودتای ١٢٩٩، ج ٢ ص ٢٢٢

٤٩- حیات يحيى، ج ٤ ص ٤٠٥

٥٠- مقدمه تاريخ مغول بقلم عباس اقبال ص ١٨

٥١- تقرير استاد سعيد نفيسى

٥٢- كتب هذه السطور التالية السيد مهدي الأکباتانی الرئيس الفعلى لإدارة التفتيش بمجلس الشورى الوطنى الذى قدمه فى ذلك الوقت المرحوم مؤتمن الملك للمرحوم مشير الدولة للقيام بتصحيح الكتب المذكورة، وهو يشرح فيها كيفية طباعة هذه الكتب؛ يقول : "...تم طبع ما يقرب من خمسمائة صفحة من كتاب إيران القديمة (وتضم كل صفحة ثمانية أسطر والنسخة النهائية مطبوعة بثلاثة ألوان من الحبر بالتدرج، وقد أعدت لجمع الحروف المطبعية من الدفاتر التى كتبها المرحوم، ومع أن الكتاب كان تحت الطبع ونقل فيه المؤلف أقوال كثير من المؤرخين إلا أنه كان ينتظر وثيقة لأحد المؤرخين اليونانيين فتركت له صفحتين خاليتين إلى أن وصلت هذه الوثيقة من أوروبا وتمت ترجمتها وطبعت فى مكانها، وحتى تتاح الفرصة لهذا المؤرخ لإبداء رأيه. تحمل بيرنيا تكاليف طباعة هذا الكتاب، وبعد طباعته فكر المرحوم بيرنيا فى تأليف وطباعة كتاب إيران القديمة، ولم يتردد فى توفير مصادر هذا الكتاب والإنفاق عليه، ومن ثم فكرت فى شراء نسخة من التاريخ العام للعالم الذى ألفه اسكارينجر الروسى وهو كتاب غالى الثمن وغير متوفر، وذلك لإعداد صورة دقيقة وصحيحة لمقبرة كوروش الكبير وساحة الحرب بين دارا والإسكندر المقدونى... وقد جهزت ما يقرب من ثمان وعشرين ألف صفحة من

مسودات موضوعات هذه المجلدات الثلاثة... وقبل هو بإصرار كبير أن تكلف شركة نشر بطبع الكتاب، واستمر طبع المجلد الأول من ١٢ مهر ١٣١٠ (١٩٣٠م) حتى ١٢ فروردين ١٣١١ اش (١٩٣١م)، رطب المجلد الثاني من اردى بهشت ١٣١١ حتى آبان ١٣١١ اش، وطبع المجلد الثالث من مرداد ١٣١٣ حتى بهمن ١٣١٣ اش (١٩٣٣م). وبعد إصابته بالبولينا منع بأمر الأطباء من القراءة والكتابة، وكتبت أنا النسخة النهائية للموضوعات الموجودة وسلمتها للمطبعة مع الإصلاحات الشفوية التي كان يبديها، وقد لازمت فراشه قبل موته بأربع ساعات، وكنت أقوم بعمل النسخة النهائية لمباحث المجلد الرابع الخاصة بالساسانيين، إلا أن هذا الكتاب لم يكتمل مع الأسف...".

٥٣- یاد داشت‌های مرحوم إقبال، مجله دانشکده ادبیات، سال ٩ ش ١، ص ٢٢، نثر فارسی معاصر ص ٥١.

٥٤- تقرير السيد حبيب يغماني، الذي ذكر أنه بينما كان أمير أعظم يرتدي ملابس الحداد في تلك الأيام، إلا وحدث انقلاب ١٢٩٩ اش، فاختم أمير أعظم خوفا من أن يقبض عليه، وقد حددت سنة وفاة ابنته تخسینا طبقا للحساب السابق.

مقدمة

جغرافية الهضبة الإيرانية

يتكون القسم الأكبر من المملكة التي نسميها إيران، من أرض واسعة تعرف في علم الجغرافيا باسم هضبة إيران.

تشتمل هذه المملكة المترامية الأطراف على سهول واسعة ونجاد عالية، تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب، فتحدها من الناحية الشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعرف بجبال سليمان (القوقاز).

وتحيط بها من الشمال جبال البرز التي تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب حيث تنفصل في الغرب عن جبال أرمينيا، مارة بجنوب بحر الخزر. عن طريق جبل (بابا) لتواصل امتدادها إلى بلاد الهند، حيث تتصل بجبال هيمالايا أعلى جبال العالم. وتحدها من الغرب جبال كردستان أوزاجروس (كما يسميها الأوروبيون)، التي تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تعرج جنوبا وشرقا لتصل إلى بحر عمان.

وتتركب الجبال الجنوبية والشرقية من المواد الجيرية، وتشاهد في الجبال الغربية قريبا من بحيرة أورمية^(١) أحجار جرانيتية. وتتركب بعض الجبال الشمالية من مواد بركانية - أي المواد المتفجرة عن باطن الأرض - مثل دماوند على مقربة من طهران وسبلان في آذربايجان وهذه البراكين خامدة، ساكنة الآن.

وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها في الجنوب، ويقل كلما اتجهنا شمالا فيبلغ ارتفاعها في كرمان ١٦٠٠ متر تقريبا، بينما لا يتجاوز في مشهد ١٠٥٠ متر وفي تبريز ١٢٠٠ مترا.

وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية ستمائة ألفاً ومليونين كيلو متر مربع تقريباً
أى خمسة وخمسين ألف فرسخ مربع، وتشتمل إيران الحالية على حوالى ثلاثة
وستين فى المائة من تلك المساحة تقريباً، أى ما يقرب من الثلثين.

ويتبع الباقى ممالك أخرى مثل أفغانستان وبلوچستان وغيرهما، وقد أخذ
هذا الباقى فى الانسلاخ عن إيران تدريجياً منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجرى
بعد سلسلة من الأحداث التاريخية.

ويتسم مناخ إيران بالجفاف وبخاصة وسط الهضبة إذ هو صحراء يسميها
أهل الجنوب لوت (ويسميها أهل الشمال كوير)، وتعد من أكثر مناطق العالم
ارتفاعاً فى الحرارة، مع استثناء جيلان ومازندران وسواحل الخليج، حيث تتهمر
الأمطار هناك بشدة ولا تتجاوز مياه الأمطار طوال العام فى مناطق إيران الأخرى
ثلاث عقد ونصف العقدة حتى أربع عقد ونصف^(٢)..

وتهب فى شمال إيران الرياح الممطرة، إلا أنها حين تصطم بسلاسل جبال
البرز، لا تستطيع عبورها إلى الجنوب، وهذا هو السبب فى هطول الأمطار بكثرة فى
جيلان ومازندران، بينما يظل الجزء الجنوبى من هذه الجبال متميزاً بالجفاف.

وتهب الرياح فى إيران من ناحيتين؛ الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية
وتنشأ الأولى نتيجة للرياح الشديدة المنبعثة من شمال أمريكا، حيث تعبر المحيط
الأطلسى مارة ببحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) لتصل إلى البحر الأسود
وآسيا الصغرى، ثم تواصل هبوبها حتى إيران والهند. وأما الثانية فتنشأ من
المحيط الهندى، وتهب على إيران، ولا تغير تلك الرياح اتجاهاتها لأنها مضطرة
لعبور فجوات ضيقة بين سلاسل الجبال المختلفة، ومن البديهي أن الجبال لا تغير
أماكنها واتجاهاتها. وتهب الرياح فى بعض مناطق إيران بصورة عنيفة ومنظمة

مثل رياح المائة وعشرين يوما التي تهب على سيستان بصورة منتظمة. وتتوسط الهضبة الإيرانية صحراء يسميها أهالي الجنوب صحراء لوت.

ورغم عدم التباين الشديد بين أجزاء الهضبة الإيرانية في الارتفاع، حيث لا يقل ارتفاع فيها عما هو في أعلاه عن ٦٠٩ متراً، فإن عبور الصحراء أمر في غاية الخطورة بالنسبة للقوافل التجارية نتيجة لمستتفعاتها وامتلائها بالرمال المتحركة. ونهر كارون هو النهر الوحيد الصالح للملاحة في الهضبة الإيرانية وينبع هذا النهر من جبال بختياري، حيث يخترق منطقة خوزستان ليصب في شط العرب. وما بها من أنهار أخرى تجرى على هذا النحو:

في الشمال آرس - سرخ رود أو قزل أوزن - (النهر الأحمر) - (الذي يسمونه بعد اتصاله بشاه رود: سفيرود (النهر الأبيض) - وأترك، وتصب هذه الأنهار الثلاثة في بحر الخزر. وفي أصفهان نهر زاینده رود الذي يتلاشى في المستنقعات.

وفي الناحية الشرقية مرغاب وهريرود اللذان يجريان في صحراء التركمان، وفي سيستان نهر هيلمند (أو هيرمند). وفي الشمال الشرقي من الهضبة ينبع نهر جيحون من بدخشان ويصب في بحر آرال^(٣).

وتوجد في الهضبة الإيرانية عدة بحيرات، يعتبرها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطي الجزء الأكبر من هذه الهضبة، وهذه البحيرات هي: في القسم الشمالي والغربي من الهضبة والمناطق المجاورة: توجد بحيرة أورمية في الناحية الغربية من أذربايجان، وبحيرة وان في تركيا على بعد خمسة عشر فرسخاً من الحدود الإيرانية، وبحيرة كى چاي في القفقاز، وأهم تلك البحيرات بحيرة أورمية التي يصل عمقها إلى خمسة عشر ذراعاً ومياهها شديدة الملوحة، وتقع على ارتفاع ألف متر من سطح المحيط (أي البحر المرتبط بالمحيط مثل الخليج وغيره) وتوجد في مقاطعة فارس بحيرتان: مهارلو ونيريز، وفي سيستان بحيرة هامون

التي تصب ما يتبقى فيها من مياه الأمطار في منخفض زره، وفي كرمان هامون أخرى تعرف بنمك زار (يذكرها بعض الباحثين باسم بحيرة جزميران) ويصب نهرا بمبور وهليل الصغيران في هذه البحيرة (هامون)، وتوجد بحيرة قم أو حوض سلطان بين طهران و قم.

سبق القول بأن الهضبة الإيرانية يحدها من الناحية الشمالية بحر الخزر، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى الأقوام التي استوطنت الشاطئ الشمالي الغربي من هذا البحر لقرون عديدة وكانت تعرف باسم الخزر⁽⁴⁾ ويمكن تقسيم عمق هذا البحر إلى ثلاثة أقسام أكثره عمقا في الناحية الجنوبية منه بينما يقل العمق كثيرا في الناحية الشمالية، حيث يصب نهر انيل (قلجا) الكبير في هذا البحر⁽⁵⁾، ويقل سطح البحر عن سطح البحر المحيط ٢٦ مترا، وكما ثبت بالتجربة فإنه دائم الإنخفاض، ويعلون ذلك بشدة الحرارة خلال فصول الصيف، والتبخير المستمر للمياه فيه.

ويحد الهضبة الإيرانية من الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان، وهذا الخليج من أكثر بقاع العالم حرارة، ويفصل الجزيرة العربية عن إيران ويتصل ببحر عمان مضيق هرمز؛ حيث يرتبط بمناطق العالم المختلفة عن طريقه. ويصب شط العرب في هذا الخليج، وترتبط ارتباطا تاريخيا وثيقا بهذا الخليج شعوب العالم القديم كالسومريين والأكاديين والعيلاميين والكلدانيين والفرس والعرب، وشاهدت شواطئه ماغبر من الحضارات القديمة. ويضم هذا الخليج الكثير من الجزر أكبرها قشم والبحرين.

وفي الهضبة الإيرانية الكثير من المعادن مثل النحاس والحديد والرصاص والفحم الحجري والمرمر والطين الأحمر (مغره) والفيروز وغير ذلك، وكذلك كشف عن الذهب، ويقول علماء الجيولوجيا إن الهضبة الإيرانية تسبح فوق بحر من النفط، ونظرا لأن عملية استخراج المعادن والاستفادة منها لم تستكمل حتى الآن^(٦) فإن غالبية ما تغله الأرض يعتمد على الزراعة، وتعتمد الزراعة في بعض

مناطق إيران على الرى (رى الحياض) نظراً لنقص مياه الأمطار ونوع المناخ، إلا أن الزراعة الدائمة غالباً فى كثير من المناطق، والمنطقتان الشمالية والغربية من الهضبة الإيرانية أكثر غنى فى محصولاتها الزراعية من المنطقتين الوسطى والشرقية، ولعل السبب فى ذلك وجود بحر الخزر فى الشمال حتى سلسلة جبال البرز وتأثير بحر الغرب فى المغرب، هو وإن كان ضعيفاً فى فلاة إيران، إلا أنه يحدث تأثيراً فى بعض مناطق الناحية الغربية وتزداد خصوبة الأرض ويشتد عود النباتات فى الأماكن ذات المياه الوفيرة والوديان وتربة الوديان والسفوح رسوبية، وذلك من الطمى الذى يتخلف عن السيول والأنهار السطحية، فإذا تعمقنا تحت سطح الأرض قليلاً فإننا نصادف حجارة ورملاً ورملاً ناعمة.

وعلى الرغم من أن العرض الجغرافى للهضبة الإيرانية يتراوح بين خطى ٢٤ واثنتين وأربعين شمالاً، وأن هذا العرض لا يؤدى إلى اختلاف بين فى مناخ مناطقها المختلفة، فإن تفاوت الارتفاع بينها والمناطق الملاصقة لسفوح الجبال والبحيرات. وسفوح الجبال والمناطق المجاورة للصحراء قد أدى إلى وجود اختلاف كبير بين تلك المناطق فى المناخ داخل الهضبة، ولذا فإن الأشجار تنبت والورود والرياحين فى إيران كلها.

وطرق التجارة والاتصال الحالية الموجودة فى إيران هى التى كانت موجودة فى إيران القديمة^(٧)، نذكر بعضها لأهميتها التاريخية: الطريق الممتدة من بلاد ما بين النهرين حتى الهضبة الإيرانية؛ حيث يبدأ من المكان الذى سُمى بعد ذلك سلوكية والقريب من بغداد الحالية، ثم يعبر نهر دجلة إلى وادى دباله ليصل إلى أرتى ميتا قرب قرل رباط الحالية لينتهى عند مدينة شالا حاضرة حلوان^(٨) ثم يبدأ صعوده بعد ذلك إلى الهضبة الإيرانية، ويستمر هذا الطريق فى امتداده عبراً جبال زاجروس وكامبادين **Kamba dene** أو كرمانشاه الحالية تقريباً ليصل

إلى وادى بلند كرخه، ثم يعبر كنگاور (كنگبار القديمة) لينتهى إلى همدان وترتبط همدان بشوش والمدن الأخرى بكثير من الطرق.

ومن الطرق الأخرى الجديرة بالذكر كذلك الطرق الممتدة من الهضبة الإيرانية حتى الهند، إحداهما الطريق التي تبدأ من وادى كابل إلى بيشاور - عبر جبال سليمان - فى وادى السند، والطرق الأخرى أقصر من الأولى وتعتبر ممر خيبر، وقد سلك فاتحو الهند وكذلك نادر شاه هذه الطرق.

وأخر هذه الطرق الطريق التي تربط أفغانستان الحالية بوادى آمويه (جيجون) والطريق الذي يحتل أهمية كبرى حاليا هو الذى يبدأ من باميان وبلخ ويمتد مخترقا جبال هندوكه ليصل إلى الوادى المشار إليه.

وطرق إيران الممتدة من الرى إلى أنزبايجان وجيلان وخراسان وأصفهان ومن خراسان إلى آسيا الوسطى، ومن بندر عباس (گمرون العهد القديم) إلى شيراز ومن الرى عن طريق دامغان إلى طبرستان وجرجان كانت كلها فى القديم كما هى حاليا ليس معلوما عدد سكان الهضبة الإيرانية فى الأزمنة القديمة، وحتى الآن لم يجر إحصاء وتعداد عام، ويظن أن تعداد إيران وأفغانستان وبلوچستان يصل إلى سبعة عشر مليوناً^(٩)

وسنترك الناحية الجغرافية التي لا تتصل بالتاريخ، إلا أننا يجب أن نشير إلى هذه النقطة لما لها من أهمية تاريخية، فالهضبة الإيرانية جسر يربط بين الأجزاء الشرقية والغربية من آسيا، وقد أكسب هذا الموقع إيران أهمية خاصة عبر التاريخ، فقد كانت إيران الطريق الوحيدة لربط أجزاء آسيا مع بعضها بعضا وكذلك ربطها بممالك بحر المغرب وأوروبا فى الأزمنة التي لم يكن عبور البحار فيها سهلا ممكنا، كما أن موقع إيران فى الطرق الأربع للعالم القديم جعلها ملتقى لكثير من الشعوب والأجناس. وكان لهذا الموقع الجغرافى كثير من النتائج نتبجها عبر التاريخ كما سيلي .

الأجناس - الجنس الأبيض - الشعوب الهندو أوربية

يتضح من علم الأجناس أن سكان الكرة الأرضية ينقسمون من حيث الجنس إلى خمسة أقسام:

- ١- الجنس الأبيض.
- ٢- الجنس الأصفر.
- ٣- الجنس الأحمر.
- ٤- الجنس الأسود.
- ٥- الجنس (ماله) البولونيزى.

والأجناس الثلاثة الأخيرة لا ترتبط بموضوع كتابنا هذا. ويسمى بعض الباحثين الجنس الأصفر باسم الجنس المغولى. ويتفق أكثرية هؤلاء المحققين على تقسيم هذا الجنس ثلاثة أقسام: الصين والتبت، المغول والمانجو، الترك والتتار. ويسكن أكثر سكان هذا الجنس فى آسيا الشرقية وسيبيريا وآسيا الوسطى، بينما اختار بعضهم الإقامة فى آسيا الغربية وأوروبا مثل سكان القفقاس وتاتار القرم والأتراك والمجريين الفنلنديين وغيرهم.

وقسم المحققون الجنس الأبيض ثلاثة أقسام كذلك: الهند وأوروبى والسامى والهامى. وكما تذكر التوراة، فإن الهاميين ينتسبون إلى حام بن نوح عليه السلام. ويختلف المحققون فى موطن إقامتهم، فبينما يرى بعضهم أن موطنهم الأصلي بابل أو إحدى المناطق فى آسيا الغربية. ويعتقدون أنهم هاجروا من آسيا إلى إفريقيا، واختاروا مصر وليبيا وغيرهما مقرا لهم، ولكن المستشرق المعروف نولدكه يعتقد أن موطنهم الأصلي هو الشمال الشرقى من إفريقيا، لأنهم أقرب فى الشكل والقيافة من الجنس الأفريقى الأسود.

ويعتقد أكثر المحققين أن المصريين القدماء (القبط) وكذلك برايرة ليبيا والأحباش من الهاميين. وقد اختلط الهاميون مع الأجناس الأخرى.

ويكوّن الهاميون أحد فروع الجنس الأبيض الكبرى، ويسكن أكثرهم فى شبه الجزيرة العربية، وبين النهرين، والشام، وأفريقيا الشمالية والشمالية الشرقية. وتفرقت شعبة منهم وهم بنو إسرائيل فى مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا.

أما الشعوب السامية فى العهد القديم فهى الكلدانيون، والآشوريون، والفينيقيون، وبنو إسرائيل ويهودا والآراميون والعرب. وتعتبر التوراة الفينيقيين من الهاميين، بينما يعتبرهم أكثر الدارسين من الهاميين. ولغة هؤلاء الأقوام متقاربة غاية التقارب، فكما تذكر التوراة فإن بنى إسرائيل عام ١٥٠٠ ق. م كانوا يفهمون العربية دون حاجة إلى مترجم.

أما الشعوب الهند وأوروبية - كما يتضح من اسمها - فيقيمون فى بلاد الهند حتى أقصى البلاد الأوروبية، أى أن سكان أوروبا جميعاً من هذا الجنس عدا أقلية من الأجناس الأخرى. ويقطن آسيا فقط الهند وأوروبيون والإيرانيون بمعنى أعم (أى المواطنون الذين تشعبوا عن الفرع الإيراني الآري) والأرمن.

ويمكن تقسيم الشعوب الهند وأوروبية طبقاً للمقاييس العلمية إلى ثمانى شعب:

- ١- الآريون.
- ٢- اليونان والمقدونيون.
- ٣- الأرمن.
- ٤- الألبان (فى شبه جزيرة البلقان - ويسمونهم الأرتاؤود).
- ٥- الإيطاليون.
- ٦- السلت (سكان أقطار أوروبا الغربية).

٧- الجرمان (الألمان والأنجلو ساكسون وغيرهما).

٨- الليتوانيون والسلاف.

وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت على لغات هذه الشعب الثمانية ودياناتها وقصصها وأساطيرها قبل التاريخ، أن أهلها كانوا يعيشون في مكان واحد قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة، ثم تفرقوا بعد ذلك إلى جهة غير معلومة، لضيق المكان عليهم لزيادة عددهم، وتفرقت كل شعبة منهم إلى مكان آخر. ولا يمكن معرفة وقت افتراق هؤلاء الأقوام على وجه الدقة واليقين. ولكن المحققين، يتصورون إمكان حدوث هذا الانقسام والتفرق، ما بين عام ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م. ويختلف الباحثون حول الموطن الأصلي للسكان الهندوأوربيين، فكانوا يعتقدون أنهم كانوا يقطنون آسيا الوسطى في بداية الأمر، ثم غيرت الأبحاث والحفريات المقدمة هذا الرأي إلى القول بأنهم استوطنوا سواحل نهر أديل (القولجا). ثم قيل إنهم سكنوا سواحل بحر البلطيق. ولكن الرأي السائد القوي الآن هو أنهم كانوا يقيمون في إحدى المناطق الشمالية من أوروبا، وأن هذا المكان على ما يبدو هو شبه جزيرة اسكندناوه التي يجب التحقيق فيها.

(الآريون. الشعبة الإيرانية)

الآريون، كما سبق القول، فرع من الشعوب الهند وأوربية. وطبقاً للتحقيقات المتعلقة بالشعوب الهند وأوربية يتضح أن الشعبة الآرية هي الشعبة الأولى. لأن آثارها التاريخية والأدبية تبدأ من القرن الرابع عشر ق. م فى حين أن الآثار اليونانية والإيطالية أكثر جدة منها، والآثار الأدبية للشعب الخمس الأخرى أحدث بكثير من اليونانية والإيطالية.

اتجه الآريون بعد انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية إلى الجنوب؛ حيث انقسموا إلى الشعب التالية: الشعبة الهندية - الشعبة الإيرانية - الشعبة السكانية^(١٠)

وليس بين يدى الباحثين معلومات كثيرة ومحقة عن أحوال الشعوب الآرية إبان عصور ما قبل التاريخ. وعلى الرغم من هذا، فقد برز من أبحاث المحققين الأسئلة التالية: متى انفصل الآريون عن سائر الشعوب الهند وأوربية؟ وأين كانوا بعد الانفصال، وهل كانوا يعيشون جميعاً أم عاشوا متفرقين؟

وفيما يتعلق بالسؤال الأول، يعتقد المحققون أنهم لا يستطيعون تحديد تاريخ معين لهذا الانفصال، ولكن يمكن القول طبقاً للمقاييس العلمية أن انفصال الآريين عن بقية الشعوب الهند وأوربية يجب أن يكون فى حدود الألف الثالث ق. م.^(١١) وفيما يتعلق بالسؤال الثانى والثالث، معلوم أن أكثر الآريين الهند وإيرانيين هاجر إلى آسيا الوسطى، حيث عاشوا هناك ردحاً من الزمن، أما فيما يختص بموطن إقامتهم، فبين العلماء اختلاف، ولكن غالبيتهم متفقة الآن على أنهم كانوا يعيشون بين نهري سيحون وجيحون أى فى بلاد ما وراء النهر.

والمعلومات الخاصة بالسكاجد قليلة، لأنه ليس بين يدي الباحثين آثار أدبية لهم. وتتنحصر هذه المعلومات فيما يمكن استنباطه من النقوش الإيرانية القديمة وكتابات المؤرخين اليونان والحفريات التي أجريت في مقابرهم. وسوف تذكر من بين الموضوعات التي تتصل بالأزمنة التاريخية لاتصالها بها، وحتى يحين ذلك، يجب العلم بأنهم كانوا رجالاً أقوياء مسلحين، يسكنون الصحارى، وأنهم كانوا ينتشرون في الأزمنة التاريخية من وسط آسيا حتى نهر الدانوب وسوف نكرر الإشارة إلى هذه الأقوام من السكاجد عبر تاريخ إيران القديم.

هاجر آريو الهند وإيران من آسيا الوسطى بعد أن عاشوا معاً زمناً، ثم اتجهوا غرباً، ومن ثم اتجهت الشعبة الهندية إلى الهند وكوش، وانتشروا في البنجاب في الهند وعطفت الشعبة الإيرانية إلى الجنوب والغرب وانتشروا في الفلات الإيرانية^(١٢).

ومن هنا يتضح أن اسم إيران مشتق من اسم هؤلاء الأقوام، لأنهم كانوا يسمون أنفسهم آيريا أى النجيب أو الوفي، وكان اسم إيران فيما مضى آيران، ثم تحرف إلى إيران وإيران وأيران.

قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية

لا يعرف سبب مجيء الآريين إلى هضبة إيران، وتسمى الأوستا الموطن الأصلي للآريين بآيران واج أو مملكة الآريين. وتذكر أنها كانت مملكة غنية بالمياه العذبة والمناخ الجيد، ذات أراض خصبة. ولكن الأرواح الشريرة أحالت أرضها بردًا مرة واحدة، ولما ضنت أرضها بالقوت على أهلها، بدأت الهجرات منها.

وليس معلومًا على وجه الدقة ما المقصود من كلمة آيران واج، هل هو المسكن الأصلي للآريين قبل انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية، أم هو مسكنهم إبان إقامتهم مع الهنود؟

على أية حال، يمكن القول بأن السبب في تلك الهجرة، يرجع إلى ازدياد السكان وضيق المجال، أما عن تاريخ وفادتهم إلى إيران، فبعض العلماء كان يعتقد فيما مضى أن ذلك التاريخ يرجع إلى حدود ألفي سنة ق. م لأننا نصادف في تاريخ عيلام — الذي سيأتي — قوماً يظن أنهم كانوا من الآريين.

ولكن قوى الاعتقاد أخيراً بأن تلك الهجرة قد بدأت في القرن الرابع عشر (ق. م) واستمرت حتى القرن الثامن ق. م.

وفيما يتعلق بكيفية انتشار الآريين بعد وصولهم إلى الهضبة الإيرانية، يلزم القول بأن الأوستا قد ذكرت أسماء ست عشرة مملكة منها اسم واحد لا يعرف مكانه، ومن الخمس عشرة الباقية ذكرت (آيران واج) ومملكتين أخريين صفحة البرز وبنجاب الهند.

ومن هنا يستتبط بعض الدارسين أن هذه الممالك أو الولايات تحدد خط سير الآريين وانتشارهم، وعلى هذا فإن خط سيرهم وانتشارهم هو على النحو التالي:

انتقل آريو إيران من الصغد إلى مرو، ثم استوطنوا هراة ونيسايه وكابل، وتوجهوا بعد ذلك إلى ناحية رخج وهيلمند.

وحيثما بلغوا بحيرة زرنك (بحيرة سيستان)، وكانت فيما مضى أكبر مما هي الآن، لم يتجاوزوها إلى الطرف الآخر، لأنه يبدأ في الطرف الجنوبي منها أراضي بلوجستان ومكران الحالية، وهي أراض لم تجذب الآريين لجفافها وشدة حرارتها، ولهذا فقد اتجهوا غربًا بعد إقامتهم في سيستان، واستوطنوا الولاية الجنوبية من خراسان، وسفوح دماوند والري ثم انساحوا إلى بلاد إيران الأخرى.

وفيما يتعلق بأى الشعوب كانت تعيش في إيران قبل وفود الآريين، فإن رأى المحققين هو أن شعبًا يسمى (كاس سو) كان يقطن غرب إيران، ولا يعرف إلى أى جنس كان ينتمى وكان يسكن مازندران الحالية التيبوريون^(١٣).

أما في الجنوب الغربي فكان يقيم العيلاميون الذين سنقف على مجريات تاريخهم.

وفيما يخص الأجزاء الباقية من إيران، فتختلف الآراء إذ يعتقد بعض الباحثين أن سواحل الخليج وعمان كان يقطنها بعض الأحباش أو جماعات من السود. ويعتقد آخرون أن جميع سكان هضبة إيران والقفقاز وأوروبا الجنوبية، في الأزمنة القديمة كانت تتكون من عناصر سوداء أو عناصر لم تكن بذى وسامة.

على أية حال، وقتما قدم الآريون الهضبة الإيرانية وجدوا فيها قومًا أقل منهم من حيث الشكل والعنصر والعادات والأخلاق والمذاهب؛ لأن الآريين كانوا يسمون السكان الوطنيين باسم ديوياتور.

يضاف إلى ذلك الآثار التي عثر عليها في منطقة مازندران التي يرجع تاريخها إلى زمن قديم، وتؤكد صحة هذا الاستنتاج وهو أن سلوك الآريين مع هؤلاء الوطنيين كان سلوك الغالب مع المغلوب، سيما أن الآريين كانوا يعتبرونهم

أقل منهم درجة ولذا فلم يعترفوا لهم بأى حق فى بداية الأمر، بل كانوا فى حرب وصراع دائمين معهم، فكانوا يقتلونهم حيث وجدوهم.

ولكن حينما ضعفت شوكة هؤلاء الوطنيين، وتخلّى الآريون عن الأعمال الشاقة كالزراعة وتربية الحشم والخدم فى عائلاتهم، ألقوا هذا العبء على كاهل الوطنيين، وصارت لهم حقوق، كحقوق العبيد والإماء الذين كانوا يعيشون تحت حماية أسيادهم.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الامتزاج بين الآريين والسكان الأصليين. ويمكن استنباط طريقة استقرار الآريين فى إيران مما روتّه بعض القصص الإيراني القديم، وإلى حد ما كذلك من مقارنة أسلوب هجرة واستقرار سائر شعوب الهند والأوربية فى البلاد المختلفة.

لم يأت الآريون إلى إيران للسلب والنهب والعدوان، بل كانوا يودون الاستقرار فى تلك المنطقة، ولذلك فقد كان يتحتم عليهم انتزاع الأراضى من الوطنيين، حيثما وصلوا تحقيقاً لهدفهم الأسمى. وكانوا يبنون قلعة بعد كل حرب مع السكان. وكانوا يقسمون داخل القلعة قسمين: قسماً يخصص لمساكن العائلات، وآخر لسكنى الخدم وكانوا يضرمون النار فى فنائها وحواليها لتحقيق هدفين: أولهما أن تستفيد العائلات منها، وثانيهما يتمثل فى أنه إذا حاول الوطنيون الإغارة ليلاً، فإن حراس النار كانوا يزكونها حتى يخرج أهل القلعة للقتال، ويصدون المعتدين عن أطراف القلعة، ثم تحولت تلك القلاع بعد ذلك إلى قرى ومدن^(١٤).

مذهب الآريين وأخلاقهم

عقائد آريى إيران: تجدر الإشارة بأن عقيدتهم وعقيدة الهنود كانت واحدة زمنًا طويلًا. ذلك أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة، ولكن حدث اختلاف فى العقيدة بينهما بعد ذلك بعد عدة قرون. وليس معلومًا على وجه الدقة متى بدأ هذا الانفصال أو ذلك الاختلاف، ولكن يستفاد من النقش الذى عثر عليه فى بوغاز (ك أى) فى آسيا الصغرى، والذى يرجع تاريخه إلى عام ١٣٥٠ ق. م أن الانفصال لم يكن قد حدث قبل ذلك التاريخ. فقد ورد فيه أن نجباء الميثانيين، وكانوا آريين. كانوا يقسمون بالآلهة الهندية. وحيث أن تاريخ تدوين الويدا كتاب الهنود المقدس لا يمكن أن يعود إلى ما قبل القرن الرابع عشر، ولا يمكن فى الوقت ذاته أن يتأخر عن القرن الثامن، لذا يمكن القول بأن تاريخ الانفصال يجب أن ينحصر بين القرنين التاسع والرابع عشر.

أما فيما يختص بما هية آريى إيران وعقيدتهم، فيتضح من أبحاث المحققين فى الديانات الهندية، ومقارنة ما توصلوا إليه من نتائج، مع ما وصل إليه الباحثون فى الأوستا كتاب زردشت المقدس، أنهم كانوا يعتقدون بوجود أرواح عديدة خيرة وطيبة تهب الإنسان الكنوز وذخائر الطبيعة، ومن بين تلك الذخائر وأهمها النور والغيث وكانوا يعتقدون كذلك بوجود أرواح شريرة مظلمة، تتصارع والأرواح الخيرة، ولا تريد أن يكون الإنسان سعيدًا، وكانوا يعدون الليل والشتاء والسنوات العجاف والقحط والأمراض والموت والبلايا من الأرواح الشريرة.. ويتضح كذلك أنهم كانوا يعبدون الأرواح الأولى، ويسبحون بحمدها ويلهجون بالثناء عليها، ويبدون لها الخضوع فى حين أنهم كانوا يعدون الأرواح الشريرة عدوا لهم، فكانوا يتوسلون بقراءة الأوراد حماية من شرورها، وأصبحت تلك الأوراد سببًا فى انتشار

السحر والشعوذة بعد ذلك، وثار زردشت على تلك الخرافات: ويعتقد بعض الباحثين أن عبادة ورثرغنا^(١٤) إله الرعد، وميثر إله الشمس قد دخلت عقيدة آريي إيران منذ ذلك التاريخ وكانوا يعتبرون الشمس عين السماء والرعد ابنها، وبعبارة أخرى يجب القول إن آريي إيران كانوا يعبدون العناصر كآريي الهند.. ثم ترقوا في معتقداتهم، حتى وصلوا إلى مرحلة التوحيد.

أما متى حدث هذا الارتقاء، فليس معلوماً ولكن ما يجب معرفته هو أن رقي آريي إيران كان أسرع من رقي آريي الهند، ومع ظهور زردشت رسخت عبادة الإله الواحد، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه.

وحيثما قدم آريو إيران إلى إيران، كانوا أقل حضارة من جيرانهم البابليين والآشوريين فاقتبسوا منهم، كما سيلي — أشياء كثيرة، ولكنهم كانوا أكثر رقى منهم في الأخلاق؛ لأن معتقداتهم المذهبية كانت تحضهم على السعى والعمل مع التحلى بالإخلاص والصدق. ويعتبر الإيرانيون القدماء الكذب أحد كبار الأرواح الشريرة.

الأسرة – الطبقات – شكل الحكومة

تقوم الأسرة على السلطة الأبوية أو أكبر أفرادها، ومع حرمان الزوجة من الحرية بالنسبة لزوجها إلا أنها كانت تعتبر ربة المنزل. وعلى العموم فإن ما يلفت النظر أن منزلة المرأة عند آريى إيران كانت أفضل مما كانت عليه عند الشعوب الأخرى وكان الأولاد يتبعون الأب تبعية محضة.

وكان رئيس الأسرة فى العهود الموغلة فى القدم هو القاضى والقائم بأداب العقائد والمشرف على تنفيذها فى آن واحد؛ لأن الطقوس الدينية كانت بسيطة ولم يكن لرجال الدين وجود.. ومن الواجبات الحتمية الملقاة على عاتق رئيس العائلة الإشراف على أتون المنزل حتى تظل ناره مستعرة لا تنطفى.. وكان أتون الأسرة موضع الاحترام.

والطبقات كما يتضح من الأوستا ثلاث: رجال الدين – رجال الحرب – الزراع.. ولكن لم يكن لرجال الدين وجود فى العهود الموغلة فى القدم، وكان إجراء الطقوس الدينية وتقديم القرابين من المهام التى كلف بها رؤساء العائلات.

نظام الحكم:

كان نظام الحكم يقوم على أساس ملوك الطوائف، فكان يتكون الفخذ أو البطن من عدة أسر وسكنها القرية، التى كان يطلق عليها (ويس).

وتتكون القبيلة أو العشيرة من عدة أفخاذ ومحل إقامتها هو البلوك (الناحية) التى كان يطلق عليها آنذاك (دگنو) وتشكل عدة عشائر القوم أو الشعب ومحل إقامته الولاية التى كان يطلق عليها (ده يو) وينتخب رؤساء العائلات رئيس الفخذ؛ وينتخب رؤساء الأفخاذ رئيس القبيلة.

وكان رئيس القوم أو الولاية يتم بالتعيين فى بادئ الأمر، ثم زادت
صلاحياته وسلطاته بعد أن أصبحت قيادة الجيش إبان المعارك منوطة به، ولكن لم
يؤد إلى تقلص سلطات رؤساء العائلات أو رؤساء الأقباط تقلصاً تاماً.

وكان رئيس البطن أو الفخذ يسمى ويس ريت، ورئيس القوم أو الولاية ده
بويت، وكان الحاكم الذى يخضع له عدة شعوب أو ولايات يلقب بالملك الكبير
وكان لقب (دهبويت ها) يطلق فى الواقع على الملوك الصغار الذين كانوا فى
منزلة التابعين والولاة بالنسبة للملك الكبير، وكان يجب عليهم أن يقدموا له الهدايا،
وأن يدفعوا له الجزية، ويعدوا له الجيوش أثناء الحرب وكان أكثر أبطال القصص
الإيراني القديم من البويت ها الذين كانوا يرثون الحكم فى كل ولاية أو مقاطعة
بالنظام الوراثى.

ومن الدول الآرية الإيرانية التى شكلت فى العصور التاريخية، والتى سيرد
ذكرها فيما بعد الدولة الأشكانية التى تشابهت تشابهاً تاماً فى نظام الحكم مع الدول
أو الدويلات الآرية فى عصور ما قبل التاريخ.. ولذلك فإذا أردنا الحصول على
معلومات مفصلة عن كيفية الحكومة فى تلك العصور يجب أن ندقق النظر فى
طراز الحكومة الأشكانية.. يبدأ تاريخ آرى ايران منذ القرن السابع أو أواخر
القرن الثامن ق. م والفترة قبل ذلك تغلفها ستائر النسيان.

وعلى هذا فإن ما يقرب من ثلاثة وعشرين قرناً أى منذ انفصال الآريين
عن الشعوب الهند وأوربية حتى القرن الثامن ق. م ليس معلوماً على وجه الدقة
وماذا كان الآريون وما هو تاريخهم.. ويتضح من القصص الإيرانية القديم أنهم
كانوا يقيمون فى المدن والقرى وأنهم كونوا دولاً.. وهنا يقف دور المعلومات التى
قدمتها الروايات القديمة ولكن الصورة الكلية التى يمكن استقراؤها منها يدل على
أن الآريين قد كونوا مالا يقل عن أربع دول، يمكن أن تسمى دولتان منهما وفقاً

لتلك الروايات بدولة الجمشيدية^(١٦) ودولة الفريدونية، أى دولة آل جمشيد ودولة آل فريدون، والدولتان الأخريان باسم دولة آل منوچهر ودولة زاب أو آل الزاب.

وعصر جمشيد موغل فى القدم، فيعتقد بعض الباحثين أن قصة جمشيد تتعلق بعصر ما قبل انفصال الشعوب الهند وأوربية، ولكنه على أية حال لا يقل عن الفترة التى عاش فيها آريو الهند وإيران معاً.

وكذلك ترتبط دولة آل فريدون بذلك العصر، أما دولة آل منوچهر وآل زاب فتتعلقان بعصور ما بعد استقرار آريو إيران فى الشمال الشرقى لهضبة إيران، وكانوا دائماً تحت وطأة هجوم مستمر يشنه السكان الشماليون، الذين يظن ظناً قوياً أنهم كانوا شعوب السكا^(١٧).

وقد سبق القول بأنه فى الوقت الذى قَدِمَ فيه آريو إيران إلى الهضبة الإيرانية، كان يقطن تلك المنطقة العيلاميون. ولذا يجب الإشارة إلى العلاميين قبل الدخول فى تاريخ إيران، لأن لهؤلاء القوم مخلفات مفصلة، يفيد الوقوف عليها فى فهم تاريخ آريو إيران لأسباب سوف تأتى فى موضعها.

مختصر لتاريخ عيلام

مقدمة

كانت المعلومات المتوفرة لدينا عن العيلاميين إلى ما قبل أربعين عامًا تكاد تنحصر فيما ورد بالتوراة عنهم، وقد ذكر اسم كدر لا عمر ملكًا لعيلام^(١٨) في إحدى الحكايات ولم يكن مؤرخو العهد القديم واقفين على معلومات عن العيلاميين كما يتضح من كتاباتهم المتوفرة لدينا، وظل الحال على هذا المنوال حتى أجريت الحفريات في أطلال مدينة شوش.. وكان أول من أجرى حفائره ودراساته العلمية في شوش العالم الإنجليزي لفتوس *loftus* ثم تابعت الحفريات، وبدأت هيتان علميتان فرنسيتان، بدأت الأولى عملها برئاسة مارسيل ديولا فوا *Marcel Dieulafoy* عام ١٨٨٤ م.

ونج عن حفرياتها اكتشاف قصر دارا الأول، والقصر الذي بناه بعد ذلك أردشير الثاني الهخامنشى على أطلال القصر الأول، وهو الآن تل ترابي ليس إلا.. ثم تابعت العمل هيئة أخرى رأسها دمرجان *J.DE Morgan* ومع أن حفريات شوش لم تتم الآن، وتحتاج الى نصف قرن كما يقولون حتى تتم، فإن ما نوافر لدينا من معلومات قد أوضح لنا تاريخ عيلام إلى حد ما، وأضاف دولة إلى دول المشرق الكبرى القديمة، لا يلزم هذا المختصر الإفاضة في الحديث عنها، لذا سأكتفى بالإشارة إلى الموضوعات الرئيسية في هذا المجال.

حدود عيلام:

أطلق لفظ عيلام في العهود القديمة على مملكة شملت الولايات الآتية:

خوزستان - لرستانى - پشت كوه - جبال بختيارى، وكان نهر دجلة يحد تلك المملكة غرباً ويحدها شرقاً جزء من مقاطعة فارس، ويحدها من الشمال الطريق الممتدة من بابل إلى همدان، ومن الجنوب الخليج حتى مدينة بوشهر^(١٩) وكانت أشهر مدن تلك المملكة:

١- شوش التى تعتبر أهم مدن عيلام ومن أقدم مدن العالم.

٢- ماداكتو على شاطئ نهر كرخة.

٣- خايدالو التى يظن أنها موضع مدينة خرم آباد الحالية.

٤- الأهواز.. وكان سكان عيلام يطلقون على مملكتهم اسم (أنزان سوسونكا)، وكلمة عيلام تعنى المنطقة الجبلية، وكان يطلق على تلك المنطقة اسم المنطقة الجبلية.

الجنس:

يعتقد ديولافواو مرجان أن السكان الأول لتلك المنطقة كانوا من الألباش ويعتقد باحثون آخرون أن سواحل الخليج حتى مكران وبلوچستان كانوا من الألباش، وعلى أية حال فإنه بعد قرون عديدة كان السكان الذين يقطنون شط العرب ورأس الخليج ويعرفون بالسومريين قد غزوا تلك المنطقة واستولوا عليها ثم وفد عليهم بعد ذلك قوم من الساميين، واستولوا عليها، وإن لم يطل استيلاؤهم على الجزء الجبلى من المملكة.. وقد ذكر اسم كوسى أو كيس سى كثيراً من بين أسماء الشعوب الجبلية.. وكان اليونانيون يطلقون عليهم اسم أكسيان، وكانوا أقواماً ما رقين يرفضون الخضوع ويأبون الانقياد، لذا لم تدم طويلاً السيطرة الخارجية عليهم وبما يجدر الإشارة إليه أنهم طالبوا الإسكندر بالجزية إبان ذهابه من شوش

إلى فارس ثم حاربه الإسكندر أثناء عودته من الهند إلى بابل، ولكنه منحهم فى النهاية الجزية التى طلبوها.

اللغة

كانت اللغة الأثرانية أقدم لغات أهالى تلك المملكة وقد تلاشت تلك اللغة — كما يرى مرجان — فى الألف الثالث ق. م ثم راجت بعد ذلك اللغة السومرية واللغة السامية.. وفى عام (١٥٠٠) ق. م تم إحياء اللغة الأثرانية فجأة، وبدأ انتشارها واستعمالها.. وهذا يدل على أن اللغة الأثرانية لم تكن قد تلاشت نهائياً، وإنما كانت مستخدمة بين الأهالى، ولكن النقوش كانت تكتب باللغتين السومرية والسامية، لأن اللغة إذا ماتت لا تحيا من جديد... ويعتقد بيرشيل pere scheil — الذى كان واحداً من البعثة العلمية الفرنسية — أن اللغة الأثرانية كانت قريبة من اللغات الأورالية والأثرانية^(٢٠).

الخط

الخط العيلامى خط مسمارى، أى أنه عبارة عن رموز وعلامات على هيئة مسمار، ويكتب أفقياً أو عمودياً ومعلوم أن العيلاميين قد اقتبسوا هذا الخط من السومريين ولكن الخط العيلامى المسمارى خط مستقل، أى أن رموز الخطين متباينة، ولذا لا يمكن معرفة الخط العيلامى مع معرفة الخط البابلى وتتفاوت الأرقام العيلامية مع الأرقام البابلية^(٢١) ثم استخدم هذا الخط بعد ذلك، جنباً إلى جنب مع الخطوط الأخرى فمثلاً أحد ملوك عيلام، وكان يسمى باش شوشيناك وكان يحكم عيلام قبل استيلاء السومريين على مدينة أور، صنع تمثالاً له من الحجر وقد جلس على عرش من الحجر، وعلى الناحية اليمنى منه كتبت كلمات بالخط العيلامى، وعلى الناحية الشمالية خطت ألفاظ بالخط البابلى.

الدين

هذه مسألة غامضة، ولكنه كان معروفا بصورة عامة، أن العالم فى نظر العيلاميين مملوء بالأرواح، وكانوا يطلقون على الإله الأكبر شوشيناك، وعبادته مقصورة على الملوك والكهنة فقط. ويليه فى مقام الاعتقاد ستة من الآلهة ثم جمع من الأرواح، وكانوا يعتبرون كل واحد من الأرواح إلها محليا.

وكانوا يصنعون للآلهة تماثيل مثلهم مثل البابليين. وحينما كانوا ينقلون التماثيل من مدينة إلى أخرى يعتقدون أنهم نقلوا إله تلك المدينة، وعلى هذا فإن مذهبهم مذهب الشرك وعبادة الأوثان.

وكان الكهنة ينعمون بنفوذ عظيم وسلطة قوية، ويمكن القول بصفة عامة إن مذهبهم كان كثير التشابه بمذهب البابليين. ويبدو أن رسومهم وعاداتهم المذهبية كانت تشبه أيضا عادات بابل المذهبية.

مدينة شوش

قسم مرجان Morgan أطلال مدينة شوش أربعة أقسام:

١- أرك وهى قلعة مدينة شوش وكانت موطن السكنى منذ أزمنة سحيقة حتى عصر الاسكندر.

٢- قصور الملوك الأكمينيين.

٣- المنطقة التجارية.

٤- منطقة فى الشاطئ الأيمن لنهر كرخة، وقد اكتشف فى القسم الثانى أطلال قصر دارا وأردشير الثانى والطاق المعروف بآبادن.

تقسيم تاريخ العيلاميين:

قسم مرجان تاريخ عيلام قسمين:

١- عصور ما قبل التاريخ.

٢- القرون التاريخية.

وينقسم القسم الأول إلى قسمين، وكلاهما في العصر الحجري، لأن الآلات والأدوات الحديدية لم تكن قد ظهرت بعد^(٢٢)، وما وصلنا من أدوات هذا العهد كانت غالبًا من أواني الحجر والفخار، عليها نقوش.

ويعتقد مرجان أنه بمقارنة تلك الأشياء بما عثر عليه في مصر، أنها ترجع إلى الألف الثامن ق.م. ويعتقد عالم آخر هو كنج King أن هذه الأواني الفخارية أكثر شبهاً في صنعها وطرزها بالأواني والأشياء التي عثر عليها في منطقة ما وراء بحر الخزر واستراباد ودره گز. ولهذا ولقرائن أخرى يظن الباحثون أن حضارة العيلاميين قد انتشرت في أماكن شتى متباعدة، وأن ثمة علاقات كانت قائمة بين سكان ما وراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريين. ومن الجائز أن يكون هؤلاء الناس قد قدموا من الشمال. وقد أجرى العلماء حفريات تجاوزت طبقات العصر الحجري، ورغم هذا لم يعثروا على شيء رغم تعمقهم ستة أقدام. وسبب ذلك أن شعبا ذا حضارة أعلى تغلب على الوطنيين وخرّب بيوتهم. ثم أهالوا عليها ما يقرب من ستة أقدام من التراب، وأقاموا على أرضها أبنية جديدة، وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى يعتقد مرجان أنها ترجع إلى العصر القديم. ومن المواد التي عثر عليها أوان فخارية وهي قليلة للغاية.

وأكثر مخلفات هذا العصر من المرمر الأبيض المنقوش. وكذلك وجدت زهريات لزجة وألواح من الفخار الخالص، وقد كتب عليها بعض الخطوط.

ويعتقد مرجان أن هذه الأشياء ترجع إلى الألف الرابعة ق.م.

أما القرون التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة:

١- عصر يرتبط فيه تاريخ عيلام ارتباطا كاملا بتاريخ السومريين
والأكاديين .

(منذ عهد موغلة في القدم حتى ٢٢٢٥ ق.م.)

٢- عصر ارتبط فيه العيلاميون بتاريخ بابل (من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥
ق.م.)

٣- عصر ارتباط آشور بعيلام (٧٤٥-٦٤٥ ق.م.)

العصر الأول منذ أقدم العصور حتى عام ٢٢٢٥ ق.م

ونظرا لارتباط تاريخ العيلاميين فى تلك الفترة بتاريخ السومريين والأكاديين ارتباطا كاملا فلذا يجب إلقاء نظرة إجمالية على تاريخ هؤلاء الأقوام.

السومريون والأكاديون

استقر هؤلاء القوم منذ زمن بعيد غير معروف فى إحدى الممالك التى عرفت منذ القرن التاسع ق.م بمملكة كلدة، بينما كان يعيش السومريون على رأس الخليج وعلى شاطئ شط العرب واستقر الأكاديون فى الناحية الشمالية الشرقية. ولا يمكن على وجه اليقين تحديد حدود مملكة سومر وأكد، وما هو معروف أن مدن أور (أوروك أو أرخ Uruk, Erech) وهى فى التوراة آرگ) ونيب پور Nippur من المدن السومرية الشهيرة، وكذلك مدن سيب بار Sippar وكيش Kish وبابل من المدن المهمة الأكديّة.

وقد قوى اتجاه لدى الباحثين أخيرا إلى أن السومريين والأكاديين كانوا شعبا واحدا، وأن الأكاديين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى إحدى المدن السومرية التى كانت تسمى بذلك الاسم. وما لايجب أن يغيب عن نظرنا أنه أطلق اسم كلدة على بابل الآشورية (لأن الكلدانيين وكانوا ساميين قد اختاروا الإقامة فى المكان بعد ذلك بقرون).

ويلاحظ هذا الاسم فى نقوشهم منذ القرن التاسع ق.م. ونظرا لأن تاريخ سومر وأكد قد استمر معا عدة آلاف من السنين ق.م. فلا يمكن إطلاق اسم تاريخ الكلدانيين على تاريخهم، بل يجب أن يطلق عليه تاريخ سومر وأكد. وبين العلماء إختلاف فىمن سبق الآخر من هذين الشعبين فى استيطان هذه المملكة. والرأى الراجح بين غالبية الباحثين الآن هو أن السومريين قد استوطنوا سواحل الخليج قبل

قدوم الساميين تلك الأنحاء، وأن الساميين قد أقبلوا من الناحية الغربية أو الشمالية الغربية إلى تلك المناطق^(٢٣).

أما عن الموطن الذي أقبل منه الأكاديون والسومريون، فنظرًا للعثور على مواد خزفية وأظرف حجرية وأسلحة من الرصاص وبعض الأشياء الأخرى قرب منطقة عشق آباد^(٢٤) واسترآباد^(٢٥) ودره كزذات طابع عيلامى فى صناعتها، ومنقوش على زهرية من الفضة صور سومرية، لذا فإن بعض الباحثين يعتقدون بوجود ارتباط بين حضارتى العيلاميين وبلاد ما وراء نهر الخزر. ومن الجائز أن يكون السومريون قد أتوا من الناحية الشمالية إلى رأس الخليج وسهله بابل. على أية حال فإن الحفريات التى أجرتها البعثات الأمريكية فى مدينة نيبور وهى إحدى المدن السومرية، وما تم اكتشافه بعشر أسرات من ملوك هؤلاء القوم، فضلا عما هو معروف، فقد تحققت أن السومريين اتضح تاريخهم قبل ثلاثة آلاف عام ق.م، وأن بابل كانت مركز الحضارة فيها.

الديانة:

يقول السومريون إن لكل مدينة ربًا، وكان أهالى كل مدينة يعتبرون إله مدينتهم أعلى مرتبة من آلهة سائر المدن الأخرى، ومع هذا كله فقد كانوا جميعا يعبدون ثلاثة آلهة كبار:

١- أتو (إله السماء).

٢- إيا (إله الوادى العميق).

٣- بل (رب النوع، إله الأرض).

وكانوا يعتقدون بالإضافة إلى هؤلاء فى عدد من الأرواح الشريرة والعمالقة والجن وكانوا يقدمون النذر إليها. وكانوا يصنعون أوثانًا للآلهة

ويعبدونها، ويعتقدون أن للآلهة صفات كصفات البشر، كالغضب وسفك الدماء والقسوة والشهوة وغيرها، وكانوا يقيمون لها المعابد من الطوب النقي ويشيدون محاريب في رأسها.

وكان الكهنة يتمتعون بنفوذ قوى، ويقولون إن الآلهة كالمملوك يحيون وسط مظاهر العظمة والأبهة والثراء.

ولذا كانت المعابد مملوءة بما تحويه الخزائن والذخائر والأهراء والحيوانات المختلفة. وكانوا أحيانا يحصرون للتجارة في معبد واحد، إذا ما كان الآلهة تجارا أو ملاكاً..

وكانوا يسمون رئيس المدينة باتسى ويعتقدون أن رؤساء المدن يديرون أمورها وفقاً لمشيئة الآلهة، ولذا كان رؤساء المدن نوعاً من الملوك المحليين يقبضون على أزمة الأمور الدينية والداخلية والحربية. أما عقيدة السومريين في البعث بعد الموت، فكانت غامضة، لأنهم كانوا يعتقدون أن الإنسان لا يجد شيئاً بعد الموت إلا الألم والمحن والجوع والعطش.

ونتيجة لذلك فقد كان السومريون يدعون دائماً لحفظ العائلة وسلامتها... ولغة السومريين تقترّب من لغات التورانيين الألتائيين أو الأورالية والألتائية.. والخط السومري خط مسمار، ويعتبر بعض الباحثين السومريين مخترعي هذا الخط.

وكانوا يصنعون بيوتهم في بادئ الأمر من الغاب، ثم طوروا ذلك وبدأوا يستخدمون الطوب والحجارة.

رؤساء المدن - السومريون (باتسى ها):

من رؤساء المدن السومريين الذين حاربوا العيلاميين، يجب أولاً ذكر اسم إن ناتوم الأول، الذي كان رئيساً لمدينة لاكاش، وقد حارب العيلاميين منذ ثلاثة آلاف سنة ق.م، ويقول بنفسه إنه قد أنزل هزيمة نكراء بالعيلاميين؛ ولكن الحقيقة

هى أن العيلاميين كانوا يشنون حملات مستمرة على السومريين، وبخاصة سكان المناطق الجبلية، وكان الرئيس المشار إليه يرد حملاتهم.

وبعد ذلك شن العيلاميون حملة جديدة على مدينة لاکاش وكان حاکمها آنذاك إن ناتوم الثانى فصددهم عنها. وهذه الواقعة لا تحتل أهمية كبرى، ولكن المراسلة التى جرت بين كاهن ربة النوع (نين مار) Ninmar وأحد أصدقائه التى تضمنت ذكراً لتلك الواقعة، تحتل أهمية خاصة لأنها قد كتبت باللغة السومرية، وترجع إلى الألف الثالث ق.م.

الأكاديون والجنس السامى:

وبعد السومريين بدأ عهد الأكاديين، وتوضيح ذلك أن شخصاً سامياً عرف به (مانيشتو) قد تولى رئاسة مدينة أكد عام ٢٨٠٠ ق.م. وأسس حكم أسرة كيش ثم أسر بعد ذلك ملك عيلام وحمله إلى أكد وأخضع ملكه لسلطانه وقد وجدت زهرية فى نيبور نقش عليها بعض ما عثر عليه من غنائم العيلاميين.

ومن هنا فقد أخذ نجم الأكاديين فى الصعود، وأخذ ملكها وكان من سلالة سامية ويعرف بسرگن Sargon فى توسيع حدود مملكته، فامتدت غرباً حتى الشام الكبرى وشمالاً حتى جبال زاغروس أو كرما نشاه الحالية. ومن أعمال هذا الملك أنه أمر بترجمة الكتابات المتعلقة بالمذاهب والأديان والقوانين والسحر وغيره إلى اللغة السامية، وأمر بحفظها فى معبد إرخ.

وقد أمر (أشور بانيبال) ملك آشور فى القرن السابع ق.م بتدريس هذه الكتابات، ولذا بقيت مضامينها محفوظة متداولة فى القرون التالية. وحارب سارگن العيلاميين، ولكن ليس معلوماً هل أصبحت عيلام فى ذلك الوقت جزءاً من الأكاديين أم لا. والقدر المسلم به تاريخاً هو أن الأكاديين قد أغاروا على

العيلاميين، ووطأوا محاصيلهم وأتلفوها، ومن الجائز أن تكون عيلام فى ذلك الوقت كانت تدفع للأكاديين الجزية.

واستمرت الفتوحات الأكادية بعد سارگن، وقد أوضحت اللوحات الحجرية^(٢٦) (استل Stele) التى كشفها مرجان أن نرام سين Naram Sin أحد الملوك الأكاديين قد فتح بلوك لولوبى (وهى منطقة بين كرمانشاه الحالية وبغداد) وتبين اللوحة (استل) الخاصة بنرام سين بوضوح، أن جيش هذا الملك كان يضم عددا من الجنود الأحباش^(٢٧). كما تشير الكتابات الموجودة فى تلك المنطقة إلى فتوحات أخرى قام بها ملك أكادى آخر يعرف بـ (أنو بانى ني). وليس هناك شك فى أن فتوحات الأكاديين فى المناطق المجاورة لهم هدفها الرئيسى هو الاستيلاء على دولة العيلاميين، وأن هذه المملكة كانت تدفع الجزية للأكاديين. وبعد فترة استقر حكم أسرة سامية أخرى فى أكد، وكانت العاصمة مدينة أرخ.

وفى عهد تلك الأسرة كون سكان المشرق دولة سامية عرفت بالگوتيين^(٢٨)، هاجمت الأكاديين واستولت على المناطق الشمالية والجنوبية لبابل، وخضعت عيلام لها كذلك.

ازدهار السومريين:

فى عام ٢٥٠٠ ق.م استعادت سومر رونقها من جديد، وصارت مدينة لاکاش عاصمة الملك الأكبر گيودأ Gudea. وأخضع هذا الملك أنزان، واتسم حكمه بالعدل والإنصاف ومساعدة الفقراء والضعفاء، وتشبيد المعابد والأبنية الجديدة، وطلب ما يلزمها من الشام الكبرى والجزيرة العربية وعيلام. ويلاحظ فى عام ٢٤٥٠ ق.م أن الحكم والسلطة انتقلا إلى مدينة أور، حيث استقر الحكم فيها لعدد من الحكام المحليين. ولهذا استخدمت اللغة السومرية وعم انتشارها بدلا من اللغة السامية التى كانت مستخدمة إبان حكم سارگن وغيره من الحكام. ولذا يمكن

استتباط أن السومريين قد استعادوا قوتهم من جديد، وقد اقتبس دونغى **Dungi** ثانياً حكام تلك الأسرة استخدام السهام والأقواس من الساميين. وقوى جيشه نتيجة لهذا، فامتدت فتوحاته واستولى على عيلام ومنطقة لولوبى، ولكنه يستفاد من القرائن أن تأمين الفتوحات لم يكن أمراً يسيراً، لأن السومريين كانوا مجبورين دائماً على تعبئة الجيش وشن الحملات لإخضاع العصاة والمتمردين، ويستفاد من الألواح التى عثر عليها أن عيلام كانت فى ذلك الوقت جزءاً لا يتجزأ من الدولة السومرية.

انقراض دولة السومريين على يد العيلاميين:

كان سلوك السومريين سبباً فى انتفاضات وثورات متعددة من قبل العيلاميين، ومما أجبر السومريين على تعبئة الجيوش وشن الحملات لإخمادها، وكانت تلك الحملات سبباً فى إضعاف السومريين وإنهاك قوتهم. وفى نهاية الأمر تمكن العيلاميون من شن حملة مكثفة على سومر وقبضوا على ملكها وحملوه أسيراً إلى عيلام.. ومنذ ذلك التاريخ استقل العيلاميون.. وفى عام (٢٢٨٠ ق.م) استولى گودورنان خوندى **Kudor nankhoundi** ملك عيلام على مدينة أور وخربها وأطاح بالأسرة الحاكمة فيها، واستولى على تمثال ربة النوع، آلهة المدينة، وكانت تسمى نانا **Nana** أونه نه وحمله إلى عيلام، كجزء مما غنم، ومنذ ذلك التاريخ، ولمدة تقرب من ستين سنة ظلت سومر جزءاً من عيلام.. وحوالى عام ٢٢٣٩ ق.م تولى الحكم فى سومر أسرة سامية عرفت باسم نى سين **Nisin** وبين يدى الباحثين أسماء ستة عشر ملكاً من ملوك تلك الأسرة، كما وضح مما بين أيديهم من وثائق أن ملكاً عيلامياً يعرف بريم سين **Rimsin** قد قضى على تلك الأسرة عام ٢١١٥ ق.م، وقد توحدت سومر وأكد فى عهد تلك الأسرة، وأضحى أمة واحدة. ثم انفصم عرى هذا الاتحاد وضمحت تلك الدولة على يد الملك العيلامى، ولم يحصلوا على الاستقلال مرة أخرى، وذاب السومريون والأكاديون فى الشعوب الأخرى، وفقدوا هويتهم وقوميتهم.

يعتقد مرجان والكتاب الفرنسيون الآخرون أن غلبة العيلاميين على السومريين والساميين لها نتائج تاريخية كثيرة، وتوضح ذلك أن العيلاميين كانوا يتصفون بقدر من الغلظة والقسوة الزائدة في معاملتهم للشعوب المغلوبة مما أجبرهم على ترك أوطانهم وديارهم حفاظاً على أرواحهم، وهاجروا زرافات ووحداناً إلى مناطق شتى. ولذا يعتقد أن السكان الذين سكنوا رأس الخليج والبحرين^(٢٩). قد اتجهوا إلى بلاد الشام وأسسوا الدولة الفينيقية، حيث اشتهروا بعد ذلك بالتجارة وعبور البحار، واتجهت جماعة أخرى كانت تعبد آشور (رب النوع) إلى منطقة وسط نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة، وأسسوا الدولة الآشورية، وهاجر إبراهيم (عليه السلام) مع قومه إلى فلسطين، وهاجم الهكسوس وهم من أصل سام، مصر، وكان تأسيس أسرة من الفرعنة في تلك المملكة من نتائج انتصار العيلاميين على الشعوب السامية، ولكن كينج يعتقد أن غلبة العيلاميين لم تدم طويلاً على الممالك الغربية، لأن العيلاميين لم يكونوا مهنيين لإدارة أية مملكة، وكانت غلبتهم تشبه الإغارة الطارئة، ولذا لم يستطيعوا الاحتفاظ بما فتحوا من ممالك.

ما قدمه السومريون للبشرية من إنجازات وأعمال:

قبل أن نتابع الحديث في تاريخ عيلام، لا بد أن نبين في عجلة سريعة ما قدمه السومريون من أشياء إلى حياة البشر، لأنه لن يذكر بعد ذلك شئ عن أعمالهم عبر التاريخ. أما ما أنجزه هؤلاء فهو كالتالي:

١- اختراع الخط المسماري الذي لعب دوراً كبيراً ومهماً في رقى العالم القديم.

٢- وضع قوانين أصبحت أساساً لقانون حمورابي

٣- وضع أسس لعلوم الصناعة التي بدأت منهم وانتقلت بعد ذلك من أمة إلى أخرى، ثم تطورت حتى وصلت إليه الآن..

وكلما تقدمت الأبحاث وكثرت الحفريات وأجريت البحوث على يد علماء الآثار، اتضح أمر مهم وزاد وضوحه وهو أن اليونانيين القدماء قد اقتبسوا من السومريين مبادئ علم الهيئة والطب والصناعة. كما يجب ألا تغفل هذه النقطة أيضاً، وهي أن التحقيقات والأبحاث الجارية حتى الآن، والتي تتعلق بتاريخ تلك الأمة القديم لم تتم بعد. ذلك لأن تاريخها بصورة إجمالية قد اتضح حتى القرن الرابع أو الثالث ق.م. وكلما ازدادت الحفريات وتقدمت الأبحاث في مدينة أور، زاد الاعتقاد بوجود حضارات أخرى سابقة لتلك الحضارة، وزاد الاعتقاد بانتشار حضارة السومريين في ممالك بعيدة مثل بلوچستان.

أوضاع عيلام:

قبل أن نخرج بالحديث عن الفترة الثانية من تاريخ عيلام، لا بد من إلقاء نظرة على أمورها وأوضاعها الاجتماعية، لنرى على أية أوضاع وأحوال قامت دولة أنزان سوسونكا. وأوضاع ذلك العهد الذي استمر حوالي عام ٢٢٢٥ ق.م. ليست معلومة على وجه الدقة. والشيء الواضح هو أن العيلاميين كانوا أقل حضارة من جيرانهم الغربيين (السومريين والساميين). وكانت تلك المملكة تعيش في معزل عن العمران والتجارة التي سادت الممالك المجاورة لها آنذاك، نتيجة لطبيعة منطقتهم الجبلية في معظمها وانعدام الطرق اللازمة لرواج التجارة أو تبادلها. ويمكن من دراسة نظم المملكة استنتاج أن كل قوم من الأقوام أو طائفة من الطوائف كان يعيش عيشة منفصلة عن الآخر سياسياً واجتماعياً، وبخاصة سكان الجبال الذين كانوا يحافظون دائماً على استقلالهم، باستثناء الأوقات التي كان يهدد العدو الخارجي فيها استقلال عيلام.

المرحلة الثانية من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق.م.

فى تلك المرحلة كانت الدولة البابلية التى أسسها رجال من الجنس السامى - أقوى وأكبر دولة تجاور عيلام. ونظراً لارتباط تاريخ العيلاميين بتلك الدولة ارتباطاً تاماً لذا يجب الإشارة إلى تلك الدولة.

ازدياد قوة البابليين:

يعتقد المؤرخون أن الساميين قد خرجوا فى الغالب من الجزيرة العربية، واتجهوا إلى الممالك التى تقع على شواطئ الأنهار الكبيرة أو البحار لما تمتاز به من جودة المناخ ووفرة المياه وخصوبة التربة التى لا تتوافر فى صحراء الجزيرة العربية، ونظراً لما يتميز به الساميون المتوثبون من قوة وطاقة كبيرة، وقدرة على تحمل الشدائد التى كابدوها والتى يتسم بها سكان الصحارى، فقد سيطروا سيطرة تامة على مملكة السومريين والأكاديين، وعلى المناطق المجاورة لهما كذلك. وكما ذكر أنفاً، فقد كونوا أسرات حاكمة هناك، وتكونت أسر أخرى فى بابل، ووسعوا هذه المدينة التى يرجع تاريخها إلى أزمنة السومريين الغابرة، وكونوا فيها دولة أثرت حضارتها ونفوذها فى العالم القديم فى الأزمنة والعصور اللاحقة.

الأسرة الأولى:

كان حكام تلك الأسرة خمسة عشر^(٢٠)، وحمورابى سادس حكامها أكبرهم وأشهرهم. وقد حكم من ٢١٢٣ - ٢٠٨٠ ق.م، وقد عثر علماء الآثار على قوانينه فى حفريات مدينة شوش، وتوجد حالياً فى متحف اللوفر فى باريس. وهى أقدم مدونة عثر عليها حتى الآن^(٢١).

وأقدم مافى القوانين السومرية، ما دونه حمورابى على حجر قطعة واحدة، وتتعلق تلك القوانين بأمور الزراعة والرعى والملاحة وشراء العبيد والإماء، والعقوبات والزواج وقانون الأسرة والموارىث وغيرها. ولفت نظر العلماء إليها ما احتوته من قوانين أخلاقية. ويعتبر المحققون وجود مثل هذه القوانين دليلا على ما وصل إليه البابليون والسومريون من رقى حضارى. كما يلاحظ تأثير كبير لتلك القوانين فى بعض شعوب آسيا الغربية مثل بنى إسرائيل، أى أنهم اقتبسوا مواد منها أو أحدثوا تغييرات فى قوانينهم نتيجة لذلك. ومن هذه اللوائح (القوانين) مالا يعد قديما فحسب حتى اليوم.

ولحمورابى فضلا عن تلك القوانين أعمال أخرى كذلك. ومن ذلك مثلا أنه طرد ريم سين ملك عيلام من مدينة لارسا (٢٠٩٣ ق.م) ومن هنا يتضح أن بابل قد شرعت فى تجميع المدن وتوسيع رقعة مملكتها، والأوضاع الداخلية للدولة العيلامية فى تلك الفترة ليست معروفة. والقدر الواضح هو أن سمسبواپلونابن حمورابى هزم ملك عيلام المسمى كو دورما بوك، وإن كان العيلاميون قد ستعادوا استقلالهم مرة أخرى، وكانت الأسرة الأنزانية تتولى مقاليد الحكم فيها، وكان رئيس تلك الأسرة يعرف بخون بان نومييا الذى أحكم بناء الدولة العيلامية. وتعرضت الأسرة البابلية لحمالات واعتداءات من أقوام تقطن المنطقة الشمالية لها يعرفون بالحيثيين وأجهزوا عليها^(٢٢) ولا داعى للوقوف على تاريخ الأسرة الثانية لتلك الدولة العيلامية، لأنه لم يحدث فيها ما يستحق الذكر. ولم تستمر سيطرة الحيثيين على بابل لأن شعبا آخر عرف بالكاسيين، وكانوا من سكان الجبال قد أغار على بابل، وطردهم الحيثيين، وأسس حكما له هناك.

الأسرة الثالثة أو الكاسيون:

الكاسيون شعب كان يعيش فى جبال زاجروس القريبة من كرمانشاه الحالية، ويعتقد بعض المحققين أنهم كانوا قوماً من الشعوب الآرية، ذلك لأن إلههم الأكبر كان إله

الشمس، وكانوا يسمونه سورباش، وهي كلمة آرية^(٣٢) وسيطر هذا الشعب على بابل وأسسوا أسرة حاكمة بها، حكمت ما يقرب من ستة قرون (١٧٦٠ - ١٨٥٠ ق.م).

وفي عهد الكاسيين استخدمت الجياد لشد العربات، وتاريخ عيلام فى تلك الفترة ليس واضحا كذلك، ولكن يلاحظ أن عيلام كانت دولة مستقلة، بل ودولة قوية قادرة ذات نفوذ كبير، وأن حروبا استمرت مشتتة بينها وبين الدولة البابلية.

وأشهر الملوك العيلاميين، والذي أغار على بابل وسيطر عليها هو شوتروك ناخون تا Schutruk Nakhunta عام ١٩٠٠ ق.م وقد حمل كل ما يتعلق بتاريخ بابل من أشياء نفيسة إلى مدينة شوش وكان من بينها نقش نرام سين الذى ورد ذكره، أنفا وكذلك تمثال إله البابليين (رب النوع) الأعظم الذى كان يسمى بل مردوك. وبقي هذا التمثال ثلاثين عاما فى مدينة شوش، ثم أعيد إلى بابل مرة أخرى.

وقد أجهزت حروب العيلاميين وغاراتهم المستمرة على الأسرة الكاسية وقضت عليها. وتولى حكم عيلام بعد هذا الملك ملك يدعى شيل خاكين (شوش ناك). وكان داهية وسياسيا بارعا. أقام الكثير من العمائر وأهم أعماله التى هى مصدر تقدير علماء الآثار القديمة، أنه كان يكتب على كل بناء يقوم به متى بنى، وما به من النقوش مكتوبة باللغة السامية، ويضيف إليها ترجمتها إلى اللغة الأثرانية.

وهكذا كان سلوك هذا الحاكم وإشرافه على حفظ الآثار عونا كبيرا فى قراءة اللغات العيلامية عبر العصور المختلفة، لأن الفترة الممتدة بين كتابات هذا الملك والكتابات القديمة لا تقل عن ألفى عام. والآثار التى بقيت عن هذا الملك تدل على أن الأدب والصناعات العيلامية فى عهده قد بلغت أوج رقيها.

الأسرة الرابعة أو الباشون:

تولى الحكم فى بابل (١٨٤٠ ق.م) أسرة جديدة عرفت بهذا الاسم اشتقاقا من اسم إحدى مناطق بابل، وحاربت العيلاميين حربا أودت بالبابليين ونتيجة لذلك

استردوا تمثال مردوك الذى كان العيلاميون قد حملوه إلى شوش ولبخت النصر الأول Nabuknasar أكبر ملوك تلك الأسرة شيرة، وهو الذى وسع حدود بابل حتى البحر المتوسط (بحر المغرب). وكانت عيلام فى ذلك الوقت مستقلة غالبًا، ولن نتعرض للأسرة الخامسة التى تناوب الحكم فيها واحد وعشرون حاكما.

الأسرة السادسة أو البازيون:

حكمت هذه الأسرة فى الأماكن البحرية من عام (١٠٥٢ - ١٠٣٢ ق.م) وفى ذلك الوقت سيطرت عيلام مرة أخرى على بابل، وجلس أحد الملوك العيلاميين على عرش بابل، وإن لم يدم حكمه أكثر من ست سنوات. وتعرضت بابل أثناء حكم تلك الأسرة لهجمات من الشمال الشرقى شنّها عليهم سكان الجزيرة العربية المتوثبون المعروفون بالكلدانيين، وإلى ضغط من الشرق من قبل العيلاميين مما أضعف البابليين. فطلبوا العون من الآشوريين فاستغل العيلاميون هذا الجو واستولوا على بابل. وتبوأ أحد الملوك العيلاميين عرش بابل واختار لنفسه اسما بابليا.

وفى ذلك الوقت أيضا، ظهر قوم جدد عرفوا بالكلدانيين، قدموا من الناحية الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية، وهاجموا بابل، فزاد الطامعون طامعا آخر غير الآشوريين والعيلاميين. وكانت هذه الفترة الممتدة من ٩٧٠ - ٧٣٢ ق.م مملوءة بالمنازعات والثورات والحروب والاضطرابات.

وكان الكلدانيون يمدون العيلاميين بالعون حتى يتمكنوا من احتلال بابل. وفى النهاية انتهت الحروب فى عهد الملك آشور نبو نصر ٧٤٧ - ٧٣٢ ق.م بانتصاره، وأضحت بابل جزءًا من آشور الجديدة.

المرحلة الثالثة من ٧٤٥ حتى ٦٤٥ ق.م

فى تلك المرحلة كان العيلاميون خاضعين لآشور، ولكى نفهم الأحداث التى سنذكرها لا بد من إلقاء نظرة على تاريخ الآشوريين. فهم شعبة من الجنس السامى، كانوا يعيشون فى بابل مع شعوب سامية أخرى.

ثم هاجر الآشوريون فى العصور التالية، واتجهوا إلى القسم الأوسط من نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة له. وهناك أسسوا مملكة صغيرة عرفت بمملكة آشور وقد اشتقت اسم هؤلاء القوم من اسم الإله الذى كانوا يعبدونه وكان يسمى آشور. وكانت عاصمتهم فى أول الأمر مدينة آشور، ثم أصبحت عاصمتهم بعد ذلك. وخلال فترات متتالية مدينة كاله **Kalah** (كالح فى التوراة) ثم أصبحت فى آخر الأمر نينوى، وكان يطلق على حكام آشور لقب باتس مثلما كان يطلق على حكام المدن السومرية والأكادية. ومعلوم أن الآشوريين كانوا فى بداية حالهم خاضعين للبابليين، وليس يعرف على وجه التحقيق متى استقل الآشوريون.

ولكن تاريخ استقلالهم يتراوح بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق.م. وكان الآشوريون رجال زرع، وحينما قدموا تلك المنطقة الجديدة رأوا أن الأراضى الصالحة للزراعة قليلة نسبيا، وأن تربتها ليست خصبة بعكس ما كانت عليه التربة عند البابليين. لذا صمموا على أن يعيشوا من كد ونصب الآخرين، وهذا ما حدا بهم إلى شن الغارات والهجمات فى ربيع كل عام على الممالك المجاورة، قاصدين من ذلك إرغام البلاد على دفع الضرائب لهم أو يغيرون على الممالك والمدن ويقتلون من أهلها ما يشاءون ويأسرون فريقا، فيكفونهم ما لا يطيقون، ويعيشون فى رغد من العيش ورفاهية تامة.

ومن الطبيعي أن لا تتشابه تنظيمات تلك الدولة مع تنظيمات البابليين. وكما رأينا فى سومر وبابل كان لها حكام يعرفون بالباتسين. ووصلت منزلة رجال الدين ونفوذهم إلى درجة عالية من الرقى، لذا يمكن القول بأن هذه الدولة كانت فى الواقع أشبه بملوك الطوائف وذات طابع دينى، بينما قامت الدولة الآشورية على طبقة الزراعة. ولأن الزراعة كانوا يكونون الجيش الآشورى معه كانت الحرب والإغارة حرفتهم. وبناء على هذا فليس هناك ما يدعو إلى العجب إذا أصبحت الدولة الآشورية دولة حربية قوية، ومن السمات التى تميزت بها الدولة الآشورية الوحشية والقسوة البالغة مع المغلوبين، والأعجب أنهم اعتقدوا أن هذه القسوة ترضى الآلهة، مثال ذلك أن أحد ملوكهم كان يسمل عيون أسراه بيده.

واستمرت تلك الدولة ما يقرب من ألف عام، ووسعت حدودها من كل ناحية فقضت على دولة الحيثيين فى الناحية الغربية والجنوبية الغربية.

وأخضعوا الفينقيين وفلسطين وهاجموا مصر من الناحية الشرقية والجنوب الشرقى حتى جبل دماوند، وتقدموا فى صحراء إيران الكبرى وأخضعوا الميديين والبارسيين. وأحدثوا بعيالهم من التخريب والتدمير ما أعجزها عن أن تقوم لها قائمة لعدة آلاف من السنين، ثم انقضت الدولة الآشورية بعد ذلك على يد الميديين، وكانت اللغة الآشورية هى نفس اللغة البابلية، وكان الخط الآشورى هو نفس الخط المسمارى البابلى، وخلف ملوك هذه الدولة كثيراً من النقوش والكتابات الكثيرة؛ لأنهم كانوا مهتمين بتسجيل أحداثهم.

وصنع الآشوريون ألواحهم من الفخار الذى كانوا يصهرونه فى النار بعد الكتابة عليه ثم يحفظونها، وبذلك الطريقة أوجدوا النقوش والمكتبات.

وتم اكتشاف هذه اللوحات نتيجة للحفريات بعد أن واراها التراب، بسبب تدمير نينوى، فأضحت الآن شعاعاً جديداً يضىء ما غمض من التاريخ القديم،

ويوجد الآن في متحف اللوفر بباريس بضعة آلاف من تلك الألواح التي كشفت النقاب عن تاريخ الآشوريين فأضحى واضحا تماما.

وخلف الآشوريون كذلك كثيرا من الآثار، وكان الملوك الآشوريون يعتبرون أن عليهم واجبين، الأول الحرب والثاني بناء المدن الجديدة التي يتم بناؤها على كاهل الأسرى. ونتيجة لهذا أحرزت فنون العمارة والنحت، والنقش على الحجر ونقش الصور البارزة على الحجر^(٢٤) تقدما جديرا بالتقدير والإعجاب.

ومن بعض أعمال الآشوريين ما يظهر جيدا الملوك أو مجالسهم بالحجم الطبيعي (بخاصة حركات الحيوانات مثل الجياد والغزلان وغيرهما) مما أثار دهشة أساتذة أوربا الحاليين، وكان الآشوريون مهرة كذلك في صناعات أخرى كصناعة المصوغات الذهبية والخواتيم، وصناعة الأجر وتلويته وغيرها، واقتبس الفينيقيون كثيرا من نماذجهم ونشروها في العالم القديم.. وقلدت أوربا بعد ذلك هذه النماذج، وظهرت الصناعة في تلك البلاد. وينقسم تاريخ آشور إلى ثلاثة عهود، لا يرتبط الأولان منها بتاريخ العيلاميين، فلنتحدث الآن عن العهد الثالث الذي يمتد من ٧٤٥ - ٦٠٦ ق.م.

العهد الثالث: آشور الحديثة: كان سارگن Sarken^(٢٥) الثاني أشهر ملوك هذه الفترة من ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م وقد أسس أسرة الحكم الجديدة، ومنذ ذلك الحين بدأت تبعية آشور للعيلاميين. وخالصة هذه الحروب التي نشبت بين هاتين الدولتين القويتين كما يلي:

حروب آشور وعيلام:

لم تكن عيلام مجاورة لآشور حتى ذلك العهد لأن سكان المناطق الجبلية كانوا يفصلون بين هاتين الدولتين. ولكن منذ زمن تيگلات بليمر Tiglathpiliér الرابع حارب الآشوريون سكان الجبال، وأخضعوا جزءا منهم خضوعا تاما، وتركوا آخرين ينعمون بشئ من الاستقلال. واتحدت عيلام خوفا مما يخبئه لها

المستقبل مع البابليين الذين كانوا يعانون من وطأة سيطرة الآشوريين ليحافظوا على بلادهم من الغزو الآشوري ولكن سارگن حين علم بخبر هذا الاتحاد لم يمكنهم من ذلك، ولم يعطهم فرصة لتحقيق ما يرغبون، وهاجم عيلام قبل وصول الإمدادات إليهم.. وفي ذلك الحين كان الآشوريون يفوقون العيلاميين وذلك لأن الآشوريين كانوا أولا أكثر رقيا وحضارة من العيلاميين.

وثانياً كان نظام الفرسان متفوقا على مثيله العيلامى من حيث العدة والتشكيل والقيادة. ثالثا كانت أسلحة آشور متفوقة بمراحل على أسلحة عيلام. ورغم ذلك فقد كان العيلاميون رجال حرب أشداء وقاوموا الضغط الآشورى، ولذا لم يتمكن الآشوريون من التقدم، فتقهقروا وهذا يعنى الهزيمة. وتعرف هذه الحرب باسم حرب دورى لو (بين ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) نسبة إلى المكان الذى حدثت فيه.

تولى عرش الآشوريين بعد سارگن الثانى سيناخريب **Sinnacherib** وفى تلك الأثناء حاصروا كالدوس ملك عيلام وقتلوه. واستعادة من هذه الواقعة، دخل ملك آشور سهل وادى شوش عن طريق جنوب عيلام واستولى على أربع وثلاثين قلعة وبرجا وخربها وأسر أهلها وعاد بهم إلى آشور.

وفى تلك الأثناء اختار العيلاميون گودورنا خونتى **Kudur Nakhundi** ملكا عليهم. ولكنه تحصن بالمنطقة الجبلية، ولم يتخذ من الخطوات ما يحول دون تقدم الآشوريين الذين رأوا هذا الوضع فهاجموا ماراكتو فى إقليم الجبال، ولكن سرعان ما تقهقروا إلى آشور. لعدم صلاحية الأودية الجبلية للمرور لكثرة ما بها من أمطار وثلوج.

وقبض العيلاميون على گودورناخونتى لما أبداه من عدم اكرتات وقتلوه عام ٦٩٧ ق.م واختاروا بدلا منه أوم مان مينانو **Um Man Minanu** فأعاد هذا الملك تنظيم الجيش العيلامى وشد من أزره وأضحى قويا لدرجة أن البابليين سارعوا بالاتحاد مع العيلاميين للوقوف أمام الآشوريين، وأرسلوا للعيلاميين كثيرا مما

تحويه خزائن ألهة البابليين (أرباب الأنواع) لتجهيز الجيش العيلامى، ولذا كانت الحرب التى نشبت بعد ذلك دموية بصورة حادة.

وقد أبدى الطرفان بسالة فى القتال، ورغم مقتل السردار العيلامى فقد قاوم العيلاميون مقاومة شديدة وانتهت الحروب دون نتيجة وعاد الفريقان إلى موقعيهما.

تولى (أسود حيدون) عرش آشور بعد سينا خريب. وحينما رأى خالداش الثانى ملك عيلام أن ملك آشور مشغول فى أماكن أخرى، هاجم مملكة بابل وشن كثيرا من الغارات وتقدم حتى مدينة سيب پار ورجع إلى مدينة شوش محملا بالغنائم الكثيرة ٦٧٤ق.م حيث توفى بعد عدة أيام، وتولى أخوه اورتاكو Uriaku فاستقرت الروابط بين آشور وعيلام، وأسفر عن ذلك أن آشور ساعدت عيلام حين مسها القحط واستردت عيلام تمثال الإله سيب بار الذى كان جزءا من الغنائم.

وفى عهد حيدون وصلت آشور إلى أعلى درجة من القوة والمنعة، فلم تبق أية دولة لم تتبع الآشوريين فى آسيا غير عيلام.

آشوربانيبال وحروبه:

تولى بانيبال عرش آشور سنة ٦٦٩ق.م، وقد ركز كل قواته واهتمامه لإخماد ثورة المصريين وأفاد العيلاميون من هذا الموقف فأغاروا على مملكة بابل وحملوا منها الغنائم.

ولكن سرعان ما توفى أورتاكو، وتولى أخوه تى أوم مان Teumman وكان التغيير فى السلطة سببا فى مصائب لا حصر لها ذلك لأن الملك الجديد أراد قتل أبناء أخيه، فنتج عن ذلك فرار ستين أميرا من عيلام، ولجأوا إلى بلاط آشور حيث قابلهم ملك آشور بالأحضان حتى يستفيد من الحرب بين أفراد الأسرة المالكة فى إضعاف عيلام ثم يقضى عليهم جميعا.

وفى تلك الأثناء، طلب تى أومان من ملك الآشوريون إعادة الفارين إلى عيلام فأبى ونشبت الحرب. ولأن جيش آشور وصل سريعا إلى حدود عيلام ولم تكن قوى عيلام قد اكتملت بعد، فقد تقهقر الملك العيلامى حتى مدينة شوش ليكمل استعداداته على مهل، وحتى يحصل على مزيد من الوقت وتحين الفرصة المناسبة، وأرسل أحد قادته إلى القائد الآشورى لإجراء مفاوضات صلح بينهما، ولكن السرداد الآشورى أدرك ما يقصده السردار العيلامى فقتله حتى تبدأ الحرب.

فتحارب الطرفان حربا لا هوادة فيها فأنزلت آشور هزيمة بميسرة عيلام عند نهر كارون وأغرقوها مما دفع الملك العيلامى الذى كان يحارب بنفسه إلى شن حملات متتابعة على الجيش الآشورى حتى اعترته سائحة.

وحينما أراد الخروج من ميدان القتال أسر وقطع الآشوريون رأسه، وحملوها إلى نينوى وتعرف هذه الحرب بـ توليز Tulliz وكانت عام (٦٥٩ ق.م).

وحين وصلت أنباء هزيمة الجيش العيلامى شوش أسر مؤيدو الأمراء الفارين معارضتهم، وقيدوهم بالسلاسل، وأظهروا سرورهم بتلك الهزيمة، وبعد ذلك اختار الملك الآشورى الابن الأكبر لأورتاكو المسمى (خوم بان إيگاش) ملكا لعيلام، وأخذ الآشوريون الجزية من العيلاميين ورجعوا إلى نينوى.

وكانت هزيمة عيلام سبب احتفالات كثيرة فى آشور، لأن عيلام كانت الدولة الوحيدة التى تنافس آشور فى ذلك الوقت، والعدو اللدود المتوارث لها.

وبعد هذه الحرب هاجم (آشور بانبيال) أخاه الذى كان يحكم فى بابل، وبقي الملك العيلامى فى بداية الأمر محايدا، ولكن حين أراد الملك الآشورى من العيلاميين استعادة تمثال الإله نه نه ربة النوع للإله أرخ، وجد الملك العيلامى نفسه فى وضع لا يحسد عليه. ذلك أن هذا التمثال ظل فى شوش قرونا عديدة، وحيث إن العيلاميين قدسوه كثيرا لذا كانت إعادته أمرا صعبا عند الملك العيلامى

ومغائرا لما يجب فعله. وفي تلك الأثناء أرسلت بابل إلى ملك عيلام أموالا من خزائن آلهة البابليين، فأجبرت عيلام على الاتحاد معها نظراً لظروفها القاسية، وأجبت آشور الفتن والحروب الداخلية في الدولة العيلامية، ونتج عنها قيام تام مانتو Tam - Maritu باعتقال أخيه ملك عيلام ثم قتله، وتولى العرش مكانه، ولكنه بعد فترة شرب من نفس الكأس الذي أشربه أخاه. فقد ثار عليه أحد تابعيه ويعرف بـ إيند بغاش Inda- Bugasch مما اضطره إلى الفرار إلى الخليج بعد أن ذاق مرارة الهزيمة، وقبض عليه في نهاية الأمر. وحمل أسيرا إلى نينوى حيث عامله آشور بانيبال معاملة حسنة؛ لأنه كان يود إعادته إلى عيلام تنفيذاً لما يدور في خياله.

وبعد أن فرغ الملك من أمر بابل صمم على وضع حد لأمر عيلام، حتى يريح فكره من أمر هذا العدو اللدود. ولكن إيند بغاش الذي لم يتخذ ما يجب عليه من عون تجاه مدينة بابل، سارع بإرسال السفراء إلى ملك آشور بعد سقوط بابل فلم يحسن استقبالهم، وطالب بعودة الكلدانيين الذين كانوا قد هربوا إلى عيلام بعد ما قدموه من عون إبان ثورة البابليين.

وفي تلك الأثناء قتل الأشراف إيند بغاش وأجلسوا مكانه خوم بان كالداش Khumban - Kaldasch فاستفاد الملك الآشوري من تلك الظروف وأجلس تام مارى تو على عرش عيلام، ولكنه حين تولى السلطة، بدأ يدبر الثورة عند الآشوريين ويحرض عليهم.

ولكن أمره عرى قبل تنفيذه، وعلى أثر ذلك تم اعتقاله وإيداعه السجن وأغار الآشوريون على تلك المملكة وعادوا إلى نينوى محملين بالكثير من الغنائم.

سقوط عيلام:

وفى عام ٦٤٥ ق.م كان الملك الآشورى الذى لم يكن راضيا عن نتائج حروبه وغزواته يتنزع بحجة لحرب عيلام، وتحقيقا لهذا الهدف أرسل (تام مارى تو) إلى عيلام، وطلب من (خوم بان كالداش) إعادة الكلدانيين المشار إليهم وإعادة تمثال الإله نه نه، وكان قبول الملك العيلامى لهذا المطلب يساوى موته. ولذا عقد العزم على المقاومة. فهاجم الآشوريون شوش حيث استولوا ما وسعهم الاستيلاء على كل ما فى خزائن الملوك العيلاميين التى غنموها خلال الحروب السابقة من ذهب وفضة مما قدم البابليون إلى العيلاميين أثناء اتحادهما ونقل الآشوريون إلى نينوى، بالإضافة إلى ذلك تماثيل المعابد العيلامية وما بها من نفائس وما وجوه من ثروات داخل المنازل يضاف إلى هذا أن الآشوريين لم يكتفوا بالقتل والتخريب، بل استخرجوا عظام الموتى من الملوك وكبار العيلاميين من قبورهم، وأرسلوها إلى نينوى.

وكان سلوك الآشوريين فى عيلام من القسوة بحيث وصف أحد أبناء بنى إسرائيل هذه المملكة وما أصابها من النقتيل والتخريب بأنها أشبه بمقبرة (٣٦).

واستولى الملك الآشورى على تمثال الآلهة نه نه إلهة مدينة إرخ لمدة خمس وثلاثين وستمائة وألف سنة، وأعادته إلى مدينة إرخ. وبعد أن قتل الآشوريون من العيلاميين من قتلوا، وأغاروا وأخذوا من ثرواتهم ما أخذوا أسروا عددا كبيرا من أهالى مدينة شوش وغيرها من المدن.

وتمكنوا بعد فترة من القبض على (خوم بان كالداش) الذى كان قد نجح فى أن يفلت وهو آخر ملوك عيلام، وأوتقه آشور بانيبال هو (تام مارى تو) ملك عيلام بعربته وجر الاثنان العربية الملكية حتى معبد آشور و(إيش تار) إلهى آشور. وهذه ترجمة لنقش آشور بانيبال عن فتوحاته فى عيلام:

"ضممت مدينة شوش ومادغاتو ومدنا أخرى إلى آشور، واكتسحت الدولة العيلامية بأسرها في شهر ويوم وحرمت تلك المملكة من عبور الحشم والأغنام وأيضا من نغمات الموسيقى، وأذنت للوحوش والأفاعى وحيوانات الصحراء والغزلان أن يسكنوها.

وقد اشتهر بانبيال في التاريخ بأنه رتب مكتبة عثر عليها وحصل الباحثون من الآثار المذكورة على معلومات قيمة تتعلق بتاريخ آشور وما جاورها من ممالك. كما أن هذا الملك فضلا عن جمعه للألواح الآشورية، نقل اللوحات البابلية وحفظها. وتصل الألواح المذكورة إلى عدة آلاف، وهي الآن موجودة في المتحف البريطاني بلندن محل دراسة وتحقيق علمي.

الخاتمة:

وكما اتضح من تاريخ عيلام، فإن العيلاميين قد أحدثوا نوعاً من الحضارة والتقدم الصناعى، وتعهدوه بالتحسين. وأوجدوا لأنفسهم خطأ، وإن لم يستطيعوا إيجاد تنظيم سياسى لأنفسهم فى أى وقت يخرجهم من سمة ملوك الطوائف، وبخاصة سكان المنطقة الجبلية الذين كانوا دائماً يعيشون نصف مستقلين أو مستقلين استقلالاً تاماً. ومع هذا فقد حافظ العيلاميون على قوميتهم عدة آلاف من السنين ضد هجمات رجال أقوياء كالسومريين والأكاديين والدول القوية الأخرى كالبابلية والسومرية بل أنزلوا بهم أحياناً هزائم قاسية، ومع أن عيلام جثت على ركبتيها نتيجة لما أصابها من صراعات داخلية فقد ظلت صامدة.

وعلى كل حال فقد محيت الدولة العيلامية من الوجود عام ٦٤٥ ق.م، وطوتها يد النسيان بمرور الأيام، وبلغ ما أصابها من نسيان أن مؤرخى الشعوب القديمة كال يونانيين وغيرهم، لم يعلموا شيئاً عن تاريخها، وإلا ما قال استرابون العالم الجغرافى القديم أن كورش الكبير جعل عاصمته شوش لأن أهلها كانوا خاضعين دائماً إلى دول أخرى، وأنهم لم يحرزوا شيئاً يذكر.. ونلاحظ فى مالير^(٢٧) بختيار فى (شگفت سليمان) كثيراً من الآثار التى خلفها العيلاميون. ومما يدعو للأسف أن هذه الآثار قد خربت باستثناء ما لم تصل إليها يد التخريب والتدمير. وقد عثر الباحثون هناك على نقوش حجرية بارزة كتبت بالخط المسمارى الشوشى والإنزانى، ويعتقد الباحثون أنها ترجع إلى القرنين الثانى عشر ق.م، وقد وجد فى هذا المكان أعمدة بابلية عن القرن الخامس ق.م. وأختام ومسكوكات أشكانية وساسانية وأشياء أخرى كثيرة.

تاريخ آريى إيران

مقدمة

حين قدم الآريون إلى إيران انقسموا إلى طوائف وأقوام عدة، واحتل كل قوم أماكن من الهضبة الإيرانية، وعاشوا عيشة ملوك الطوائف؛ وأهم هذه الأقوام طبقاً للترتيب التاريخى ثلاثة أقوام:

الميديون - والبارسيون - والبارثيون. وقد شكل هؤلاء عبر التاريخ القديم دولا كبرى، وأنجزوا أعمالاً مهمة، وكانت هناك أقوام أخرى غير هذه الأقوام كالباخترين فى باختر، والكرمانيين فى كرمان، والركانيين فى جرجان، والهرخواتيين فى رنج (جنوب أفغانستان الحالية) وغيرهم مما سيرد ذكر كل منهم فى موقعه المناسب. ومن بين آريى إيران الذين عاشوا فى أطراف الهضبة الإيرانية، وبجوارها يجب الإشارة إلى قومين بصفة خاصة:

١- الأرائيين، الذين استوطنوا الولايات الواقعة بين أرس وكورا وبحر الخزر.

٢- الألائيين أو الآسيين الذين عاشوا خلف جبل القفقاز من الناحية الشمالية^(٢٨).

ويمكن تقسيم تاريخ آريى إيران إلى أربعة أقسام:

الأول: العصر القديم، الذى يبدأ من أواخر القرن الثامن ق.م، وينتهى فى منتصف القرن السابع الميلادى.

والثانى: ويعرف بالعهد المتوسط، ويمتد من منتصف القرن الأول الهجرى حتى بداية الحكم الصفوى. ويمكن تقسيم هذا العهد قسمين؛ الأول حتى ظهور المغول، والثانى من هجوم المغول على إيران حتى قيام الدولة الصفوية.

والعصر الثالث: يمكن تسميته بالجديد إلى حد ما، ويمتد من فترة الحكم الصفوى حتى بداية الانقلاب الدستورى فى إيران.

والعصر الرابع: ويمتد من الانقلاب الدستورى حتى اليوم.

ويمكن تقسيم تاريخ إيران القديم إلى مراحل تاريخية كذلك:

الأول: عصر الميديين.

والثانى: فترة الحكم الأول للفرس

والثالث: فترة الحكم المقدونى والسلوكى

والرابع: فترة حكم ألبرت.

والخامس: الفترة الثانية لحكم الفرس، ويمكن أن نوضح تاريخ هذه المراحل الطويلة التى تمتد أربعة عشر قرنا طبقا لنوعين من المصادر.

الأول: نستطيع أن نتبين أحداثه ووقائعه طبقا لما كتبه المؤرخون الأجانب بطريق مباشر أو غير مباشر، والنقوش التى خلفها الملوك الأكمينيون والساسانيون والكتب الدينية وغير الدينية التى خلفها آريوايران، والمسكوكات وما أسفرت عنه الحفريات التى أجريت فى المناطق التاريخية فى الدول الآسيوية والإفريقية القديمة.

أما المصدر الثانى فيتمثل فى القصص التى تناولتها وحفظتها الصدور جيلا بعد جيل، والتى جمعت فى العصر الساسانى ثم دونت وأضحت مصدرا للتأليف فى القرون الإسلامية. وأشهر تلك الأعمال ما أبدعه أبو القاسم الفردوسى الطوسى فى قمة أعماله وهى الشاهنامه. ومن الواضح أن المصدر الأول تعلق كفته وتتفوق على المصدر الثانى من حيث الأصالة والصدق التاريخى. أما المصدر الثانى وهو القصص فقد تناولتها الأجيال جيلا بعد جيل شفاهة، وأضفت عليها كثيرا من الزيادات والإضافات. ففقد الصدق وضاعت الحقائق التاريخية فيها. وذلك أن

أحداثًا كثيرة لفترات معينة أضيفت ونسبت إلى فترة أخرى، ونقلت أسماء أشخاص من فترة لأخرى دون أدنى التفات، وكثير من الوقائع المهمة والملوك العظام كانت في هذا القصص نسبيًا منسيا.

ومن هنا يتضح أننا لكي نتحرى الدقة والصدق في التأريخ لإيران القديمة لا بد لنا من الاعتماد على المصدر الأول ثم ننظر بعد ذلك في القصص القديم علنا بمقارنتها مع التاريخ، نستطيع أن نصل إلى تصور كلي له.

أما فيما يتعلق بالمصدر الأول، فيجب القول بأنه قبل أن يتمكن المستشرقون من قراءة النقوش الإيرانية والآشورية والبابلية والمصرية وغيرها، وقبل إجراء الحفائر في الأماكن التاريخية، كان ما كتبه المؤرخون اليونان والرومان والأرمن والعرب المصدر الوحيد للتأريخ لإيران في عهدها القديمة. ولكن منذ حدوث هذا التقدم المذكور، اتضحت كثير من الحقائق، وصححت بعض الأحداث والأسماء الخاصة بالملوك وكبار رجالات إيران التي أخطأ اليونان في كتابتها وفقا للغاتهم، فنعرفها الآن بأسمائها الصحيحة.

وقد راعينا في هذا الكتاب هذا النهج الذي يقوم على ذكر أسماء الملوك والرجال والأماكن طبقا لما أوردته النقوش والألواح القديمة التي عثر عليها، فإذا لم يتوفر ذلك كتبناها كما كتبها المؤرخون القدامى. ويجب أن نقر بأننا لم نقف على تاريخ إيران القديم تمام الوقوف لأن المؤرخين اليونان والرومان وغيرهم؛ ذكروا الوقائع التي ترتبط بدولهم مع إيران أو التي حدثت على حدود إيران الغربية. وكم من الحوادث حدثت داخل إيران أو على حدودها الشمالية أو الشرقية وطوتها يد النسيان. ورغم هذا فإن الأبحاث والحفريات المتتابعة تجعلنا نأمل بأن تاريخ إيران القديم سيصبح أكثر وضوحًا مما هو عليه الآن، وبخاصة بعد الانتهاء من الحفائر العلمية التي تجرى في الأماكن التاريخية بإيران^(٢٩).

ما خلفه اليونان القدماء عن تاريخ إيران القديم:

خلف كثير من المؤلفين اليونان وغيرهم كتباً تتعلق بتاريخ إيران القديم، وسيأتى ذكر كل واحد منهم فى موضعه، ولكن لأن هذا الكتاب يضم بين دفتيه أسماء كثير من المؤرخين اليونان، نرى لزماً علينا التعريف بهم مقدماً ولو بصورة مختصرة، وأشهر هؤلاء هم:

١- هيرودوت المؤرخ اليونانى الملقب بأبى التاريخ، وهو من أهالى هاليكارناس المستعمرة اليونانية بأسيا الصغرى والتي كانت تابعة لإيران، عاش من عام ٤٨٤ق.م إلى ٤٢٥ق.م. وقد جاب هذا المؤرخ ممالك الشرق فى سياحات متعددة، وكتب عن تاريخها. أما ما كتبه عن تاريخ إيران فإننا إذا تجاوزنا عما فيه من تصحيف فى كتابة الأسماء، وما سجله من جانب أسطورى، وإذا أخذنا فى الاعتبار أنه فى نهاية الأمر رجل يونانى، وأنه كان غير راض عن سيطرة الإيرانيين على موطنه، نرى أن كتاباته على الرغم من كل ما سبق ليست بعيدة تماماً عن الصواب؛ لأن نقوش دارا وسائر النقوش والتحقيقات التى أجريت تؤيد أقواله فى كثير من الأحيان^(٤٠).

٢- كتبه زياس Ktesias مؤرخ يونانى: كان طبيبياً لأردشير الثانى ذا حافظة قوية. كتب تاريخ إيران والهند، ولكن كتاباته عن تاريخ إيران ليست جديرة بالاهتمام سوى تاريخه للفترة التى عاصرها.

٣- كزنفون Xenophon المؤرخ اليونانى الذى عاش من ٤٣٠ إلى ٣٥٢ق.م وكان من تلاميذ الفيلسوف سقراط، وخلف كثيراً من المؤلفات من بينها كتاب ألفه عن حرب كورس الصغير بعد تقهقر عشرة آلاف جندي يونانى بعد قتله فى كوناكسا، وكتاب ألفه فى تربية الأطفال والشباب ويعرف بـ كوروبدى أو سيروبدي أى (تربية كورس) لأنه طبقاً لخياله قد انتخب كورس الكبير.

٤- بلوتارك **Plutarque** المؤرخ اليونانى الذى عاش من ٥٠ إلى ١٢٥م، وكتب كتابا عن مشاهير الرجال عند اليونان والرومان، ويتعلق جزء من هذا الكتاب بتاريخ إيران.

٥- استرابون **Strabon** العالم الجغرافى اليونانى الشهير، الذى ولد فى إحدى ولايات آسيا الصغرى المعروفة بكابادوكيه وتوفى فى أوائل القرن الأول الميلادى. وقد كتب هذا العالم كتابا فى جغرافية العالم آنذاك، ويعد أحد الكتب النفيسة، ذات الفائدة التاريخية الجمة.

الباب الأول دورة الميديين^(٤١)

مقدمة

الميديون أقوام آرية الجنس، أسسوا مملكة الميديين في بداية القرن السابع ق.م، وليس معلوما يقينا متى قدم هؤلاء إلى إيران، واستوطنوا أنزبيجان وكرديستان الحالية. ويغلب على الظن أنهم قدموا إيران في القرن العاشر ق.م. ويعتقد برُس^(٤٢) المؤرخ الكلداني أن الميديين في الأزمنة الغابرة قد سيطروا على بابل واستمر حكمهم بها ٢٢٤ سنة. ولكن الباحثين يعتقدون أن شعبا قد غادر الهضبة الإيرانية واستولى على بابل، وأن برس سمي هذا الشعب في القرون التالية باسم ماد نسبة إلى موطنهم. وقد أطلق سلم نصر الثالث - الذي توجه في عام ٨٢٧ ق.م إلى منطقة كردستان لشن حرب عليها - اسمين على نوعين من الأقوام: الأول (پارسوا) والثاني (آماداي). وكما يقول هذا الملك فإن القوم الأول استوطن منطقة الجبال الممتدة بين نهر زهاب ودياله، واستوطن الشعب الآخر الأودية والسهول المحيطة بتلك المنطقة.

وشعب الأماديين هو الشعب الميدي؛ لأن الآشوريين في الأزمنة اللاحقة كانوا يطلقون عليه هذا الاسم (أي الميديين). وظل الميديون تابعين للآشوريين زمنا طويلا، وقد تكررت غزوات الآشوريين وحملاتهم على منطقة كردستان والمناطق المجاورة لها. كما أشار إلى ذلك (شمشى أداد) الرابع (٨٢٤ - ٨١٢ ق.م) حين ذكر اسم الميديين بين الدول الخاضعة للآشوريين التي تؤدي لهم الجزية. وفي عام ٧٤٤ ق.م حارب (تيكلت پيلير) الثالث الميديين وأخضع جميع طوائفهم وأسر ستين ألفا وعاد إلى عاصمته (كالاها) محملا بالعديد من الغنائم من الخراف والجمال وغيرها. وأغار أحد قادته على المناطق المجاورة حتى جبل دماوند واعتقد أن هذا الجبل آخر الدنيا.

وفى عام ٧٢٢ ق. م حارب ساركَن الثانى الفلسطينيين وأسر شعب بنى إسرائيل، وأرسل عدداً من الأسرى إلى المدن الميديّة، وبعد فترة حارب هذا الملك أيضاً شعب (مان ناى) الذى سكن آذربيجان والشاطئ الجنوبي من بحيرة أورميه، وأسر رئيس هذا الشعب الذى كان يسمى (ديا أكو) وبعث به إلى الشام عام ٧١٥ ق.م. ويعتقد الآشوريون أن هذا الشعب كانت له صلوات قريى مع الميديين.

وإبان حكم الملك (أسور حيددين) عبر الجيش الآشورى دماوند حتى وصل إلى حافة الصحراء الكبرى وغنم مغانم كثيرة، وأسر ملكين يعرفان - (سى دبرپارنا) و(إپارنا)، وتوجه الملوك الآخرون إلى نينوى حاملين الهدايا إلى الملك الآشورى طالبين منه الحماية. وكان من بين الهدايا كثير من اللازورد. وكان اللازورد الإيرانى ينعم بشهرة فائقة، وقد حمل الآشوريون من منطقة دماوند كثيرا منه. ويذكر هيرودوت أن الميديين كانوا يسمون قديما باسم الأريان أى الأريانيين، ثم أطلقوا على أنفسهم بعد ذلك اسم الميديين. وقد كتب هذا المؤرخ أن هذا الشعب انقسم إلى ست طوائف^(٤٣).

وكان الميديون يملكون الكثير من العبيد والأنعام، وكانوا يعملون بالرعى ويتحركون فى عربات. وكان الأب الرئيس المطلق للعائلة التى تتكون من عدد من الزوجات، وكانوا يعرفون الذهب والفضة، ويعرفون أيضاً نوعاً من الصناعة البدائية شديدة الخشونة. وبعد أن استقروا فى موطنهم (آذربايجان وكرستان وغيرهما) مارسوا الزراعة واستوطنوا المدن. وعلى الرغم من هذا فقد كانوا يعيشون متباعدين، وإنما يتحدون فى أوقات الخطر والمحن. ويذكر هيرودوت أن الميديين ظلوا تابعين لآشور خمسمائة عام، ولكن طبقاً للنفوس الآشورية فإن هذه التبعية لا تتجاوز قرنين من الزمان فيما يبدو. وفيما يتعلق بتاريخ الميديين فيين كتابات هيرودوت وكترياس تباين، لأن ما كتبه كترياس غير جدير بالتصديق، لذا تابعنا ما كتبه هيرودوت.. ويمكن أن نخلص من كتابة كترياس أنه ذكر أسماء الأمراء الميديين أيام أن كانوا ملوك طوائف، وأنه نتيجة لذلك أضافهم إلى أسماء الملوك^(٤٤).

الفصل الأول

الملوك الميديون

ديا أكو وتأسيس دولة الميديين:

كما يتضح مما كتبه هيرودوت فإن شخصا يعرف باسم ديوكس بن فرا أرتس وكان دهقانا - كان محل تقدير واحترام ومشورة العامة لما تميز به من العدل والإنصاف - أى أن الناس كانوا يلجأون إليه لفض ما شجر بينهم من منازعات وخصومات، ثم تخطى عن كل ذلك متعللا بأنه لا يستطيع الفصل فى الأمور الشخصية أو التدخل فيها، عندئذ زادت السرقات والجرائم؛ فاجتمع الناس وعينوه ملكا عليهم، فعين له مستحفظين واختار مكانا يعرف بإكباتان عاصمة له (وردت فى النقوش الآشورية أمدانا وكتبت فى النقوش الهخمانشية هنك متان أى مكان الاجتماع وتعرف الآن بهمدان) وكانت هذه المدينة موجودة قبل ديوكس أيضا ودمرها السلاطين الآشوريون فى القرن الثانى عشر ق.م.^(٤٥) ولكن هذا الملك أعاد إليها رونقها وجعل منها مدينة جديدة وأحاطها بسبعة أسوار يعلو كل جدار منها الآخر، ويشرف ويسمو الجدار الداخلى الأخير منها على باقيها. وشيدوا قصر الملك فى القلعة السابعة وزينت وطلبت أبراجها باللون الذهبى؛ وخطت أبراج سائر الجدران بألوان مختلفة. وكانت هذه الألوان فى بابل تمثل الكواكب السيارة السبعة^(٤٦) وكانت تقليدا فى هذه المدينة.

وتقليدا لما كان عليه الحال فى بلاط الآشوريين فقد سن ديوكس قوانين ومراسم للاستقبال ومن ذلك مثلا: لم تكن مقابلة الملك وجها لوجه جائزة بل كانت الطلبات تقدم إلى شخص معين.

وقد حكم هذا الملك من ٧٠٨ أو ٧٠١ إلى ٦٥٥ ق.م. وقد بذل قصارى جهده فى تلك الفترة الطويلة فى تجميع طوائف الميديين وتوحيدهم، وكان رجلا

سعيد الحظ ومن ذلك أن سلطان الآشوريين (سينا خريب) قد شغل بابل وعليلام، ولأن مملكة الميديين كانت تؤدي ما عليها من جزية للآشوريين بصورة منتظمة، فلم يكن لدى الآشوريين أى مبرر للتدخل فى شئون الميديين ومملكتهم.

فرورتيش (٦٥٥ - ٦٣٣ ق.م) أو فرآ أرتس كما يقول اليونانيون، تولى العرش بعد أبيه، واقتفى أثر والده فى الحفاظ على العلاقات الودية مع الآشوريين ولكنه من الناحية الشرقية أخضع أقواما آخرين كانوا من الجنس الآرى وكانت لهم صلات قريى مع الميديين. كما أخضع فارس فى ذلك الوقت لمملكته، ولكن الميديين بعد أن أحرزوا ما أحرزوا من انتصارات فى المشرق أرادوا الخلاص من قيد الآشوريين والامتناع عن دفع الجزية، ولكن جيشهم غير المدرب لم يستطع مواجهة جيش الآشوريين المثالى الذى اكتسب خبرة فى حروبه مع العيلاميين، فلقى الهزيمة وقتل الملك أيضا عام ٦٣٣ ق.م.

هووخ شتر (يسميه اليونانيون كيا كسان):

استفاد هذا الملك من هزيمة فروتيش وأدرك أن الجيش غير النظامى الذى تدفع به الطوائف والشعوب الخاضعة له لا يمكن له أن يواجه أو يقاوم جيش الآشوريين المثالى، ولذا وجه اعتماده إلى تكوين جيش دائم وقسمه إلى الرجالة والأساورة.

وكان الرجالة مسلحين بالسهم والأقواس والسيوف، ويذكر المؤرخون أن الأساورة الميديين كانوا أرقى من أساورة آشور، لأن أساورة الميديين يتميزون بالمهارة الفائقة فى رمى السهم أثناء حركة الجياد فى كرها وفرها.

كما كانت الجياد الميديية ذات شهرة طبقت آفاق العالم القديم لما امتازت به من الطاقة والتحمل والسرعة وجمال المنظر والرشاقة.

وبعد الفراغ من إعداد مثل هذا الجيش حارب (هوخو شتر) الآشوريين وهزمهم بعد مقاومة شديدة من جانبهم، ولم يمض وقت طويل حتى حاصر مدينة نينوى وأخذت تلك المدينة في الاستسلام بعد فترة نتيجة لما أصابها من جوع.

ولكن إبان ذلك ترامت إلى مسمع هووخو شتر أنباء إغارة السكا^(٤٧) (السيث) على الناحية الشمالية لمملكة الميديين بعد عبورهم جبال القفقاز فأوقف حصار المدينة (نينوى) وعاد إلى مملكة الميديين للدفاع عنها والحيلولة بين السكا وبين الاستيلاء عليها وحاربهم حربا ضروسا في شمال بحيرة أورميه. ولكنه هزم واضطر إلى الإذعان لشروطهم، بعد ذلك تعرضت مملكة الميديين والممالك المجاورة لها لهجمات السكا وإغاراتهم التي امتدت - كما ذكر المؤرخون - إلى بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط)، وبقى السكا في أرض ماد ثمانية وعشرين عاما؛ ثم أقام هووخو شتر وليمة دعائها ملكهم ورؤساءهم وأسكرهم فيها ثم قتلهم عن بكرة أبيهم وطرد بعد ذلك السكا عن إيران في سنة ٦١٥ ق.م.

في تلك الأثناء أعلن (نوبولاس سار) الحاكم الآشوري لمدينة بابل - نفسه سلطانا على تلك المدينة. واتحد مع هووخو شتر وحاصرا مدينة نينوى.. وحين رأى ملك آشور ساراكن أنه لا جدوى من المقاومة، أشعل نارا صالية حرق فيها نفسه وأسرتة وتم الاستيلاء على هذه المدينة الشهيرة في تاريخ العالم القديم وكانت من كبريات المدن.

وخربت نينوى حتى لم يبق منها سوى خرائب وأطلال، وكان ذلك عام (٦٠٦ ق.م) وبعد ذلك تقاسم المتحذان الممالك الآشورية على النحو التالي: أصبحت ممتلكات الآشوريين في آسيا الصغرى من نصيب الميديين، وأصبحت الشام وفلسطين جزءا من بابل، وبعد ذلك طرد بخت النصر المصريين الذين كانوا قد احتلوا المملكتين (الشام وفلسطين) مستفيدين من هزيمة آشور.

ولم تتفصم عرى الاتحاد بين الميديين والبابليين بعد سقوط نينوى بل ازدادت أواصر الاتحاد بينهما بتزويج الملك الميدي لبيته لولى عهد بابل بخت النصر. وانقراض الأشوريين بهذه السرعة بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه في عهد (أسور بانيبال) أمر يثير الحيرة. حقا إنه بعد أربعين سنة من قضائهم على الدولة العيلامية وإزالتها من صفحة الوجود قد تم محوهم وطوتهم يد النسيان كذلك لدرجة أنه بعد مرور قرنين من الزمان؛ حين كانت الجيوش اليونانية بقيادة كزنفون تعبر أطلال مدينتي كالا و نينوى كان المرشدون يطلقون على موقع هاتين العاصمتين صاحبتى الشهرة للدولة الأشورية القوية اسم لاريساوميسبي لا؛ ولم يكن يجول بخاطرهم أن مصائر الملل والشعوب والحل والعقد كانت تقرر فى وقت من الأوقات فى تلك الأماكن.

والسبب فى هذا النسيان معروف، ذلك أنه على الرغم مما ارتكبه المصريون والبابليون إبان فتوحاتهم من سفك للدماء والقسوة، فإن البابليين قد خلفوا لمن أتوا بعدهم من الأمم والشعوب قوانين وعلوم وصناعات، وترك المصريون أبنية لا تزال شامخة حتى اليوم وتبعث على الحيرة، أما آشور – مع أنها كانت دولة ذات صناعات – إلا أنها لم تعط للشعوب التى خضعت لها شيئا سوى الخراب والدمار والأسر، ولذا فقد تلقى تلك الشعوب والأقوام خبر انهيارها بفرح بالغ وسرعان ما تناست تاريخها القديم المملوء بالمحن والآلام على يديها.

وتمكن الميديون بسهولة من الاستيلاء على بلاد أرمينيا وكبادوكيه الواقعة فى الناحية الشرقية من آسيا الصغرى، وذلك نظرا لما أصابها من وهن وضعف من جراء غارات السكا.

وبعد ذلك اصطدم الميديون إبان تقدمهم بدولة الليديين وكانت دولة قوية آنذاك، ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الدولتان فى حرب معا...

ليديا

مملكة تقع في الطرف الغربي من آسيا الصغرى التي كان حدها الشمالي آنذاك البحر الأسود وبحر مرمرة. وحدها الجنوبي بحر المغرب؛ وحدها من ناحية المغرب بحر الجزائر ومن الشرق نهر هاليس (قزل ايرماق الحالية).

وكان الباحثون يعتقدون فيما مضى أن الليديين من الجنس السامى، ولكن اتضح الآن أنهم لم يكونوا ساميين ولا آريين وأن جنسهم الذى ينتسبون إليه غير معروف إلى أن توضح البعثة العلمية الأمريكية التى تجرى أبحاثها وحفرياتها فى سارد هذه المسألة.

وعلى أية حال فمن المحقق أن أقواما كانت تعرف بالفريكيين كانوا يعيشون فى القرنين العاشر والتاسع ق. م وأنهم كانوا على صلة قرابة من ناحية الجنس مع اليونانيين، وأنهم قد هاجموا هذه المملكة من ناحية تراقية Thrace وسيطروا عليها وأقاموا بها حكم عدد من الملوك عرفوا بالهراكلبيين (هرقلين) Heraclides وامتزج الفريكيون مع السكان الأصليين. ومنذ ذلك الوقت قوى ساعد الليديين وأسسوا أسرة حاكمة بعد الهراكلبيين عرفت باسم (مرمناد) وكان مؤسس تلك الأسرة يسمى زيگ Giges الذى شد عود تلك الدولة الليدية وطرد الكيمريين Gimmerines الذين هاجموا مملكة الليديين من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية بعد معارك طويلة عام ٦٦٧ ق.م. وبلغت دولة الليديين أعلى درجة من الرقى فى عهد آليات Aliyattes (٦١٢-٥٦٣ ق م)، ذلك أن هذا الملك وضع حدا لهجمات السكا وهزم اليونانيين الذين كانوا قد احتلوا شاطئ البحر والأنهار، وسيطروا على أمور التجارة وضم إلى مملكة الليديين مدينتين كبيرتين هما أزمير وكلوفن.

وقد أضحت هذه المملكة واحدة من الممالك الأهلة بالسكان الغنية بالثروات لما تميزت به من موقع جغرافى، بين ممالك آشور وبابل وفينيقية من ناحية، والممالك القريبة من ناحية أخرى ولقربها من البحار كذلك.

ومع أن الليديين لم يكونوا رجال حرب وغزو فإنهم كانوا يملكون أساورة نظاميين عظام. وقد أضحوا قمة أساورة ذلك العصر نظراً لأن رجال الحرب اليونانيين والجنود المرتزقة - وكانوا فى غالب الأمر من اليونانيين كذلك - كانوا يتولون الإشراف على تكوين جيش الفرسان الليدى ويشرفون على تدريباته.

ويوضح ذلك أن الدولة الليدية حين وجد (هوخ شتر) المبرر لشن الحرب عليها ووجد ذلك حين قتل عدد من الأفراد السكانيين - وكانوا فى خدمة دولة الميديين - عدة أفراد من الميديين، هربوا إلى آليات (ملك الليديين) الذى رفض إعادتهم إلى ملك الميديين، ووقعت الحرب بين الطرفين، وكان الجيش الميذى أكثر عدة من الجيش الليدى، ولكن الجنود المرتزقة اليونانيين كانوا مدربين على درجة عالية؛ فضلاً عما سبقت الإشارة إليه من امتلاك الليديين لفرقة من الأساورة قوية؛ نتج عن ذلك أن هذه الحرب امتدت دون إحراز تقدم من قبل الميديين ست سنوات.

وفى السنة السابعة حدث كسوف كلى للشمس، حدد المؤرخون تاريخه فى ٢٨ من مايو سنة ٥٨٥ ق.م، وقد تنبأ به طالس الفيلسوف اليونانى.. وقد أحدث هذا الكسوف تأثيراً من الدهشة بين الجنود فى الطرفين؛ واعتبروا ذلك دليلاً على غضب الإله، وبعد ذلك تدخل بخت النصر ملك بابل للفصل بين الطرفين وأصبحت روهاليس الحد الفصل بين الدولتين. وتزوج واخ وويغو بن - ملك الميديين ابنة ملك ليديا (المسماه Aryenis) عام ٥٨٥ ق.م، وتوفى (هوخ شتر) بعد عام واحد من ذلك (٥٨٤ ق.م) وكان ملكاً عاقلاً قوى الإرادة وسياسياً بارعاً، لم يتطرق اليأس إليه مما لحقه من هزائم فى بداية الأمر من قبل شعوب السكا، وبذل قصارى جهده للتغلب على ما صادفه من عقبات حتى جعل من الدولة

الميدية أكبر دول ذلك الزمان. وكانت حدائقها المعلقة واحدة من عجائب العصر القديم السابع. وينسبونها خطأ إلى سميراميس ملكة آشور وكان بخت النصر قد اختار ابنة ملك الميديين زوجة له.

وقد شيد بخت النصر سدا بين دجلة والفرات للحفاظ على بابل من الناحية الشمالية، وسمى هذا السد باسم حائط الميديين، وكان قد أقام سداً آخر للحفاظ على بابل من الناحية الجنوبية. ومن هنا يتضح أن بابل كانت تنظر إلى دولة ماد أو دولة الميديين المتحدة معها نظرة خوف وضجر.

ايختو ويكو (وقد أسماه اليونانيون أستياك) (٤٨)

حكم هذا الملك بعد والده مدة طويلة واختار نظام البلاط الآشوري أساساً لنظام بلاطه. وقد زاد من وسائل وأسباب العظمة والأبهة وكانت كلها تقليداً للآشوريين، ولكن الشعب لم يكن راضياً عنه لدرجة أنه حين خرج عليه كوروش الهخامنشى تركه الميديون وانضموا إلى الفرس، وخضعت غالبية تلك المملكة إلى فارس ٥٥٠ ق.م. وسيأتي ذكر هذه الواقعة في موقعها، وفي النهاية لابد من القول بأن مملكة الميديين^(٤٩) في البداية — كما يتضح من تاريخها كانت تتكون من أذربايجان وكردستان والعراق العجمي ولكنها بعد اتساعها امتدت من رودها ليس حتى باختر ومن بحر الخزر حتى فارس وخوزستان. وبعد ذلك قال الجغرافيون القدامى بمملكتين: ماد الكبرى التي كانت تعرف بالعراق العجمي^(٥٠)، وماد الصغرى التي كانت تطلق على أذربايجان في العصر القديم.

الفصل الثانی

حضارة المیدیین

ليس لدينا معلومات وافية عن حضارة الميديين، ولعل من أسباب ذلك أن النقوش التي دونت إبان عصور الميديين لم يكشف النقاب عنها بعد مما ييسر معرفة لغتها وخطها ومعتقداتها وصناعاتها وأشياء أخرى تتيح لنا كثيراً من المعرفة، كما أنه لم يبق من الآثار شيء من الأبنية والعمارات؛ وإن اكتشفت فقط بعض دخمات في بعض الأماكن من إيران، يعتقد المختصون أنها تتعلق بلغة الميديين وترتبط بها. ولا نعلم شيئاً عن نظم تلك الدولة سوى أن هووخ شتر قد كون جيشاً منظماً، وأن بعض الملوك الميديين قلدوا كثيراً من النظم المتبعة في بلاط الآشوريين، وزادوا عليها. ولكن الاحتمال القوي يتجه إلى الاعتقاد بأن الميديين كانوا على درجة كبيرة من الرقي والحضارة، لأن الفرس اقتبسوا الكثير من الميديين حتى ثياب الجنود.

ولم يعثر على أية وثيقة عن لغة الميديين. يقول نولدكه: إذا توفرت لدينا نقوش فإنني أظن أنها ستكون مماثلة لنقوش الملوك الهخمانشيين من ناحية اللغة والخط.

ويعتقد دار مستر أن الأوستا (كتاب زرادشت المقدس) قد كتب باللغة الميديّة. وعلى أية حال فليس هناك شك في أن لغة الميديين كانت لغة واحدة تقريباً مع اللغة الفارسية القديمة، وكان بينهما تفاوت بسيط، وذلك أن الفرس والميديين إبان عهد استرابون كانوا يفهمون فهما جيداً لغة أي منهما.

ويعتقد بعض الباحثين أن اللغة الكردية الحالية مشتقة من اللغة الميديّة.

أما عن ديانة الميديين فلم تتوافر لنا معلومات عنها كذلك، ويتضح مما ذكره هيرودوت أن المغان كانت طائفة من طوائف الميديين الستة، ولكن أي مذهب كانوا به يدينون فلا يمكن إيراد قول جازم بشأنه.

ويعتقد بعض الباحثين أنه من الجائز أن تكون عبادة هرمزد كانت شائعة بين الميديين ولكن المغان حرفوها بخرافاتهم وسحروهم .

وزرادشت الذى كان من الميديين أراد إصلاح عقيدتهم ولكن المغان لم يقبلوا ذلك، فهاجر موطنه واتجه إلى الغرب حيث نشر مذهبه فيه وفى سيستان.

وهكذا يترأى لنا تماما أن الملوك الميديين كانوا قد اعتنقوا مذهب المغان مذهباً رسمياً لهم وأرسوا قواعده، ثم إنه بعد انقراض دولة الميديين وما أعقب ذلك من تغييرات حافظ المغان على مكانتهم، وبناء على هذا فإن الاحتمال القوى هو أن عظمة قوة الميديين قد أثرت تأثيراً كبيراً ومهما فى عقيدة المغان وتطورها. ومهما يكن فقد كان هناك تشابه بين الميديين والفرس فى كثير من الأشياء، ولم يكن هناك اختلاف جنى بينهما .

وهكذا فقد اعتبر المؤرخون اليونانيون انقراض دولة الميديين وظهور دولة الفرس من الأمور الداخلية لإيران، وأطلقوا على الحروب الإيرانية مع اليونانيين اسم الحروب الميديية، واستعملوا كلمة ماد بدلا من كلمة فارس لمدة قرن من الزمان بعد انقراض دولة الميديين.

وكان فن المعمار الميدي أقدم من نظيره الهخامنشى وأحدث ممن سبقه من فن معمارى محلى (أى فترة ما قبل قدوم الميديين إلى إيران)، ويظن أن الميديين قلدوا فى فنهم المعمارى فن وان^(٥١).

وينسب إلى الميديين آثار على النحو التالي:

١- تمثال أسد نحت من الحجر وهو على مقربة من همدان^(٥٢).

٢- وعلى مقربة من سربل بين قصر شيرين وكرمانشاه دخمة^(٥٣) نحتت فى قطعة حجرية كبيرة، وتعرف بد كان داود، وعلى هذا الحجر نقشوا صورة

بارزة لرجل يقف فى خشوع وفى يده مجموعة من جذوع شجرة قد ربطت بسعف من النخيل (برسم)، وثياب هذا الرجل ميديية.

٣- دخمة صحن قرب كرما نشاه، حفرت أعلاها صورة لأهورا مازدا.

٤- وتوجد دخمة فى ديران لرستان قرب سرپل تعرف بحجرة فرهاد وقد بقيت غير مكتملة.

٥- يوجد على مقربة من كرمانشاه فى قرية نواسحق فى دخمة حجرية صغيرة عليها نقش بارز يصور شخصا يتعبد^(٥٤).

وانقراض الدولة الميديية من الأمور التى تبعث على الحيرة، وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات اللازمة لدينا لانقراضها بتلك السرعة؛ لكن يمكن استنباط شيء مما يتوافر لنا من الصورة العامة؛ وهو أن الميديين كانوا دولة قوية وصلوا إلى قدر كبير من الثراء، وأن عظماء تلك الدولة قد رفلوا فى حلل من الأبهة والنعم، فهان أمرهم ووهنت عزائمهم، كما كانوا يسرفون فى الإنفاق على مظاهر البلاط؛ مما أوجب فرض ضرائب جديدة، فعم الظلم وثار السخط بين الناس. مما جعل الميديين لا يستطيعون مواجهة الفرس المتوثبين الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة ويتحلون بأخلاق طيبة، وبخاصة وأن الفترة المديية لحكم (ايخ تو ويگو) تمتعت بسلام وأمان، بينما كان الجيش الميدي قد ضعف ووهنت قوته نتيجة للحروب التى خاضها مع الآشوريين والسكا.

ويجب أن نشير فى ختام هذا الباب إلى نقطة مهمة وهى أن ازدهار دولة الميديين على الرغم من قصر عمرها يعد أمراً مهماً فى تاريخ العالم القديم، فهذه أول مرة فى التاريخ يغلب فيها الميديون الآريون الشعوب السامية فى آسيا الغربية ويهيئون لشعب آريانى آخر التمكن من الحكم فى ذلك الزمان، وسنبين ذلك بوضوح فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

الهوامش

١- ذكر الجغرافيون العرب وغيرهم اسم هذه البحيرة أورميه، وسميت فى الروايات الإيرانية القديمة جى جست أو جى گست.

٢- العقدة: مقياس من ٢٢ إلى ٢٨ سنتيمتر أى ١/١٦ من الذراع.

٣- كان هذا النهر يصب فى بحر الخزر فى عهد الإسكندر. وكانت السفن التجارية تبحر من نهر جيحون إلى هذا البحر، وعن هذا الطريق يسير إلى نهر كوروش أو كوراي الحالى (نهر الكر) ثم غير هذا النهر مجراه ليصب فى بحر آرال. وإبان الغزو المغولى عام ١٢٢٠ م لتخريب مدينة أركنج عاصمة خوارزم حولوا مجرى النهر إلى هذه المدينة ونتيجة لذلك عاد مجرى نهر جيحون مجراه السابق وظل على هذا النحو ثلاثة قرون ثم غير مجراه مرة أخرى ليصب فى بحر الأرال وهو على هذا الآن.

٤- يطلق الأوروبيون عليه اسم كاسبين اشتقاقاً من اسم سكان غرب إيران المعروفين باسم (كاس سو) التى تكون فى صيغة الجمع (كاسب) ويسميه الجغرافيون العرب قزوين.

٥- عمق بحر الخزر فى الشمال ٤٠ متراً وفى الجنوب ٩٥٠ متراً.

٦- كان هذا قبل اكتشاف النفط فى إيران الذى تزايد بمرور الأعوام حتى وصل الإنتاج اليومي عام ١٩٧٥ ٢٥٣٣ شاهنشاهى ٥,٣٤٩,٤٧٨ برميل يومياً (المترجم) ارجع إلى تحولات صنعت نفث در دوران شاهنشاهى بهلوى ٢٥٣٥ شاهنشاهى كذلك، فإن العمل على استخراج ما فى أرض

إيران من المعادن يجرى على قدم وساق فى العهد الحاضر وتفيد منه إيران فائدة عظيمة.

٧- وكما قلنا فهذا الكلام قبل النهضة الحالية التى بدأت فى عصر الشاهنشاه رضا بهلوى الكبير ثم تطورت إلى غاية المجد فى عهد الشاهنشاه همايون أريا مهر.

٨- حلوان، إحدى القلاع فى جبال كردستان على مقربة من كركوك.

٩- كان هذا وقت تأليف الكتاب أما الآن فإن سكان إيران ٣٠ مليوناً.

١٠- ذكر دارا هذه الشعبية فى نقشه باسم (السك) و (سكا) وكلاهما صحيح، وطبقاً لما يرويه كريستنن فهم من الإيرانيين الشماليين، لأن لغتهم من اللغات أو اللهجات الإيرانية الشمالية.

١١- لأن تاريخ سطر الكتاب الهندى المقدس يرقى إلى سنة ١٤٠ ق.م، ولا جدال فى أن لغة الأريين فى ذلك الوقت لم تكن واحدة وإلا لكان هذا الكتاب بلغة مشتركة، ولكى نصل إلى الوقت الذى كانت فيه للأريين لغة واحدة، وفقاً لرأى علماء الفيلوجيا، فإننا نعود إلى الوراثة ألف سنة، وعلى هذا نقول إنه كان للأريين لغة مشتركة عام ٢٤٠٠ ق.م، ومن ناحية أخرى فإن فترة تحدث الأريين بلغة واحدة كانت مديدة؛ إذ يلزم انقضاء قرون حتى تتبدل لهجة من اللغة الأصلية إلى لغة فرعية، ثم إنه يبدو من دراسة الحضارة الأرية مقارنة بالحضارة الأوربية أن عدة قرون لازمة لحدوث هذه الظاهرة وثباتها.

١٢- ويرى بعض المحققين أن أريى الهند نزحوا من پامير إلى الهند.

١٣- وطبرستان من پورستان.

- ١٤- يعتقد بعض الباحثين أن بناء مدينتي شجرة والرى وغيرهما كان على هذا المنوال.
- ١٥- ورثر غنا صارت وره دان ثم صارت بهرام مثير (ميتر) ثم أصبحت مهر.
- ١٦- كلمة جمشيد مكونة من مقطعين الأول جم والثاني شيد، وهى صفة تعنى اللامع الوضاء، وتعرف كلمة جم فى القصص الهندى باسم - يمه وفى الأوستا ييما.
- ١٧- كل هذه المعلومات مستنبطة من القصص وليست معلومات محققة.
- ١٨- سفر الخليقة باب ١٤.
- ١٩- كانت تسمى فى العهد القديم (ريشر).
- ٢٠- الشعوب الأرياليه والألتائية شعبة من الجنس الأصفر كالمغول والتتار والترك والتونغوز والفينيين والسامويد، الذين كانوا يسمون كذلك بالفين والتتار.
- ٢١- تبنى الأولى على علامات عشرية والثانية على علامات ستينية.
- ٢٢- أدوار ماير: " تاريخ العهد القديم. ويذهب البعض أن هذا العصر هو عصر النحاس.
- ٢٣- هذا هو رأى king وهو مختص.
- ٢٤- فى كورنگ تبه.
- ٢٥- فى جرجان الحالية.
- ٢٦- استل قطعة واحدة من الحجر نقشت عليها كتابات.
- ٢٧- وهذا واحد من الدلائل على أن الأحباش كانوا يسكنون سواحل الخليج.

٢٨ - Gautions .

٢٩- الحسا الحالية على شاطئ الخليج.

٣٠- هذا ما هو ثابت ومحقق حتى الآن، وان وجدت بعض الفهارس التى تشير إلى أكثر من ذلك.

٣١- المقصود بكلمة مدونة، مجموعة القوانين التى رتبّت ترتيبا معينا.

٣٢- لم يكن بين يدي الباحثين معرفة بهذا الشعب قبل أربعين عاما، وإن وردت الإشارة إليهم فى التوراة وفى إلياذة هيموروس، ولكن الحفريات التى أجريت فى عاصمتهم (كاراكامش - قرقميش) الواقعة على نهر الفرات ثم فى بتريوم، والحفائر التى أجريت فى مصر وفى أماكن أخرى قد أزلت النقاب عن تاريخ هؤلاء الأقبام، واتضح منها أن دولة الحيثيين (هيت ها) كانت موجودة عام ١٧٠٠ق.م ، ثم اشتد ساعدها بعد ذلك حتى أصبحت من عداد الدول الكبرى وأنها لبثت ألف سنة ثم انقرضت على يد آشور، وجنس هؤلاء القوم ليس معروفا شأن الكاسيين. ويعتقد البعض أن لغتهم قريبة من اللغات الأورالية واللاتانية ولم يمكن قراءة خطهم حتى الآن. والاتفاقية الدفاعية الهجومية التى جرت بين رمسيس الثانى فرعون مصر وملك الحيثيين من أهم الوثائق التاريخية.

٣٣- يعتقد أدوار مير Edward Meyer أنهم ليسوا من الآريين، ولكنهم اقتبسوا كثيرا عن الآريين بالجوار.

٣٤- يطلق على هذا النوع الحجرى بارليف.

٣٥- يسمى بالآشورية شروكين.

٣٦- يقول حزقيال: (هذه هي عيلام التي قتل جميع سكانها على أطراف قبرها وأريقت دماؤهم).

٣٧- مالمير أو مال أمير تبعد عن شوشتر بمسافة ١١٥ كم من الشرق أو ستة عشر فرسخا....

٣٨- عاشت بعض الأقوام السكائية حول الهضبة الإيرانية أو في مناطق منها مثل قوم داه حوالى منطقة جرجان، ولذا عرفت تلك المنطقة باسم دهستان، وبعض هذه الأقوام كان من سكان الخيام في منطقة فارس مثل الداهيين والدروبيكيين وغيرهما.

٣٩- لا مغالاة في القول بأن الحفائر والتحقيقات الجديدة فى آشور وبابل ومصر وغيرها قد قلبت تاريخ الشرق القديم رأسا على عقب مما كان عليه منذ مائة سنة وذلك بقدر ما أمدتنا هذه الحفائر من الأسانيد، وهذه حين توضع مفهوسة فى كتاب كبير واحد، تزايد موادها مما تحتاج دراسته إلى سنوات طوال. ولكن هذا الكشف لم يتسن بعد لتاريخ إيران القديم، وقليل منه يمس تاريخ إيران، ذلك أن الحفائر فى الأمكنة التاريخية الإيرانية لم تجر كاملة باستثناء موضوعين فقط، ومن هنا نقول إن كتابات المؤرخين القدماء تعد حتى الآن مصادر مهمة لتاريخ إيران القديم.

٤٠- ذكر المؤلف نفسه أنه يكتب كل ما يسمع، ولكنه ليس مضطرا لتصديق كل ما يكتب.

٤١- أطلق دارا الأول على هذه المملكة ماد، وأصبحت فى العصر الساسانى ماى، وفى القرون الإسلامية ماه، فكان يقال ماه بصره، ماه نهاوند وغيره، وتجمع ماهات، وتعرف فى المصادر العربية باسم مملكة الميديين.

- ٤٢- مؤرخ عاش في القرن الثالث ق.م، وكتب تاريخ كلدة وأشور، ولكن كتاباته فقدت، ونقل مؤرخون آخرون عنها في كتاباتهم.
- ٤٣- أسماء هذه الطوائف: البوزيون - البارثاكن - الأستروخات - الآرى زنت - اليهودين - المغان.
- ٤٤- يذكر كنتزياس أسماء الحكام وسنوات حكمهم على النحو التالي، أرباكيس (٢٨سنة)، مانوداكس (٥٠)، سوسارمس (٢٨)، آرتى كاس (٥٠)، أربى يانيس (٢٢)، آرتايس (٤٠)، آرتى نيس (٢٢)، اس تى براس (٤٠)، اسبنداس (٢٥) اس تى كاس (٣٥).
- ٤٥- وعلى هذا فمدينة همدان مدينة ذات تاريخ يمتد ثلاثة آلاف سنة، ومن الممكن أنها كانت من بين المدن العامرة التي لا نظير لها آنذاك.
- ٤٦- الكواكب السيارة طبقاً لعقيدة القدماء هي: القمر - عطارد - الزهرة - الشمس - المريخ - المشتري وزحل وهي بالفارسية: ماء - تير - ناهيد - مهر - بهرام - هرمز - كيوان.
- ٤٧- السيت بالفرنسية سكيث وكان الإيرانيون القدامى يسمونهم: السكا أو السك وأسماهم اليونانيون سكلت Scolote كذلك.
- ٤٨- كتب نيونيد ملك بابل اسمه هكذا في إحدى ألواحہ..
- ٤٩- يعتبر بعض الباحثين امتداد مملكة الميديين من نهر هاليس حتى نهر جيحون.
- ٥٠- كان العراق العجمي يشتمل على الولايات الآتية: كروص - همدان - كرمانشاه - قزوین - العراق - آصفهان - نهاوند - الرى حتى ميناء

بحر الخزر الذى كان يفصل ماد عن البارت. وكان على هذا الممر، فى العصور القديمة بوابة حديدية..

٥١- وان، عاصمة دولة الإمارات التى عرفت فيما بعد بأرمينيا.

٥٢- ظل هذا التمثال سليماً حتى عام ٩٣١م ثم عبثت به يد الزمان فسقط وتلف ويعتقد نولدكه أنه يرجع إلى الميديين.

٥٣- يطلق الأوربيون على الحجارة البارزة اسم (بارل يف)، وأما الدخمة فهى مصطبة عالية كانت توضع عليها الجثث لتتهشها جوارح الطير.

٥٤- هذا النقش من اكتشاف هرتسفيلد.

الباب الثاني (الفترة الأولى لحكم الفرس)

مقدمة

ينتسب الفرس إلى الشعوب الآرية التي لا نعلم متى وفدوا إلى إيران - ولكن يتضح مما ذكر في كتابات الملوك الآشوريين أن الفرس ظلوا تحت حكم الآشوريين زمنا طويلا مثلهم مثل الميديين، فيفتخر أحد الملوك الآشوريين الذين حكموا في القرن التاسع قبل الميلاد أنه أخضع سبعة وعشرين شخصا من ملوك الفرس. ومعلوم كذلك أنه إبان حكم الآشوري (سركن سلم نصر) الذي حكم في ٧٣١ - ٧١٣ ق.م وإبان حكم الملك (أشور حيدين) كان الملوك الفرس خاضعين للآشوريين. ثم تحررت فارس بعد ذلك من سيطرة الآشوريين وخضعت للميديين أي أن الأمراء الهخمانشيين الذين كانوا يحكمون تلك المنطقة كانوا خاضعين للميديين.

يقول هيرودوت: ينقسم الفرس إلى ست طوائف من سكان المدن والقرى وأربعة أقسام وطوائف من سكان الخيام^(١).

وكانت أسرة الهخمانشيين من أكثر الأسر الفارسية عراقية أي من طائفة البارسا كاديين، ويذكر هذا المؤرخ أن كورش الكبير حين خرج على حكم الميديين عرف باسم "بادشاه فارس" أي حاكم فارس، ولكن نبونيد ملك بابل يذكره باسم ملك أنزان (عيلام)، ويضاف إلى ذلك أن داريوش الأول يقول في نقش بيستون أنا تاسع ملوك الأرومة الهخمانشية ذات القرنين (الشعبتين) وحكم قبلي ثمانية ملوك.

وإذا كانت الأسرة الهخمانشية تنقسم إلى شعبتين كما سنبين فيما بعد، فإنه يتأكد أنه تاسع ملوك تلك الأسرة فعلاً.

وعلى هذا فإنه طبقاً لما كتب هيرودوت، وما توافر لدينا من وثائق^(٢) فإن شجرة نسب كوروش الكبير، وترتيب حكم الملوك الهخمانشيين حتى عصر داريوش يكون كالآتي:

هخامنش

- | | |
|---------------|------------|
| حوالى ٧٣٠ ق.م | ١- جيش يش |
| | ٢- كمبوجيه |
| | ٣- كوروش |
| | ٤- جيش يش |

الفرع الإنزاني	الفرع الفارسي
٥ كوروش	أريا من
٦ كمبوجيه	أرشام (أرسام)
٧ كوروش الكبير	ويشتاسب
٨ كمبوجيه	٩ داريوش الأول

(الأسماء التى رقت هى أسماء الملوك الذين حكموا)

وطبقاً لهذا الجدول فإن داريوش الأول هو تاسع ملوك تلك الأسرة؛ وتؤيد نقوش أردشير الثانى والثالث ذلك، لأنهم لم يعتبروا ويشتاسب وأرسام ممن تولوا الحكم. أما ما حدث من أحداث نتج عنها استيلاء الفرس على عيلام واستقر أحد فرعى الأسرة الهخمانشية هناك، فليس معلوماً، ومن الممكن أن يكون قريباً من الحقيقة أن آشور بانيبال تمكن من القضاء على العيلاميين عام ٦٤٥ ق.م، وكان

الفرس آنذاك غير راضين عن حكم الميديين في فارس، واغتاما لتلك الفرصة، وما أحاط بها من أمور نتيجة لاصطدام الآشوريين بالميديين من ناحية واصطدامهم بالسكان من ناحية أخرى وما أحدثته الحروب الآشورية العنيفة في المملكة العيلامية من خمود وعجز، فقد احتلّ الفرس المملكة العيلامية وأسسوا حكمًا جديدًا في إيران. وطبقًا لهذا الرأي فقد كان جيش پش ثانی ملوك إنزان وفارس.

الفصل الأول

الملوك الهخامنشيون

الأول: كوروش الكبير

خروج بربايخ توويكو

يذكر البابليون هذه الواقعة باختصار شديد. ويذكرها المؤرخون اليونانيون بتفصيل أكثر، ولكن يلاحظ بين كتاباتهم كثير من الاختلاف.

وعلى كل فإن هيرودوت يقول: رأى الملك الميدي رؤيا في المنام، فحواها أن شجرة عنب تثبت من بطن ابنته ماندانا، وأن هذه الشجرة قد أظلت آسيا كلها فجمع الملك المغان وطلب منهم تفسير تلك الرؤيا، فقالوا إن أخت الملك ستلد ابنا يسيطر على آسيا كلها... فكر الملك في تعبيرهم لتلك الرؤيا، ورأى أن أفضل شيء يراه أن يزوج ابنته لشخص لا تتحكم في رأسه شهوة الحكم، ولذا اختار كمبوجيه ملك فارس (ويجب القول إنزان) وكان خاضعا آنذاك للميديين.

وحين أنجبت ابنته ولدا أسلمه إلى وزير من أقاربه يدعى هارباك، وأمره بقتله، أوكل الوزير بدوره تنفيذ ذلك إلى حارسه. ولكن تصادف وقتئذ أن أنجبت زوجة هذا الحارس. ويدعى سباكو^(٣) - ابنا ميتا فمنعت زوجها من قتل كوروش وتبنته، وكبر هذا الابن في الخفاء. حتى بلغ الثانية عشرة من عمره وأخذ ينخرط في اللعب مع أبناء الوزير، وذات يوم احتد (كوروش) مع أبناء الوزير أثناء اللعب، وقدم الأبناء شكواهم إلى الملك.

فطلب الملك كوروش: وأصابته الحيرة والدهشة لما رأى من جرأته وذكائه واتضح له بعد البحث والتحقيق أنه حفيده، فتظاهر بسروره وفرحه بما عرف؛ ولكنه أرسل كوروش بعد ذلك مع والدته إلى فارس، وعاقب الوزير على تقصيره في تنفيذ ما صدر إليه من أمر، وكان عقابه صارما فقد أصدر أمره بقتل ابن

الوزير، وتم ذلك وأطعموا أباه من لحم ابنه في إحدى الولائم وقدموا إليه يد ابنه وإحدى رجله في طبق.

تعلم كوروش في ولايته الفروسية والرماية، حتى بلغ أشده. فوحد طوائف فارس، وثار على الملك الميدي، وتطور الأمر إلى حدوث حرب بين الطرفين، هزم كوروش في الوهلة الأولى من الحرب، ولكنه لم ييأس وازداد جده حتى أسر الملك الميدي على يد الوزير الذي كان قد عاقبه، ذلك أن الملك الميدي كان قد أرسل جيشاً لقتاله بقيادة وزيره الذي أنزل به صارم العقاب. فاغتمت الوزير الفرصة وأعلن انضمامه إلى جانب كوروش انتقاماً من الملك الميدي على ما فعله مع ابنه.

وبعد ذلك الحدث قوى أمر كوروش، وانضمت تحت لوائه عدد من الطوائف التي كانت تحت سيطرة الميديين. ونتيجة لهذا لم يعد أمام الملك الميدي إيخ تويكو من خيار سوى الخروج بنفسه على رأس جيش قاصداً فارس حيث اشتبك الجيشان على مقربة من باساركاد^(٤) ودارت بينهما حرب طاحنة انتهت بانتصار كوروش وأسر الملك الميدي.

وعلى الرغم من امتزاج تلك الحكاية بالطابع الأسطوري، فإنها توضح بجلاء استيلاء الفرس، بل والميديين من حكم الملك الميدي وأنهم كانوا عوناً للفرس وكوروش لإسقاط مملكة الميديين، وأن كوروش قد وحد طوائف الفرس.

وقد كتب نيونيد ملك بابل هذه الحادثة: "جمع (أي الملك الميدي) جيشاً وتوجه لمحاربة كوروش، ولكن جيشه تمرد عليه، وقبض على إيخ تويكو وسلمه إلى كوروش، وسيطر كوروش بعد ذلك على همدان، فاستولى على كنوز من الذهب والفضة والأموال الطائلة، وحمل تلك الغنائم كلها إلى أنشان".

وحدث الاستيلاء على همدان عام ٥٥٠ ق.م^(٥)

الاستيلاء على ليديا:

خضعت مملكة الميديين الكبرى لحكم كوروش بعد الاستيلاء على همدان وكان ظهور الدولة الفارسية وازدياد قوتها ونفوذها سببا في إزعاج ثلاث من الدول الكبرى حينذاك وهي: مملكة الليديين، ومملكة البابليين ومملكة المصريين فجرت بينها محادثات لتحقيق الاتحاد بينهم لمواجهة كوروش، وقد وقفنا من قبل على أحوال الليديين؛ وكان ابن ألياث كرزوس Cresus قد بذل قصارى جهده لتعمير مملكته بعامة وعاصمته التي كانت تسمى سارد بصفة خاصة، وبلغ ازدهارها وبهاؤها درجة كبيرة، حتى إن اليونانيين كانوا يسمون أشياءهم النفيسة باسم سارد ثلاثي أى سارد الذهبية.

وكان ما يمتلكه كرزوس من نفائس وخزائن وثروات كبيرة جدا لدرجة أنها عثبت بالدهشة أبصار الحكماء اليونانيين ومشاهيرهم - من أمثال سولون Solon وبياس Bias (وهما من الفلاسفة اليونانيين السبعة المشهورين، والقانون الذي سنه سولون مشهور في أثينا) وغيرهما وكانوا يدعون لزيارة سارد، ونظرا لأن أهالي ليديا لم يكونوا من المحاربين الأشداء فقد فكر كرزوس في الاستيلاء على كثير من المدن والمستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى، فبدأ بالاتحاد مع مدينة مي لت (ملاطه)، ثم اتحد مع مدن أخرى حتى يتمكن من الاستعانة بقواتها إذا لزم الأمر. هذا هو الحال الذي كانت عليه الأوضاع في مملكة الليديين حين فوجئت بخبر سقوط دولة الميديين الكبرى ونمو قوة فارس وانتشارها في آسيا الغربية الذي أزعج دول ذلك العصر؛ لذا أمعن الملك الليدي في هذا الحدث وأخذ يفكر مليا في أمرين: هل يكتفى بالحرب الدفاعية؟ أم يشن حملة هجومية على إيران؟ واستقر تفكيره في نهاية الأمر على أن يرسل شخصا إلى معبد دلف - وكان موضع احترام اليونانيين وتقديسهم - سائلا أحد المنجمين آنذاك - وكانوا يعرفون باسم بي تي Pythie - "ماذا يمكن أن يسفر عنه الأمر إذا قمت بشن حملة على إيران؟".

فأجاب إجابة غامضة ذات وجهين وقال بى تى: "إذا عبر الملك من نهر رودها ليس فستنتهى دولة كبرى وتتلاشى".

ظن الملك الليدى أن المنجم يقصد دولة الفرس الكبرى، وأخذ يعد العدة. ودخل فى محادثات مع الإسبارتيين (إحدى الدول اليونانية) وضمها إلى جانبه، واتحدت بابل ومصر كذلك مع الدولة الليدية: وبعد ذلك توجه كزروس قاصدا إيران.

واحتل مكانا مرتفعًا يعرف باسم: ب ت ريوم - العاصمة القديمة للحثيين. وجرت حرب ضروس بين الجيشين الليدى والفرسى فى خريف هذا العام انتهت دون نتيجة لصلابة مقاومة الليديين. وحين أقبل الشتاء ظن الملك الليدى أن الفرس لن يجروا - لما رأوا من مقاومة شديدة من جانب الجيش الليدى - على مهاجمة أرض ليديا أثناء الشتاء وبخاصة وأنه يلقى تأييدًا من بابل؛ فسرح جيشه عاقدا العزم على وضع نهاية لأمر فارس فى السنة التالية حين يصل الجيش الموحد لبابل ومصر.

ولكن كوروش بادر على الفور لإجراء محادثات مع الدولة البابلية وعقد معاهدة صلح مع نبونيد، ثم توجه قاصدا سارد. واضطر كزروس فى تلك الأثناء إلى جمع جيش على وجه السرعة وتحارب مع جيش كوروش على مقربة من العاصمة، وأرسل فى بداية الأمر خياله النظامية ذات الكفاءة القتالية العالية لحرب كوروش، ولكن الجمال التى دفع بها كوروش أمام صفوفه سببت ذعرا للخيل لتنتهى الحرب بانتصار الفرس والاستيلاء على سارد ووضع نهاية للدولة الليدية (٥٤٩ ق.م).

ويذكر هيرودوت أن كوروش كان يود - فى بداية الأمر - أن يحرق الملك الليدى، ولكنه أفاق وعدل عن هذا الرأى وزاد من إكرامه وتعزيزه وكان الباعث له عن عدوله عن رأيه أنهم حين أضرموا النار وزودوها بالحطب، صاح كزروس قائلا (آخ سولون سولون) فسأله كوروش عن معنى قوله فأوضح له حكاية مجيء

سولون واضع القانون اليونانى بسارد وقال إنه اطلع على ما لدى من نفائس وخزائن، وبعد ذلك سألته: من هو السعيد فى رأيك؟ وكنت على يقين تام أنه سيذكر اسمى، ولكنه أجاب: لا يوصف بالسعادة من هو على قيد الحياة. والآن أدركت صحة ما قاله هذا الرجل. وكان ما قاله كرزوس سببا فى بقظة كوروش من غفوته، فأمر بإخماد النار؛ ولكن الفرصة كانت قد أفلتت من يديه، وعندئذ توسل كرزوس بآبلن أحد آلهة اليونانيين فنزلت أمطار أخمدت النار. ويشك بعض الباحثين المحدثين فى صحة تلك الرواية لأسباب منها:

أولاً- أن حرق الأشخاص كان منافيا لمعتقدات الفرس؛ لأنهم كانوا يقدسون النار ويعتبرون تلوئثها ذنباً كبيراً.

ثانياً- أن كوروش كان فى جميع الظروف والأحوال رءوفاً رحيماً مع الملوك المهزومين، فقد أكرم الملكين الميدي والأرمنى.

أما من يؤيدون صحة هذه الرواية فليس لديهم من دليل سوى أن المؤرخين اليونانيين الذين جاءوا بعد هيرودوت بعدة قرون قد ذكروها، ولكن هذا الدليل ليس كافياً فنحن نعلم أن المؤرخين اليونانيين تعودوا - فى أغلب الأحيان - أن ينقلوا الأخبار والروايات التى وردت فى كتب السابقين دون الإشارة إلى الكتب التى نقلوا عنها.

الاستيلاء على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى:

اليونانيون القدامى من الشعوب الهند وأوروبية، وقد نزحوا من الناحية الشمالية إلى المنطقة الواقعة جنوب شبه جزيرة البلقان التى تسمى يونان فى وقت غير معلوم، وانتصروا على المقيمين بها أو البلاسكيين، وكان البلاسكيون قد وفدوا إلى المنطقة فى وقت غير معروف أيضاً قادمين من ناحية بحر الغرب و"أقاموا هناك حضارة رفيعة. وحوالى القرن العاشر ق. م أقبل قوم يعرفون بـ الدوريين⁽¹⁾ وكانوا من الأقوام اليونانية وهاجموا شبه جزيرة البلوبونيز Peloponese مما

اضطر كثيرا من اليونانيين إلى الهجرة خارج الجزيرة... وعلى هذا وجدت المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى واعتزلت المدن اليونانية الليديين بعد عدد من المعارك والاصطدامات؛ لأن الليديين كانوا متأثرين بالحضارة اليونانية وصناعتها وديانتها.

وحين استولى الفرس على ليديا، أصاب اليونانيين الفرع الشديد لأنه قد أصبح لزاما عليهم أن يتعاونوا مع دولة أقوى من الدولة الليدية، وتتفوق على الدول اليونانية في النظم والحضارة تفوقا تاما.

وكان كوروش قبل الاستيلاء على سارد قد كلف اليونانيين بالاتحاد معه ولكنهم أبوا، وعادوا فأرسلوا رسلا إلى كوروش طالبين منه أن يحدد الاتفاقية التي قدمها، فلم يرد كوروش عليهم وذكر هذا المثل: اقترب عازف ناي من شاطئ البحر، وقال في نفسه، لو عزفت على الناي لاشك أن الأسماك سترقص طربا وجلس يعزف بغير جدوى فلم ير السمك يرقص، عندئذ حمل شبكته وألقى بها في الماء. فكانت الأسماك تقفز إلى الشبكة ثم تقع قال: "ترقص الأسماك الآن فاقدة وعيها، وكان عليها أن ترقص حين كنت أعزف" أراد كوروش من ذكر هذا المثل أن يوضح أن الوقت قد فات. أما فيما يتعلق بالمستعمرات فقد فعل الآتي: وافق على عزل مدينة ملاطيه الكبرى وكانت قد أعطيت للملك الليدى، وبعد انتزاع تلك المدينة تمت سيطرته على جميع المدن اليونانية بآسيا الصغرى والجزر اليونانية كذلك، مثل لسبوس Lesbos وخبوس Chios وبعض الجزر الأخرى لجأ بعض سكان المستعمرات اليونان إلى دولة اسبرطه متوسلين فأرسلت تلك الدولة بدورها سفيرا إلى كوروش مهددا بأنه لن يتحمل سوء معاملة اليونانيين. فقال كوروش: إننى لا أخشى مطلقا من أناس يتجمعون في ميدان ويقسمون ويكذب كل منهم على الآخر، وسأظل ما بقيت حيا أعمل على أن أجعلكم تنتنون من ذلكم بدلا من التحدث عن اليونانيين.

ويجب أن يكون معلوماً أن كوروش بعد الاستيلاء على سارد قد عاد بعد وقت قصير إلى إيران وترك أمر الاستيلاء على أجزاء آسيا الصغرى الأخرى مثل: فريجيه Phrygie وقلقييه Cilycie - وليقيه Lycie والمستعمرات اليونانية إلى قواده. وهكذا تمت سيطرته على آسيا الصغرى كلها عام ٥٤٥ ق.م وأصبحت خاضعة للفرس، واختار كوروش لكل مدينة حاكماً مستقلاً بها، حتى لا يتحد الحكام معاً ولا يقوى أمرهم. وهاجر أهالي بعض المدن اليونانية الذين أبوا التسليم مثل مدينة فوسه.

الاستيلاء على الممالك الشرقية

لم تترك العمليات الحربية المتلاحقة والسريعة التي قام بها كوروش فرصة لبابل ومصر لاستكمال استعداداتهما وأضحى كلاهما متوقفاً لحملة كوروش عليه، إلا أن كوروش لم يتوجه مباشرة إلى بابل واتجه إلى الممالك الواقعة شرق فارس وماد، ولا نعلم كيفية الحروب التي خاضها معها، وكل ما هو معروف أنه استمر في عملياته الحربية وغزواته في شمال إيران وشرقها طوال ثمان سنوات وتقدم من الناحية الشمالية حتى وصل إلى حدود نهر سيحون حيث بنى مدينة باسمه على شاطئ هذا النهر (فكانت هذه المدينة تسمى إبان عصر الإسكندر دور ترين شهر كوروش) ويعتقد أنها مكان مدينة أوراتبه الحالية.

ثم تقدم بعد ذلك في الناحية الشرقية حتى وصل إلى نهر السند، وبعد أن ثبت دعائم حكمه في الشرق والغرب، توجه إلى بابل، ويعتقد بعض الباحثين أن غزوات كوروش إلى الشرق والشمال الشرقي قد تمت بعد الاستيلاء على بابل.

الاستيلاء على بابل:

يبدو الاستيلاء على بابل أمراً في غاية الصعوبة، لأن استحكام برج بابل^(٧) وأسوار المدينة ومنعتها كان أمراً مشهوراً طبق الأفاق^(٨)، وعلى الرغم من هذا كله فقد توجه كوروش للاستيلاء عليها، وعبر الجيش الإيراني نهر دجلة في ربيع عام ٥٣٩ ق.م. وكانت بابل آنذاك قد تعاقب على حكمها بعد وفاة پخت النصر ٥٦١ ق.م ثلاث ملوك خلال ستة أعوام. وفي عام ٥٥٥ ق.م. تمكن رجال الدين فيها من تولية عرشها لأحد التجار وكان يسمى نبونيد. ولم يكن هذا الشخص بقادر على أن يحفظ للدولة البابلية مكانتها المهمة التي احتلتها وتليق بها، فقد ذكر أنه كان ذا ميل مفرط لمعرفة الآثار القديمة، وأجريت حفريات - تلبية لأمره - في خرائب المعابد القديمة لبابل، واستخرجت تبعاً لذلك ألواح.

وفيما يتعلق بأمر استيلاء كوروش على بابل وصلت إلى أيدينا روايتان الأولى عن هيرودوت وشعب بنى إسرائيل الذي أسر في بابل، وتعمد الرواية الثانية على ما لدينا من مصادر أساسها ما أسفرت عنه الحفريات في بابل وما دار حولها من بحوث. وكان الاستيلاء على بابل طبقاً لما ذكرته الرواية الأولى ما يلي:

هزم الملك البابلي في حرب جرت بينه وبين الفرس على مقربة من مدينة بابل، فلجأ مع عدد كبير من جنوده إلى تلك المدينة، وعندئذ ترك قيادة جيشه لابنه المسمى بالتشر^(٩).

وكان الاستيلاء على المدينة بشن حملة عليها أمراً مستحيلاً كما كانت محاصرتها للاستيلاء عليها يستغرق وقتاً طويلاً، لأن البابليين كانوا يزرعون المناطق الشاسعة المحيطة بالمدينة وبداخلها، ولذا أمر كوروش بتحويل مجرى نهر الفرات، وبعد أن قل الماء في المجرى القديم عبره الجيش الإيراني حتى بلغ مدينة بابل (٥٣٨ ق.م) ولكنه لم يعمل السلب والقتل بالمدينة، وعامل كوروش الأهالي

بغاية الرحمة، وطبقا لما ذكرته المصادر البابلية فإن نيونيد كان قد حمل إلى بابل تمثال الإله (أور) فتألم من هذا أتباع آلهة البابليين (بل مردوك، فتصالحوا مع كوروش ودفعوا له الجزية: وحين نقصت المياه في نهري دباله والفرات غير كوروش مجريهما ودخل إلى المنطقة الواقعة بين مدينة بابل وسد بخت النصر، ثم تقدم بعد ذلك إلى الناحية الشمالية، حيث فصل بين الجيش البابلي وبين المدينة، ثم أوقع الهزيمة به وبعد ذلك تقدم (كنوبرو) قائد الجيش الفارسي ودخل المدينة من الناحية الجنوبية فاستسلم الملك البابلي، وتوج الملك كوروش في معبد بابل الكبير طبقا للمراسم الدينية البابلية.

وأظهر مزيدا من الاحترام والتقدير لمذهب المواطنين ومعتقداتهم، ويذكر أحد المعاصرين لتلك الأحداث أن كوروش أدخل السكينة والطمأنينة في قلوب الأهالي، وبعد الاستيلاء على بابل خضعت كل الممالك التابعة لها لكوروش.. ويجب أن ننكر من بينها فلسطين وفينيقية وكانت المدينتان الفينيقيتان المعروفتان بصور وصيدا من أشهر مدن العالم آنذاك، وأظهر كوروش مزيدا من العطف تجاه بني إسرائيل الذين أسروا إبان حكم بخت النصر، وحباهم بنوع خاص من العطف والشفقة: فرد إليهم أطباق الذهب والفضة التي كانت بخت النصر قد أحضرها من بيت المقدس وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، وأخذ يعمر المعابد القديمة ببيت المقدس والتي كان الآشوريون قد خربوها، وبنى لهم معبدا جديدا، وتنفيذا لسماحه لبنى إسرائيل بالعودة إلى فلسطين رجع اثنان وأربعون ألفا من بني إسرائيل ومعهم سبعة آلاف نفر من الغلمان (والجوارى) وعملوا على تجديد بيت المقدس^(١٠)، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين من بقوا في فلسطين ومن عادوا من بابل. ولذا أوقف كوروش بناء المعبد الجديد؛ وهذا واضح من أقوال أنبياء بني إسرائيل الذين أبدوا احتراما فوق العادة تجاه كوروش^(١١). وأذاع كوروش في بابل بيانا لاستمالة قلوب البابليين عثر عليه في حفريات بابل ويعرف الآن بعمود كوروش^(١٢) أو أسطوانة كوروش - وقد أسمى كوروش نفسه في هذا البيان بخادم مرداخ (مردوك إله البابليين

الكبير)، ويقول إنه بعد إحضار تمثال الإلهة (أور) إلى بابل، اختاره مردوك وأمسك بيد كوروش ملك انشان^(١٣) - وأن الإله قد اختاره لحكم العالم كله - وطلبه بالاسم وبعد ذلك يقول الملك: حين بلغت تين تير^(١٤) يحيط بي السكون والهدوء، دخلت إلى القصر الملكي تحيط بي صيحات الفرح والسرور من المواطنين، جلست على عرش الحكم، ثم قفل كوروش رجعا إلى إيران بعد الاستيلاء على بابل والشام وفلسطين والمدن الفينيقية وغيرها واتجه إلى غزو بلاد المشرق، ولكن لم تتوافر لنا معلومات عن أعماله آنذاك. وتوفى كوروش عام ٥٢٩ ق.م.

وهناك روايات مختلفة عن وفاته. يقول هيرودوت: إنه قتل أثناء حربه مع الماساجت^(١٥) الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحيرة آرال، وتوضيح ذلك أن كوروش طلب الزواج من ملكته الماساجت فأجابته رافضة ساخرة؛ ووقعت الحرب بينهما وأسر ابن الملكة في تلك الحرب وقتله كوروش ثم جرح كوروش في الحرب التي نشبت بعد ذلك ومات، فأمرت الملكة بقطع رأس كوروش وإلقائها في طست من الدماء ووجهت إلى تلك الرأس خطابا قالت فيه: إنك لم ترتو من الدماء فلتمتص الدماء الآن علك ترتوى. ويذكر برس أن كوروش قتل أثناء حربه مع عشيرة الدها (إحدى عشائر السكا) على مقربة من جرجان، ويذكر كترزاس أنه قتل بعد أن جرح أثناء حربه مع السكا ودفن في پاسارگاد^(١٦).

خصال كوروش:

يعتقد المؤرخون أن كوروش كان ملكا يتصف بالعقل والحزم والعزم والرافة، وأنه كان يمضى إلى آخر المطاف في أى عمل يبداه، ولا يترك أى عمل دون إتمام، وكان يلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة، وكان يعامل الشعوب المغلوبة معاملة حسنة تتصف بالرافة والشفقة بخلاف ما كان عليه الحال عند الملوك الآشوريين والبابليين، وكان يعامل الملوك المهزومين معاملة طيبة جدا

لدرجة أنهم كانوا يصبحون أصدقاء حميمين له وكانوا يقدمون له العون إذا حزبه أمر، ولم يكن يتدخل في ديانات الشعوب ومعتقداتها، بل كان يظهر احتراماً كبيراً لمراسيمهم الدينية، ويتضح ذلك من إعادته لجميع الآلهة إلى أتباعها بعد فتح بابل وكانت قد تعرضت للغارات.

ولم يعمل السلب والنهب أو القتل فيما خضع لحكمه من مدن وممالك، على العكس من الملوك الآشوريين الذين كانوا يملأون نقوشهم وكتاباتهم بأن فلاناً قد سوى تلك المملكة بالأرض وأنه تركها خراباً يباباً فلم يعد يسمع فيها نباح كلب أو صياح ديك (ونلاحظ مثل ذلك عند العيلاميين). وحين رأى الناس سلوك كوروش وقارنوا ذلك بما كان سائداً ومتبعاً آنذاك كانوا يعتبرونه مخلوقاً فوق العادة وأنه مبعوث من قبل الله.

وقد أرسى هذا الملك الأسس الأخلاقية في العالم القديم، وأدخل أسلوباً جديداً مع معاملة الممالك التابعة والشعوب المغلوبة، وربما يكون هذا هو السبب في اعتبار عهده حداً فاصلاً لقسمين من أقسام التاريخ القديم الأربعة^(١٧). ويجب أن نقول كذلك إن كوروش واحد من بين شخصين أو ثلاثة ظلت أسماؤهم حية نابضة في أذهان شعوب عصرنا، ولعل سبب ذلك أن أنبياء بني إسرائيل قد أتوا عليه كثيراً وأن أتباع المذاهب الذين يعتبرون التوراة كتاباً مقدساً يستمعون إلى اسم هذا الملك منذ طفولتهم ويألفونه^(١٨).

الثاني: كمبوجيه

أنجب كوروش من كاسان دان ابنين كان الأول يسمى كمبوجيه وكان يحكم بابل، وكان يعهد إليه بأمر الحكم في إيران نائباً عن والده أثناء غيابه وذكر هيرودوت أن الابن الثاني كان يسمى سمر ديز، وذكره داريوش الكبير في نقش بيستون باسم برديا^(١٩)، وتولى برديا حكم خوارزم وباختر وبارت وكرمان.

وقد قتله كمبوجيه خفية بعد توليه لتعلق الناس به. وداعت خيال كمبوجيه بعد وفاة والده الاستمرار في الفتح والتوسع الذي درج الفرس عليه، ولكنه فوجئ بعد وفاة والده بثورة بعض الولايات عليه وخروجها عن ربة الطاعة له، فأخذ في إخضاعها وقمع الثورات بها واستمر ذلك ثلاثة أعوام، وتوجه قاصداً مصر عام ٥٢٦ ق.م.

وأخذ أحسن فرعون مصر في إعداد ما يلزم لمحاربتة والتصدي له؛ فأبرم اتحاداً مع الجزائر اليونانية في بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) ومع حاكم (جبار)^(٢٠) جزيرة سامس Samos، لإمداده بقواتهم البحرية، نظراً لأن اليونانيين في آسيا الصغرى وكذلك الفينيقين، كانوا خاضعين لإيران وكانت قواتهم البحرية تعد جزءاً من البحرية الإيرانية. وتصور فرعون مصر أن كمبوجيه سيهاجم مصر من ناحية البحر، ولذا كان يطلب الإمداد البحري من اليونانيين.

ولكنه سرعان ما أدرك ببالغ الأسى أن كمبوجيه سيهاجم مصر عن طريق خليج السويس - وتفصيل ذلك أن كمبوجيه تمكن من توقيع اتفاقية مع مشايخ البدو من الأعراب نصت على أن يقدم آلاف من الأعراب القرب المملوءة بالماء ويضعونها في المنازل (المحطات)، وبذلك يعبر الجيش الإيراني الصحراء الممتدة من فلسطين إلى مصر. وقد ساعد حسن الحظ كمبوجيه فقد توفي آنذاك أحسن فرعون مصر وكان

قويا ذا عزيمة، وتولى العرش خلفا له بسماتيك الثالث، ولم يكن ينعم بما كان ينعم به سلفه من قوة ونفوذ، ودارت المعركة الأولى بين المصريين والفرس في بلوز **Peluse** وهزم الجيش المصري، ليواصل الجيش الإيراني زحفه إلى ممفيس عاصمة مصر دون عناء ويسيطر عليها عام ٥٢٥ ق.م.

ويقول هيرودوت إن معاملة كمبوجيه مع فرعون مصر اتسمت في البداية بالخشونة، ولكنه بعد تجربته أحسن معاملته، وقد اتضح بعد ذلك أن كمبوجيه قد أمر بقتله بعد اشتراكه في الثورة على إيران (بينما يذكر كترياس أنه نفى إلى شوش).

وكان سلوك كمبوجيه ومعاملته للمصريين مثل سلوك كوروش في المناطق المفتوحة بمعنى أنه لبس ثياب ملوك المصريين، واحترم طقوسهم وأجرى مراسم البلاط الفرعوني، حتى اعتبره المصريون واحدا من كبار فراعنتهم، ثم اتجه بعد ذلك للاستيلاء على الممالك المجاورة فاستسلمت ليبيا وسيرن التي كانت مستعمرة يونانية (وهي الآن جزء من طرابلس الغرب) ثم خضعت برقة بعد ذلك.

أرسل ملك سيرين أرك زيلاس **Arkesilas** خمسمائة مينا أي ٩٢٦٠ تومانا أو ٤٦٣٠٠ فرنكا ذهبيا إلى كمبوجيه الذي قبلها دون تقدير، وقسمها على جنوده.

وكان كمبوجيه يرغب في شن حملة على قرطاجنة (كارتاج - تونس الحالية) تلك المملكة المشهورة المملوءة بالثروة، والتي تضم تحت سيطرتها كثيرا من الممتلكات في بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) ولكن الفينيقيين - نظرا لأن غالبية أهالي قرطاجنة كانوا من المهاجرين الفينيقيين - رفضوا إمداد كمبوجيه بالسفن لذا فكر كمبوجيه في الاستيلاء على قرطاجنة عابرا الصحراء الليبية، فأرسل - لتحقيق هذا الهدف - خمسين ألفا من الجنود إلى أمون - المعبد المقدس عند المصريين - ولم يعلم عنهم أي شيء بعد ذلك (فقد دفنوا تحت الرمال المتحركة عام ٥٢٤ ق.م).

وبعد ذلك تقدم كمبوجيه قاصدا مملكة ناباتا (السودان الحالية تقريبا) وإثيوبيا وفي تلك الحملة عبر الجيش الفارسي جزءا من نهر النيل، ولكنه بعد أن دخل إلى الصحراء الجرداء التي لا زاد فيها ولا ماء، أصابته عسرة في المؤن فاضطر كمبوجيه تحت وطأة ما أصيب به من خسائر فادحة إلى العودة إلى مصر، وعلى الرغم من فشله في حملاته التي أرسلها لإخضاع ناباتا والحبشة وما أصاب جيشه من دمار في سفرته إلى آمون، فإن تلك المناطق والممالك أضحت جزءا من إيران في عهد داريوش كما سيتضح فيما بعد. يقول هيرودوت إن كمبوجيه كان مريضا بداء الصرع.

فحين فشل في حملاته إلى البلاد والممالك التي سبق ذكرها عاوده المرض واشتد به فأدركه الجنون، فارتكب الكثير من سفك الدماء والتدمير والحماقات والتي راح ضحيتها أخته رك سانا (روشنك) إذ قتلها، ودفن اثني عشر فردا من كبار رجالات فارس أحياء، وأصاب عجل أبيس المقدس عند المصريين فأرداه قتيلا. مما سبب استياء عاما وشديدا عند المصريين تجاه الإيرانيين. وأحرق مومياء أحمس (فرعون مصر السابق) ولكن توافرت للباحثين منذ سنوات عدة وثيقة مهمة لواحد من كبار رجالات البلاط الفرعوني في ذلك الوقت، يوضح فيها أن كمبوجيه كان يحافظ على جميع السنن المصرية ويؤدى سائر الطقوس الدينية المصرية. حتى أنه كان يسجد في معبد سائيس احترامًا وتقديرًا لآلهة المصريين^(٢١).

وطبقًا لهذا يمكن القول بأن سلوك كمبوجيه (خلال الثمانية شهور الأولى) كان موافقا لسلوك كوروش الكبير عند استيلائه على بابل.

وإذا كانت أقوال هيرودوت صادقة، فإن أحواله وسلوكه قد تغيرت نتيجة لإصابته بالصرع.

وعلى كل فإن من المسلم به تاريخياً أن إصابته عجل أبيس ليست سوى خبر كاذب، فقد ثبت بالوثائق أن العجل كان قد نفق في بداية غزو كمبوجيه للحبشة، كما توضح النقوش الحجرية التي ترجع إلى عصر كمبوجيه أنه كان يركع أمام العجل المقدس للمصريين.

وعين كمبوجيه حاكماً من قبله على مصر سنة ٥٢٣ ق.م ورجع إلى إيران وأثناء عودته وبينما كان بالشام سمع أن أحد المغان الميديين أطلق على نفسه اسم برديا - ابن كوروش وشقيق كمبوجيه - وجلس على العرش. واجتمع الناس حوله، عندئذ استاء كمبوجيه استياء كبيراً فكان يعلم يقيناً أنه قتل برديا، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يعلن ذلك، عندئذ بلغ به الثبوت منتهاه فطعن نفسه طعنة قاتلة في مدينة إكباتانا بالشام توفى على إثرها، وباح بسرّه الدفين قبل وفاته للخاصة من مرافقيه الفرس في رحلته من مصر (٥٢٢ ق.م).

واقعة برديا المكذوب:

أوضح داريوش الكبير في نقش بيستون هذه الواقعة بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والعليلية والآشورية، وهذه ترجمة لتلك الواقعة كما سطرت بالفارسية القديمة في هذا النقش:

"يقول الملك داريوش، هذا ما فعلته بعد أن أصبحت ملكاً، كان كمبوجيه ابن كوروش من عائلتنا وتوج ملكاً قبل ذلك، وكان لكمبوجيه أخ شقيق يدعى بردي؛ ثم إن كمبوجيه قتل برديا، ومع أن كمبوجيه قتل برديا فإن الناس لم يعرفوا أنه قتل،

وبعد ذلك توجه كمبوجيه إلى مصر، وبعد ذهابه إلى مصر، استاء الناس وتضايقوا، وانتشرت أخبار كاذبة بين الناس في فاوس وماد وسائر الممالك.

"يقول الملك داريوش بعد ذلك خرج أحد المغان ويدعى كئومات من بي سي (أو وده) وانطلق من جبل يدعى أركادرس في الرابع عشر من شهر ويخن (الشهر الأخير من الشتاء) وخدع الناس جميعا قائلا: إنني برديابن كوروش شقيق كمبوجيه، عندئذ ثار الناس جميعا على كمبوجيه، وانضم الناس إليه من فارس وماد وسائر الولايات مؤيدين له فاستولى على العرش في التاسع من شهر گرمه بد (الشهر الأول من فصل الربيع). وبعد ذلك توفي كمبوجيه منتحرا يقول دار يوش الملك إن أريكة السلطنة التي انتزعها كئوماتاي المغ من كمبوجيه كانت في أسرتنا من قديم وقد انتزع كئوماتاي المغ فارس وماد وممالك أخرى من كمبوجيه واستولى عليها وأضحى ملكا عليها.

"يقول الملك داريوش، إنه لم يظهر أى شخص من فارس أو ما داو من عائلتنا ليسترد الحكم من كئوماتاي المغ، وكان الناس يخشونه لأنه قتل عددا كبيرا ممن كانوا يعرفون برديا، وكان يقتلهم خوفا مما كان يدور بخياله" إن أحذا لا يعرفنى ولا يعرف أنى لست ابن كوروش ولن يجترئ أحد على أن يقول شيئا عن كئوماتاي المغ، حتى أتيت وطلبت العون والتوفيق من أهورا مزدا، وفى اليوم العاشر من شهر (باغ ياديش) (الشهر الأول من الخريف) قتلت ومعى عدد قليل من الناس كئوماتاي المغ ومن معه من أعوان قتلته فى قلعة فى ماد تسمى (سى كى هو اتين) فى منطقة نى ساي (قرب همدان) واسترددت الملك منه، وأصبحت ملكا بفضل أهورامزد...." (٢٢).

"يقول الملك داريوش، لقد أعدت الحكم إلى أسرتنا بعد أن سلب ونزع منها وأعدت الأمر إلى نصابه، وبعد ذلك شرعت فى ترميم المعابد التي كان كئوماتاي المغ قد خربها وذلك من أجل الناس، وأعدت لسائر الطوائف كل ما سلبه كئوماتاي

المغ من أسواق وحشم ومساكن، وأعدت أمور فارس وماد والممالك الأخرى إلى ما كانت عليه، وفعلت هذا كله بفضل أهور مزد وتحملت ما تحملت من آلام حتى أوصلت عائلتي إلى ما كانت تتمتع به من علو المقام قبل ذلك".

يذكر هيرودوت أن گنوماتاي المغ، بعد أن تولى العرش، قد أحسن معاملة رعايا جميع الممالك التي خضعت له وأعفاهم من الضرائب ثلاث سنوات وبعد أن خاف أن يتعرف عليه أحد من الناس، انقطع عن أهله وأقاربه، ولم يسمح لأحد بزيارته، وكان سلوكه هذا سببا في سوء ظن الفرس به. وعرف رؤساء الطبقة الأولى منهم - وهم أعضاء العائلات السبع من إحدى نساء گنومات - ابنة هوتانه - أن هذا الشخص ليس برديا وأنهم كانوا قد قطعوا أذنه قبل ذلك. عندئذ أقسموا جميعا ومعهم داريوش - الذي كان قد وصل من الشام لتوّه، وكان يظهر مزيدا من الطاعة والاحترام لگنومات - أقسموا على دخول قصر برديا ولم يستطع من الباب من الحراس والأعوان التصدى لهم وبعثوا بداريوش نفسه مع أحد مرافقيه إلى الداخل، وقتل داريوش گنوماتا (٥٢١ ق.م)، وقتل في ذلك اليوم عدد كبير من المغان، وكانوا يتخذون هذا اليوم عيدا لسنوات عديدة^(٢٣).

يقول هيرودوت إن رؤساء الأسرات السبع ومعهم داريوش اجتمعوا بعد ذلك للتشاور في طراز الحكم، فكان منهم من يؤيد الأخذ بأسلوب الحكومة القومية ومنهم من رأى الأخذ بأسلوب حكم الأقلية من الشعب (أوليغارشية).

ولكن دار يوش رأى أن أمور فارس وما وصلت إليه من سعة تستدعي حكما لا يقضى فيه ما تعزم عليه ويقدر على التنفيذ السريع، ونسأل رأيه في النهاية تأييد الأغلبية من المجتمعين، وبعد ذلك تباحثوا فيمن يتولى أمور الملك، وتنازل هوتانه عن الدخول في هذا الاختيار لأنه كان يتجه برأيه إلى الحكم القومى... وجرت المباحثات بين السنة الباقيين واتفقوا على ما يلي: - "أن يخرجوا جميعا عند الفجر من المدينة، وحين يصلون إلى منطقة معينة، فمن سهل جواده يكون الملك. قاد أمير

اصطبلات داريوش جواده إلى تلك المنطقة المعهودة، وأراه فرسة وهكذا حين وصل الجواد إلى ذلك المكان تذكر الفرسة فصهل، وعندئذ أصبح دار يوش هو الملك ويبدو أن ما قاله هيرودوت هو حديث خرافة: فإذا كنا نعلم أن داريوش يرجع نسبه إلى خشيارشا بن داريوش، وقد ذكر هيرودوت ذلك فإنه يكون أقرب الناس لاعتلاء العرش، كما أنه على رأس المجموعة التي أقدمت على قتل برديا الكذاب، ويكون من الأمور المستبعدة أن يثور خلاف على تقدمه على من كانوا معه، ويصبح لزاما أن لا يترك الانتخاب في مثل هذا الأمر المهم إلى سهيل حصان.

الثالث - داريوش الأول، الكبير

يعتقد المؤرخون أن أحدًا من ملوك العالم لم يواجه في بداية حكمه بمثل ما ووجه به داريوش من مشكلات عديدة وضربات طاحنة، وعلى الرغم من هذا كله فقد تمكن داريوش بما اتصف به من إرادة حديدية وقوة النفس من التغلب على كل الموانع والمشكلات، والواقع أنه أسس إمبراطورية إيران من جديد فمُنذ أواخر حكم كمبوجيه نتيجة لغيابه عن إيران فترة طويلة، وخروج برديا الكذاب وما ارتكبه من ضعف ووهن مع الممالك التابعة له فقد أصبحت جميع ولايات إيران تموج بالثورة والغليان، وكانت الخطوات التي اتبعتها داريوش في هذا الشأن طبقًا لما ورد في نقش بيستون على هذا النحو.

بدأت الثورة في عيلام فقد أعان التمرد على داريوش أحد أعقاب حاكمي عيلام السابق وكان يسمى آترين، فأرسل داريوش إلى شوش حيث قبض على المتمرد وقتله؛ وفي بابل خرج شخص - أسمى نفسه بخت النصر الثالث بن نبونيد ملك بابل السابق. ورفع راية العصيان، فتوجه داريوش على رأس جيش إلى بابل ولم يكن عبور دجلة أمرًا ميسورًا نظرًا لقوة البحرية البابلية، فسلك داريوش سبيل الحيلة وغافل خصمه وعبر دجلة، وأنزل بالبابليين هزيمة نكراء في معركتين، فلجأ البابليون إلى مدينة بابل وتحصنوا بها، فحاصرها داريوش ولكن ترامت أخبار الثورات والاضطرابات التي شملت كل مكان إلى مسمعه وقتذاك، فقد ثار واحد من أهل فارس يدعى مرتي ي (٢٤).

وقاد حملة هاجم بها مدينة شوش ولكن أهلها قبضوا عليه وقتلوه؛ وتمرد جيش ماد - وكان مكلفا بحماية تلك المملكة بإغراء شخص اسمى نفسه فرورتيش وكان من أعقاب هووخستر، واختاره الميديون ملكا عليهم ففي أول الأمر أمر دار

يوش أحد قادته بإخماد ثورة الميديين، وجرت معارك كثيرة بين الجيش لم تسفر عن نتائج حاسمة، فأمر دار يوش بإيقاف القتال لحين وصوله، وأرسل دار يوش إلى أرمينيا أحد قادته من الأرمن كذلك لإحلال الهدوء بها، فخاض ذلك القائد ثلاثة حروب لم تسفر عن نتيجة أيضا مما اضطره إلى إرسال قائد إيراني إلى أرمينيا من جديد. فخاض حربيين لم تسفرا عن نتيجة كذلك، مما حدا به إلى إصدار أمره إليه بإيقاف القتال لحين وصوله، فقد كان الملك يعلم جيدا أن السيطرة على بابل مفتاح لسائر الفتوحات الأخرى. ولذا ركز كل اهتمامه للفراغ من أمر بابل (٢٥) فاستولى عليها (٥٢١ ق.م).

وهاجم دار يوش ماد بعد ذلك، وهزم جيشها الميدي وأمر بالقبض على فرورتيش الذي كان قد فر، وتم إعدامه شنقا في همدان.

وظهر في ساغارتى كذلك شخص يدعى جيتير تخمة، وادعى أنه من نسب هووخ شتر قبض عليه دار يوش بواسطة واحد من قواده وقتله. وفوض أمر إخماد الثورة في بارت (خراسان) وكركان إلى ويشناسب والد دار يوش حاكم تلك المناطق؛ الذى وفق فى إنجاز ما أوكل إليه وأخضع مرغو (مرو الحالية) التى كان أحد الأشخاص يدعى فرد قد استولى عليها، وعاون دار يوش فى ذلك حاكم باختر. وفى تلك الأثناء خرج فى فارس شخص يدعى وهى يزدات، واسمى نفسه برديا بن كوروش.

ولكن دار يوش تمكن من القبض عليه سريعا، وأعدمه ومن كانوا معه شنقا. كما تمكن بمعاونة حاكم رخج (الجنوب والغرب من أفغانستان الحالية). من إنزال الهزيمة بالجيش الذى أرسله برديا الثانى الكذاب إلى تلك المناطق، وفى تلك الأثناء أيضا ثار أهالى بابل بتحريض من شخص أرمنى أسمى نفسه بخت النصر، ولكن نار الفتنة أخمدت حين تصدى لها أحد قادة دار يوش. الميديين وقتل المتمردين. وأخضع السگا كذلك. وبعد ذلك بدأت الاضطرابات تتفاقم فى ليديا. وقد أورد هيروودوت تفصيل ذلك بقوله: كان أرى تس حاكم تلك المملكة يرغب فى الاستقلال

ولكن دار يوش عاجله قبل تحقيق أمله وقتله بيد واحد من أتباعه. وبعد ذلك توجه دار يوش إلى مصر عام ٥١٧ ق.م حين بدأت الثورات والاضطرابات يزداد أوارها نتيجة لسلوك واليها؛ ولذا قتل ذلك الوالى بعد وصوله إلى مصر، وكان ذلك الوالى يسمى آرياندش^(٢٦).

واستمال قلوب رجال الدين وكانوا ذوى النفوذ الكبير فيها إلى جانبه، فأغدق عليهم الهبات ليحقق ما يريد.

وشارك المصريون فى مراسم التعازى فى وفاة عجل أبيس متلافيا ما كان كمبوجيه يرتكبه من أعمال وسلوك دون تفكير أو روية، وأبدى حزنه ووعده بدفع مبلغ مائه تالان^(٢٧) لمن يعثر على الثور المقدس الذى يتوافر فيه شروط المصريين، حتى ظفر فى رحلته هذه بمحبتهم وتقديرهم: فقد كان يتوجه إلى معابدهم، ويظهر مزيداً من الاحترام لآلهتهم؛ وشيد للمصريين معبدا فى آمون وأعاد الكاهن الكبير سائيس وكان قد نفى إلى شوش؛ وزاد من إكرامه، وأمر بترميم ما خربه جيش كمبوجيه، ثم أصلح الطرق التجارية فى مصر بعدما أصابها من تخريب، وعادت سيرتها الأولى؛ وأوصل بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) بالبحر الأحمر لتعود التجارة مباشرة بين مصر وبلاد الهند.

ونتيجة لذلك عم الشعور بالرضا عن دار يوش جميع المصريين واعتبروه واحداً من كبار منقذى القانون؛ ويجب القول بأن دار يوش لم يحدث أى تغيير فى أوضاع مصر الداخلية، فقد أبقى على الأراضى كما كانت فى يد نجباء المصريين ورجال الدين منهم، ولكنه ترك حامية فى ممفيس وفى مكانين آخرين للمحافظة على الأمن.....

وكانت مصرفى عهد داريوش تعيش فى رفاهية، إلا أن الفلاحين ثاروا فى أواخر حكم داريوش (٤٨٦ ق.م) نتيجة للتقدير الجزافى للخراج. استغرقت عمليات دايوش الحربية لإخضاع الممالك الثائرة عشرين سفرة، وأعدم داريوش وقادته تسعة أشخاص ممن إدعوا أنهم ملوك.

نظم داريوش

لم يكن دار يوش معبدا لتأسيس الدولة الهخما نشية فحسب، بل كان واضعا ومؤسسا لنظم إدارية سهلت إدارة مملكة إيران الواسعة، وأمنت نشر الرفاهية بين أبنائها. وكانت تلك النظم الإدارية على النحو التالى:-

أولاً:

قسم دار يوش ممالك إيران إلى عدة أقسام، وعين على كل قسم منها واليا كان يطلق عليه بلغة آنذاك (خشثربوان) أى حارس أو حامى المملكة (كانت المدينة تعنى قديما المملكة) وكان اليونانيون يسمونه ساتراب. ويذكر اليونانيون أن أقسام ممالك إيران كانت ستة وعشرين قسما ولكن عدد الولايات التى ذكرها دار يوش فى نقش رستم بلغت بالإضافة إلى فارس ثلاثين ولاية. وعين فى كل ولاية اثنين من الموظفين من الإدارة المركزية كمساعده للوالى فى إدارة ولايته وحتى لا تتركز السلطة فى يد فرد واحد تولى واحد من هذين الموظفين قيادة الجيش المحلى الذى يحرس الولاية^(٢٧).

ويتولى الثانى إدارة أمور الولاية بوصفه رئيسا للديوان، وكان الهدف من تأسيس هذا المنصب أن يقف الملك على أحوال الولاية وهل تنفذ الأوامر الصادرة إليه من قبل الحكومة المركزية وعلى هذا فقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية، وفى المهمات كانت الأوامر المركزية تصدر إليه

مباشرة. وكان يدير أمور القلاع من يسمون (أرگ بت) (ارجبذ). وأوجد نظاما لحفظ الأمن العام حتى يعم جميع الولايات، وكان للسلطة المركزية مخبرون في هذا النظام في كل مكان بالولاية، وبالإضافة إلى ذلك كانت السلطة المركزية ترسل موظفين من قبلها لتفقد الأوضاع المالية للولايات مرة كل عام، وكان يرسل برفقة هؤلاء المفتشين - الذين كانوا يلقبون بعيون الدولة وأذانها - جنودا لتنفيذ أوامره.....

ثانياً:

لكي تصل أوامر العاصمة وأحكامها إلى الولايات بسرعة فائقة، وحتى لا يحدث ما يعوق حركة الجيوش أثناء الغزوات، مد دار يوش الطرق في إيران والممالك الخاضعة لها. وكان أشهرها الطريق الممتدة من سارد حتى شوش، ليمتد من هناك حتى يصل إلى العاصمة وقد قدروا طوله بـ ٢٤٠٠ كم أي ما يقرب من أربعمائة فرسخ.

ومن الطرق التي كانت مشهورة آنذاك الطريق الممتدة من ممفيس عاصمة مصر آنذاك إلى مدينة كوروش الواقعة على نهر سيحون، وجهزت منازل وفنادق جيدة على طول هذه الطرق، كما أنشأوا مراكز للبريد وزودوها بقدر كاف من الخيول السريعة، وكانت الطرق تخترق الجبال في بعض الأماكن فعينوا من الحاميات ما يكفي لحمايتها.

وكان حملة بريد الدولة يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة إلى أقرب مركز بريد لها فيتسلمها حملة بريد غيرهم حاضرون ويوصلونها إلى مركز البريد التالي. وهكذا كان حملة البريد في حركة دائمة ليل نهار وكانت أوامر الدولة تصل بسرعة إلى الأماكن الموجهة إليها.

ثالثاً:

للوصول بالمقدرة العسكرية إلى الحد المطلوب، ووصولها بسرعة إلى أهدافها نظم دار يوش الجيش المؤرخون اليونانيون يطلقون عليه اسم (جاويدانش) (الخالد)؛ لأنه لم تعوزه العدة، كما كان يملأ الفراغ على الفور، وكان عدد أفراد هذا الجيش المعدة والمنقاة والذين يتحركون فور صدور الأمر بالتحرك يصل إلى عشرة آلاف فرد. كانوا يتولون حفظ الأمن، كما كانت هناك قوة أخرى من الأساورة والمشاة تبلغ أربعة آلاف جندي تتولى حراسة العاصمة والقصر الملكي.

رابعاً:

لم يكن هناك نظام معين لحماية الأموال قبل تولى دار يوش الحكم، فقد كان الولاية يجوبون كل ما يريدون، فنظم دار يوش هذا الأمر المهم ولم تكن مصادر الجباية معلومة، ولكن هيرودوت يذكر أن دار يوش فرض على كل ولاية من ولايات إيران العشرين مبلغاً محدداً يجبي كل سنة، ويقول هيرودوت إن حصيلة الأموال التي كانت ترد إلى الخزانة، كانت تعادل ٤٥٦٠ اتالان (أوبي^(٢٨)). ويذكر هيرودوت أن الأموال كانت تشمل نقداً وعينا^(٢٩). ويذكر بلوتارك أن دار يوش بعد أن حدد الجباية النقدية والعينية للممالك أخذ يعيد النظر ليتبين إذا كانت تتقل كاهل الناس أم لا، وبعد أن تبين أنهم يستطيعون دفع ما فرض عليهم خفض المطلوب إلى النصف، وقال إن الولاية سيجبون ضرائب إضافية من الناس للوفاء بمصاريفهم لهذا يجب تخفيف ما يجبي منهم حتى لا يقع عليهم عبء متطلبات الولاية.

خامساً:

من الأعمال التي قام بها داريوش توصيل البحر الأبيض (بحر المغرب) بالبحر الأحمر وسبب ذلك أنه حين كان ببلاد الهند، لاحظ أن تجارة مصر والشام وغيرها تمر في طريقها لبلاد الهند، عبر طريق موحش برى، لذا أمر بربط بحر

المغرب بالبحر الأحمر بواسطة إحدى شعب نهر النيل، وقد تم هذا العمل فى عصر نخائو فرعون مصر عام ٦٠٩ ق.م، إلا أن تلك القناة كانت قد سدت فى عصر داريوش، فأمر بتطهيرها.

سادسا:

سك داريوش عملة ذهبية لتسهيل الأمور التجارية والمعاملات، وراجت تلك العملة فى جميع ممالك إيران، وكانوا يسمون تلك العملة (دريك^(٢٠)) ويتضح من تلك السكة أن عيارها الذهبى كان عاليا جدا، ذلك أن داريوش كان ذا ولىع شديد بأن تكون عملته من الذهب الخالص. وقد ضربت السكة لأول مرة فى ليدية فى منتصف القرن السابع ق.م ولكن عملة داريوش كانت أول سكة ضربت فى إيران.....

الاستيلاء على البنجاب والسند

بعد أن فرغ داريوش من تثبيت الأمن فى الممالك التابعة لإيران، ضم عدة ولايات إليها إحداهما البنجاب والأخرى السند وهما من الولايات الهندية، وقد جلب لإيران من بلاد الهند كثيرا من الذهب، وكانت حرب داريوش فى بلاد الهند من الأحداث المهمة آنذاك، حتى صارت تلك الحرب واحدة من مبدأين اتخذتا بداية لتاريخ الهند:

الأول: موعظة بوذا (مؤسس الديانة البوذية). والثانى غزو داريوش.

وحين كان داريوش فى بلاد الهند بنى الكثير من السفن وأرسل اسكيلاس skylas أمير البحر اليونانى إلى بحر عمان والخليج، لإجراء أبحاث حول سواحل هذه البحار. وكان هذا من الأمور المهمة آنذاك^(٢١)، وقرب ذلك الزمان خضعت جزيرة سامس وبعض الجزر اليونانية الأخرى لداريوش.

غزو أوروبا - الاستيلاء على تراكيّة ومقدونيا:

توجه داريوش بعد ذلك إلى السكا، وكانوا أقواما من الشعوب الآريانية غالبا، استوطنوا جنوب روسيا الحالية، وكما سبقت الإشارة إليه فإنهم قد أغاروا على أذربيجان وأرمينيا وآسيا الصغرى في عهد هووخ شتر ويبدو أن أوروبا السبب، الذي حدا بداريوش لمهاجمتهم أنه كان يرغب في شن حرب على يونان أوروبا، لذا فكر في تأمين ظهره أثناء مهاجمته لليونان ولكن هذا التصور لا يمكن أن يكون صحيحا، فقد تحقق له تأمين ظهره بالاستيلاء على تراكيّا ومقدونيا، ولذا يجب القول بأن تلك الغزوة كانت نتيجة للحملات والإغارات المستمرة التي كان السكا يشنونها على إيران^(٣٢). وعلى أية حال فقد بدأ داريوش حملته على مملكة السكا في سنة ٥١٥ ق.م. فعبر مضيق البوسفور، حيث أمر داريوش يوناني آسيا الصغرى التابعين لإيران بإنشاء جسر من السفن حول إليهم أمر حمايته، وبعد ذلك عبر الجيش الإيراني تراكيّا حتى بلغ مصب نهر الدانوب.

وهناك أمر رؤساء المستعمرات اليونانية (الجبابرة) ببناء جسر من السيف عبر عليه الجيش الإيراني حتى بلغ مملكة السكا أو منطقة ستب الحالية (steppe) أضرم السكا النار في المون وخزائن الغلال وطموا الأبار غاضبين ثم تقهقروا إلى داخل مملكتهم، فهددت مشكلات تلك المملكة وما أصابها من قحط الجيش الإيراني. ولكن قيادة الجيش الإيراني كانت قد أعدت المون الكافية للجيش فتمكن داريوش خلال شهرين من التقدم من نهر الدانوب حتى تانانيس (الآن اليوم) وقلب مملكة السكا (روسيا الحالية) ويقول هيرودوت: أرسل داريوش رسولا إلى ملكهم لإبلاغه بهذه الرسالة:

"لماذا تفر من أمامي حارب إن استطعت وإلا أظعنى". فأجاب حاكم السكا إجابة مأكرة محيرة فقد أرسل إليه: طائرا، وفارا، ووضفدعة، وخمسة رماح. فسّر أحد ندماء داريوش ويدعى كيرياس هذه الرسالة بقوله: إن حاكم السكا يوديون أراد

أن يقول: إذا كنتم لا تستطيعون أن تحلقوا فى السماء تحليق الطيور، أو الاختباء فى الأرض كالفيران أو النزول فى الماء كالضفدع فلا خلاص لكم من سهامنا هذه. ومع قبول هذا التفسير فلم يتضح لماذا أرسل حاكم السكا خمسة من السهام. ويتضح الجانب الأسطورى مما ذكره هيرودوت، فقد دخل السكا - مع الجبابة أو الحكام اليونانيين المكلفين بحراسة جسر الدانوب - فى محادثات لتخريب تلك الجسور حتى لا يتمكن داريوش من العودة، ولكن الجبابة الذين نالوا ما هم فيه من مكانة بحماية إيران لهم، امتنعوا عن تنفيذ ذلك، ورجع داريوش إلى سارد من الطريق الذى سلكه فى ذهابه إلى أوروبا إلا أنه ترك ثمانين ألف جندى تحت قيادة بغابيش (مغابيز عند اليونان) فى أوروبا للاستيلاء على المدن اليونانية فى تركيا ومملكة مقدونيا، وقد أتم هذا القائد ما وكل إليه من مهمة، وتقدم حتى بلغ سواحل بحر الأدرياتيك وهكذا خضع ملك مقدونيا أمين تاس لإيران.

الحرب مع اليونان

يتضح من القرائن أن داريوش لم يكن يقصد الهجوم على أثينا أو إسبارته بل إن الغالبية من رجال البلاط الإيرانيين كانوا يرون عدم جدوى الحرب مع اليونانيين، ولكن اليونانيين الأوربيين هم الذين أجبروا داريوش على إرسال جيش إلى اليونان، وتفصيل ذلك على النحو التالى: كان ثلث الأراضى التى يسكنها اليونانيون - أى المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى وتراكيا ومقدونيا - تابعة لإيران آنذاك، وكان الثلثان الآخران يتكونان من عدة دويلات كان بعضها لا يتعدى حكم مدينة من المدن وبعضها الآخر أكبر من ذلك، وكانت أثينا وإسبارته أشهر تلك الدول وكانت الأولى تحكمها حكومة وطنية.

بينما كانت تحكم الثانية حكومة أو لجانسية، أى أقلية. وكان كلاهما يخشى إيران جارتهم القوية ويتوجس منها خيفة، إلا أنه على الرغم من هذا فقد كانا يلجآن

إليها إذا ما حزبهما أمر، وخلصه القول فإنه منذ ذلك التاريخ ومن نهاية الحكم الهخمانشى كان اليونانيون يفرون من بلادهم لاجئين إلى ولاية آسيا الصغرى، ولجوء العديد من اليونان إلى بلاط إيران معروف، وكان هؤلاء يحضون إيران دائما على الاستيلاء على اليونان أو التدخل في شئونها، ولم تتدخل إيران في أمور المستعمرات اليونانية، بل تركت أمور إدارتها لجبابرة اليونان، فإذا ما فقدت إيران الثقة في أحد هؤلاء الجبابرة، عينت جبارا يونانيا آخر.

وفي سنة ٥١٠ ق، م ثار أهالي أثينا على هيب بياس HIPPIAS وكان من عائلة بى زيسترات وجبار أثينا فعزله أهلها وأنشأوا حكومة وطنية بها، فلجأ إلى أرتافرن والى ليديا؛ ثم إن الأثينيين، لمعارضة أشرف إسبرطة لحكومتهم الوطنية مما أدى إلى حرب بينهما انتهت بوقوع أثينا تحت ضغط دولة إسبارته، رأوا أن مصلحتهم فى التقرب لايران فأرسلوا سفيرا إلى والى ليديا؛ طالبين المساعدة من ايران، فرد الوالى نساعدكم بشرط خضوعكم لإيران ودفع الجزية لها، إلا أن الأثينيين رجعوا عما وافق عليه السفير (٥٠٨ ق. م) وبعد عامين عاود الأثينيون إرسال السفير إلى الوالى المذكور؛ طالبين تخليه عن حماية هيب بياس فأجابهم بضرورة قبول أثينا له، فرفضت أثينا هذا المطلب وفى هذا الحيف بيص بدأت الثورات والاضطرابات فى المدن اليونانية بآسيا الصغرى، وكان محركها أريستاگر Aristajor جبار مدينة ميلت، وكان يحكمها من قبل إيران، وكان السبب فى ذلك أن حماة هيس تيه Histiaeus حاكم ميلت السابق كان قد قدم خدمات كثيرة لداريوش أثناء غزوه لمملكة السكا، ولذا كافأه داريوش على ذلك بمنحه مقاليد الحكم فى مدينة ميرسين إحدى مدن تراكية.

تم استدعاؤه لإيران بعد أن تأكد مما يقوم به من بناء للاستحكامات هناك، حيث عومل بغير احترام، فحرض هذا الشخص صهره أريستاگر على الثورة، وحتى لايفضح أمره حلق رأس احد الغلمان وكتب مايريده على فروة رأسه، وبعد

أن نبت شعر الغلام أرسله إلى ميلت أمرا إياه بإبلاغ صهره بحلق رأسه وقراءة ما سطر على جلد رأسه، وبعد ذلك بدأت الثورة، واضطر الجيش الإيراني نظرا لقلّة عدده إلى التقهقر أمام الثورة ولجأ إلى مدينة سارد؛ وحين علم آريستاغر أن جيش إيران سيصل من جهات متعددة، ذهب إلى اليونان طالبا العون، ولم تكن إسبارته مستعدة للعون بينما أمده الأثينيون بعشرين سفينة، وبعد ذلك امتدت الثورة إلى سائر المدن اليونانية في آسيا الصغرى وجزيرة قبرص وغيرهما، واستولى اليونانيون على سارد، وأحرقوا المدينة ذاتها وغابتها المقدسة ولكنهم لم يوقفوا في الاستيلاء على قلعتها لما كانت عليه من استحکامات قوية، وبعد ذلك توافد وصول الجيش الإيراني إلى مكان الثورة من كل ناحية وأحكمت السفن الفينيقية القادمة من البحر الدائرة على المتمردين لتتشب الحرب في نهاية الأمر قرب ميلت، ويضمحل اليونانيون أو يتوارون، ويعود الأثينيون إلى مملكتهم.

واستولى الإيرانيون على مدينة ميلت؛ حيث أنزلوا صارم العقاب بالتمردين (٤٩٦ ق.م). واضح أن دار يوش قد تأثر كثيرا بتدخل يوناني أوروبا في أمور إيران الداخلية، ولذا سرعان ما قامت الحرب الأولى بين إيران واليونان وقبل وقوع الحرب أمر دار يوش - إرضاء ليونانيي آسيا الصغرى - بمسح الأراضي وتعديل الضرائب عليها وأرسل صهره (مردو نيه) لإخماد الثورة في آسيا الصغرى وتراكيه وغيرها وخوله حق الإصلاح.

وكان هذا الرجل ينعم بالنجاة الفطرية وذا عقل وتدبير، فكان أول عمل أتمه تكوين حكومة وطنية في سائر المستعمرات اليونانية بآسيا الصغرى حتى يسود الرضا بينهم عن إيران^(٣٣)، وبعد ذلك سن حملة على أوروبا وتقدم حتى بلغ جبل آتس في تراكياء، وأعاد مقدونيا إلى حظيرة إيران مرة أخرى ٤٩٢ ق.م، ولكن تحطمت وغرقت ثلاثمائة سفينة نتيجة لهياج البحر الذي حدث آنذاك.

وكان الخوف من الإيرانيين شديداً في قلوب اليونانيين، إلا أنهم لم يتخذوا أية استعدادات لمواجهة ذلك، وكانت تلك الناحية المعنوية لليونانيين معروفة في البلاط الإيراني، فقد قام كثير من أشراف اليونانيين الفارين من الأحداث في اليونان بالاحتماء بهذا البلاط وكانو يخبرون دار يوش بأحوال اليونان.

وكان جميع من بالبلاط الإيراني يعتقدون أن دار يوش يستطيع إخضاع هذه المملكة دون حرب، وبناء على ذلك أرسل دار يوش رسلاً إلى اليونان طالبين ضرورة تقديم الماء والتراب أي الطاعة والخضوع، فقبلت أكثرية المدن اليونانية ذلك، ولكن الرسل الموفدين إلى أثينا وإسبارته قتلوا على خلاف العرف السائد بين الدول آنذاك، لتبدأ الحرب من جديد (٤٩٠ ق. م).

ويقول هيردوت إن الجيش الإيراني آنذاك كان تحت إمرة أحد القادة الميديين اسمه ديتيس **Datis** فرأى أن الصواب يكمن في مهاجمة أثينا مباشرة عن طريق البحر وجزر سيغّالاد فاستولى الجيش الإيراني في بداية الأمر على مدينة إرت رى **Eretee** ورحل سكانها إلى آسيا، وبعد ذلك وصلت ستمائة سفينة إيرانية إلى شبه جزيرة أتيك **Attique** التي تقع فيها أثينا وألقت مراسيها، وفي بداية الأمر لم يرغب الأثينيون في القتال، لأنهم كانوا ينتظرون الإمدادات من إسبارته، ولم تكن قد وصلت بعد. إلا أن ميلتياد أحد أبناء النجباء قام بتحريض الأهالي على القتال، وخرج الجيش الأثيني تحت قيادته لحرب الإيرانيين، وفي الطريق انضم إليه عدد من أهالي پلاته (إحدى المدن اليونانية).

واحتل جيش أثينا مدينة ماراثن **Marathon** الواقعة في الطرف الشمالي الشرقي من شبه جزيرة أتيك، وبعد ذلك بأيام بدأ ميلتياد القتال، ونظراً لأن اليونانيين كانوا يدركون أن الإيرانيين ذوو مهارة فائقة في رمي السهام، وأنهم إذا حاربوا من بعيد لا تكون لهم القدرة على تصويبها، ودون ما وجل التقى جيشه بالجيش الإيراني، والتحم الجيشان رجلاً لرجل، وكانت أسلحة الجيش الأثيني ثقيلة

أى أن أسلحتهم كانت دفاعية في حين كان الجيش الإيراني مفقدا لهذا النوع من الأسلحة كما كانت دروعهم لا تصل إلى ما كانت عليه الدروع اليونانية من المتانة والاستحكام، وعلى الرغم من هذا تمكن الإيرانيون من اقتحام قلب الجيش اليوناني ولكن جناحي هذا الجيش تغلبا مما اضطر الجيش الإيراني إلى التقهقر بعد مقتل أربعة آلاف رجل وانسحب في سفنه.

وكانت الجيوش الإيرانية ترغب في بداية الأمر في مهاجمة أثينا من طريق أكثر قربا منها إلا أن ميلتياد عرف خطتهم فسارع إلى الطريق المقترح محكما الدفاع عن أثينا، وبعد ذلك حين رأى القائد الإيراني أن الأمر قد أصبح على هذا النحو، لم يخض حربا أخرى ورجع إلى آسيا. وفيما يتعلق بتلك الحرب يجب أن نقول إن أحداثها متناقضة: أولا كتب المؤرخون اليونانيون أن عدد جنود إيران كانوا مائة ألف بل ثلاثمائة ألف.. والحال أن الثابت أن الستمائة سفينة في العهد القديم لا يمكن أن تحمل أكثر من ثلاثين ألفا من الجنود بكامل أسلحتهم ومعداتهم، ثانيا لو حدث أن الجيش الإيراني اقتحم قلب الجيش اليوناني فما هي الترتيبات التي اتخذها الجيش اليوناني ليتمكن من الإطباق بجناحيه. وبناء على هذا والروايات الكثيرة التي لا يمكن ذكرها في هذه العجالة فإن بعض المحققين مثل (نى پور) يعتقدون أن كتابات اليونانيين عن هذه الحرب والحروب الأخرى التي جرت بين إيران واليونان أشبه بالشعر والأسطورة والقصص الملحمي منه بالكتابة التاريخية، يقول (نى پور)^(٣٤). إن الأثينيين كانوا على درجة كبيرة من التقدم بشكل لم يكن مرتقبا ولا أدري كيف كان ذلك.. وتوفى دار يوش بعد أربعة أعوام من هذه الحرب أثناء استعداداته لحرب جديدة وكان ذلك عام ٤٨٦ ق. م، ويعتقد بعض المؤرخين أنه لو طال به العمر لتمكن من جبر هذا الكسر الذي أصيب به، ولساء أمر اليونانيين كثيرا.

خصال داريوش

كان داريوش ملكا عادلا وذا إرادة قوية وعزم. وكان سلوكه مع المغلوبين يتسم بالاعتدال إلا نادرا، كما كانت لديه بصيرة نفاذة في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ولم يخطئ في هذا المجال. ولو لم يتولى هذا الملك العرش بعد كمبوجيه لانتهى العصر الهخامنشى سريعا مثله مثل العصر الميدي، ولكن داريوش أسس الإمبراطورية الهخامنشية من جديد، وأحدث فيها تنظيمات وتشكيلات لم يكن هناك عمل أفضل منها في ذلك الوقت حتى اقتفى أثرها الإسكندر والسلوكيون والساسانيون وغيرهم. وفي عهد داريوش بلغت إيران أقصى ما وصلت إليه من اتساع وبعده بدأت الدولة الهخامنشية في التدهور وتولى أمورها عدد من الملوك الضعاف، وعلى الرغم من عدا داريوش لليونان، فإن كتابات المؤرخين اليونانيين وبخاصة كتابة أشيل الأديب والشاعر المشهور تبنى المزيد من الاحترام لداريوش، ويعتبره بعض الباحثين أهم ملوك إيران القديمة وذكروا أنه يمكن مقارنة أنوشيروان وحده به (٢٥)....

الرابع: خشيا رشا^(٣٦)

كان الجميع يعتقدون في بداية الأمر أن (أرته برن)^(٣٧) ابن دار يوش من زوجته الأولى سيكون وليا للعهد بعد والده ولكن دار يوش اختار لولاية العهد قبل وفاته ابنه من (آتس سا^(٣٨)) ابنة كوروش الكبير. وأيده الجميع في ذلك واسمه خشيا رشا (باليونانية كزر ك سس).

تولى خشيا رشا مقاليد الملك وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، وجه اهتمامه في بداية حكمه لإخماد الفتن التي حدثت بمصر، وولى عليها رجلا اسمه (خش) وتمكن من القضاء على تلك الفتنة ٤٨٤ ق.م، وبعد ذلك أخذ ثورة بابل، وتوضيح ذلك أنه استولى على هذه المدينة بعد حصارها عدة أشهر وفي تلك المرة - كما يقول هيرودوت - سلك سلوكا مغايرا للمألوف؛ فقد أغار على المدينة. وجعل خزانة الآلهة البابليين (بل مردوك) من نصيب الفاتحين.

وبعد أن فرغ خشيا رشا من هذين الأمرين، بدأ في الاستعداد لحرب اليونان " كتب المؤرخون أن هذا الملك لم يكن يرغب في بداية الأمر الدخول في حرب مع اليونان، ولم يكن يعطى أهمية لهزيمة الإيرانيين في ماراتن، إلا أن (مرد ونيه) كان يحرض خشيا رشا على حرب اليونان حفاظا على أبهة إيران وشوكتها، ومعلوم أن اليونانيين الهاربين والمطرودين من اليونان الذين لجأوا إلى البلاط الإيراني، وكثر عددهم به كانوا يشاركون مردونيه هذا الخيال ويذكر هيرودوت أن الاستعدادات لتلك الحرب استمرت ثلاث سنوات، وتم اختيار كبادوكيه الواقعة في آسيا الصغرى مكانا لتجمع كل الجيوش.

وكما كتب المؤرخون اليونانيون فقد اشترك في هذه الحرب ست وأربعون صنفاً من الشعوب والأجناس المختلفة، فقد كان الجيش مكونا من الفرس والميديين

وأهالي گرگان، والبارتيين والسكا، وانضم إلى هذا الجيش أفراد من الأوربيين والعرب والهنود والميديين والأحباش وسائر الممالك التي كانت خاضعة لإيران.

ويختلف المؤرخون القدامى فى عدد جنود خشيا رشا فمنهم من ذكر بأن عدده خمسة ملايين، وهذا العدد مبالغ فيه كثيرا، ومن المحتمل أن يكون عدد جيش خشيا رشا المكون من القوات البرية والبحرية قد بلغ ٣٥٠ ألف جندى، لأنه لم يكن بالإمكان - طبقا لما كان متاحا فى استعدادات ومواصلات آنذاك - تدبير مؤن لأكثر من هذا العدد.

وكان له فى البحر ١٢٠٠ سفينة حربية و ٣٠٠٠ سفينة نقل وحمل لمعاونة الجيش، وقد أحضرت تلك السفن من قبل المصريين والفينيقيين وأهالي جزيرة قبرص والمستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى تلبية لأمر خشيا رشا، وعبر الجيش الإيرانى بوغاز الدردنيل - وكان يسمى آنذاك هليس بونت Hellesponte فوق جسر من السفن المتراصة بأمر خشيا رشا، ووصل إلى أوروبا خلال سبعة أيام بلياليهم. فقسم المشاة النظاميين عدة فرق وقسم الخيالة النظاميين ثلاثة أقسام، وكان قادة الجيوش كلهم من الفرس، وتحرك الملك ومعه كل العائلة الهخمانشية مع الجيش.

وتقسيم الجيوش إلى فرق أصغر عليها قادتها التابعون للقيادة العليا، وتحرك مثل هذا الجيش العرمرم مرة واحدة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان، يدل على أن تقسيمه إلى فرق؛ وحركته ووصول المؤن إليه وإقامة كبرى المرور وتعمير طرقه ونظامه وترتيبه كان غاية فى الدقة والإحكام، وإلا ما كانوا يستطيعون قطع هذا الطريق الطويل.

وفضلا عن الجسور العديدة التي أقاموها فى أماكن مختلفة، فقد حفروا قناة فى الطرف الشمالى من جبل آتس Athos حتى لا تتعرض السفن الإيرانية لما تعرضت له من طوفان وفيضان أثناء الحرب الإيرانية اليونانية الأولى (عثر فى تلك القناة عام ١٨٣٩ على ثلاثمائة قطعة ذهبية ضربت أيام دارا الأول وتسمى دريك).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم يلاحظ اتحاد واتفاق بين اليونانيين في بادئ الأمر: فقد كانت المدن اليونانية ترى كل منها نظرة خاصة لا تشاركها فيها غيرها من المدن، وإن كانوا جميعًا يعتقدون أن الحرب مع الإيرانيين لا نتيجة ولا فائدة منها، ولم يكن الأمر في أثينا بأفضل من ذلك، فقد كانت مترددة في ذلك، محجمة عنه، ولكن ظهر بين الأثينيين شخص يدعى تيمو سنكل **Themistocle** تمكن من إشعال حمية الأهالي، وإيقاظ الرغبة في القتال وتهيئة الأسباب اللازمة لذلك، حتى تمكن في النهاية من شحذ همهم للقتال، عندئذ أرسلوا السفراء إلى المدن اليونانية الأخرى، بطلب عقد وتكوين اتحاد فيما بينها، فدخلت اسبرطة في البداية في هذا الاتحاد وتعاقب انضمام المدن الأخرى إليه حتى بلغ عدد المدن المتحدة إحدى وثلاثين مدينة. وتمكن الجيش اليوناني المكون من سبعة آلاف جندي من الاستيلاء على مضيق ترموبيل **Themistocle** ويقع هذا المضيق بين جبل وبحر وكان ضيقًا يكاد يسمح بعبور عربة واحدة وكان لليونيداس **Leonidas** يقود الجيش اليوناني، ويتولى قيادة القوة البحرية (مكونة من ٢٧١ سفينة) أمير البحر أورى بباد **Euribades** وكان كلاهما حاكمًا لاسبرطة. تقدم الجيش الإيراني عبر طريق قفر، واستسلمت له كل الطوائف والشعوب الواقعة عبر هذا الطريق حتى بلغ مضيق ترموبيل. وبدأ الهجوم والزحف الإيراني في اليوم السادس؛ وأظهر الخيالة الميديون ورماء السهام من الكيسيين مهارة فائقة، ولكن الجنود الإسبارتيين المعروفين بـ هوبليت **Hoplites** أي حاملي الأسلحة الثقيلة، لم يتمكنوا الجيش الإيراني من عبور هذا المضيق، وصدوا حملاتهم وأوقفوها وحين أدرك قادة الجيش الإيراني صعوبة العبور وأن هذا سيؤدي إلى خسائر جسيمة بين صفوف الجيش الإيراني، تحرك الجيش بقيادة هيدارن مستر شدا

بهداية أحد اليونانيين، سالكا طريقًا وعرة. تطوق ظهر اليونانيين في ترموبيل (وحين علم الجيش اليوناني بتلك الخطأ، انفصمت عرى وحدته وتشتت،

إلا أن لنونيداس ومعه ثلاثمائة جندي من الإسبارتيين، وسبعمائة جندي يوناني من سائر المدن اليونانية الأخرى ظلوا مقيمين في ترموبيل لتأمين انسحاب الجيش المذكور، أى للسماح لهم بالخروج في أمان من ميدان القتال، وبعد ذلك كان الجيش الإيراني يتحرك في المنطقة الجبلية عبر طرق وعرة ومجهولة حتى بلغ مؤخرة الجيش اليوناني المتبقي في ترموبيل بقيادة ليونيداس وقبضوا عليهم جميعا وقتلهم وقائدهم (٤٨٠م). وتعد هذه الحرب من أشهر المعارك في تاريخ الحروب والتي تم فيها انسحاب الجيوش، كما ترك ليونيداس اسما كبيرا في التاريخ. ودارت في تلك الأثناء حرب بحرية أخرى بين البحرية الإيرانية والبحرية اليونانية قرب جزيرة أوبه Eubee، وأصيب الطرفان إصابات بالغة، إلا أن البحرية الإيرانية حافظت على تفوقها البحرى، ونظرا لما أصيبت به البحرية اليونانية من خسائر فادحة، فإنها فرت من ميدان القتال حين علمت بعبور الجيش الإيراني من مضيق ترموبيل، وأدرك الجيش الإيراني فرار السفن اليونانية بعد يوم من فرارها، وأنهم إذا تعقبوا البحرية اليونانية، فإنهم يستطيعون القضاء عليها؛ وسميت هذه المعركة البحرية باسم المكان الذى حدثت فيه أى حرب آرتمى يوم Artemisium (٤٨٠ق.م) وأصبح الطريق ممهدا ومفتوحا أمام الجيش الايراني لأثينا وتمام المدن اليونانية، ونتيجة لهذا رحل الأثينيون النساء والأطفال من أثينا وتمام المدن اليونانية، إلى جزيرة سالامين، حيث اجتمعت السفن اليونانية البالغ عددها ثمانى وستين وثلاثمائة سفينة.

تحرك الجيش الايراني متجها صوب أثينا، واستولى عليها وانتقاما مما فعله اليونانيون في سارد فقد أحرق معبد القلعة، وأبلغ خشيا رشا عمه أردوان الذى كان يحكم نائبا عنه - بفتح أثينا، وعندئذ أصبحت للإيرانيين اليد العليا برياً وبحرياً؛ وأصاب اليأس اليونانيين وأرادوا التفريق وترك ميدان القتال، إلا إن تميستوكل احتال حيلة ودبر أمرا حتى تحدث المعركة البحرية على الفور ولا

يتفرق اليونانيون، ويجبر السفن الإيرانية على القتال في مضيق ضيق (سالامين).. وتحققا لما هدف إليه أرسل أحد غلمانه إلى البحرية الإيرانية خفية ميلغا إياها بهذه الرسالة: "إن البحرية اليونانية تتوى الفرار ولأنى أأيكم فى الباطن رأيت من الخير أن أطلعكم على ذلك" وعندئذ سارعت البحرية الإيرانية ببدأ القتال ولكن لم تَتمكّن سفنها جميعا من الاشتراك فى القتال لضيق المكان كما لم تستطع السفن الكبيرة والسريعة من الاشتراك فى العمليات كذلك، لأنها كانت تصطدم بعضها بالأخرى، ونتيجة لذلك أصيبت البحرية الإيرانية بأضرار بالغة، فاضطرت لإيقاف القتال فى اليوم التالى (٤٨٠ق.م) وبعد تلك المعركة - وقد أصبح ميسورا للقوات البحرية اليونانية أن تتقدم، ولصعوبة نقل المؤن وحملها لمثل ذلك الجيش الكبير، فقد قرر خشيا رشا الرجوع بقوات كبيرة إلى إيران، وترك مردونيه على رأس مائتى ألف من أفضل الجنود فى اليونان لإنهاء الحرب بها...

ويذكر المؤرخون اليونانيون أن خشيا رشا قد أصابه خجل وضيق، لما تكبده جيشه من خسائر جسيمة أثناء عودته إلى إيران، ولكن المؤرخين الذين دققوا فى الأحداث وأمعنوا النظر فيها لا يقرون بهذا القول، لأن الاستيلاء على أثينا وحرق معبدها قد حقق لخشيا رشا ما كان يهدف إليه من إنزال العقاب باليونانيين، يضاف إلى ذلك أن جسر الدردنيل كان سالما لم يصب بأذى مما مكن الجيش الإيراني من العودة إلى آسيا الصغرى سالما دون ضرر.. حرك مردونيه الجيش الإيراني عبر الصحارى الواقعة فى تسالى (Thessalie فى وسط اليونان حاليا)؛ حيث أمضى فصل الشتاء هناك، وأعاد تنظيم الجيش واستكمال تشكيلاته، وعمد هذا القائد إلى وضع حد لهذا الوضع إما بالحرب أو السلام ودخل فى مفاوضات مع اليونانيين لعب فيها الحاكم المقدونى الإسكندر - التابع لإيران - دور الوسيط بينهما، وطلب منهم إعلان الخضوع والطاعة للملك الإيراني، على أن يترك لهم الملك فى مقابل ذلك حرية التصرف فى أمورهم الداخلية، وأن يعيد تعمير أثينا ومعابدها، فأوكل

الإسبارتيون للأثينيين النظر في هذه المقترحات إما بقبولها أو رفضها، فأعلن الأثينيون رفضهم لها، لتبدأ الحرب من جديد ويحتل الجيش الإيراني أثينا من جديد، ويخربها.. و تنشأ الحرب من جديد بين الفريقين في بلاتة القريبة من تب **Thebe** إحدى الدول اليونانية وكان للجيش اليوناني في تلك المعركة مائة وعشرة آلاف من الجنود يقودهم بوزانيوس حاكم إسبارته، وتفوق الإيرانيون لبسالتهم في بداية القتال، إلا أن الدائرة دارت عليهم، لأسباب أهمها أن الجيش الإيراني لم يكن مزوداً بأسلحة الدفاع من خوذات ودروع، وكانت جناتهم من الخيزران، يضاف إلى ذلك أن مردونيه القائد قد أصابه سهم فسقط من على حصانه، وبقي الجيش الإيراني دون قائد، لذا أصبحت الغلبة من نصيب الجيش اليوناني، وانسحب أربعون ألف جندي من الجيش الإيراني وقتل أو تفرق من بقي منه ٤٧٩ ق.م.

وفي تلك الأثناء كانت قرطا جنة تحارب يوناني جزيرة سيسيل وذاقت الهزيمة من حاكمها - أي جبار سيسيل - وبعد حرب سالامين، هاجم اليونانيون السفن الإيرانية الموجودة في رأس ميكال بجزيرة سامس، وقضوا عليها في سنة ٤٧٩ ق.م، واستولى اليونانيون على قلعة سس تس الواقعة على الساحل الأوربي لبوغاز الدردنيل في سنة ٤٧٨ ق.م، ومنذ ذلك التاريخ ظل التفوق البحري لليونانيين.

أسباب هزيمة إيران في تلك الحرب

يجب أن نشير أولاً إلى نقطة مهمة وهي أن الحروب الإيرانية اليونانية لم يكن لها ما يبررها أساساً، ذلك أن إيران وما تمتلكه من عمران وما انضم إليها من أغنى ممالك ذلك العصر مثل آسيا الصغرى وبابل وفينيقية ومصر، فضلاً عما كان يجري في اليونان من أحداث داخلية، كل هذا كان سيَجبرها عاجلاً أم آجلاً إلى الدخول في فلك إيران والانصياع لها، كما حدث بعد ذلك رغم ما أحرزته اليونان

من تفوق وانتصار . أما ما يمكن توجيهه من نقد للجيش الإيراني كما ذكر المؤرخون فينحصر فيما يلي:

أولاً: كانت العدة العظيمة لهذا الجيش من أكبر أسباب ضعفه لأن مثل هذا الجيش الكثيف العدد . كان كافياً للمحافظة على تفوق إيران البحري فقط، ورغم ذلك فلم ينتصر الجيش الإيراني في حرب سالمين.. وعلى الرغم من التفوق البري للجيش الإيراني فقد تعجل خشيًا رشا في التوجه إلى مضيق الدردنيل فقد أصبح إمداد الجيش بالمتونة أمرًا في منتهى الخطورة.

ثانيًا: على الرغم من أهمية التفوق البحري للإيرانيين وأهميته في إحراز النصر في تلك الحرب، فإن اختيار سالمين لتلك الحرب كان خطأ كبيراً ومن المؤكد أن تلك الحرب لو حدثت في بحر مفتوح، لاضمحت البحرية اليونانية، وبعد ذلك لا تسفر مقاومة اليونانيين عن نتيجة تذكر، لأن انتصار الإيرانيين في ترموبيل والاستيلاء على أثينا قد فتح الطريق أمام جيش إيران للاستيلاء على اليونان كلها، يضاف إلى هذا أنه على الرغم من استيلاء الإسبارتيين على مضيق كرنثيا، فإن المضيق المذكور لم يكن ضيقاً مثل مضيق ترموبيل، وكان بإمكان الجيش الإيراني لكثرة عدده - تطويق الجيش الاسبارطي من الخلف وكان بالإمكان كذلك دون عبور المضيق المذكور أن يستولى الإيرانيون ببحر يتهم على مدن البلوبونيز واحدة بعد أخرى، ولتتمكن من إخضاع إسبارته، يضاف إلى ما سبق فقد حدثت بعض الأمور ساهمت في عدم سيطرة الإيرانيين وتفوقهم منها:

١- سوء الأسلحة الدفاعية للإيرانيين وبدائيتها مع مواجهة الأسلحة الثقيلة لليونانيين، لأن الأسلحة الدفاعية لبقية الجيش الإيراني - فيما عدا فرقة الخالدين - لم تكن دقيقة محكمة.

٢- كانت الأساورة الخالدون الإيرانية مدربة على السهول الإيرانية الواسعة. لذا لم يتمكن من مساعدة المشاة عبر الممالك الوعرة والمعابر اليونانية الضيقة - مساعدة فعالة. وقد أثبتت كل الحروب الإيرانية اليونانية أهمية الناحية المعنوية والروح القتالية للمحاربين، ونوعية أسلحتهم، كما أثبتت تلك الحروب أن زيادة عدد أفراد الجيش رغم أهميتها في إحراز الانتصارات، فإن التربية الأخلاقية لليونانيين كانت أمضى وأكثر تأثيراً وأهمية في إحراز النصر، فقد كان اليونانيون يربون على الشعور بحب الوطن والذود عن استقلاله وشرفه وكرامته، مما لم يكن له نظير في ذلك الزمان. لم تحدث أية حادثة مهمة في عصر دار يوش بعد انتهاء الحروب اليونانية، وأخذ يمضى أوقاته بعد ذلك في اللهو واللعب. وفي عام ٤٦٥ ق.م اتفق ناظر قصر خشيا رشا واسمه مهرداد مع رئيس حرسه الخاص اردوان على قتله فقتلاه ومعه ابنة دار يوش (دارا). وتولى اردوان - من قبل ويشتاسب بن خشيا رشا - السلطة بالنيابة طوال سبعة أشهر حتى تمكن أردشير الأول بن خشيا رشا من قتله وجلس على العرش في سنة ٤٦٥ ق.م.

خصال خشيا رشا: لقد نسى اسم هذا الملك كليه من (القصص الإيرانية) فإذا استقرأنا خصاله مما كتبه المؤرخون اليونانيون نجد أنه كان ملكا وسيما يتمتع ببعده النظر، إلا أنه كان ضعيف النفس ينساق وراء الشهوات وبه لوثته؛ وكانت عودته السريعة بعد حرب سالامين إلى آسيا الصغرى واحدة من أسباب هزيمة الإيرانيين، ولم يستطع جبر كسره بعد ذلك، وقد بدأ عصر الملوك الضعاف الهخمانشيين وتدخل النساء ورجال القصور في أمور الحكم والبلاط منذ عصره (٣٩).

الخامس - أردشير الأول (أرت خشثر)

كما علمنا مما سبق فقد تولى الحكم بعد خشيا رشا ابنه أردشير درازدست. ويسميه اليونانيون (أرتا كزر سس دراز دست (طويل اليد). وفى بداية حكمه تحالف ويشتاسب بن خشيا رشا مع أهالى باختر (بلخ) وادعى أحقيته بالملك وأعلن نفسه ملكا، إلا أنه هزم بعد حربين وانتهى أمره تماما ٤٦٢ ق.م.

وبعد ذلك ثار أحد الأشخاص اللبيين فى مصر ويدعى إيناروس وحاصر الجيش الإيرانى فى ممفيس، وقبض على هخمانش أختى خشيا رشا والى مصر وقتله. وتدخل اليونانيون بجانب إيناروس وقدموا له ما يحتاجه من المشاة والبحرية، عندئذ أمر أردشير شخصا يسمى بغابيش^(٤٠)، لمحاربتة، وانتهت المعركة بانتصار أردشير (٤٥٤-٤٦٠ ق.م) وفى بداية المعركة انتظر المصريون واليونانيون ولكن الإيرانيين تمكنوا بعد ذلك من تخفيف إحدى شعب النيل، وحطموا السفن اليونانية بأيدى اليونانيين أنفسهم وانتصر الإيرانيون... ورأى الأثينيون أن الأفضل لهم - نتيجة لأوضاعهم الداخلية - أن يبرموا صلحا مع الإيرانيين فأرسلوا كال نياس إلى البلاط الإيرانى مستفيدين من تفوقهم فى قبرص، وتم الاتفاق على أن يظل اليونانيون، الذين كانوا جزءا من اتحاد دلس (وكانت أثينا قد شكلت هذا الاتحاد) أحرارا فى إدارة شؤونهم الداخلية على أن يسمح للسفن التجارية الإيرانية بالدخول للموانئ اليونانية. وصرف اليونانيون النظر عن أمر قبرص فى ذلك الوقت، وكانت هذه المعاهدة أمرا مشينا لإيران، لأن تقدم الإيرانيين وتفوقهم فى مصر قد أوضح أن قوتهم تتزايد عما كان عليه جيش اليونان خارج اليونان. ولو كان أردشير شخصا قوى الإرادة لتمكن من إيقاف اليونانيين فى آسيا الصغرى كذلك وإعجازهم، ويعرف هذا الصلح بصلح كيمون نسبة إلى قائد جيش أثينا فى

قبرص، وقد اعتقد غالبية المحققين أن معاهدة كال لياس لم يوقعها أردشير، وأعلن بغابيش والى الشام تمرده وعصيانه، وانتهى الأمر بعد حربين بانتصاره، وتم الصلح بين الولى والبلاط الإيرانى وصفح عنه الشاه. ثم إن أردشير أدركته الوفاة، وكانت وفاته فى سنة ٤٢٤ ق.م. ولم يفعل هذا الملك شيئاً فى أمور المملكة سوى الضعف والهوان، وكما كتب المؤرخون فإن أمور المملكة كانت مركزة فى يد الملكة أميس تريس والدته، بينما يصفه المؤرخون الشرقيون بالعدالة والعمل على تحقيقها... وفى عهده وصل تميستكل القائد اليونانى فى حرب سالامين إلى إيران بأمل تحريض إيران على التدخل فى الأمور الداخلية لليونان؛ إلا أنه لم يوفق إلى ذلك، وولاه أردشير الحكم على عدة مدن من آسيا الصغرى، وظل تابعا لإيران حتى نهاية عمره مثله مثل سائر الجبابرة اليونانيين.

السادس - خشيا رشا الثاني

تولى خشيا رشا الثاني مقاليد الحكم بعد والده، إلا أنه قتل بعد خمسة وأربعين يوماً فقط على يد (سغد يانس) بن أردشير وألو گونه عشيقته^(٤١).

السابع - سغد يانس

حكم سغد يانس ستة أشهر تقريباً، ثم قتل على يد وهوك الابن الآخر لأردشير والى باختر، ويعرف وهوك في التاريخ باسم داريوش الثاني، وقد أسماه اليونانيون دار يوش أخس و(ن تس) كذلك^(٤٢).

الثامن - داريوش الثاني

تزوج دار يوش من خالته پريزاد الفاتنة الجمال، وكان لتلك الملكة اليد الطولى في كل ما حدث بالبلاط من خداع ودسائس، وبصورة إجمالية يمكن القول بأن النساء ورجال القصر كانت لهم السيطرة الكاملة على كل أمور الدولة في عهد هذا الملك، ونتيجة لهذا الوضع ثارت القلاقل والاضطرابات المتلاحقة فسي سائر الممالك التابعة لإيران - كان من بينها ثورة أرسيت أخى الملك وتمرده؛ وقد عاونه اليونانيون المرتزقة في ذلك، إلا أن دار يوش أصدق على اليونانيين العطاء، فتفرقوا عن أرسيت وانتصر عليه.

وفى عهد الملك استمرت حرب بلوبونيز وحمى وطيسها واشتد أوارها بين اليونانيين، وفى تلك الأثناء حاولت دولة الإسبارتيين التقرب من البلاط الإيرانى حتى تتمكن بمساعدته من إنزال الهزيمة بأثينا. ولم يكن دار يوش راضيا عن ذلك فى بداية الأمر، لأنه كان يعتقد أن الأفضل له أن تظل الدول اليونانية على عدائها وأن تحفظ التوازن بينها، إلا أن البحرية الأثينية تكبدت خسائر جسيمة ومنيت بهزيمة فادحة فى جزيرة سيسيليا، عندئذ رأى تيسافرن والى ليديا أن من صالح إيران أن تمديد التقارب مع الإسبارتيين فعقد اتحادا معها وظلت إسبارته لا غالبية ولا مغلوبة.

واستمرت الحرب طويلا وظل الحال على هذا المنوال حتى عين كوروش ابن دار يوش واليا على آسيا الصغرى، فقدم مساعدات ضخمة إلى ليزاندر قائد جيش الإسبارتيين؛ كان من نتيجتها سحق القوات البحرية الأثينية على يد البحرية الإسبارتية فى معركة اكس بوتامس ودخل أمير البحر الإسبارتى أثينا، فهدم أسوارها ومبانيها بينما النساء الإسبارتيات يعزفن الألحان والفتيات الأثينيات يرقصن امتثالا لأمر الفاتح الغازى، وجعل المدينة خرابا يبابا.

وكان ما أحرزته إيران من تقدم وانتصارات آنذاك يرجع إلى فطنة وخبرة واليا آسيا الصغرى وهما تيسا فرن وفرنا باذ، خاصة وأن تيسا فرن والى ليديا كان قد استفاد كثيرا من النزاع الداخلى بين اليونانيين، وأضحت له اليد الطولى فى أمورهم الداخلية، وكان من نتيجة ما اتبعه من سياسة أن أضحى اليونانيون فى آسيا الصغرى أحرارا بموجب نصوص معاهده كال لياس، وخضعت بعض الجزر اليونانية من جديد لإيران كذلك.....

ولكن يجب ألا يغيب عن أعيننا أن الجيش الإيرانى قد فسد حاله منذ ذلك التاريخ، فقد كان البلاط الإيرانى يحل ما يواجهه من مشكلات بإغداق الأموال ويستخدم الجنود اليونانيين المرتزقة ويمكن القول إن ما كان يموج به البلاط

الإيراني من أحداث آنذاك لم يكن سوى انعكاس لما أصاب الأسرة الهخامنشية من هرج ومرج وتدهور، وارتكبت پر يزداد الكثير من الحماقات والأعمال الوحشية القاسية لما اتسمت به من قسوة قلب وغلظة طبع قل نظيرها؛ ففقدت الكثير. وتوفى دار يوش الثاني ٤٠٤ ق.م.

وفي عهد هذا الملك ثارت مصر وأعلنت التمرد بقيادة شخص يدعى أميرته، ولم يستطع دار يوش إخماد تلك الثورة (٤١٥ ق.م أو ٤١٠ ق.م. كما يرى بعض الباحثين).

التاسع - أردشير الثاني (أرت خشتر)

كان اسم هذا الملك أرشك، إلا أنه سمي بعد توليه العرش باسم أردشير؛ وقد أسماه اليونانيون من (أى قوى الذاكرة)، فقد كان يتمتع بذاكرة قوية. وكان كوروش بن داريوش الثاني الذى كان واليا على آسيا الصغرى ومعه پريزاد ورئيس الجيش، يرغب فى إبعاد أردشير الثاني عن الحكم وكانت خطته أن يتقرب إلى إسبارته، وكون جيشا من الإيرانيين بإشراف مدربين يونانيين، أخبر تيسا فرن داريوش بما يجول فى رأس كوروش من خيالات فاستدعاه دار يوش إلى بلاطه، إلا أن المنية عاجلت دار يوش قبل وصول كوروش إليه، وأراد كوروش قتل أردشير أثناء الاحتفال بتتصيبه وولايته العرش فى پاسارگاد، إلا أن تيسا فرن أخبر أردشير بذلك فأصدر حكما بإعدامه.

ولكن پريزاد ربطت ذؤابتيها برقبة كوروش واحتضنته للحيلولة دون تنفيذ الحكم مالم تصب بأذى، عندئذ لم يصب كوروش بأى أذى وعفا الملك عنه وأمر بنفيه إلى آسيا الصغرى.

شرع كوروش بعد عودته إلى آسيا الصغرى فى تكوين جيش من مائة ألف جندي واستأجر ثلاثة عشر ألفا من الجنود اليونانيين للعمل تحت لوائه وأمر عليهم كل أرخ Cearchns الأجير عازما على توسيع رقعة حكمه من آسيا الصغرى حتى قرب بابل، ثم نشبت معركة بين جيش أردشير وجيش كوروش فى مكان يعرف بكونا كسا Connaxa (خان اسكندرية اليوم) وانتهت تلك المعركة ببقاء حكم أردشير وسيادته، رغم ما أحرزه كوروش من انتصار قتل فى نهايته ومعه ثمانية من مرافقيه وأعوانه، فقد تشتت جيش كوروش بعد مقتله (ويعرف كوروش

فى التاريخ باسم كوروش الصغىر)، وانسحب القسم اليونانى من جيشه متجها نحو دجلة بعد مباحثات مع تيسافرن؛ إلا أن تيسافرن استدعى كبار رجالات هذا الجيش بعد وصولهم إلى نهر الزاب الصغىر، ودعاهم إلى خيمته وقتلهم جميعا.

وفى هذه الظروف قبل أحد اليونانيين رياسة هذا الجيش اليونانى والتوجه به إلى بلادهم فى اليونان، فعبر عشرة آلاف من الجنود اليونانيين دجله إلى طرابزون ومنها إلى اليونان.

وكان هذا الشخص يسمى كزنفون Xenophon وكتب كتابا عن هذا الانسحاب أسماه انسحاب العشرة آلاف جندى، وقد أوضح فيه بجلاء أوضاع إيران آنذاك.

وقد أسفرت تلك الحروب وما أعقبها من انسحاب عشرة آلاف جندى عن نتائج سيئة، لأنها قد أثبتت للعالم ضعف الاستعدادات الحربية الإيرانية رغم ما كانت عليه إيران من وسعة ونفوذ، وتكدرت العلاقات بين إسبارته وإيران نتيجة للمساعدات التى قدمتها إسبارته لكوروش، وزاد تقرب الأثينيين لإيران، وجرت العمليات الحربية للدولتين فى مياه لاسدمون تحت قياده باك ن.

أمير البحر اليونانى وأحرزت إنتصارات كبيرة، وتوجه فرناباد بعد ذلك إلى أثينا، فاستقبله اليونانيون المعادين لإسبارته استقبالا المخلص، وأعادوا بناء أسوار أثينا بالأموال الإيرانية، وفى تلك الأثناء، رجع تيسافرن والى آسيا الصغرى السابق إلى هناك، هادفا إخضاع المدن اليونانية فى آسيا الصغرى، فاستاءت إسبارته لذلك، وعقدت العزم على منعه فاستعان آجه زيلاس Agesilas ملك إسبارته بالعشرة آلاف جندى يونانى العائدين لتوهم من إيران وتوجه بهم إلى آسيا الصغرى، وكان من المتوقع أن يحرز انتصارا كبيرا وبخاصة، وأنه يمتلك تحت رياسته جيشا قويا.

ووفق إلى ذلك وأحرز نصرا على مقربة من سارد عام ٣٩٤ ق.م، إلا أن إيران سرعان ما أفسدت خطته، فقد أرسلت أموالا وفيرة لسانر دول اليونان لإثارتها ضد إسبارته ، ونجحت في ذلك؛ فلم يمض وقت طويل حتى حدثت الحروب بينها، وأجبر آجه زيلاس على مغادرة آسيا الصغرى، ويقولون إنه قال عند مغادرته لآسيا الصغرى " هأنذا يخرجني عشرة آلاف من الرماة الإيرانيين".

ويبدو أن الحرب بين تب وإسبارته استمرت ستة أعوام دون أن تحرز أية نتيجة، إلا أن دولة أثينا بمعاونة إيران انزلت هزيمة فاحشة بالبحرية الإسبارتية، واستعادت تفوقها البحري وانتهت الحرب بتدخل إيران؛ فقد فرض أردشير الثاني الصلح على الطرفين وتم ذلك عام ٣٨٧ ق.م.

وحين خضعت إسبارته لسيطرة القوات البحرية الإيرانية، أرسلت سفيرا يدعى أن تالسيد *Antalcidas* - إلى إيران وصدر الأمر التالي: "إن الملك العادل يعلم أن المدن اليونانية في آسيا وفي جزيرة قبرص كذلك خاضعة له، ويعلم كذلك أن المدن اليونانية الأخرى كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى، ولا يتحد اثنان منها ضد ثلاثة وإلا فإنه سيسحق المخالفين بالمال والبحرية".

وتعهدت دولة إسبارته رسميا - نتيجة لوافقها مع دولة إيران - على ألا يكون بينها وبين أية مدينة يونانية في آسيا الصغرى أية روابط، وكان هذا الأمر يعنى التدخل الإيراني التام في شئون المدن اليونانية، مؤثرا في الحالة النفسية لسانر هذه المدن، ويعتقد بعض المؤرخين أنه من الممكن اعتبار عمل إيران هذا ردا وتعويضا عن فشل خشيارشا؛ وسمى هذا الصلح باسم السفير الإسبارته الموفد إلى البلاط الإيراني أي صلح أنتا لسيد، وكان فرمان أردشير سببا في اتحاد الدول اليونانية حتى قويت مقدونيا.

كانت الدول المذكورة ترسل سفراءها دائما إلى بلاط أردشير وتعتبر تدخله حكما بينها وتطلب ذلك، ولم يترك حكم أردشير الثاني في المجال الداخلي لإيران سوى الضعف والهوان والاضمحلال: فقد حدثت ثورات واضطرابات في مصر وآسيا الصغرى وجزيرة قبرص، ثم القضاء على بعضها بالسياسة حينما وبالقهر حينما آخر، وانتهى بعضها الآخر بانتصار المتمردين (مثل تمرد ولاية كارية وكابا دوكية وغيرهما) وقنع البلاط الإيراني بدفع تلك الولايات للجزية، وترك لهم حرية إدارة أمورهم الداخلية، فقد اختارت مدينة سالامين في قبرص مثلا شخصا وعينته حاكما عليها، واعترف به البلاط الإيراني.

وظلت مصر مستقلة، ولم يوفق الجيش الإيراني في هزيمة الجيش المصري والاستيلاء على العاصمة.

وكان السبب في ذلك أن القائد الإيراني فرتاباذ لم يستطع - لكبر سنه وتردده - من تنفيذ الخطة التي رسمها له ايفيغراتس القائد اليوناني الذي استأجرته إيران لهذا الغرض (أي الهجوم على ممفيس) فاستفاد المصريون من هذا الضعف وشنوا حملة دفاعية، أجبروا بها القائد اليوناني على العودة مهزوما إلى بلاد اليونان، وفي تلك الأثناء كذلك أعلن السكادوسيون المقيمون في كيلان الثورة على إيران فأرسل إليهم أردشير جيشا لإخماد ثورتهم، إلا أنه لم يوفق في ذلك وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما، ورغم هذا الضعف في الأمور الداخلية، فقد بلغ النفوذ الإيراني في بلاد اليونان درجة كبيرة من التقدم. وكانت الدول اليونانية تتسابق فيما بينها لإرسال السفراء دائما إلى البلاط الإيراني طائبين تدخل إيران امتثالا وتنفيذا لأمر أردشير.

وقد حدثت جنایات كثيرة في البلاط الإيراني في عهد أردشير الثاني، فقد سمت پريزاد زوجة أردشير استاتيرا وكانت يونانية ونفيت پريزاد إلى بابل عقابا لها على فعلتها. وبعد ذلك قتل داريوش بن أردشير - وكان وليا للعهد - بتحريض من أخس، وهو الذي حرض كذلك على قتل أرسام الابن الآخر لأردشير فقتلوه، وقد توفي والده حزنا عليه وهو في السادسة والثمانين من عمره (٣٦١ ق.م).

العاشر - أردشير الثالث

كان أردشير واحدا من الملوك الذين تولوا عرش إيران إبان ضعف المملكة وتدهورها ولم يكن يخشى شيئا في سبيل الوصول إلى أهدافه، ولم يكف عن استخدام أية وسيلة لتحقيق ذلك إلا فعلها، فقد قتل هذا الملك بعد جلوسه على العرش كل أقربائه مخافة من طمع أحدهم في الملك، ثم توجه بعد ذلك لإخماد الثورات وقمع الاضطرابات التي عمت ممالك إيران آنذاك لطول حكم أردشير وما اتصف به من الضعف والتهور، ولأن الدولة الهخمانشية قد أخذت تولى وجهها شطر الإنحطاط والزوال، توجه أخس على رأس جيش إلى سوريا وحاصر مدينة صور واستولى عليها، وأقم الناس فيها على الانتحار ياسا مما أصابهم وأحرقوا المدينة، وحين وصل أردشير إلى تلك المدينة المشهورة لم يجد بها سوى الخراب والأطلال والدمار (كتب المؤرخون أن عدد من قتلوا في هذا الحريق بلغ أربعمائة ألف شخص^(٤٣)) واستسلمت بعد ذلك جزيرة قبرص، وتوجه أخس من سوريا إلى مصر، واستولى عليها بمساعدة من تور القائد اليوناني في جزيرة رودس، وقد تذكر الناس هناك أعمال كمبوجيه نتيجة لما ارتكبه أخس من فظائع (٤٤٤ ق.م). وتوسط من تور عنده للعفو عن آرتاباذ والى آسيا الصغرى على ما كان قد أبداه من تمرد وثورة. وكان ما أحرزه أردشير من انتصارات راجعا إلى قوة إرادته وإلى من كانوا معه من الأشخاص الأكفاء ومن بينهم باگواس كبير وزرائه، وأخوان يونانيين هما من تور ومم نن. وقتل أردشير مسموما (٣٣٨ ق.م) على يد باگو آس.

وكتب المؤرخون أن هذا الوزير كان مصرى الأصل وأن ما ارتكبه أردشير من أعمال وحشية مع المصريين هي التي دفعته إلى ذلك، وساد السكون الممالك الغربية من إيران في عهد أردشير؛ إلا أن الممالك الشرقية منها مثل ولايات الهند وآسيا الوسطى ظلت تموج بالثورة والغليان، ولم يتول عرش إيران رجل أو ملك قوى الإرادة مثل أردشير، ولو بقي الحال دون نمو قوة المقدونيين، لأن اليونانيين كانوا يؤيدون إيران آنذاك، وكان دموستين الخطيب اليوناني المشهور يؤكد دائما ويحض على صداقة إيران لليونانيين.

الحادى عشر - آرشك

تولى العرش بعد أردشير ابنه آرشك، إلا أنه قتل بدوره على يد وزيره فى سنة ٣٣٦ق م، وكتب اليونانيون اسمه آرزيس. Ohrses ثم أجلس هذا الوزير المذكور أحد أحفاد داريوش الثانى على العرش وسمى داريوش، وكتب اليونانيون اسمه كدمان Codmanne

ويعرف فى التاريخ باسم داريوش الثالث ويعرف فى القصص الإيرانية دارا ابن داراب.

الثانى عشر - داريوش الثالث

تولى داريوش الثالث مقاليد الحكم فى سنة ٣٣٦ ق.م، وقتل بعد توليه العرش وزيره باپگو آس الذى كان يود منه أن يسير وفق إرادته.

وغزا الإسكندر إيران فى عهد هذا الملك، وانتهت الأسرة الهخامنشية بموته، ويعتقد الباحثون أن الدولة الهخامنشية كانت تمضى نحو الزوال بخطى واسعة، إلا أنها تماسكت فى عهد أردشير الثالث لما تمتع به من قوة الإرادة، ولما كان يتسم به وزيره باگو آس من كفاءة، ولو لم يقتل داريوش الثالث وزيره وما كان يتصف به من قوة الإرادة والعمل، لكان من الجائز أن يحول دون غزو الإسكندر ويتصدى لفتوحاته، ولما انقرضت سلطنة الهخامنشيين كلية.

الفصل الثاني

غزو الإسكندر لإيران

وانقراض الأسرة الهخامنشية

مقدمة

تقع مقدونيا فى شبه جزيرة البلقان، وكانت حدودها آنذاك على النحو التالى:
يحدّها من الشمال ميزيه Mysie، ومن الجنوب اليونان وبحر الجزاير، ومن الشرق تراقية، ومن الغرب إيليري ILLYRIE وكان سكان تلك المملكة من جنسين:

١- قسم من الشعوب الهند وأوربية التى لا يعلم متى نزحوا إليها.

٢- والقسم الآخر من المهاجرين اليونانيين.

وكان القسم الأول من أولئك أقل حضارة من اليونانيين، وكانوا يسكنون الجبال، بينما كان اليونانيون يعيشون فى السهول وعلى شاطئ بحر الجزاير، ثم امتزج الاثنان فى القرون التالية، وانتشرت الحضارة اليونانية فى هذه المملكة، وكان أهالى مقدونيا عقلاء جدًا وإن اتصفت أخلاقهم وعاداتهم بالخشونة حتى أن من لم يقتل عدوه لا يعد رجلا ولم يكن باستطاعته الجلوس بين أقرانه، وكانت الأسرة تقوم على نظام تعدد الزوجات. وخصصت تلك المملكة لإيران بعد غزو داريوش الكبير لمملكة السكا، إلا أنها انفصلت عنها بعد حرب بلاتنه.

كان فيليب أول ملك كون مملكة مقدونيا (٣٥٩-٣٣٦ ق.م)، فقد وضع تنظيمًا للدولة المقدونية، وأعد جيشًا يعتبر قدوة لجيوش ذلك العصر وحارب الدول اليونانية وأخضعها لحكمه، ثم شرع بعد ذلك فى الإعداد للحرب ضد إيران وأجبر اليونانيين جميعًا على انتخابه قائدًا عاما للجيش العام لليونان فى حربها مع إيران رغم معارضة اليونانيين فى الباطن له، لكنه قتل فى الوقت الذى عقد فيه العزم على غزو إيران (٣٣٦ ق.م). وتولى ابنه الإسكندر العرش بعده، وشرع فى تنفيذ ما كان يدور برأس والده من خيالات فتوجه بعد عامين قاصدا إيران.

وقد أوضح الباحثون أسباب هجوم فيليب والإسكندر على النحو التالي:

- ١- الانتقام من إيران للحملات التي شنّها خشيا رشا على بلاد اليونان.
- ٢- كف إيران عن التدخل في أمور اليونان، وإلغاء فرمان أردشير الثاني المعروف (باتفاق أن تالسيد).

هذا هو الظاهر ولكن كانت هناك دوافع خفية له أهمها شهوة التوسع ويسط السيطرة المقدونية على إيران، كما كانت الثورة الذهبية الطائفة التي امتلأت بها الخزينة الإيرانية وثروات الممالك الغربية من الأسباب المحرصة لهذا الغزو، وقد تكون جيش الإسكندر من أربعين ألفاً من المقاتلين مناصفة بين زبده المقدونيين واليونانيين، ونظراً لأن اليونانيين كانوا يكتنون العداء للمقدونيين ويتوقون لفتح إيران، وخوفاً من استفادة إيران من هذه الأوضاع أثناء غياب الإسكندر في حروبه البحرية مع أوروبا، لم تسفر فتوحاته في آسيا عن نتيجة، بل واضطرته إلى الاكتفاء بمن معه من الجنود والإبقاء على قوة للمحافظة على مقدونيا كذلك.

حرب غرانيك (GRANIQUE)

عبر الإسكندر بوغاز الدردنيل في ربيع عام ٣٣٤ ق.م. ودخل آسيا الصغرى، وحدثت المعركة الأولى على شاطئ نهر غرانيك (يسمى حالياً كجاسو) الذي يصب في بحر مرمرة، وكان الجيش الإيراني يتكون آنذاك من عشرين ألفاً من الأساورة، ومثلهم من المشاة المرتزقة اليونانيين. يقودهم القائد اليوناني ممنن، الذي فكر في خطة هي أن يتحرز الجيش الإيراني عن الدخول في الحرب، وينظم عملية انسحاب، يتم بمقتضاها استدراج الإسكندر لدخول إيران، على أن يتلف الجيش الإيراني كل ما يجده في طريقه من مؤن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى على البحرية الهخمانشية القومية تضيق المجال في أوروبا على المقدونيين، إلا أن رئيس

الجيش الإيراني رفض تلك الخطة لما رأى فيها من مخالفة لتقاليد الحرب الإيرانية، واصطف بجنوده على الشاطئ الأيمن لنهر گرانيك، على أن تتقدم الأساورة صفوف الجيش وأن يبقى الجنود اليونانيون خلفهم، ويتضح للوهلة الأولى من هذا الترتيب أن النصر سيكون حليف الإيرانيين، لأن رماة السهام والرماح الإيرانيين قد أحدثوا في صفوف العدو خسائر جسيمة، إلا أن الأمور تغيرت حين عبر الإسكندر بجنوده نهر گرانيك، وألقوا بأنفسهم دون خوف أو وجل داخل صفوف الجيش الإيراني، الذي لم يستطع ردهم أو التصدي لهم، خاصة وأن الإسكندر بنفسه قد هاجم قلب الجيش الإيراني وطرح مهرداد صهر داريوش أرضاً، ليتمكن بعد ذلك من تمزيق قلب الجيش الإيراني، فأصابه الهلع والاضطراب ولم يستطع الثبات فأثر الفرار، ولم يتعبه الإسكندر بل هاجم الجيش اليوناني القابع بالمؤخرة، ورغم ما تعرض له هؤلاء اليونانيون من ضغط وعدم وصول مدد لهم فقد حاربوا، وعدا ألفين أسروا منهم قتل الباقون عن بكرة أبيهم، عندئذ أعلن الإسكندر أن جميع المدن اليونانية الخاضعة لإيران قد تخلصت من التبعية الإيرانية، وأصبحت حرة، ولكن مدينة هاليكارناس Halicarnasse التي كان يحكمها الحاكم الإيراني أرن تبات Orontobates وممن اليوناني قد قاومت مقاومة شديدة، ولكنها غلبت في النهاية، فسبى الإسكندر سكانها الذين قاوموه وباعهم كالرقيق.

وبعد استسلام أهالي تلك المدينة تمكن ممن من اللحاق بحرا بالسفن الإيرانية، عسى أن يتمكن من الانتصار على المقدونيين. وكان البلاط الإيراني يأمل في نقل الحرب من آسيا إلى أوروبا، إلا أن هذا القائد المحنك الذي كان وجوده في ذلك الوقت قيماً، أدركته المنية أثناء العمليات الحربية في مدينة مي لت، ففرح الإسكندر لموته، واشتد ساعده، فقد كان الإسكندر يعتبره منافساً ماهراً له.... بعد ذلك أخذ الإسكندر ينظر أمور المدن اليونانية. ودخل كبادوكيه، وانتقل منها إلى كيليكية ثم دخل فريكية، واتجه إلى سوريا، وكان على جيشه لينتقل من آسيا

الصغرى إلى سورية أن يعبر ثلاثة معابر ضيقة وصعبة، وهذه المعابر هي معابر كيليكية وسورية وأمان. وهذه معابر ضيقة العبور فلم تكن تسمح بعبور أربعة أفراد متجاورين، ورغم قلة المدافعين عن هذه المعابر فقد تمكنت تلك القوة القليلة العدد من تعطيل الإسكندر وإنزال الخسائر الكبيرة بقواته، ولم تستقد إيران من هذه المواقع العسكرية.

وكانت الفنون الحربية والخطط العسكرية على درجة كبيرة من التقدم عند المقدونيين واليونانيين، بينما بذل داريوش جهوده لجمع وتكوين جيش كبير غير نظامي، متبعا للأساليب القديمة البالية في ذلك، وقد انتقد أسلوب داريوش في هذا المجال خارى دموى القائد اليونانى (الذى يعمل فى البلاط الإيرانى) وكان ماهرا يحذق فنون القتال مثل ممنن قال: ما فائدة هذا الجيش الكبير غير النظامى، يلزم جيش نموذجى قليل العدد مدرب ليحول دون تحقيق الغزو المقدونى ويتصدى لحملات الإسكندر. (ويقول اليونانيون إن داريوش استاء من ذلك وقتله).

حرب أيسوس - (٢٣٢ ق.م)

استعد داريوش للقاء جيش الإسكندر فى أيسوس قرب خليج الإسكندرونة وهنا جال بالخاطر أن الإسكندر يتعرض لخطر محقق، لو كان الجيش الإيرانى جيشا منظما، وتولى قيادته قائد محتك قوى، إلا أن حضور داريوش على رأس جيشه حال دون تحقيق ذلك، فقد تمكن الإسكندر من عبور مضيق أمان واتجه إلى سوريا، بينما عبر داريوش جبال أمان وأقام معسكره فى أيسوس مطوقا ظهر جيش الإسكندر، وقد أحدث إنتشار هذا الخبر أثرا عجبيا فى جميع الأطراف والأكناف، وعم الفرح أثينا؛ فقد اطمأنوا إلى قطع طريق العودة بين الإسكندر ومقدونيا وأصبح القضاء على جيشه أمرا محتوما، إلا أن الإسكندر حين رأى أن الوضع قد أصبح على ما هو عليه وسع جبهة جيشه. وهاجم ميسرة الجيش الإيرانى ذات الأسلحة

الثقيلة دون خوف أو تردد، فانسحب الإيرانيون فارين. وحين رأى داريوش ذلك ورأى الهزيمة ماثلة أمام عينيه أثر الفرار بدوره (وهنا أبلى الإيرانيون النجباء بلاء حسنا ولم يمكنوا الإسكندر من الوصول إلى الملك فوجد الفرصة لركوب فرسه ونجا بنفسه، وبعد هذه الموقعة زلزلت أقدام من بقى من الجيش الإيراني الذين حاربوا بجسارة قبل ذلك، ففروا، ويذكر المؤرخون أن عدد جيش داريوش فى هذه الحرب بلغ ستمائة ألف جندي؛ وكان من بينهم ثلاثون ألفا من الجنود المرتزقة اليونانيين، الذين قاتلوا ببسالة - بعد اضطراب الجيش الإيراني - وانسحبوا باحكام إلى الجبل، حيث اتخذوا لأنفسهم مواقع حصينة به، ولم يجرؤ المقدونيون على تعقبهم أو مهاجمتهم.

ويمكن الوقوف على أسباب هزيمة الجيش الإيراني فى تلك المعركة، فقد وضح أن ميدان القتال كان ضيقا ومحصورا بين البحر والجبل. مما لم يمكن الغالبية من أفراد الجيش الإيراني من الاشتراك فى القتال، كما لم تستطع الأساورة من الاشتراك فى العمليات الحربية كذلك، واستولى بار من ين Parmenion أحد قادة الإسكندر على خيام داريوش التى كانت تضم والدته وزوجته وابنته وأخته وغنم منها غنائم شتى، وأعلن داريوش شروط الصلح مع الإسكندر بعد هذه الهزيمة ونصت شروط الصلح على ما يلي:

- ١- تدفع إيران لمقدونيا عشرة آلاف تالان (أى اثنا عشر مليون بالعملة الحالية)
- ٢- تتخلى إيران عن جميع الممالك من دجلة حتى بحر المغرب وبحر الجزائر لمقدونيا.
- ٣- يزوج داريوش ابنته للإسكندر، على أن يرد الإسكندر جميع أفراد عائلة داريوش إليه.

ولكن الإسكندر لم يقبل هذه الشروط وقال إن الأسرى والغنائم وغيرها والتي نجمت عن الفتح تكون من حقه وتتعلق به، أما فيما يتعلق بالصلح فيجب على داريوش أن يذهب إليه بنفسه ويعرض عليه طلباته، وبعد ذلك توجه الإسكندر إلى الجنوب للإستيلاء على سوريا^(٤٤)، ولكن مدينتى صور و غزة دخلتا فى حرب معه وتمكنا من إيقاف تقدم الجيش المقدونى سبعة أشهر وأخيرا تحقق للإسكندر الانتصار، حين انسحبت من ميدان القتال مجموعة من السفن الفينيقية بعد أن أحست بضعف القوة الإيرانية، وانضمت إليه ولحقت بها كذلك سفن جزيرة قبرص، ولكن دخول الإسكندر وجيشه إلى صور لم يمهّد القتال، فقد قاوم أهلها مضحين بأرواحهم، وأجبروا المقدونيين على التحصن بالمنازل واعتبارها قلاعاً (وإزاء هذا عاملهم الإسكندر بوحشية).

وكانت مقاومة أهل غزة وحامية قلعتها - وكانوا من العرب - سبباً فى مقتلهم عن بكرة أبيهم، وأخروا زحف الإسكندر لشهرين، وبعد ذلك دخل الإسكندر مصر واستقبله أهلها بأذرع مفتوحة، وتوجه الإسكندر بعد ذلك إلى معبد آمون واعتبره الكهنة المصريون ابن الإله^(٤٥)، وبعد ذلك بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية^(٤٥) على شاطئى بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) وأخذ يأتلف قلوب المصريين ويقربهم إليه، وحين هم بالتحرك ترك قيادة جيش مصر لقائد مقدونى، والادارة المالية لأحد اليونانيين وسلم أمر باقى الإدارات للمصريين (٣٣١ق.م)

(*) يقال إن الإسكندر تشاور فى هذه الشروط مع صديقه بامن ين، فقال له هذا: لو كنت مكانك لقبلت الصلح، فأجابته الإسكندر وأنا كذلك لو كنت مكانك لقبيلته.

حزب گوگامل GAUGAMELES

تقدم الإسكندر من مصر قاصداً نهر الفرات في سنة ٣٣١ ق.م، وعبره ليدخل منطقة مابين النهرين، ثم عبر دجلة بعد ذلك وتابع سيره يساراً حتى اصطدم بجيش دار يوش في گو كامل القريبة من نينوى (سابقاً) وأربل (أربيل الحالية)، وكانت هناك فرصة كبيرة متاحة لدار يوش، أثناء عبور الإسكندر وجيشه من نهر الفرات حتى دخوله گو كامل، إلا أنه لم يحسن الاستفادة منها فأولا كان السهل الواسع الممتد مابين النهرين مساعداً الأساورة مع فرقهم العديدة لأداء عملياتها الحربية من توجيه حرب خاطفة لجيش الإسكندر أثناء تقدمه وإيقاف حركته، بل وإخلال توازنه كما فعل البارتيون في نفس هذا الموقع بعد عدة قرون حين هاجموا الجيش الروماني وأفقدوه توازنه وانتصروا عليه.

وثانياً كان دجلة صاخباً آنذاك وكان عبوره صعباً، وكان بإمكان الجيش الإيراني - بمن فيه من الرماة المهرة - أن يوقفوا عبور جيش الإسكندر أو إنزال خسائر جسيمة به على أقل تقدير.

وفي گو كامل جرت معركة في المرتبة الثالثة بين جيش إيران وجيش الإسكندر، وذكر أن عدد جيش إيران بلغ مليوناً من الجنود وهذا رقم مبالغ فيه^(١)، وكانوا قد أعدوا في هذا المكان عدداً من الفيلة الحربية.

وكان جيش إيران في تلك المدة على درجة عالية من التدريب والكفاءة، وحين بدأت المعركة تمكن الإيرانيون من تضيق حلبة القتال - في كثير من الأماكن - على المقدونيين، إلا أن قيادة داريوش كانت سبباً في هزيمة الجيش؛ ذلك أن الإسكندر حين شاهد شدة وطأة جيش إيران شدد حملته على الموقع الذي اتخذه داريوش لنفسه وركب عربته الحربية، وحين رأى داريوش أن الحروب تدور من حوله أثر الفرار ففر قسم من الجيش معه، وسرت تلك العدو إلى بقية أقسام الجيش، لتنتهي الحرب بهزيمة

الإيرانيين، ثم اقتفى الإسكندر أثر داريوش محاربا حتى أربل في مسافة تمتد سبعة عشر فرسخا في الصحراء، وبعد ذلك ذهب إلى بابل واستولى - كما فعل كوروش الكبير - على تمثال بل مردوك، وأمر بتعمير المعابد التي خربها خشيا رشا، ثم دخل إلى مدينة شوش واستولى على خمسين ألف تالان ذهبا (ما يعادل سبعين مليون تومان) كانت مودعة بخزانة شوش. وتوجه بعد ذلك إلى برس بوليس (تخت جمشيد الحالية) وباسا رگاد (مشهد مرغاب الحالية كذلك) عن طريق بهبهان وقد طلب الكيسيون (الأوكسيان اليونانيون) الجزية من الإسكندر لأنه منذ أواخر العصر الهخمانشى كان المعمول به أن ينعم الملوك عليهم بها.

وبعد أن طرد هؤلاء تقدم الإسكندر إلى ممر فارس الجبلى الوعر (كوه گيلويه الحالية) حيث ووجه بمقاومة شديدة من قبل آرى برزن ومن معه من الجنود، لم يتمكن المقدونيون من التصدى لها، مما اضطر الإسكندر إلى أن يفعل ما فعله الإيرانيون في ترموبيل؛ وبناء على هذا تحرك جزء من الجيش اليونانى عبر طريق ملتو مضلل. وطوق ظهر المدافعين، وأمن فيهم القلع والقمع، وكان هذا هو الأسلوب الحربى المنظم والصحيح الذى نفذ فى ذلك الوقت.

وبعد دخوله إلى برس بوليس أجرى الإسكندر بها مقتلة، وأضرم النار فى قصر الملوك الهخامنشيين، وسبى من بقى من أهلها وباعهم رقيقاً^(٤٦) حتى يفهم الإيرانيون أن الإمبراطورية الهخامنشية قد انتهت أمرها.

وحتى ينتقم كذلك من الإيرانيين إزاء حرقهم لأثينا فى عهد خشيا رشا. واستولى فضلا عن ذلك على ما كان مودعا بالخزانة من ذخائر قدرت بمائة وعشرين ألف تالان (أى قرابة مائة وأربعة وأربعون مليون توماناً)

وتوجه الإسكندر إلى همدان بعد الاستيلاء على برس بوليس (٣٣٠ق.م) حيث ترك على خزانتها - التى كانت تضم مائة وثمانين ألف تالان - حامية مكونة

من ستة آلاف من المقدونيين، ثم تحرك الإسكندر متعباً لداريوش سالكا طريق الرى، الذى لم يكن قد كف عن المقاومة رغم ما منى به من هزائم متلاحقة، بل وكان فى سبيله لإعداد جيش جديد.

وحين بلغ الإسكندر قرب دامغان الحالية سمع أن بس سوس والى باختر (بلنج) وبرسنس والى رخج قد قبضا على داريوش، فأسرع للحاق بهما إلا أن بس سوس حين علم بمقدمه طعن داريوش طعنة قاتلة وفر هاربا، فلما وصل الإسكندر كان داريوش قد فارق الحياة، فأمر بنقل نعشه إلى پاسار گاد مع التشریفات وهناك دفن.

وبعد ذلك تحرك الإسكندر إلى مملكة التبوريين (طبرستان)، وتوجه منها إلى وركان (گرگان الحالية).

وطبقا للروايات الفارسية الزرادشتية فإن الإسكندر أمر بعد الاستيلاء على إيران بإحضار الأوستا من گنج شاپیگان وأمر بترجمة بعض أجزائها التى تتعلق بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية وأحرق الأجزاء الباقية، ولم يستطع المحققون معرفة أين كان گنج شاپیگان.

الفصل الثالث

حضارة إيران في العصر الهخمانشى

اتساع الدولة الهخمانشية

ذكر هيرودوت الأقسام الإدارية لإيران وذكر المبالغ التي كانوا يؤدونها للدولة وقال إنها ست وعشرون إيالة: إلا أن كتابات هيرودوت تناولت إيران بعد عهد داريوش الأول أى بعد أن انفصلت تراقية ومقدونية عن إيران.

ذلك أن الدولة الهخمانشية بلغت أقصى اتساعها فى عهد داريوش الكبير، وأفضل وثيقة تاريخية لذلك هى الكتابة التى حفرت فى نقش رستم فى مقبرة هذا الملك، ويبلغ عدد ولايات إيران طبقا لهذا النقش ثلاثين ولاية.

وكانت حدودها آنذاك هي: من الشرق إلى الغرب من الشواطئ الغربية للمحيط الهندي حتى سواحل بحر الأدرياتيك وقرطاجنة. ومن الشمال إلى الجنوب ومن وراء نهر سيحون حتى الحبشة.... وعلى هذا يمكن القول بأن الدولة الهخمانشية كانت أكبر دولة كونت حتى ذلك التاريخ، وأنها كانت تضم ستا وأربعين صنفا من الناس من أجناس مختلفة لهم أديان ولغات وعادات وأخلاق مختلفة متباينة.

ومعلوم أيضا أن الممالك الغربية منها آسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية وبابل وفينيقية ومصر كانت أكثر المناطق والولايات كثافة فى السكان وغنى فى الثروات، لما كانت تتمتع به من أراض خصبة، بل وكانت تعد من أرقى أماكن العالم آنذاك حضارة وصناعة وتجارة، وكانت ولايات الهند أيضا من المناطق ذات الكثافة السكانية والعمران والثراء.

ومن هنا يتضح أن إيران وقتذاك كانت أشبه بجسر يربط بين هذه المناطق الغنية صاحبة مناجم الذهب، وكانت جسرا تعبره قوافل التجارة بين الشرق والغرب أو من إيران إلى الممالك التابعة لها.

النظم

كانت كل مملكة تابعة لإيران ينعم أهلها بحرية العقيدة الدينية، ولم يفرض الملوك الهخمانشيون عقيدتهم الدينية على شعوب تلك الممالك، وظلت لكل مملكة عاداتها وأخلاقها ولغتها الخاصة بها، بل كان لكل مملكة فضلا عن ذلك حرية المحافظة على مؤسساتها القومية وأمرائها ورجال الدين بها (مثل مصر وقبرص وفينيقية واليونانيون في آسيا الصغرى وغيرها) ولكن في مقابل ذلك كان على جميع الأهالي أن يعتبروا أنفسهم عبيدا للملك أى أن عليهم أن يدفعوا له الأموال المقررة، ويرسلوا إليه الجند وقت الحرب في أى مكان يحدده البلاط الملكى.

وبناء على هذا كانت طاعة أحكامه وأوامره شعارا يوحد مملكة إيران الواسعة ويربط فيما بينها، وقد أوجد داريوش الكبير نظاما لتحقيق تلك الوحدة، وسيرد ذكر ذلك في موضعه، ولم تكن تصرفات الملوك الهخمانشيين في الشرق والغرب واحدة بل كانت متباينة، لأن مجرى الأحداث لم يكن واحدا، فقد تعودت الشعوب السامية الأصل في الغرب على المركزية، في حين قويت النظم الآرية في الشرق كما سبق ذكره في المقدمة، وكانت تنظيماتهم خمس درجات، وبناء على هذا فإن الملوك الهخمانشيين رغم اقتباسهم أصول المركزية من بابل، فإنهم أجبروا على المحافظة على الأسلوب الورائى في ممالك الشرق، نتيجة رسوخ تلك التقاليد بين الشعوب الآرية لقرون عديدة، وكان الهخمانشيون يريدون مراعاة هذا الترتيب في بداية الأمر، إلا أنه نجم عنه مضار كثيرة^(٤٧)، فعملوا على تنفيذه، وفى هذا العصر كانت الترتيبات والنظم الآرية لا تزال قوية. حتى إن داريوش الكبير فى

كتاباتهِ ونقوشهِ يعترف بضرورة ذلك فيقول: أنا داريوش بن ويشتاسب (العائلة) - الهخمانشى (الأرومة) - الفارسى (القوم) الأرى (الجنس).

وكان الاختلاف الآخر بين الممالك الشرقية والممالك الغربية هو أن الملوك الهخمانشيين كانوا يعتبرون الممالك الغربية مثل آسيا الصغرى وبابل ومصر وغيرها ممالك مفتوحة وملوكها من نوع واحد.

وفيما يتعلق بالضرائب التي كانت تجيء فسيرد ذكرها في موضعها وينبغي الإشارة إلى القضاء في عدة كلمات.

العدالة والجزاءات

يتضح من المعلومات المبتورة التي توافرت لدينا في هذا الشأن، أن الشاه بنفسه يتولى جميع درجات القضاء، وكان يصدر أحكامه بعد دراسة مستفيضة، وكان هناك قضاة في الولايات يتولون بحث الحقوق ويصدرون أحكامهم فيها، وكان الحكم في الأمور السياسية ومخالفات الأمن منوطا بالملك ذاته، وكان ولاية الولايات يتولون الحكم في المخالفات السياسية بتفويض من الملك، ويتضح من أبحاث المحققين ودراساتهم أن العدالة كانت تحتل أهمية خاصة في إيران القديمة. وأن الملوك كانوا في غاية القسوة وعدم الرحمة في معاملتهم للقضاة المنحرفين، ومن ذلك مثلا أن كمبوجيه حكم بالإعدام على أحد القضاة وكان يسمى سى سام لقبوله الرشوة، ولم يكتف بإعدامه، بل أمر بسلخ جلده وفرشه ممددا على الكرسي الذي كان يجلس عليه للقضاء، وولى ابنه خلفا له وأجبره على الجلوس على ذلك الكرسي وكان أردشير الأول كذلك يعامل القضاة المنحرفين أو الذين يصدرون أحكاما مخالفة للعدل معاملة قاسية جدا، وطبقا للقانون السائد آنذاك أو للعادات المتداولة وقتذاك - لم يكن يصدر الأحكام بإعدام أى شخص لارتكابه جريمة لأول مرة حتى إن الملك ذاته لم يكن يصدر حكما بالإعدام على الجاني لأول مرة.

وطبقوا عقيدتهم فى أمر عقاب الآخرة على العقوبات فى الدنيا فإذا ارتكب شخص جريمة يجب أن ينظر إلى حسناته، فإن كانت سيئاته أكثر من حسناته عوقب.

وبناء على هذا فقد حكم داريوش الأول بخلاص قاض من حبل المشنقة، بعد حكم بالإعدام صدر وقال إن هذا القاضى قدم خدمات جليلة من قبل، وفعل مثل ذلك حين أرسل والى آسيا الصغرى - سرهيس نيه - شخصا يونانيا متمردا مقتولا إلى داريوش الأول، فكما كتب هيرودوت فإن الملك قد اعتم لذلك، ولام الوالى قائلا: لم لم ترسله حيا وأمر بغسل رأسه ودفنه وسط مظاهر التقدير والاحترام، ذلك أن هذا الشخص كان قدم خدمات جليلة لإيران ولداريوش أثناء سفره لمحاربة السكا فى الدانوب.

وكان المتبع أنه إذا ارتكب شخص جرما فى حق الملك والدولة، فإنه كان يبعث به إلى العاصمة وتقطع أذناه أو أنفه ثم يعلن ذلك على الناس ويظهرونه لهم، ثم يرسل إلى ولايته التى ارتكب الخيانة فيها ويقتل.

الجيش

كان هناك فضلا عن العشرة آلاف جندى الذين كانوا يسمون جيش الخالدين والذين كانوا فى حالة استعداد وتسليح دائم، فضلا عن قوات حراسة الحدود الخاصة بالولايات كانت هناك كتائب كثيرة من الجنود غير النظاميين الذين يقدمهم الأهالى فى الأوقات اللازمة سواء من العاصمة أو من الولايات المختلفة، وكانت تلك الكتائب تصل فى بعض الأحيان مئات الألوف من الجنود يجتمعون دون تدريب ودون أن يروا أنموذجا لهم، لغاتهم مختلفة ودياناتهم وعاداتهم متباينة، لا تربطهم رابطة روحية أو معنوية، وهذا ما نراه سببا فى عدم مقدرة جيش إيران على تنفيذ خطة حربية أو تحقيق انسحاب منظم وهذا هو السر فيما رأيناه من انسحاب أقسام من الجيش وهزيمتها إذا ما تعرض قسم منه للهزيمة. يضاف إلى

ذلك أن من الأسباب الجوهرية لهزيمة جيش إيران أثناء الحروب اليونانية أن أسلحة الجنود الدفاعية لم تكن محكمة، حقا إن أسلحة فرقة الخالدين كانت قوية محكمة إلا أن تلك الفرقة كانت تحتل قلب الجيش فقط فإذا هاجمت تلك الفرقة قلب صفوف العدو وتوغلت فيه، لم يكن بإمكان الجناحين التقدم مثلهم لضعف أسلحتهم، مما كان يضطر الجيش إلى الانسحاب.

وكانت البحرية الإيرانية تضطر إلى الاستعانة إذا لزم الأمر بالبحرية الفينيقية ويوناني آسيا الصغرى وجزيرة قبرص، وثابت كذلك أن الإيرانيين فى الحروب البحرية لم يكونوا سنيين، وخلاصة القول إن الدولة الهخامنشية كانت تحافظ على أمن ممالك إيران الواسعة الممتدة، ولم تكن تقبل أن يصيب أهلها ظلم أو إيذاء، بخاصة فى عهد كوروش الكبير وداريوش الأول.

ولذا تمكن من ممارسة الزراعة والتجارة والكسب فى أمان وراحة بال وكانت الشعوب غير الإيرانية تتعم بمثل تلك الراحة وهذا الأمان أيضا، ولم يكن الأثرياء فى ممالك إيران والممالك التابعة لها قليلى العدد.

الدين

لم يكن الملوك الهخامنشيون متعصبين دينيا. وكانوا يتركون لكل أمة الحرية المطلقة فى اختيار عقيدتها؛ ولم يكتفوا بذلك بل تركوا لهم الحرية التامة فى ممارسة طقوسهم الدينية وتأديتها فى ممالكهم، وكان الملوك يمارسونها معهم كذلك ويشاركونهم فيها؛ فقد كتب نابليون مثلا أن كوروش كان يعبد بل مردوك إله البابليين الكبير، وكان داريوش فى عيد النوروز من كل عام يمسخ تمثال الإله المذكور؛ ويعتقد المصريون أيضا أن داريوش كان يؤدى طقوس المصريين الدينية فى معبد سائيس الكبير.

وواضح أن ممارسة الملوك الهخامنشيين لتلك الطقوس وأداءهم لها كان إلى حد كبير ذا صبغة سياسية لاجتذاب قلوب الأهالي حولهم، ولكن نجد هنا سؤالا يطرح نفسه: ما معتقدات هؤلاء الملوك التي كانت تسمح لهم بغض النظر عن الأديان الأخرى بل وبإداء طقوس هذه الديانات ؟

لم تكن كتابات المؤرخين اليونانيين واضحة دقيقة في هذا المجال، ولم يبسطوا القول فيها، ولذا فإن كل ما يقال في هذا الصدد إنما هو استنباط مما عثر عليه من الأوستا والنقوش والآثار الهخامنشية.

ويتضح - طبقا لتلك المصادر - أن الملوك الهخامنشيين كانوا يتبعون الديانة الزرادشتية، لأن الإله الكبير في نقوشهم هو آهورا مزدا وهذا الاسم مختص فقط بالديانة الزرادشتية، إلا أنه يلاحظ في نقوش داريوش الثاني التي اكتشفت في شوش وهمدان شيء جديد، فإن هذا الملك يوجه حديثه إلى المعبد قائلا: نقشت عليه صورة الشمس والزهرة. ومن هنا يجب أن نستنتج:

أولاً: أن عبادة الشمس كانت سائدة منذ قديم الزمان في عقيدة الآريين الإيرانيين، وكانوا يسمونها الإله الشمس ويقسمون بها، وقوى أمرها في هذا الزمان.

ثانياً: نظرا لأن نقش الإله أو الآلهة وعبادتها كان مخالفا لعقيدة الآريين الإيرانيين وزرادشت، فإن أردشير الثاني نقش صوراً للشمس والزهرة.

وبعد ذلك أثرت المعتقدات البابلية والعيلامية في عقيدة الملوك الهخامنشيين ودنسها بالخرافات. أما بالنسبة للزهرة (الأناهيد^(٤٨)) فهناك آراء مختلفة فيرى بعض الباحثين أن عبادتها في إيران القديمة ناتجة عن التأثير البابلي، ويعتقد آخرون أن الإيرانيين كانوا يعبدونها من قديم.

ويجب أن نلاحظ كذلك أن ثمة اختلافات بين زرادشتية الملوك الهخامنشيين والزرادشتية التي راجت في القرون التالية لذلك، فمن تلك الاختلافات مثلا: أن دفن

الميت طبقا للديانة الزرادشية ليس جائزا لأن ذلك يؤدي إلى تدنيس الأرض وهى مقدسة، ويعتبرون تدنيسها إثما كبيرا، ولكن الملوك الهخمانشيين كانت لهم قبورهم ومن هنا يمكن أن نستنتج أن عقيدة الهخمانشيين كانت متباينة عن الديانة الزرادشية.

وفيما يتعلق بعقيدة الأهالى فى إيران آنذاك فليس بين أيدينا ما يوضح ذلك أو الحديث عنه والاحتمال الأقوى أنهم كانوا يعبدون بعد أهورمزده أربعة عناصر:

١ - النور (الشمس والقمر).

٢ - الماء.

٣ - التراب.

٤ - الرياح.

ولم يكن للمغان تأثير فى أمور الدولة آنذاك، ولكنهم كانوا يدعون فقط لإجراء مراسم القرابين.

وبعد كل ما قيل يتبقى سؤال بلا إجابة: ما أسباب التسامح والتساهل الذى أبداه الملوك الهخمانشيون تجاه المذاهب الدينية الأخرى؟^(٤٩)

أولاً: على الرغم من أن الديانة الزرادشية كانت منتشرة فى إيران قبل هذه المرحلة بكثير، فإنها لم تقو لتصبح دينا رسميا آنذاك.

ثانياً: إن الأريين يتميزون بالتسامح والتساهل فى الأمور الدينية منذ قديم الزمان حتى الوقت الذى توفرت لدينا معلومات، ولم تخضع الدولة الهخمانشية لنفوذ الجنس السامى بالدرجة التى تفقدها هذه الصفة كلية، لقد تقاربت الدولة الهخمانشية كثيرا فى الأمور السياسية إلا أنها حافظت على خصائصها وسماتها الأرية فيما يتعلق بالناحية الدينية، وتأثرت الدولة الساسانية بالشعوب السامية فى

آسيا الغربية والإمبراطورية الرومانية وبيزنطة تأثرا كبيرا وبصورة أوضح حتى فقدت هذه الصفة، ويأتى تفصيل تلك النقطة بصورة أكثر وضوحا بعد ذلك؛ لأن معلوماتنا عن الديانة الزرداشتية فى العصر الساسانى أكثر تفصيلا، ولذا أثرنا تأجيل الحديث فى هذا الموضوع حتى لا نكتب شيئا غير موثق.

نظام الطبقات

ليس لدينا معلومات مسهبة عن نظام الطبقات فى تلك المرحلة وما يمكن استنباطه من كتابات المؤرخين اليونانيين والنقوش الحجرية التى عثر عليها ينحصر فى الآتى:

الطبقة الأولى: وتتكون من النجباء (الأشراف) أو العائلات القديمة؛ لأنه لم يلاحظ أى نفوذ لرجال الدين فى تلك المرحلة، وكان من بين طبقة الأشراف، ست عائلات فارسية، وست عائلات ميديّة والشىء الذى تجدر الإشارة إليه أن رؤساء العائلات الفارسية يحق لهم الدخول إلى قصر الملك دون استئذان.

كما كانت مناصب السفراء وقادة الجيش ورؤساء الولايات محصورة فى رؤساء تلك العائلات أو أعضائها ثم انتقلت بعد ذلك إلى عائلات الميديين، أما طبقة رجال الدين فلا نعلم عنهم شيئا.

وكانت هناك طبقتان أخريان فى تلك المرحلة طبقة الزراع وطبقة التجار والحرفيين ولكن ليس لدينا معلومات عن كفيّتها ولا تنظيماتها، وأغلب الظن أنها كانت مشابهة لما كانت عليه فى العهد الساسانى كما سنذكر فى حينه.

ونظرا لما تمتعت به إيران من موقع جعلها الطريق الوحيدة بين دنيا الغرب والممالك (الشرقية) مثل الهند وآسيا الوسطى، فقد فكر داريوش الأول فى إيجاد طريق قريب بين بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) والخليج وبحر عمان

فوصل فرع نهر النيل بالبحر الأحمر، ويمكن من ذلك استنباط ما كانوا يعطونه للتجارة من أهمية فى ذلك الوقت، ولم يكن تعبيد الطرق كذلك لغرض سياسى أو عسكرى فحسب، يقول هيرودوت: إن الاستفادة من منازل البريد الممتدة عبر الطريق كانت قاصرة على بريد الدولة فقط، والمقصود خيول الدولة فى منازل البريد، وواضح أن قوافل التجارة كانت تستفيد من تلك الطرق كذلك، ووجود المدن الكبرى مثل بابل وصور وسارد وغيرها تحت سيطرة ممالك إيران ونفوذها يؤكد وجهة النظر هذه، فقد كانت تلك المدن مراكز التجارة والصناعة فى ذلك الوقت.

الصناعات

خلف الملوك الهخمانشيون وبخاصة داريوش الأول وخشيارشا مبان فى المكان المعروف الآن بتخت جمشيد، وفى أماكن أخرى، وأمروا بكتابة نقوش كذلك، ورغم تهمد تلك المباني وما أصابها من خراب فلا تزال آثار منها باقية حتى اليوم فى تخت جمشيد وشوش وپاسارگاده، وفيما يتعلق بالفن المعمارى والنحت والتصوير والنقش فى العصر الهخمانشى فقد دقق علماء الفنون فيها للكشف عن: هل الفن المعمارى والنحت فن إيراني أصيل أم أن الإيرانيين قلدوا فيه غيرهم ؟

وإن كانوا قد قلدوا غيرهم فمن أية مملكة اقتبسوا ؟ واتضح من هذه التحقيقات أن الفن المعمارى والنحت الإيراني فى العصر الهخمانشى فن تركيبى اقتبس كل جزء منه من إحدى الممالك، وأن دور الأيرانيين فيه لم يكن سوى إيجاد الوسيلة للربط والدمج بين هذه الاقتباسات المختلفة وكانت الممالك التى اقتبس الأيرانيون منها هذا الفنهي: بابل ومصر وآشور، والمدن اليونانية فى آسيا الصغرى: فقد اقتبسوا من الآشوريين بناء العمارات ذات الواجهات العالية على ربوات صناعية مرتفعة والربط بينها بالدرج من الجانبين وكذلك نقش الصور الملكية فى الطرقات وعلى الدرج، كما قلدوا الآشوريين فى استخدام الأجر المسوى

بدلاً من الطوب النقي؛ ولكن أساس العمارات الهخمانشية وأعمدتها ودرجها كانت من الحجارة، ولذا بقي هذا الجزء منها وخرّب ما كان مبنياً بالأجر نهائياً.

واهتم الهخمانشيون كثيراً بالأعمدة في عمائرهم وأخذوها من الإلهة پوستيل^(٥٠) الموجودة بالمعابد المصرية بعد فتح مصر. كما يشاهد التأثير المصرى في التزيين والزخرفة التي تزدان بها قمة عرش الملك والدرگاهات، وفي المقابر التي نحتها داريوش وسائر الملوك الهخمانشيين في الجبل، كما عثر على تماثيل يدل نحتها على اقتباسها من تماثيل المصريين الموجودة تحت الأرض، إلا أنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات لاختلاف العقيدة بين المملكتين، من إيجاد بيت النار وتجلي آهورا مزدا وغير ذلك. ولا يمكن بيان التأثير اليونانى ولكن يظن أن كبار النحاتين اليونانيين قد تدخلوا في صنع النحت في العمارات، فقد ذكر پلین^(٥١) أن الصناع اليونانيين كانوا يعملون في بلاط الهخمانشيين، وقد استدعى اسيم تل فانس اليونانى من مدينة قوسه للعمل في بلاط داريوش وخشيارشا.

وليس معلوماً من أين اقتسبت رءوس أعمدة العمارات الهخمانشية، ويظن أن أصل رأس العمود اقتبس من آشور، ولكن رأس الثور وجزء من صدره ويده التي نحتت على وجه العمود من الناحيتين إنما هي من اختراع الإيرانيين أنفسهم، أما ما يتعلق بالقيشاني الذي غطيت به جدران القاعات، وقد عثر على نماذج منه - وتوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس - فيعتقد علماء هذا الفن أنها اقتبست أصلاً من البابليين ثم سما الإيرانيون به، بمعنى أن القيشاني الإيراني ذو نقوش بارزة، وليست مسطحة كما هو الحال عند البابليين، ورغم هذه الاقتباسات الكثيرة، فإن ما أضيف إليها من خصائص يعد من الصناعات الإيرانية:

أولاً: أوجدوا نوعاً من التناسب بين الأساليب المختلفة حين دمجها بعضها بعضاً، رغم أن كل جزء منها مقتبس من دولة أو مملكة مختلفة.

ثانياً: عظمة تلك المباني وضخامتها لم يشاهد مثلها فى أى مكان من قبل.
ثالثاً: كثرة ما وجد بها من زخرف وزينة. وتلك نقطة أخرى، فقد كان الصناع يفعلون ذلك للملوك ولم يكن يخشون شيئاً بالنسبة للنفقات.

آثار العصر الهخمانشى

يبدو من الآثار الباقية أن كل واحد من الملوك الهخمانشيين كان يبني لنفسه أبنية خاصة، إلا أنها قد خربت وهدمت لبنائها من الآجر، ولم يبق منها سوى ما بنى بالحجارة من الدرج والأعمدة أو تماثيل الحيوانات المجسمة وذلك تقليداً للأشوريين، وقد بنى كوروش فى پاسارگاد العاصمة القديمة للأسرة الهخمانشية - وتعرف الآن بمشهد مرغاب - بناء خلد فيه ذكرى انتصاره على الميديين، ورغم أن هذا البناء قد دمر وخرّب كلية ما عدا أعمدته، فإنه يوضح ما كان عليه من عمران وازدهار.

ويبدو مما بقى من آثار أن صوراً قد نحتت من الحجر فى هذا المكان، ولكنها خربت وأن نقشاً يظن أنه لكوروش قد درس، وعلى مقربة من هذا البناء بناء عظيم من الحجر يقع فى ستة مدرجات ويعرف هذا البناء اليوم باسم قبر أم سليمان ويعتقد المحققون أنه قبر كوروش. وقد وجد على مقربة من هذا البناء، نقش ترجمته: "أنا كوروش الملك الهخمانشى". وفى پاسارگاد تمثال بارز منحوت فى الحجر، يصور شخصاً واقفاً وقد مد يده خلفه وله جناحان، وأجنحته شبيهة بتماثيل الآشوريين، إلا أن لحيته إيرانية وتواجه مصرى وتنايه عيلامية، وكان يظن قبل ذلك أن هذا تمثال كوروش، ولكن يرجح الآن أنهم كانوا يريدون تصوير ملك.

وفىما يتعلق بپاسارگاد يجب القول بأن هذا المكان، كما دلت على ذلك الحفريات - مكان موغل فى القدم وأنها كانت مدينة كبيرة.

وتوجد في تخت جمشيد - الذي يسميه اليونانيون پرس يوليس، والعاصمة الجديدة للملوك الهخمانشيين - خرائب وأثار قصور وأبنية كثيرة، بقيت الأجزاء الحجرية منها وقد بنى الجزء الأكبر منها داريوش الأول وخشيارشا وهناك قصور فوق ربوة عالية واسعة تسمى تخت جمشيد، يقود الشخص إليها عدة درج، اتساع الدرج سبعة أذرع وعددها ومائة ست (١٠٦) درجة، تنتهي تلك الدرج بعرضة أو بسطة واسعة يقع فوقها قاعة ذات مائة عمود وبها كذلك قصور داريوش وخشيارشا. وكانت قاعة خشيارشا تضم في البداية أربعة وستين عمودا لا يزال قائما منها حتى الآن ثلاثة عشر عمودا، وارتفاع الأعمدة عشرون ذراعا تقريبا، والدرج المذكورة مزينة بحجارة منحوتة تصور رجال البلاط وأشخاصا آخرين.

وفوق تخت داريوش ثمانية وعشرون تمثالا يمثل كل تمثال منها مندوبا لولاياته وممالكه وقد وقف خلفه (داريوش) شخص يظن أنه خشيارشا.

في نقش رستم: توجد ثلاث مقابر من مقابر الملوك الهخمانشيين خلف تخت جمشيد وعلى بعد فرسخ منه موضع يعرف بنقش رستم، وقد حفرت تلك المقابر في الجبال وفي نقش رستم أقيم سرداب داخل المقبرة، وهو عبارة عن مدخل وحجرة ويضم هذا السرداب تسع مقابر، ولأن هذه المقابر عدا مقبرة داريوش بها نقوش، فلا يمكن تحديد بمن تتعلق من الملوك الهخمانشيين.

في شوش:

يتضح من حفريات شوش أن الهخمانشيين قد شيدوا أبنية وعمارات كثيرة بها، إلا أن تلك الأبنية الآن ليست سوى تل ترابي، وقد عثر نتيجة للحفريات التي أجريت في شوش على رأس عمود يرجع إلى عصر داريوش الأول وقد وجد ديولافوا نقشا^(٤٢) قد صنع من آجر ذي بريق (قيشاني)، فإذا ضم مابه من قيشاني فإنها تظهر صورة من الجنود الإيرانيين النظاميين بحلثهم العسكرية المستخدمة آنذاك، والأسلحة التي يمسكها اثنان منهم هي القوس والكنانة والحربة، وأنهما يرفعانها عن الأرض كما لو كانا يؤديان التحية العسكرية.

ويغطي هذا الأجر الملون جدار قاعة العرش (أيادان) فى قصر شوش وتزينه، وهذه الصورة موجودة الآن بمتحف اللوفر فى باريس وتعرف برماة السهام الإيرانيين أو الخالدين (جاويدانها).

سروستان وفيروز آباد:

يقع هذان المكانان فى الطريق الممتدة من شيراز إلى داراب كرد وبندر عباس، وقد بقى فى تلك الأماكن بعض حجرات وقباب لأبنية سابقة، ويعتقد ديولافوا أن هذين البنائين يرجعان إلى عصر كوروش الكبير، ويعتقد كذلك أن بناء الحجرات اختراع إيراني وليس اقتباسا من الرومان.

وتشاهد آثار لمعابد النار فى أماكن مختلفة من إيران تعرف ببيت النار (آتشگاه)، من أشهرها حجر مكعب الشكل يعرف بتخت طاووس، ويقع فى ياسارگاد على مقربة من قبر كوروش، وكان هذا الحجر واحداً من عتبات بيت النار.

وقبل أن نختم هذا الفصل أرى من اللازم الإشارة إلى أن بعض الناس يخلطون بين تخت جمشيد واستخر ويعتقدون أنهما اسمان لمكان واحد، فى حين أن استخر مدينة قديمة يعتقد بعض المحققين أن تاريخ بنائها يرجع إلى ما قبل قدوم الآريين لإيران، أو ترجع إلى حدود ألفى سنة ق.م؛ فى حين أن تخت جمشيد قد تم بناؤها فى القرن السادس ق.م.

اللغة والخط:

كتبت بعض النقوش الملكية الهخمانشية بثلاث لغات؛ أى بالفارسية القديمة والعيلامية والآشورية؛ وكتب بعضها الآخر بالفارسية القديمة فقط والنقش الذى كتب بتلك اللغات الثلاثة فضلا عن الآرامية نقش نادر. وقد كتبت تلك النقوش بالخط المسمارى أى بعلامات شبيهة بالمسمار - عدا اللغة الآرامية. وقد كتبت تلك العلامات بصورة أفقية أو عمودية (رأسية) وحفرت فى الحجر من الشمال إلى

اليمن. والخط المسماري الفارسي أسهل كثيرًا من الخطوط المسمارية العيلامية والآشورية؛ لأن لكل حرف صوتي فيه علامة واحدة.

ويتضح من النظرة الأولى لتلك النقوش أن اللغة الفارسية القديمة كانت لغة إيران في العصر الهخمانشي وهذه اللغة جدة لغتنا (الإيرانيين) الحالية، لأن اللغة الفارسية اليوم مأخوذة عن البهلوية التي اشتقت بدورها من اللغة الفارسية القديمة، إلا أن الدراسات المتعمقة والدقيقة تظهر خلاف ذلك لأن مقارنة الكتابات الهخمانشية بنحو اللغة الفارسية القديمة وصرفها توضح أن هذه اللغة كانت خاصة - طوال العصر الهخمانشي وخاصة قرب نهايته بالنقوش، وأن اللغة البهلوية أو لغة قريبة منها هي التي كانت تستخدم كلغة للكلام والمحاورة.

أما فيما يختص بكنه اللغة الفارسية القديمة، فيجب أن يكون واضحًا أنها مثل اللغة السنسكريتية - أي لغة الكتب الهندية المقدسة - واللغة الأوستانية أي اللغة التي كتبت بها الأفسنا كتاب زرادشت المقدس، وأنها قد نشأت عن اللغة الآرية المشتركة، أي أن هذه اللغات الثلاثة أشقاء من صلب واحد. أما عن معلوماتنا عن تلك اللغة المشتركة التي هي أصل اللغة الحالية، فليس بين أيدينا شيء عنها، لأن تلك اللغة المشتركة كان يستخدمها الآريون قبل ثلاثة آلاف سنة على الأقل قبل الميلاد، وتاريخ الكتابات التي خلفها الجنس الآري لا ترجع إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة قبل الميلاد (ريغويدا) كتاب الهنود المقدس..

النقوش

أمر الملوك الهخمانشيون بكتابة نقوش في أماكن مختلفة من إيران، ويبلغ عدد النقوش المكتشفة حتى الآن سواء على الأبنية المختلفة أو على أشياء أخرى أربعين نقشًا، أهمها النقوش التي خلفها داريوش الكبير وأشهر نقوش الملك وأكثرها

تفصيلاً نقش بيستون الكبير الذي حفر بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والعلامية والآشورية.. ويذكر داريوش في هذا النقش نسيبه ثم يتحدث عن واقعة برديا الكذاب والاضطرابات التي نشبت في بداية توليه مقاليد الملك والحملات التي قام بها والحروب التي خاضها لإخماد تلك الثورات (وقد سبقت الإشارة إلى مضمونه). ويتحدث في نهاية هذا النقش قائلاً: إن الاضطرابات نشبت نتيجة ادعاءات كاذبة من بعض الأشخاص، فقد ادعى فرد في كل ولاية انتسابه إلى العائلة الملكية وخدع الناس بذلك، وأنهى نقشه بهذه النصيحة:

"يا من ستتولى مقاليد الملك. احترس من الكذب بكل ما أوتيت من قوة وإن فكرت ماذا أفعل لكي أحافظ على مملكتي أقول لك فتش عن الكاذب واجتثه.. ولا تصادق الكاذب والظالم وجز رقابهما بالسيوف.

ويدعو في نهاية هذا النقش لمن يحافظون على هذه الآثار ويحفظونها ويبلغون الناس بمضمونها.

وأشهر النقوش بعد هذا النقش معروف بنقش رستم الذي يوضح لنا اتساع إيران وحدودها في ذلك الوقت^(٤٣). ومن النقوش التي خلفها داريوش:

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
ماد	مملكة ماد	آثورا	آسور
خوج	خوزستان	أرباي	عربستان (بلاد العرب)
يرتو	پارت (خراسان جرجان)	مودرايا (يه)	مصر
هراى و	هرات	أرمين	أرمنستان (أرالينيه)
باختريش	باختر - بلخ	كتاپانوك	كابادوكيه (القسم الشرقى من آسيا الصغرى)
سوغود (سوغده)	سغد (بخارا سمرقند)	سپرد	مغرب آسيا الصغرى أو مدينة سارد
خوارزمبش	خوارزم (خيوه)	ى نون	يونانيو آسيا الصغرى
زرنك	سيستان	سكاتى ى تردريا	السك فى ذلك الطرف من البحر

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
هرخو واتيش	رخج (أفغانستان الجنوبية حتى قندهار)	سكودر	مقدونيا
ثاتا گوش	بنجاب الهند	ينو ناتك برا	تراقيه الحالية
گندار	كابل وپيشاور	پوتى يا	الصومال وعدن الحالية
هيندوس	السند	كوشيا (كوشا)	بلاد الحبشة
سكاھوم ورك	السك في ما وراء سيحون	مكيا (مچيا)	برقه
سكاتيگر خنودا بابيروس	السك في ما وراء سيحون بابل	كرخا (كركا)	قرطاجنة

واكتشفت خارج إيران نقش في خليج السويس. ويتعلق بالقناة التي أمر داريوش بحفرها لربط البحر الأحمر ببحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط). والنسخة المصرية لهذا النقش تحتل أهمية خاصة؛ لأنها تبين سلوك داريوش مع الممالك الخاضعة له وكيف كانت تتم معاملتهم.

وفى النسخة المصرية لهذا النقش: يوصف إينتارپوش (أى داريوش) بأنه فرعون مصر وأنه بناء على هذا ابن (بيت) أم الآلهة واخ لـ (رع) آلهة الشمس وأنه أكثر عظمة ممن سبقه من الفراعنة، لأنه أخضع جميع الشعوب (الناس) لمصر.

وقد ذكر فى فهرست الممالك التابعة پارس أولاً ثم ماد و ذكر السكا آخر الممالك. ولن نستطيع ذكر كل النقوش فى هذا المختصر؛ لذا سنكتفى بهذا القدر^(٥٢).

الهوامش

- ١- كانت الطوائف الست الأولى هي الباساركادية - المرفى - الماسبيان - البانتال - دروز - الجرمن - والطوائف الأربعة الأخرى هي: الساركارايتين - المرد - الدروبيك - الدائين، وبعض هذه الطوائف الأخيرة من السكا.
- ٢- المقصود بالوثائق:
 - أ- الإعلان الصادر من كروش إلى بابل المعروف بنقش أو عمود كروش
 - ب- النقوش والكتابات الهخمانشية.
- ٣- سباگو يعنى الكلبة، وهذا هو الاسم الوحيد العامى الذى وصل إلينا من اللغة الميضية.
- ٤- كانت عاصمة لدولة فارس قبل داريوش الكبير، ويسمى هذا المكان الآن مشهد مرغاب.
- ٥- أى فى السنة التاسعة من حكم كورش لانزان.
- ٦- **Doriens**.
- ٧- بابل از - باب ال، أى باب الله.
- ٨- كتب المؤرخون أن ارتفاع سور المدينة بلغ ثمانين ذراعا وأن قطره كان خمسة وعشرين ذراعا وكان على هذا السور خمسون ومائة برجا، وعليه بوابات من البرونز.
- ٩- ورد اسمه فى التوراة بلشصر.

١٠- "هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها إلى الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من كل شعبه ليكن إليه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله اسرائيل هو إلهه. الذي في أورشليم". (كتاب عزرا، الإصحاح الأول ٢-٤)

"هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن. أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدى باسط الأرض.. القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنيين وحربها أقيم.. القائل عن كورش راعي فكل مسرتي يتم".

(كتاب أشعيا الإصحاح ٤٤، (٢٤ - ٢٨))

وهكذا يقول الرب لمسيحه أى لكورش إننى أمسكت بيمينه لأدوس أمما وأقضى على الملوك. ملوك أهل لأفتح أمامه الأبواب ولا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف، وأعطيك كنانز الظلمة وكنوز المخابئ لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله اسرائيل".

(أشعيا الإصحاح ٤٥ (١-٣))

١١- هذا العمود مصنوع من الطين المحمى وقد كتب عليه خمسة وأربعون سطرا، وللأسف محى قسم من سطور هذا العمود، والتي كتبت باللغة البابلية.

١٢- أنشان كما يتضح من تاريخ عيلام هى نزان، ويتضح من هذا المنشور أن كوروش كان ملكا لانزان.

١٣- أى بابل

١٤- Massagetes قوم من السكا.

١٥- مشهد مرغاب الحالية.

١٦- يقسم بعض الباحثين التاريخ القديم أربعة أقسام:

أ- منذ الأزمنة القديمة حتى تأسيس الدولة الهخمانشية أى حتى كوروش.

ب- من كوروش حتى الإسكندر.

ج- من الإسكندر حتى ميلاد المسيح.

د- منذ هذا التاريخ حتى سقوط الدولة الرومانية الغربية.

١٧- يتجه التفسير الحديث للقرآن الكريم، الآية ٨٣ وما بعدها من سورة

الكهف: " ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكننا له

فى الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. فأتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب

الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما. قلنا يا ذا القرنين

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً.."

إلى أن المقصود بذى القرنين هو الملك كوروش. وممن قالوا بهذا التفسير

أبو الكلام آزاد الذى نشر رأيه باللغة العربية الشيخ محمد حسن الباقورى فى كتاب

"يسألونك عن ذى القرنين". وذهب إلى ذلك فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى فى

تفسيره للقرآن الكريم.

١٨- اسم ديز هو الاسم اليونانى لبرديا، ويسميه بعض اليونان مردياس

ومردوس.

١٩- كان الأمراء وكبار المسئولين المعارضين لنظام الحكم يسمون عند

اليونان باسم جبار.

٢٠- وثيقة أوجاكرسنت المودعة بالفاتيكان.

٢١- مكان النقط عبارات متكررة.

٢٢- يسمى اليونانيون هذا اليوم ماكرفونى أى قتل المغ.

٢٣- ورد اسمه فى النقش (نى دين توبل)

٢٤- يروى هيرودوت "أن حصار بابل استمر عشرين شهرا وأن زوبير الايرانى الذى كان ولاؤه وحبه لداريوش مضرب الامثال، قطع أذنيه وذهب إلى البابليين (المحاصرين) وأظهر لهم ما أصابه قاصداً بذلك إظهار أنه يريد الانتقام من داريوش، وبسرعة نال ثقة البابليين وأسندوا إليه رئاسة فرقة من جيشهم، ولبيل أفسح لجيش إيران الطريق إلى بابل". وتبدو هذه الرواية غير صحيحة ذلك أن ما أسفرت عنه حفائر بابل يبين أن الحصار لم يستمر أكثر من أربعة أيام وأن إخضاعها كان عام ٥٢١ ق.م. بينما رواية المؤرخين السابقين يجعلون هذا الحادث عام ٥١٩ ق.م. استناداً إلى رواية هيرودوت.

٢٥- ما يقرب من مائة وعشرين ألف تومان بالعملة الحالية فى إيران وما يساوى (١٢٠٠٠ جنيه مصري)

٢٦- كان اليونانيون يسمون من يتولى هذا المنصب كار انس، وتعنى كلمة كارا فى الفارسية القديمة سواد الناس والجيش.

٢٧- يعادل التالان (أوبه) الفضى ٥٦٥٧ فرنكا فضة، وهو بالنقد الإيرانى اليوم يعادل ١٢٠٠ تومان....

٢٨- وكان ما يجبى من الهند يمثل أكبر قدر وهو ٢٦٠ تالانا ذهباً وهو يعادل ٤٦٨٠ تالان فضة. وبعد الهند أتى بابل وأشور ويحصل منها ١٠٠٠ تالان فضة، ثم مصر وتؤدى ٧٠٠ تالان وأما سائر الولايات فتؤدى ما بين

٥٠٠ و ١٧٠٠ تالنا. أما الأموال العينية فكانت من الخيول والبغال والمهور والأغنام والغلة وعاج الفيل، وكانت عائدات مصايد الأسماك فى بحيرة موريس بفيوم مصر خاصة بالدولة. وكان على بابل أن تقدم خمسمائة خصى، ويقدم أهالى كلشيد مائة جارية كل خمس سنوات ويقدم الأعراب ألف تالان عددا.

٢٩- دريك أى الذهبى.

٣٠- يشك بعض الباحثين فى صدق ذلك، ولكن تأكد الآن أن أمير البحر اليونانى قد ألف كتابا حول أبحاثه ودراساته، وأن هذا الكتاب كان موجودا فى عصر الإسكندر.

٣١- يعتقد نولدكه أن السبب فى ذلك يرجع الى رغبة داريوش فى التوسع.

٣٢- أيد هيرودوت هذا القول.

٣٣- Niebuhr. Voruage uber Alle Geschichte. T. II. p. 385-414.

٣٤- ارجع إلى نولدكه: أبحاث تاريخية عن إيران القديمة.

٣٥- هكذا يسمى نفسه فى نقوشه.

٣٦- ابنة كبرياس، وهو نفس الشخص الذى كان يعاون داريوش فى واقعة وزعها الكذاب (كتوبروو)

٣٧- Atossa

٣٨- ويعتقد بعض المؤرخين أن قصة استر ومردخا التى جاءت فى التوراة ترجع إلى ابتداء سلطنة خشيا رشا. والقصة المذكورة تقول إن الملك فى العيد أراد أن تخرج الملكة إلى المدعوين ليروا جمالها فامتعت فغضب العيد امرأة أخرى هى ابنة أخ مردخا حارس بوابة القصر، ثم إن استير

صارت ملكة، وقد سماها استير ويعنى بها الستارة، وترتب على ذلك أن علا شأن مردخا فحقد عليه هامان وكان من المقربين من الملك، فأمر هامان بقتل كل يهود المملكة فى يوم عينه فتوسل مردخا باستر فأمرت بأن لليهود حقا ومانعت فى تنفيذ أمر هامان وقتل اليهود كثيرين من أعدائهم وصلب هامان على المشنقة. ويحكى هيرودوت أن رجلا من ليديا اسمه بى ثيوس قدم هدية لخشيا رشا هى ألفى تالان فضة و ٣٩٩٣٠٠٠ دريكا ذهباً، فرد الشاه هذه الهدية وقال أعطوه سبعة آلاف دريك حتى يكون لديه أربعة ملايين دريكا ذهباً ثم إن ابنه طلب بعد ذلك لتأدية الخدمة العسكرية فالتمس الرجل من الملك أن يعفى ابنه منها فأمر خشيا رشا بقطع رأس هذا الشاب وأن يلقى برأسه وجسده فى ناحيتين ثم أمر جنده بالمرور بين رأس وجسد القتيل.

٣٩- هو نفس الشخص الذى قتل اردوان وأصبح مقرباً من أردشير.....

٤٠- همخوابه والمقصود بها المرأة التى تعيش كزوجة بغير عقد.

٤١- "أخس" تصحيف وهوك و"ن تس" بمعنى ابن الزنا، وهو الولد من غير زوجة شرعية.

٤٢- نولدكه: أبحاث تاريخية من إيران.

٤٣- يقال إن الإسكندر تشاور فى هذه الشروط مع صديقه بامن بن، فقال له هذا: لو كنت مكانك لقبلت الصلح، فأجابه الإسكندر وأنا كذلك لو كنت مكانك لقبلته.

٤٤- كانت أم الإسكندر قد قالت له إنه ابن الإله واعتقد الإسكندر بصدق قولها ولذا توجه إلى معبد آمون حتى يعترف الناس به على أنه ابن الله وقد اعترف له بذلك أيضاً معبدان يونانيان كانا فى أسيا الصغرى.

٤٥- هكذا ذكر كل من: ديودور الصقلي وكنت كورس وبلوتارك، أما آرين فسكت عنه.

٤٦- ومن ذلك مثلا أن كوروش الكبير قد اختار في بداية حكمه شخصا ليديا لتولى الحكم في ليديا، ثم عين بدلا منه شخصا إيرانيا - بعد طغيان الأول. وأراد كمبوجيه أن يولى أمر مصر لفرعونها السابق، إلا أنه عدل بعد اشتراك هذا الفرعون في الثورة ضده.

٤٧- الأناهيد هي ربة الماء في العصر الساساني.

٤٨- هذا دليل على أن الهخمانشيين لم يفرضوا دينهم على أحد، وكانت السكة منذ زمان أردشير الثاني تحمل اسم ابلن الإله اليوناني في آسيا الصغرى كما حملت في فينيقية اسم إلهها بعل.

٤٩- هي پوستيل: القاعة الكبرى أو ما اصطلح الإيرانيون على تسميته " جهل ستون معابد مصرى " أى المعابد المصرية ذات الأربعين عمودا.

٥٠- عالم روماني عاش في القرن الأول الميلادي، وله مؤلفات كثيرة فى العلوم الطبيعية وهى ذات أهمية لتاريخ العهد القديم.

٥١- فريز أو نقش، يرجع إلى فن العهد القديم، نقش على شكل مستطيل، ولذا عرف بالأفريز.

٥٢- لما كانت هذه النقوش تبين اتساع إيران فى ذلك الوقت، فإننا نذكر هنا قسما منها حتى تكون نموذجا لإنشاء ذلك العصر وألقاب الملوك الهخما نشيين: إنه الإله العظيم أهور مزد الذى خلق هذه الأرض وتلك السماء وهؤلاء البشر وخلق لهؤلاء البشر السعادة، وجعل داريوش ملكا، وهو الوحيد بين الملوك، وهو الوحيد الذى وضع القوانين. أما داريوش الملك

العظيم - ملك الملوك - ملك الممالك - ملك هذه البلاد المترامية
الأطراف - ابن ويشتاسب - الهخمانشى - الفارسى ابن الفارسى -
الأرى من أصل أرى. يقول الملك داريوش إن هذا بإرادة آهور مزد.
بالإضافة إلى فارس فهناك بلاد تحت تصرفى وأحكامها وتدفع لى
الضرائب وتطيع أوامرى، وتطبق فيها قوانين. والجدول التالى لى
موجودا فى النقوش ولكننا نذكره هنا بهدف بيان الأسماء القديمة والجديدة:
٥٣- فهرست مختصر للنقوش الأخرى:

٥٤- اكتشف نقش لداريوش فى تخت جمشيد والوند (على مقربة من عباد
أباد، قريبا من همدان) كما اكتشفت لوحتان أخريان فى همدان أخيرا،
توضحان حدود إيران. واكتشفت كذلك نقوش لخشيارشا فى تخت
جمشيد والوند ووان (وفى ارتوقابو) وهى نقوش صغيرة مختصرة،
وتلقى ضوءا ساطعا على خشيارشا، نقش داريوش الثانى (وهى مدح
للملك) نقش أردشير الثانى ويتعلق بتجسيم الشمس والزهرة. نقش
أردشير الذى يوضح أن ويشتاسب وارسام لم يكونا ملكين، وما يحتويه
هذا النقش من زهريات وأختام كثيرة، يجدر الإشارة إلى أنه منذ عدة
سنوات اكتشف حجر فى واجهة قبر شاه نعمت الله بكرمان يتضمن
نقشا باسم داريوش، ثم فقد الحجر بعد ذلك، ذكرنا قبل ذلك ما عثر
عليه من نقوش مختصرة لكوروش، وفى عام ١٣٠٦ هـ اكتشف - فى
باسارگاد - تمثال ناقص لكوروش، نقش عليه هذه الكلمات "أنا
كوروش الملك الكبير" (وقد اكتشفه هرتسفلد).

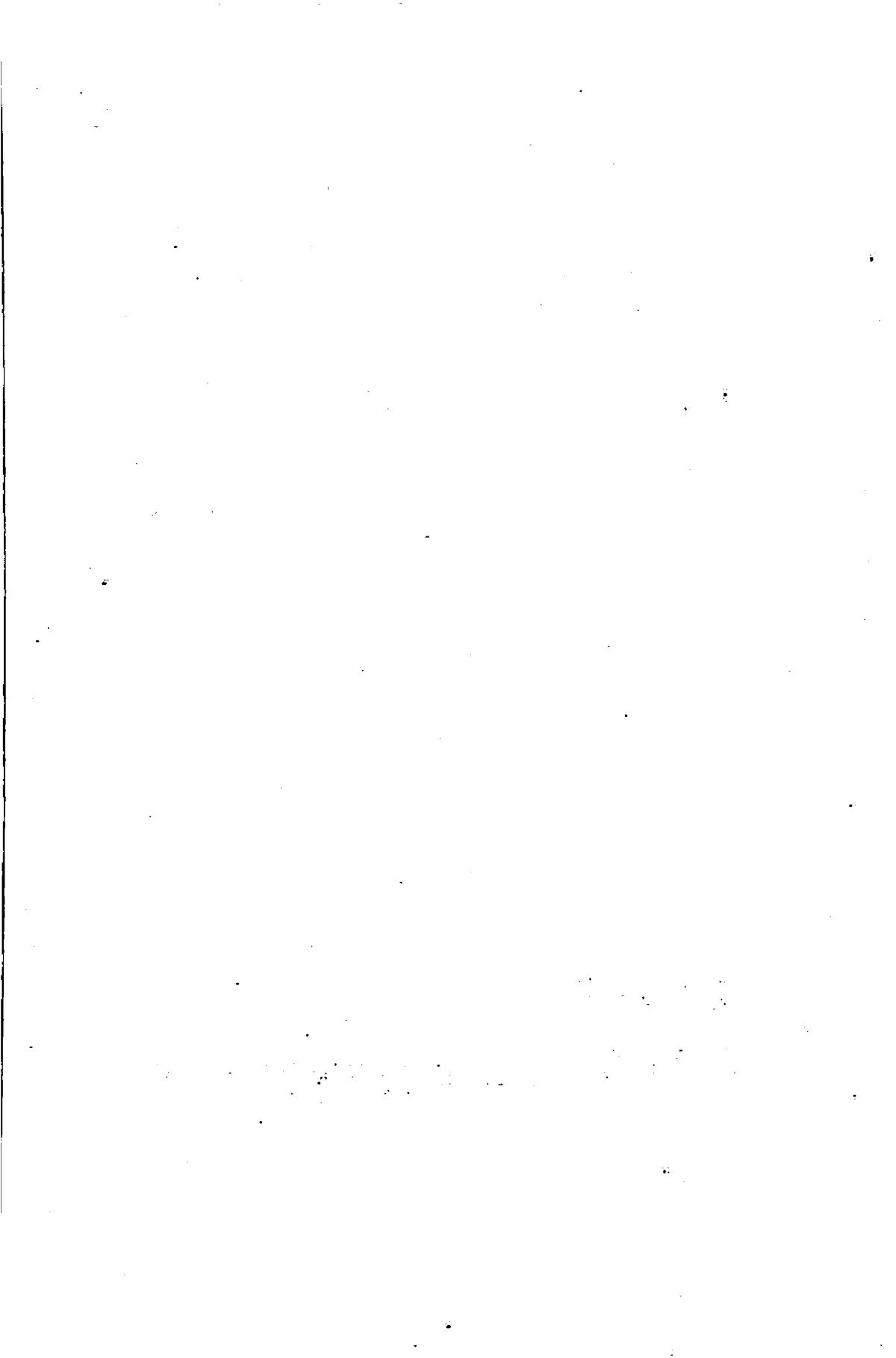
الباب الثالث

العصر المقدوني واليوناني

الإسكندر والسلوقيون

الفصل الأول

فتوحات الإسكندر بعد موت داريوش الثالث



الإستيلاء على الممالك الشرقية لإيران

بعد أن فرغ الإسكندر من أمر تبورستان (طبرستان) شرع فى الاستيلاء على الممالك الشرقية لإيران. فتوجه فى بداية الأمر إلى جرجان (گرگان)؛ حيث التقت الجيوش المقدونية فى زادكرت. وتوجه الإسكندر من جرجان إلى پارت (خراسان الحالية) وهراة ومنها إلى زرنج (سيستان) ورخج^(١) ثم دخل بلخ بعد ذلك (٣٢٨ ق. م) وهناك ترامت إليه الأنباء عن هروب بس سوس قاتل داريوش من بلخ، وأنه قد عبر نهر جيحون، عندئذ أصدر أمره إلى سبيتامن Spitamene القائد الإيرانى ورئيس فرقة الخيالة العسكرية فى الصغد بالقبض عليه فتمكن من ذلك بعد وقت قصير وصلب فى همدان^(٢) وتوجه الإسكندر إلى مرگند (سمرقند) بعد عبوره لنهر جيحون، واستمر فى هجومه وزحفه حتى بلغ نهر سيحون وواصل زحفه على شاطئه حتى وصل إلى المكان الذى كان كوروش الكبير قد بنى لنفسه مدينة فيه فبنى الإسكندر على شاطئ هذا النهر مدينة عرفت بالإسكندرية القصوى (يعتقد أنها خجند الحالية) سمع الإسكندر فى تلك الأثناء أنباء عن تمرد سبيتامن وتمرده وأنه قد طلب من السكا تقديم العون والمساعدة له، فهاجمه الإسكندر وأنزل به هزيمة قاسية بعد لى، كان من نتيجتها أن قطع السكا رأسه وأرسلوها إلى الإسكندر.

الحرب مع بلاد الهند:

بعد ذلك تزوج الإسكندر فى سنة ٣٢٧ ق. م من ركسانا^(٣) ابنة إكسبارتس Xiartes أحد أمراء الصغد، وحين تمت الاستعدادات لغزو الهند، توجه إليها عابرا طريق هندوكش (كان عدد أفراد جيش الإسكندر فى تلك الحملة مائة وعشرين ألفا من الجنود) فعبر الإسكندر ممر خيبر والجسر الذى أقاموه على نهر السند حتى

دخل مدينة (تاكسيلا) في البنجاب فاستقبله ملكها وأهلها بترحاب كبير، وتقدم منها إلى ناحية نهر هي داس بس Hydaspes (جلم الحالية) حيث كان بروس ملك تلك المملكة على رأس جيش من ثلاثين ألفا من الجنود والفيلة الكثيرة على استعداد لقتاله، وكان عبوره من جلم أمرا صعبا تغلب عليه الإسكندر بحيله الحربية وعبر النهر، ولكن المقدونيين حين ووجهوا بفيلة بروس اعتقدوا أن الحرب ستكون بلا نتيجة، واستغرق الإسكندر في التفكير، إلا أنه حين أدرك تفوقه العددي على جيش بروس أمر جزءا من جيشه بمهاجمة ميسرة العدو وتطويقه من الخلف، ونفذ المقدونيون ذلك. ورغم ذلك فقد حارب هذا الحاكم بضراوة وأحدثت فيلته خسائر جسيمة بالمقدونيين، ولكن بروس وقع في النهاية أسيرا لتنتهي الحرب بانتصار الإسكندر ٣٢٦ ق. م وكانت تلك الحرب من أصعب الحروب التي خاضها المقدونيون.. وهاجم الإسكندر بعد ذلك ما قابله من المناطق حتى وصل نهر هيفاز Hyphasis (نهر بيس الحالي) وعلم جنود الإسكندر حينذاك أنهم إذا توغلوا في التقدم أبعد من ذلك فإنهم سيواجهون بمن هو أقوى من بروس وأكثر فيلة منه، عندئذ أخبر الإسكندر بذلك وقالوا إن ما تم من فتوحات كاف ولكل شيء حد، ولكل إنسان طاقة ولكل مشقة حد، ولكن الإسكندر لم يرغب في العودة حتى قال له أحد قادته ويدعى كى نس Koinos: لم يبق من اليونانيين الذين قدموا معك سوى عدد قليل، فإن كنت تود الاستمرار في التوسع فمن الأفضل لك العودة وإعداد جيش جديد. عندئذ رجع الإسكندر عن طريق نهر جلم. وهناك صنعوا سفنا تنفيذيا لأمره - تتسع لثمانية آلاف فرد وأمر الإسكندر نه أرخ Nearchus أحد قادته بالتجول بهذه السفن من بحر عمان حتى خليج فارس^(٤) وأن يجرى دراسات على المناطق المجاورة للبحر. وتوجه بنفسه على رأس قواته قاصدا مصب هذا البحر (٣٢٦ ق.م) وحين وصل إلى پاتالا^(٥) PATALA. أمر أحد قادته ويدعى كراتروس Craterus بإيقاف القتال والعودة بجنوده وأفياله والتحرك إلى إيران عبر رنج وسيستان وتوجه هو نفسه إلى إيران سالكا طريق بلوستان (٣٢٥ ق. م).

عودة الإسكندر إلى إيران ثم وفاته

توجه الإسكندر، أثناء عودته إلى إيران من باتالا إلى ساحل المحيط الهندي، وكانت مكان تحرك جيشه في الساحل القريب من المحيط والمعروف الآن بمكران وذهب الإسكندر بعد ذلك إلى مملكة گدرزى (بلوچستان الحالية)؛ حيث هلك عدد كبير من قواته لشدة الحر بتلك المنطقة وجذبها، فاضطر إلى التوجه إلى پورا (فهرج الحالية فى مقاطعة بلوچستان الإيرانية) وبعد أن مكث بها قليلا توجه إلى پاسار گاد عبر نهر هليل وسيرجان، وفى پاسارگاد علم أن قبر كوروش قد نبش، والتقت كتائب جيش الإسكندر كلها فى الأهواز ولحق بها نه أرخ قادما من بحر عمان وخليج فارس، ودخل الجيش المقدونى كاملا إلى شوش ولم يخض الإسكندر حربا بعد ذلك سوى مع الكوسيين الذين وردت الإشارة إليهم فى تاريخ عيلام، ويعتقد بعض الباحثين أن تلك الحرب قد خاضها الإسكندر مع الطوائف التى كانت تقطن مالير الحالية ويسكنها البختاريون. ومما هو جدير بالذكر أن عدة آلاف من الكوسيين قد قتلوا قربانا - بأمر الإسكندر - لراحة روح قائد الإسكندر المحبوب (هفس نيون) الذى أدركته المنية حديثا (وقتذاك)^(١).

وتوجه الإسكندر بعد ذلك إلى بابل، حيث استقبل السفراء الموفدين من كل من قرطاجنة والحبشة وإيطاليا وبلاد الغال (فرانسة الحالية)، وبدأ يفكر فى غزو الجزيرة العربية، وشرع - تحقيقا لما دار بخياله - فى إجراء ما يلزم من دراسات عن الجزيرة العربية وأمر الفينيقيين بصناعة السفن، إلا أن الحمى القاتلة داهمته وأجهزت عليه وهو فى الثانية والثلاثين من عمره فى عام ٣٢٣ ق.م.

الفصل الثاني

سلوك الإسكندر وأعماله

بعد أن تم للإسكندر الإستيلاء على عاصمة إيران بدأ فى تغيير سياسته السابقة وبخاصة حيث كان فى سيستان، ويجب أن يكون واضحا لنا أن حكومة الحاكم المقدونى لم تكن حكومة مطلقة، وتوضيح ذلك أن الإسكندر كان يعد الشخص الأول بين أمراء المملكة وأشرفها وكانوا جميعا يجلسون معا فى المجالس وأثناء الاحتفالات وكان عدد منهم وهم المقربون يعدون أصدقاء للحاكم، وكان يتشاور فى أمور الدولة مع مجلس للشورى المكون من الرجال المحنكين، وكان هؤلاء الرجال أحرارا فى إبداء ما يرونه من أمور، إلا أن الإسكندر لم يستطع السير على هذا المنوال بعد استيلائه على إيران فقد كان أسلوب الحكم اليونانى والمقدونى وطريقته مغايرة لما كان عليه الوضع فى أمم الشرق كما كان الاختلاف البين فى طبائع اليونانيين والمقدونيين مع الإيرانيين سببا فى نفور الإيرانيين مما اضطر الإسكندر إلى اتباع أسلوب البلاط الإيراني، واضطر اليونانيون والمقدونيون من ذلك التاريخ إلى الوقوف أثناء التشريعات الملكية طبقا للعادة الإيرانية واضطروا إلى الركوع بإحدى أرجلهم إلى الأرض أثناء محادثتهم مع الإسكندر، ولم يكن اليونانيون والمقدونيون راضين عن هذا المسلك من الإسكندر فثاروا عليه مرتين، ولكنهم لم يوقفوا فى ثورتهم وقبض على عدد من المرافقين للإسكندر وقتلوا، وكان ممن قتلوا فيلوناس بن پارمينيون **Parmenion** قائد الإسكندر الشهير) والآخر كليبى صديق الإسكندر الحميم الذى نجاه فى حرب غرانيك وأنقذه. وقبض على پارمينيون نفسه وقتله الإسكندر. ثم اتخذ الإسكندر مدينة بابل عاصمة له بعد الاستيلاء عليها. واتباع أسلوب داريوش الأول فى التنظيمات الإدارية وأعطى لحكام الولايات مزيدا من الصلاحيات ويسمى اليونانيون هذا النوع من الولاية باسم ساتراپ... وكان من بين الولاية واليان إيرانيان أحدهما آثرويات الذى تولى أمر آذربيجان، ويعتقد بعض الباحثين أن ولاية آذربايجان قد أطلق عليها آثور باتكان نسبة

إليه^(٧). والآخر هو والى بابل الذى كان واليا على مصر فى عصر داريوش الثالث، وقد عين فى هذا المنصب جزاء وفاقا له على استسلامه (لالإسكندر)... وقد اقتفى الإسكندر أسلوب داريوش الأول فى كل أموره مع اختلاف واحد هو تخصيص واحد من الرجلين اللذين يوفدان من قبل الشاه إلى الولايات للأمور المالية والثانى منهما لأمر الجيش. وتثر الإسكندر بثياب الملوك الهخمانشيين واتبع مراسم البلاط الهخمانشى. وتزوج اثنتين من الإيرانيات (استاتيرا ابنة داريوش الثالث وركسانا ابنة اكسيارتيس) ثم أمر بعد ذلك بأن يتزوج عشرة آلاف من المقدونيين واليونانيين من الإيرانيات وبنات الشعوب الأخرى.

ورأى أنه من المحتم عليه سياسيا أن يعيد تنظيم الجيش من جديد، فسرح — تنفيذًا لهذا الهدف — عشرة آلاف من المقاتلين المقدونيين من الجيش وأحل محلهم مثلهم من الإيرانيين والشعوب الأخرى، وقرر ضم ثلاثين ألفًا من الأطفال الإيرانيين إلى تنظيمات الجيش المختلفة وتشكيلاته حتى يتعلموا سائر فنون القتال. وكان الإسكندر يهدف من هذا إلى تحقيق هدفين الأول: ألا يكون الجيش كله مقصورًا على المقدونيين واليونانيين لأن المعارضين للإسكندر منهم قد زاد عددهم. ثانيًا: أن يزداد التقارب بين الإيرانيين واليونانيين لإختلاطهما معًا لفترات طويلة.

أما فيما يتعلق بشخصية الإسكندر فينقسم الباحثون فريقين: يعتقد فريق منهم أنه كان شابًا شجاعًا مفتيًا بهى الطلعة محبوبًا ذا عقل راجح قوى الذاكرة، إلا أنه فقد تلك الصفات كلها بعد الاستيلاء على إيران. وأصبح يتيه فخرا بنفسه وكثير العمل شأنه شأن سائر الحكام. ويرى الفريق الثانى عكس ذلك وأرجعوا ما ارتكبه من سفك للدماء وأعمال ارتجالية إلى نشأته الأولى وأوضاعه وأحواله الخاصة. ولكن إذا نظر إليه نظرة منصفة محايدة يمكن القول بأن سلوك كوروش الكبير وداريوش الأول مع الشعوب المغلوبة كان أفضل من سلوك الإسكندر. فلم يرتكب أى منهما قتلًا جماعيًا فى أية مدينة ولم يسب أى منهما أهلها ويبيعونهم. ولم يبيحوا قتل أى

إنسان قربانا لروح إنسان آخر، كما فعل الإسكندر حين أمر بقتل الآلاف قربانا لراحة روح قائده المحبب إليه.

ودليل ذلك سهل ميسور فقد ذكر جوستن المؤرخ الروماني في القرن الثاني الميلادي أن داريوش الأول قد أرسل موظفا إلى قرطاجنة وحرّم القرابين الإنسانية.

ويقوم بعض الباحثين غزوات الإسكندر وفتوحاته قائلين إنه كان يود التقريب بين شعوب العالم حتى يوجد بينها نوعا من الألفة، إلا أن بعضهم يرى أن الحضارة اليونانية كانت ستسرى مسراها بين أمم المشرق دون ظهور الإسكندر، بل إن ظهور الإسكندر قد عمق حدة الخصومة بين الشرق والغرب؛ فقد نجم عن ذلك ظهور الدولة الأشكانية ثم الدولة الساسانية، وما حدث من حروب مستمرة بين إيران والسلوكيين والرومان والبيزنطيين لمدة استغرقت تسعة قرون كل هذا كان معاكسا ومغايرا لما قصد إليه الإسكندر، وعلى أية حال فقد أطلقوا عليه اسم الكبير⁽⁸⁾.

الفصل الثالث

خلفاء الإسكندر السلوقيون

ابتلى الإسكندر أثناء إقامته في بابل بحمى شديدة، قضت عليه في سنة ٣٣٣ ق. م بعد عدة أيام وهو في الثانية والثلاثين من عمره، ولم يكن هناك ولى للعهد آنذاك، لأن روشنك (ركسانه) كانت تتهيأ للإنجاب، وقد عين خلفاؤه على هذا النحو: في أوروبا: تولى أخوه فيليب مكانه، وتولى الحكم في ممالك آسيا (نائبًا عن الملك) برديكاس أحد رجال البلاط البارزين، وقسمت الولايات بين قادة الإسكندر وتولى حكم أذربيجان آثروبوات البارسي، وظلت الولايات الهندية كما كانت من قبل تحت سلطة الحكام المحليين.

ونظرًا لأن كل قادة الإسكندر لم يكونوا يرغبون في الخضوع للحكومة المركزية فقد نشبت الثورات سريعًا في سائر الممالك، واستولى كل واحد من الولاة المقدونيين واليونانيين على إحدى الممالك ونصب نفسه حاكمًا عليها خلفًا للإسكندر (لهذا سموا جميعًا باسم الخلفاء). واستمر الصراع بين هؤلاء الخلفاء ما يقرب من عشرين سنة، وأنجبت ركسانه بعد وفاة الإسكندر أبناء، أسمته الإسكندر، ولكن الأمور لم تتغير عما كانت عليه وكان برد يكاس يرغب في تسوية الأمور وإيجاد وحدة بينهم حتى هزم من بطليموس والى مصر وقتل بيد جنوده. وبعد ذلك تحارب الولاة كل مع الآخر وانتصر في البداية أن نيغون والى قلقية، وأحرز انتصارًا في شوش، إلا أن سلوكوس Seleucus أحد قادة الإسكندر تمكن من الانتصار عليه، واستولى على الجزء الأكبر من آسيا الغربية؛ حيث أسس أسرة السلوكيين التي بدأ حكمها منذ عام ٣١٢ ق. م، واتخذ مدينة بابل في بداية الأمر عاصمة له ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك إلى سلوكية التي بناها سلوكوس (أطلالها قريبة من بغداد على نهر دجلة) ثم انتقلت بعد ذلك إلى أنطاكية السورية^(٩). وكانت إيران في بداية حكم

تلك الأسرة جزءاً من الدولة السلوكية، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت أنربايجان التمرد والعصيان على الحكم السلوكي، واستقلت باختر (إقليم بلخ) ويارت في عهد أنتيوخوس الثاني حفيد سلوكوس، ولم تتوافر لنا معلومات كافية عن مملكة باختر. ولكن يتضح مما عثر عليه من عملات وأثار أخرى أن هذه الدولة كانت يونانية بلخية (أو باخترية) وأن حضارتها كانت يونانية، وأنها كانت تمتد من اسغد حتى مرو وبلخ، وكان أول ملك أعلن استقلال هذه الدولة عن الدولة السلوكية يسمى ديودوت الثاني (٢٥٦ ق. م).

وقد امتدت حدود هذه الدولة في عصر دمتریوس حتى شرق أفغانستان والبنجاب شرقاً. وتأسست دولة البارثيين في سنة ٢٥٠ ق. م وسيأتي ذكرها في الباب الرابع، وحكم السلوكيون القسم الأكبر من إيران ثمانين عاماً، وكان أنتيوخوس الثالث أشهر حكام تلك الأسرة وكانوا يسمونه الكبير، وأخذت الدولة السلوكية نتجه صوب الاضمحلال والانهيار بعد هذا الحكم. وأخذت الممالك التابعة في الانفصال واحدة بعد الأخرى، حتى انحصر الحكم السلوكي في سوريا وحدها لتصبح بدورها جزءاً من الإمبراطورية الرومانية في سنة ٦٤٠ ق. م.

ومعلوماتنا عن إيران وأوضاعها في عصر الإسكندر والسلوكيين قليلة، وما يمكن استنباطه من كتابات المؤرخين مثل أريان ويولي بيوس وغيرهما هو أن نظم الحياة والعادات لم تكن متباينة تبايناً جذرياً بين الإيرانيين والمقدونيين، فكان كلاهما يعشق الحرب والصيد ويستمتع بأطيب المأكولات ويشرب أفضل الشراب ويحب الغنائم وتعدد الزوجات. وكان اليونانيون يمتدحون الديانة الإيرانية لسموها عن الديانة اليونانية ولأنها تحض على الصدق وتحرص عليه. وكان الإسكندر ينظر إلى الإيرانيين نظرة احترام، ولذا كانت أسباب الاتصال بين هاتين الأمتين كثيرة ولم يكن اليونانيون يعتبرون إيران دولة أجنبية، لأن أمهات ولى العهد

المقدونيين والسلوكيين كن إيرانيات، ولذا يعتبر بعض الباحثين الأسرة السلوكية أسرة إيرانية يونانية.

لم تكن أمور أشرف إيران في تلك الفترة سيئة بدرجة كبيرة، لأن عدد الولاة والقادة الإيرانيين كانوا كثيرين ولم يحدث اختلاف في أحوال الزراع وسكان الخيام فقد كانت الطبقة الأولى تزرع تحت نير الاستعباد والاضطهاد، وأما الثانية فكانت تحيا حياة حرة، ولا يمكن تشخيص التأثير الحضارى اليونانى فى إيران، وما بقى من الشواهد الأثرية والكتب توضح أن الإسكندر والسلوكيين قد شيّدوا فى إيران سبعين مدينة وبخاصة تلك المدن التى تحمل اسم الاسكندرية فى سيستان وأفغانستان وبلوچستان وعلى شاطئ نهر سيحون وكثير من الأماكن الأخرى، كما شيّدوا مدينة واحدة فى فارس باسم أنطاكية، كما تشير تلك المصادر إلى أن الإسكندر قد شيّد فى ماد قلعة ومدن للحيلولة دون هجوم الأقوام الشمالية، ويذكرون إسم مدينة صد دروازه (أى المائة بوابة) فى الجنوب الغربى من دامغان. ما ذكرناه عن أماكن تلك المدن إنما هو أقرب الاحتمالات إلى الصواب.

وكان يقطن هذه المدن كثير من المهاجرين اليونانيين، وقد سرت منها كثير من العادات والسلوك والسمات الأخلاقية اليونانية إلى المناطق والبلدان المجاورة لها، وبخاصة وأن البارتيين قد خالطوا اليونانيين وامتزجوا بهم، وإن كان من المسلم به أن هؤلاء المهاجرين اليونانيين قد انصهروا بعد عدة قرون فى بوتقة الايرانيين، وفقدوا هويتهم الأصلية، ونستطيع فى نهاية حديثنا أن نقول إن التأثير الحضارى اليونانى فى إيران كان تأثيراً سطحياً لم ينفذ إلى الأعماق^(١٠) ويمكن القول إن الأسباب التى عجلت بانفصال الإيرانيين عن دولة السلوكيين هى: أن السلوكيين كانوا أصلب عودا من شعوب آسيا الغربية الآخرين، فضلاً عن تباين التنظيمات السياسية للأريين الإيرانيين عن الأسلوب المركزى الذى رغب السلوكيون فى إقامته وإحداثه، وكانت الأمم الشرقية من إيران أكثر محافظة على

التنظيمات السياسية الآرية من بابل وأشور — بخاصة وأن اليارتيين لم تكن لديهم الشجاعة والاستعداد الكافي لقبول المركزية الشديدة، مما أدى إلى التصادم بين أرشك ووالى السلوكيين فى پارت، فهب الپارتيون هبة أخرجوا بها عدوهم من إيران، وحكموا إيران وبعض الأماكن الأخرى لمدة خمسة قرون بالأسلوب السياسى الآرى.

الهوامش

- ١- رنج أو هر خو واتيش جنوب أفغانستان الحالية، وقد سماها اليونانيون أرخزيا.
- ٢- حكم بس سوس عدة أشهر فى باختر باسم أردشير الرابع.
- ٣- Roxana يسميها الإيرانيون روشنك ويعتقدون أنها ابنة داريوش بينما يعتبرها الباحثون ابنة أكسيارتس.
- ٤- وقد سمي نفسه أرخ الخليج بالخليج الفارسي منذ ذلك الوقت وذلك فى تقريره الذى رفعه للإسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ ق.م، وإلى هذا التقرير ترجع هذه التسمية للخليج (المراجع).
- ٥- مدينة تقع فى المكان الذى يتشعب فيه نهر السند.
- ٦- لم يشر أرين إلى هذه الحادثة، وإن كان بعض المؤرخين من أمثال بلوتارك وكننت كورس وغيرهما قد أكدوا هذا الحدث.
- ٧- كانت تسمى بهذا الاسم فى العصر الساسانى.
- ٨- يعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن الإسكندر ظل لست سنوات الحاكم المطلق للامبراطورية الإيرانية، وأنه خلال تلك المدة لم يترك سوى أعمال قليلة فلم يحدث أى تغيير فى تنظيم الولايات، وأبقى الطرق والموانئ وسائر إدارات الدولة على ما كانت عليه منذ عهد كوروش، حقاً إن الإسكندر أمر ببناء سبع عشرة مدينة باسم الإسكندرية، واحتلت بعض تلك المدن أهمية كبرى، إلا أنه خرب مدينة صور مما أفقد التجارة بين الشرق والغرب أمنها وأهميتها، ويقول المؤرخون إن الإسكندر قد صبغ

الشرق بالصبغة اليونانية، والحال أن اليونانيين كانوا موجودين بكثرة
 - قبل مجيء الإسكندر - في بابل ومصر. ويستطرد الباحث قوله ناقدًا
 لأعمال الإسكندر ومعددًا لها: H.G. WELLS. Esquisse de L,Hist.
 Univers. paris 1926.

٩- أسماء الحكام السلوكيون الذين حكموا في إيران:

- سلوكوس نيكاتر (من ٣١٢-٢٨١ ق. م)
- سلوكوس بنكاتر (من ٣١٢ - ٢٨١ ق. م)
- أنتيوخوس الثاني ت أس (٢٦٢-٢٦٤)
- سلوكوس الثاني كالي ني كس (٢٤٦-٢٢٦).
- سلوكوس الثالث ستر (٢٢٦-٢٢٣)
- أنتيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧).
- سلوكوس الرابع ابي فان (١٨٧-١٧٥)
- أنتيوخوس ابي فان (١٧٥-١٦٤).
- أنتيوخوس الخامس أباترى (١٠) دمتریوس ستر حكم الأول عامين
 والثاني اثني عشر عامًا، وسيأتي ذكر لأسماء أخرى حين الحديث عن تاريخ بارت
- ١٠- كان لليونان تأثير بين في بابل وسوريا ومصر خاصة. لقد بقيت
 الإسكندرية قرنين مركزا للعلوم والفنون، وكذلك المكتبة - مكتبة
 الإسكندرية - أو المتحف وهي معروفة للكافة. وكتبت كتب عدة باللغة
 اليونانية منها كتاب تاريخ كلدة ومصر، الذي ألفه برس الكلداني ومان تن
 المصري.

الباب الرابع

عصر البارثيين

الفصل الأول

البارثيون والملوك الأشكانيون

بارث تعنى خراسان الحالية - اختلف المؤرخون والباحثون لفترة حول أصل البارثيين، فاعتبرهم البعض من الجنس الآرى واعتبرهم آخرون من الجنس الأصفر (الجنس الصينى والمغولى)، كما عددهم البعض الآخر جنسا خليطا من هذين الجنسين. غير أنه بعد التعمق فى دراسة لغتهم وعاداتهم وأخلاقهم قوى الرأى القائل بأن البارثيين نوع من الآريين الإيرانيين، ولكنهم تأثروا فى عاداتهم وأخلاقهم وعقائدهم بقبائل السكا بحكم الجوار معهم. ذلك أن أقواما من السكا يطلق عليهم عشيرة "داه" كانوا يشغلون قديما الأراضى الواقعة بين جرجان وكراسنو ودسك⁽¹⁾ الحالية - ولهذا السبب تسمى هذه المنطقة باسم دهستان - فحدث اختلاط بينهم وبين البارثيين المجاورين لهم، وبرزت بعد ذلك طائفة آبارنى من عشيرة داه، وخرجت أسرة الأشكانيين من هذه الطائفة. ومن ثم فإن أصل الأشكانيين يرجع إلى السكا، ولكنهم أصبحوا إيرانيين بحكم الإقامة الطويلة فى إيران. ويتضح مما سبق ذكره أنه لا يمكن اعتبار الأشكانيين أمة أو أسرة أجنبية. وقد اعتبرهم بعض المؤلفين الإيرانيين من الجنس الأصفر، غير أن هذا الرأى ليس له أى سند من الصحة، خاصة وأن السك كانوا آريين أيضا.

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن عدد ملوك هذ الأسرة غير معروف على وجه اليقين، كما أن تاريخ حكم بعضهم مجهول تماما أو محدد على وجه التقريب ذلك؛ لأنه لم تدون تواريخ على النقود الخاصة بأوائل ملوك هذه الأسرة. ويجب أن نشير هنا أيضا إلى أن تاريخ هذه الفترة ليس واضحا، إذ إن مؤرخى اليونان والروم تحدثوا عن الوقائع والأحداث المرتبطة بدولهم، وذكروا معلومات موجزة عن بعض الأحداث الأخرى، وأحيانا لم يذكروا شيئا على الإطلاق، فى حين أن

هذه الدولة القوية لم تكن تزاحم إمبراطورية الروم في تقسيم آسيا الغربية فحسب، بل قامت بالتأكيد بأعمال في الشمال والشرق أيضًا فيما بعد.

أما عن تسمية الأشكانيين بهذا الاسم، فيعتقد البعض أن موطن الأسرة الأشكانية كان في (أساك) وأن اسمهم أخذ من اسم ذلك المكان (تعرف أساك على أنها قوجان الحالية). والرأى الغالب أن الأشكانيين سموا أنفسهم بالأرشكيين حتى يصلوا بنسب هذه الأسرة إلى أرشير الثانى الهخامنشى الذى كان يسمى باسم أرشك، وتحولت بعد ذلك كلمة أرشكان إلى أشكان.

أشك الأول – أرشك الأول..

تعاون هذا الشخص مع عشيرته أيارنى، ورفع لواء العصيان على السلوقيين فى عام ٢٥٦ ق.م. ودخل فى حروب متعددة معهم، وتغلب عليهم فى النهاية، وأسس دولة البارثيين (٢٥٠ ق.م أو ٢٤٩ ق.م كما ذكر البعض). واتجه بعد هذا الانتصار إلى باختر (بقر، بلخ). ودخل فى حرب مع هذه المملكة التى كانت تتمتع بالاستقلال أيضًا، ولكنه قتل أثناء الحرب.

ولما كان أرشك هو مؤسس سلطنة الأشكانيين، فقد قدسه الملوك الأشكانيون الآخرون، كما أنهم منحوه لقب إبي فانس^(١). وأضافوا إلى اسمه كلمة أرشك^(٢) (التي صارت أشك بعد ذلك) كتذكار على أنه كان أول الأسرة الأشكانية، وقد ذكر المؤرخون هذه المسألة.

أشك الثانى – تيرداد الأول..

جلس على العرش بعد أخيه، واستفاد من اشتغال السلوقيين فى الغرب، فضم جرجان إلى بارث، ثم تحالف بعد ذلك مع ديودور^(٤) ملك بلخ، وهزم سلوقوس الثانى وأطلق على نفسه اسم الملك الكبير (شاه بزرگ). وقد عدّ البارثيون جلوسه

على العرش بداية التاريخ (٢٤٧ ق.م). ولكي يصل الأشكانيون بنسبهم إلى الهخامشيين كانوا يقولون إن فرى يابيت هو والد أرشك، وأن تيرداد الأول هو ابن أردشير الثاني.

أطلق اليونانيون اسم هكاتم بيلس-أى المدينة ذات المائة بوابة- على عاصمة الأشكانيين. وهناك خلاف بين الباحثين حول تحديد موقعها الحالي. والرأى الغالب أنها كانت تقع فى جنوب غرب دامغان. وصارت الرى وهمدان وطيسفون^(٥) أيضا عواصم فيما بعد. وتوفى تيرداد فى سنة ٢١٤ ق.م.

أشك الثالث - أردوان الأول:-

جلس على العرش بعد أبيه، واستفاد من اشتغال أنتيوخوس الثالث (الكبير) أذى سلوقوس الثالث فاستولى على ولاية المرديين^(٦) والرى وهمدان ولكنه انسحب بعد أن قدم ذلك الملك إلى إيران بجيش كبير، وسلم عاصمته أيضا للسلوقيين.

توجه بعد ذلك أنتيوخوس إلى جرجان، ولكنه لم ينتصر على فرسان البارثيين. وتم عقد معاهدة بين الدولتين، واعترف رسميا بأردوان ملكاً على إيران والجدير بالذكر أن أنتيوخوس أغار فى هذه المعركة على معبد أناهيتا (الأناهيذ) المشهور، واستولى على ذخائر ونفائس كثيرة منه. ويقال إن قيمة هذه الذخائر كانت أربعة آلاف تالان^(٧) (٢٠٨ ق.م).

أشك الرابع - فرى يابيت:-

جلس على العرش عقب أبيه، وحكم فى أمن وهدوء، ذلك لأن سكان بلخ كانوا قد وجهوا اهتمامهم للهند، ولم يكن لهم شأن مع البارثيين. وتوفى فى سنة ١٨١ ق.م.

أشك الخامس - فرهاد الأول:-

جلس على العرش بعد أبيه واستولى على تبورستان، وأجبر طائفة المرديين على حماية مضيق بحر الخزر (أو كما يسميه الأوروبيون ببوابة الكاسبيان) والطريق الممتد من خراسان إلى ميديا. وقد أقام هذا الملك مدينة خراكس^(٨) في الري.

أشك السادس - مهرداد الأول:(١٧٠-١٢٨ق.م)

جلس على العرش بعد أخيه وساهم في جعل دولة بارت دولة عظيمة. وكانت دولة السلوقيين قد أنهكها الضعف في ذلك الحين نتيجة حروبها مع الروم واليهود. فاستولى مهرداد على مرو وأخذها من البلخييين في بداية الأمر، ثم انتزع بعد ذلك أنزريجان من الأمراء المحليين الذين كانوا قد استقلوا هناك. واستولى بعد ذلك على خوزستان وفارس وبابل، ثم اتجه إلى الهند فضم إلى مملكته منطقة تمتد حتى نهر جلم. فاتسعت دولة البارثيين منذ ذلك الوقت.

حارب هذا الملك دمتريوس السلوقي ولكن لم يحالفه الحظ في البداية، ذلك أن اليونانيين كانوا يساعدون دمتريوس ويساندونه، كما ثارت بلخ على البارثيين، غير أن مهرداد دخل في مفاوضات الصلح ثم غافل دمتريوس وهاجمه وأسره وألقى به في السجن. وقد لقب هذا الملك نفسه بلقب إمبراطور (شاهنشاه) مقلداً ملوك الهخامنشيين.

أشك السابع - فرهاد الثاني:-

جلس على العرش بعد أبيه، استولى أنتيوخوس سى ده أخو دمتريوس على مملكة سورية في غيابه، ولم يكتف بذلك بل أراد السيطرة على إيران، وقد حالفه الحظ في بداية الأمر، إذ ثار أهل إيران على فرهاد، وضاعت السبل أمامه ولم يبق له سوى مملكة بارت، فأراد فرهاد عقد صلح، ولكن شروط الصلح كانت مجحفة

جداً، إذ كان يحب عليه أن يكتفى بمملكة بارت وأن يدفع الجزية. ولكي يخلق الملك حرباً أهلية في سورية أخرج دمتريوس من السجن حتى يسترد مملكة الشام الكبرى من أخيه، غير أن فرهاد قد وفق من ناحية أخرى، ذلك أن شدة ظلم السلوقيون قد استمالت الناس إلى جانب فرهاد، وقدم أنتيوخوس بجيش جرار إلى إيران، ولكن فرهاد لم يعطه الفرصة، فهجم عليه. وقتل الملك السلوقي أثناء الحرب، ولم يجرؤ السلوقيون منذ ذلك الوقت فصاعداً على الاعتداء على إيران مرة أخرى، وبدأ الضعف يدب في كيان الأسرة السلوقية. وهنا ظهرت مشكلة أخرى أمام فرهاد وهي أنه كان قد طلب من قبائل السكا مساعدته، ووعدهم بمبلغ كبير من المال ولما انتصر دون مساعدتهم ولم يعطهم شيئاً، أخذوا يغيرون على الولايات ويقتلون أهلها. وقتل فرهاد في المعركة التي خاضها معهم "١٢٥ ق.م".

في ذلك الوقت تقريباً، أغارت شعوب آرية تعرف باسم السك "سكها" على إيران وأقاموا في أفغانستان الحالية وسيستان؛ ولذا سميت تلك البلاد فيما بعد باسم "سكستان" بعد أن كانت تسمى باسم "زرنج"، ثم تغير هذا الاسم إلى سيستان (منتصف القرن الثاني قبل الميلاد).

ولفهم هذه الأحداث لابد من القول بأن تاريخ إيران كان مرتبطاً بتاريخ الصين آنذاك، إذ إن شخصاً يدعى "تسين" استولى على السلطة في الصين بعد انقراض أسرة أباطرة "شو" وسيطرة ملوك الطوائف بعد ذلك، وأسس دولة قوية، وأقام سور الصين لمنع هجمات سكان الصحراء الرحل الأجلاف.

ولما لم تتمكن الأقوام المعروفة بالهون - وهي من الجنس الأصفر - من التقدم إلى الصين والهجوم عليها، فإنها اتجهت إلى النواحي الغربية، وأغارت على شعوب صفراء أخرى تعرف بشعوب الـ"يونه جي"، وأخرجوهم من ديارهم "٢٠٠ ق.م" فضغطت هذه الشعوب المذكورة بدورها على الشعوب المعروفة بالـ"سكا" أو السك، وهكذا تدفق السك على بلخ وبرثيا.

أشك الثامن - أردوان الثاني:-

هو عم فرهاد الذى حارب شعوب اليونه جى، فجرح ومات متأثراً بجراحه، وكانت قبائل الهون قد دفعت هذه القبائل ناحية إيران، فتنقلت دولة باختر نتيجة ضغطها إلى الهند، ثم انقرضت بعد ستين عاماً، فأسس اليونه جيون دولة فى بلخ تعرف فى التاريخ باسم "كوشان"، ويبدو أن مدة حكم أردوان كانت سنتين، وخلفه من بعده ابنه مهرداد.

أشك التاسع - مهرداد الثانى - الكبير:-

يعتبر هذا الملك واحداً من ملوك الأشكانيين العظماء. وقد انتصرت فى عصره إيران على شعوب السك الذين كانوا يضغطون من الشمال على بلاد إيران. ومنوا بهزائم ساحقة على يد مهرداد، حتى إنهم لم يعتدوا على إيران لحقبة طويلة من الزمن. دخلت إيران منذ عصر ذلك الملك مرحلة جديدة كذلك، إذ إن دولة الروم المترامية الأطراف كانت قد بسطت نفوذها على عالم الغرب كله، وصارت على مقربة من حدود إيران. وظهرت أوضاع جديدة فى آسيا الغربية خلاصتها أن دولة الروم كانت ترى أن السيطرة على إيران والهند لازمة من أجل سيطرتها التامة على العالم من ناحية، وأن إيران -التي كانت قد بسطت نفوذها وتوسعت ناحية الغرب- كانت مضطرة لمواجهة هذا المنافس القوى المقتدر الذى أعجز العالم من ناحية أخرى. وقد أدت هذه الأحداث التاريخية إلى دخول إيران وبلاد الروم فى حروب ومعارك معاً طوال عدة قرون بغية تقسيم العالم، واستمرت المنازعات بين الأشكانيين والروم لمدة ثلاثة قرون. ولم تنقطع هذه السلسلة من المعارك بسبب انقراض الأشكانيين، ذلك أن الساسانيين - كما سيأتي - دخلوا هم أيضاً فى حروب مع الروم واليونان طوال أربعة قرون.

وهنا ينبغي إلقاء نظرة على أرمينية التي كانت ميداناً من ميادين الحرب وكذلك على آسيا الصغرى.

أرمينية

سبق أن ذكرنا أنه قامت دولة في أرمينية تعرف باسم دولة أارات، وأن الآشوريين دخلوا في حروب معها، ولكنهم لم يتغلبوا عليها نهائياً.

أما عن الوقت الذي تغيرت فيه دولة أارات إلى دولة أرمينية، فيقول هيرودوت: إن الأرمن كانوا يقطنون في بداية الأمر في "فريجية" وهي إحدى بلاد آسيا الصغرى، ثم هاجروا منها متجهين إلى أرمينية، وكانت هذه البلاد تابعة لإيران في عصر الدولة الهخامنشية كما سبق أن ذكرنا، وقد ضمت في عهد الإسكندر إلى ممتلكاته وصارت من بعده تابعة لدولة السلوقيين. وصل مهرداد الأول - الذي وسع دولة بارث - إلى أرمينية، وحرر الأرمن أنفسهم من نير السلوقيين بمساعدته في عهد أنتيوخوس إبي فانس.

وهنا شكلت دولة كان حكمها بيد أحد فروع الأسرة الأشكانية، مثل قال آرشك^(٩) الذي حكم من سنة ١٥٠ حتى ١٢٨ ق.م، وحكم من بعده ملوك آخرون حملوا لقب ملك (شاه)، وكانوا تابعين للملوك الأشكانيين.

وفي عهد مهرداد الثاني لم يقبل ملك أرمينية آرتاگسياس^(١٠) خضوع بلاده لإيران، فتوجه مهرداد إلى أرمينية وفتحها بعد أن كان قد أنزل هزيمة فادحة بشعوب السكا، ولكي يؤمن تبعية أرمينية له أخذ الابن الأكبر لتيگران ملك أرمينية ليقدم عدة سنوات في البلاط الإيراني كرهينة، وقد اتسعت حدود أرمينية في عهد تيگران بعد ذلك.

ولما كانت هذه البلاد ممتدة من خليج إيسوس - أى من بحر المغرب - حتى بحر الخزر، فقد كان الملوك الأشكانيين يعطون مزيداً من الاهتمام لخضوعها وتبعيةها لإيران. ومن ثم خاضوا الحروب مع الروم من أجلها.

آسيا الصغرى

كانت هذه البلاد - كما سبق أن ذكرنا - تابعة لإيران فى عهد كوروش الكبير، كما كانت تابعة لمقدونيا أيام الإسكندر، ثم صارت تابعة لدولة السلوقيين، وأحياناً جزءاً من مقدونيا. إلى أن ضعفت الدولتان، فصارتا جزءاً من دولة الروم، وقامت دولة صغيرة متعددة فى آسيا الصغرى مثل بنت، قليقية، برغمه^(١١)، بافلاغونية^(١٢)، كبدوكية (بلاد القباذق)، وغيرها. إلا أن أى واحدة من هذه الدول لم تلقَ اهتماماً كالدولة الأولى، ذلك أن ملكها ميثرى دات (مهرداد) السادس - الذى كان يصل بنسبه إلى الأشكانيين والهخامنشيين - قد قوى هذه المملكة ووسعها، وأصبح أكبر عدو للروم فى آسيا. (لا يتضمن هذا المختصر شرحاً لهذه الأحداث).

أول اتصال بين إيران والروم

عندما سمع مهرداد الثانى الأشكاني فى سنة ٩٢ ق.م أن لوسيوس سولا جاء إلى آسيا الصغرى سفيراً من قبل مجلس الشيوخ الرومى، ولما كان غير راضٍ عن مسلك أرمينية تجاهه، فقد أرسل سفيراً يدعى أرباذ إلى سولا حتى يقيم إتّحاداً دفاعياً وحربياً مع دولة الروم، إذ إن دولة أرمينية احتلت بعض الأماكن التى كانت قد سلمتها لإيران فيما مضى، ولم تكف بهذا بل تطاولت على حدود إيران أيضاً. وقامت مباحثات ودية بين سفير إيران وسولا، لكنها لم تثمر، فلم يكن لدى سفير الروم أمر بشأن إقامة اتحاد أو أنه لم يرغب أصلاً فى عقد مثل هذه المعاهدة. والجدير بالذكر أن سولا كان يشغل مكاناً محترماً فى الاجتماعات، إذ كان يجلس

بين ملك كبدوكية وسفير إيران. فتسبب سلوكه هذا في ضيق مهرداد و غضبه، وعندما عاد سفيره إلى إيران قضى عليه بسبب عدم محافظته على كرامته.

لم يهزم مهرداد الأشكاني السك فحسب، بل إنه وصل بحدود إيران حتى جبال الهيمالايا في شمال الهندوستان، وقد تم الحصول على هذه المعلومات من نقود الأمراء الأشكانيين الذين حكموا في تلك المناطق.

أشك العاشر - سندروگ

مضت مدة بعد مهرداد حتى جلس سندروگ أخو فرهاد الثاني على العرش في سنة ٧٧ ق.م^(١٣). وقد ذكر البعض أنه ابن أرشك ديكايوس^(١٤)، وأنه كان عجوزاً ضعيفاً. وكانت دولة أرمينية في ذلك الوقت قوية قادرة نتيجة اتحادها مع دولة بنت، لذا استولى تيگران على آذربايجان وأغار على وادي الفرات، وتناول على بقايا ممتلكات السلوقيين، وأطلق على نفسه اسم ملك الملوك (شاهنشاه).

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار تماماً أن تاريخ إيران يتسم بالغموض في الفترة الواقعة بين سنتي ٨٨ و ٦٦ ق.م، وما وصل إلينا يدل على ضعفها آنذاك. وكانت مدة حكم سندروك سبع سنوات.

أشك الحادي عشر - فرهاد الثالث ٦٩-٦٠ ق.م.-

جلس على العرش بعد أبيه، وأقيمت علاقات مرة أخرى بين دولة إيران ودولة الروم في عصره، فعندما دخل بومبي آسيا الصغرى حديثاً، وكانت أرمينية قوية، أرسل رسولا إلى فرهاد يبلغه بأنه إذا توجه ملك إيران بجنده إلى أرمينية فستصبح مدينتا كردقين وأديابن^(١٥) من نصيب إيران، عندئذ أغار فرهاد على

أرمينية بجيش كثيف ومعه ابن تيگران الأكبر والأمراء الأرمن الذين كانوا فى البلاط الإيرانى، وحاصر آرتاكساتا.

وفرّ تيگران ناحية الجبال، وظن ملك إيران أن الأمر قد انتهى وعاد، ولكن بمجرد أن سمع تيگران بخبر عودته رجع وفرق الجيش المحاصر. وبعد أن هزم بومبى أرمينية وأخضعها له، لم يوفِ بوعد.

وقد أدى هذا السلوك المذكور وكذلك عدم رغبة بومبى فى مخاطبة فرهاد بلقب ملك الملوك إلى سوء العلاقات بين ملك إيران وبينه، وأراد القائد الرومى فى بداية الأمر أن يحارب إيران، ولكنه أدرك بعد قليل من التأمل خطورة الأمر فامتنع عن ذلك.

وسويت هذه المسألة بحكمة بين إيران وبلاد الروم فيما بعد. وطالما كان بومبى فى آسيا فإنه كان يتوود إلى الدولة الأشكانية، ولكن الأوضاع دلت بوضوح على أن الدولتين الكبيرتين - إيران والروم - ستلتقيان كخصمين بسرعة؛ أولاً لأن فرهاد طلب من بومبى أن يصير نهر الفرات حدًا بين الدولتين، فلم يعطه إجابة شافية. وثانيًا لأن بومبى أقام روابط وعلاقات مع خوزستان وفارس وأذربايجان. وقد دسّ السم لفرهاد ولداه مهرداد وأرد (٦٠ ق.م).

أشك الثانى عشر - مهرداد الثالث

جلس مهرداد على العرش بعد أبيه، وحكم أربع سنوات. وثار عليه العظماء والشعب نظرًا لقسوته وسفكه للدماء، وأجلسوا أخاه الأصغر أرد على العرش. ذهب مهرداد إلى كابينيوس^(١٦) والى الروم فى سورية، فظن السوالى المذكور أن هذا الحدث يعد سببًا مناسبًا للتدخل فى شئون إيران فى بداية الأمر، ولكنه سرعان ما التفت إلى شئون مصر وصرف النظر عن مساعدة مهرداد.

أشك الثالث عشر - أزد الأول - (٢٧-٥٥ ق.م) :-

هو أحد ملوك الأسرة الأشكانية المشهورين. بعد أن أصاب اليأس أخاه مهرداد من والى سورية، لم يهدأ وقام بأعمال ضد أخيه، ولكنه سرعان ما أسر في بابل وقتل. وحدثت أول حرب بين إيران والروم في عهد أزد، وانتهت بانتصار إيران، ذلك أن كراسوس^(١٧) - وهو أحد الرؤساء الثلاثة لبلاد الروم المترامية الأطراف^(١٨) - صار حاكمًا على سورية والبلاد الخاضعة للروم في آسيا، ووضع ضمن مخططاته الاستيلاء على إيران والهند. ولهذا أغار في المرة الأولى بالفيالق الرومية^(١٨) Legion على ما بين النهرين، وأحرز تقدمًا، ثم عاد إلى الشام (٥٤ ق.م). عندئذ التقى به آرتافارس^(١٩) ملك أرمينية فوعده بأن يعطيه ستة عشر ألف فارس وثلاثين ألف جندي من المشاة، وقال لكراسوس "إذا حاربت في أرمينية مع إيران فإن فرسان جيش إيران لن يتمكنوا من عمل شيء، وسينتصر مشاة جيش الروم نهائيًا، فقد اعتادوا على المناطق الجبلية". ولكن كراسوس رجع منطقة ما بين النهرين ليهجم منها على إيران، لأنه كان يعرفها جيدًا بسبب سفره السابق.

عندئذ أرسل أزد سفيرًا إلى كراسوس ليسلم هذه الرسالة التي يقول فيها: "إذا كان شعب الروم يريد محاربتى فإننى حاربت ولم أخش أسوأ عواقب الحرب. ولكن إذا كنت تتناول على أرض إيران بهدف المنافع الشخصية كما فهمت، فإننى مستعد للعفو عن سفاهتك وإعادة أسرى الروم". فقال كراسوس للسفير: "سأرد على ملكك فى سلوكية". فأجاب السفير ضاحكًا: إذا كان من الممكن أن تنبت شعرة فى كف يدي فإنك سترى سلوكية". عندئذ توجه كراسوس إلى ما بين النهرين بجيش جرار يتكون من الفيالق المدربة التى يصل عددها إلى اثنين وأربعين ألف جندي. ولكن أزد دخل بجنوده المشاة أرمينية بمنتهى السرعة، فاحتل هذه البلاد، مما لم يمكن ملكها من إرسال فرسان جيشه لمساعدة كراسوس.

وفى النهاية أرسل سورنا^(٢٠) - وهو أحد القواد العظام الأكفاء - ومعه كل الفرسان البارثيين لحرب كراسوس. غير أن كراسوس الذى كان يود فى البداية السير بمحاذاة ساحل الفرات والحرب أمام سلوقية، غير خطته بإغراء أحد شيوخ العرب المتحالفين مع أرد، ودخل سهول ما بين النهرين، وتقدم حتى اقترب من حران (كاره)^(٢١)، وهناك ظهر جيش سورنا فجأة.

ولجأ القائد الإيرانى إلى حيلة، إذ أخفى قسما من فرسان إيران لخداع الروم وغطى أسلحة القسم الآخر بأغطية جلدية، وعندما رأى كراسوس قلة عدد فرسان الجيش الإيرانى وقلة أسلحتهم وعتادهم، ظن أنه سيحرز نصرا سهلا للغاية، فبدأ الحرب قبل أن يتيح لجنده فرصة للراحة والشراب.

وهنا تحركت فيالق الروم تجاه العدو، واستخدموا أولاً الحراب، ثم تبارزوا بالسيوف وجهاً لوجه. وكانت الصفوف المذكورة تتكون من جنود مدربين ملتصقين ببعضهم تماماً، وبمجرد أن تحركت الصفوف الرومية، تعالت دقات طبول الجيش الإيرانى وتجمع الفرسان الإيرانيون المختبئون من كل جانب، وخلعوا الأقفعة ودخلوا المعركة. ولم تكن السهام الرومية مؤثرة وفعالة فى مواجهة فرسان الجيش الإيرانى، ذلك لأن البارثيين كانوا يحاربون من بعيد نظراً لمهارتهم فى رمى السهام، وعندما اقترب مشاة الجيش الرومى استخدم فرسان الجيش البارثى أسلوب حرب الكر والفر، أى يحاربون فترة ثم يفرون من كل ناحية، ويلقون بسهام معوجة حتى يسحبوا الروم إلى أماكن لا يتوفر فيها الماء والعلف، ثم يعودون من كل جانب ويحملون على الفيالق الرومية، ويصيبونهم بخسائر فادحة.

فى ذلك الوقت وصل فابيوس^(٢٢) ابن كراسوس الذى كان تحت إمرة يوليوس قيصر أعظم قائد رومى، وكان قد تعلم فنون الحرب فى بلاد الغال^(٢٣) (فرنسا الحالية) ومعه ألف وأربعمئة فارس، وأسرع لمساعدة كراسوس ولكن رغم ما أبداه فرسان بلاد الغال من شجاعة نادرة، فإنهم لم يتمكنوا من التغلب على

الفرسان البارثيين، ذلك أنهم فروا من أمام فابيوس ثم عادوا وهجموا من كل ناحية، وفي الوقت الذي أراد فيه كراسوس أن يعطى الأوامر بالهجوم لجيشه، رأى فجأة رأس ابنه ترتفع على طرف حربة بين البارثيين.

وبمجرد أن شاهد فرسان البارثيين الرأس، ازدادت جرأتهم وجلدهم وضيقوا الخناق على الروم، فقرر أوكتافيوس^(٢٤) - وهو أحد رؤساء أركان الحرب وصار قيصرا للروم فيما بعد- الانسحاب.

أراد جيش الروم أن يتجه إلى المنطقة الجبلية حتى يحتمى هناك من هجمات فرسان الجيش الإيراني، ولكن لم يتحقق لهم ما أرادوه بسبب خطأ ارتكبه المرشد الذي كان يدل الجيش المذكور على الطريق، فالمنطقة التي احتلها جيش الروم لم تكن تمنع العمليات الحربية التي يقوم بها فرسان الجيش الإيراني، عندئذ طلب سورنا من كراسوس عقد هدنة، واتفق معه على أن يذهب ناحية النهر لتوقيع الهدنة.

فاطمأن كراسوس واتجه وحده مع سورنا ناحية النهر، وبعد تحرك كراسوس قلق رؤساء أركان الحرب، فربما حدثت خيانة له، ولحقوا به وهنا حدثت معركة بين فرسان البارثيين والروم وقتل كراسوس، وبمجرد أن سمع جيش الروم خبر مقتله، أصابهم رعب شديد، ووقعوا أسرى في أيدي البارثيين أو في أيدي العرب، ما عدا ألفين منهم استطاعوا الهرب. ويروى أن خسائر جيش كراسوس في هذه الحرب بلغت عشرين ألف رجل، وأن عدد الأسرى الذين أسرهم البارثيون وأرسلوا إلى مرو بلغ عشرين ألف جندي تقريبا (٥٣ق.م).

وينسب البعض مقتل كراسوس إلى فتنة حدثت في جيش الروم، ويقال إن سورنا كانت له يد في هذه الفتنة. ويتفق مع الرواية الأولى أن تصرفه كان من باب الخيانة، ولكن الرواية الثانية تبدو أصح، لأن حالة الروم المعنوية كانت سيئة، وكان الانسحاب قد اختير منعا للفتنة. حملوا رأس كراسوس إلى أرد عندما كان في

أرمينية، وألقوا بها تحت قدميه، وذلك فى الوقت الذى كان يقدم فيه عرض تمثيلى من مصنفات أوريبيد^(٢٤) Euripide المصنف اليونانى المشهور - فى البلاط بمناسبة زواج پاكر ابن أرد من ابنة ملك أرمينية، فرفع أحد الممثلين اليونان الرأس عالياً، وأخذ يقرأ شعراً لأوريبيد مناسباً للمقام.

ويستفاد مما كتبه مؤرخو الروم أن سورنا أثر تأثيراً غريباً فى الروم، وكان موضع اهتمام خاص. وكان هذا القائد قد أعد عشرة آلاف فارس من أملاكه وتابعيه لهذه الحرب، وقادهم إلى ساحتها. وبعد فتح حران اتجه أرد للاستيلاء على سورية، فتحارب مع كاسيوس^(٢٦) الذى كان قد عاد مع بقية جيش الروم إلى تلك البلاد.

وهناك استخدم الروم أسلوب البارثيين، وسحبوا الجيش الإيرانى إلى كمين وهزموهم. عندئذ عقدت هدنة طويلة بين إيران والروم، ثم عاد أرد فأرسل فى سنة ٣٩ق.م م پاكر ولايى نيوس القائد الرومى الذى كان فى خدمة ملك إيران، بجيش كثيف للاستيلاء على سورية.

وكان النصر حليفهم فى بداية الأمر، ولكنه تحول إلى جانب الروم بعد مجيء فينيديوس باسوس^(٢٧) إلى سورية، ذلك أن باكر قتل فى هذه المعركة، فصرف أرد النظر عن الاستيلاء على سورية، إلى أن كره السلطنة بعد وفاة ابنه فأعطاها لابنه الأكبر فرهاد.

حران وماراتن

لمعركة حران أهمية كبيرة فى تاريخ إيران، ذلك لأن الروم كانوا منتصرين فى كل مكان حتى ذلك الحين، وقد ألفت هذه الهزيمة ظلالاً على صولتهم، ورفعت اسم دولة بارث عالياً فى العالم. وتشبه معركة حران معركة ماراتن، فكما اصطدمت آنذاك الدولة الهخمانشية العظيمة فى حركتها ناحية الغرب والمرة الأولى بحائط يونانى محكم، وتوقفت توسعاتهم، كذلك اصطدمت دولة الروم -

فاتحة الدنيا- للمرة الأولى بسد إيران المتين، وانتهت توسعاتها في آسيا منذ ذلك الوقت فصاعداً. وعندما كان يوليوس قيصر حاكماً مطلقاً على الروم فكر في أن يعوض هزيمة الروم في إيران، وشغل بجمع الفيالق ولكنه سرعان ما قتل.

أشك الرابع عشر- فرهاد الرابع

يرى بعض المؤرخين أن باكر هو أشك الرابع عشر، ولكن هذا الرأي لا يتفق مع مقتله في عهد أبيه. وبمجرد أن جلس فرهاد الرابع على العرش قضى على إخوته، كما قتل أباه الذي وجه إليه اللوم على فعلته هذه (٣٧ق.م).

الحرب الثانية مع الروم

تشدد فرهاد في معاملته مع العظماء إلى درجة أن بعضهم هاجر من وطنه، وذهب مُنْزِس - أحد قواده المشهورين- إلى مارك أنطونيو^(٢٨) الذي كان أحد ثلاثة تولوا زمام الأمور في الروم، وكان والياً على مصر، وأخبره بأنه قد حان الوقت لكي تأخذ الروم بثأرها من إيران انتقاماً لهزيمة كراسوس وعندما سمع فرهاد هذا الخبر استمال هذا القائد المذكور وأحضره، وطلب أنطونيو من فرهاد عن طريقه أن ترد إلى الروم البيارق الرومية والأسرى الذين مازالوا على قيد الحياة، ولكن هذا كان ظاهر الأمر، في حين أن أنطونيو كان يستعد للحرب سرا. وعندما استعد توجه إلى إيران بجيش قوامه مائة ألف جندي، وأعطاه ملك أرمينية آرتافاردس^(٢٩) ستة آلاف جندي من المشاة، ونفس هذا العدد من الفرسان. أراد أنطونيو أن يدخل إيران من ناحية الفرات، ولكن عندما رأى البارثيين وقد تحصنوا في كل موقع اتجه ناحية أرمينية، فقال له ملك أرمينية: "إن كل جيوش إيران موجودة في نواحي الفرات، لذا يمكنك غزو آذربايجان والاستيلاء على عاصمتهم پراسپا^(٣٠)، فتوجه ناحية تلك المدينة، وعندما وصل إليها ورأها مدينة حصينة، وبها حامية عسكرية

كافية، انتظر مجيء مؤن الجيش وأدوات الحصار. ولكن البارثيين تعرضوا للروم بأسلوبهم الحربى وقتلوا عشرة آلاف شخص منهم، وأصيب جيش آرتاشاردس بهزائم فادحة عقب ذلك. وأصبح موقف أنطونيو صعباً. وخلال هذا الهرج والمرج انقض البارثيون أيضاً على مؤن جيشه وغنموا كثيراً منها، ولم ير القائد الرومى بدأ من الانسحاب. وسلك الطريق الجبلى حتى ينجو من فرسان البارثيين، ولكن طريق الجبل لم يستغرق أكثر من يومين، وفى اليوم الثالث وبمجرد أن دخلوا السهل ظهر البارثيون على الفور وتصدوا لهم.

وفى خلال التسعة عشر يوماً التى قضاها على أرض إيرن قتل ثمانية آلاف رومى. وبعد عبوره من أرس، وعلى الرغم من أن البارثيين لم يتعقبوه بعد ذلك، فإن ثمانية آلاف رومى قد لقوا حتفهم كذلك بسبب زمهرير الشتاء وعدم توفر المؤن ومشقة الطريق، ونجت البقية الباقية من الجيش الرومى التى كانت فى حالة يرثى لها من التعب والعناء (٣٦ق.م)، وكان خط انسحاب الروم من الشاطئ الشرقى لبحيرة أورميه والأماكن التى تقع اليوم فى تبريز تقريباً.

ذكر بلوتارك أن أنطونيو عندما رأى مشقة الانسحاب وصعوباته فى هذا السفر كان يقول دائماً: "تعالوا أيها الجنود العشرة آلاف" يعنى العشرة آلاف جندى يونانى الذين انسحبوا من كوناكسا فى عهد أردشير الثانى بعد مقتل كوروش الصغير، وتحملوا كل هذه الصعوبات. وتمجيد أنطونيو لليونانيين المذكورين فى محله. غير أنه إذا أخذنا فى الاعتبار تفاوت الأوضاع فى هذا الزمن وزمن أردشير الثانى، فإن آلام الروم ومحنتهم كانت أكبر بكثير، ذلك أن أحداً لم يتعرض للعشرة آلاف يونانى المذكورين من كوناكسا وحتى طرابزون فى ذلك الوقت، وفى هذه الحرب عندما خرج ثمانون ألف رومى من إيران كانوا يحمدون الله على نجاتهم من يد رماة السهام الإيرانيين.

الحرب الثالثة مع الروم

اشتعلت الحرب من جديد بين إيران والروم بعد مرور سنتين على الأحداث التي سبق ذكرها، وذلك بسبب الغنائم التي تم الحصول عليها بعد انتصار إيران على الروم، إذ لم يرض ملك ميديا^(٣١) عن حصته، ولكنه لم يتمكن من الاعتراض خوفاً من فرهاد؛ فما كان منه إلا أن أرسل شخصاً إلى مارك أنطونيو يدعوه لحرب إيران، فجمع جيشاً على الفور وتوجه إلى أرمينية، ذلك أن الهزيمة التي حلت به منذ سنتين قللت من هيئته وعظمته، وزادت من عظمة ملك إيران. وبعد أن دخل أنطونيو أرمينية صب جام غضبه على أرتافاردس فوراً، فاستولى على كل أرمينية، وترك حامية قوية هناك، وعاد إلى مصر. ثم رجع في سنة ٣٣ ق.م متجهاً هذه المرة إلى أرس، وعقد معاهدة مع ملك ميديا، وأعطاه بعض أجزاء من أرمينية، ووضع تحت تصرفه عدداً من مشاة الروم.

وفى ذلك الحين اشتد الخلاف بين مارك أنطونيو وأكتافيوس الذي كان فى بلاد الروم، فاستفاد فرهاد من تلك الأوضاع وهزم أولاً ملك ميديا وأسرته، وصحب معه بعد ذلك آرتاكسياس ابن ملك أرمينية ودخلها، وأسر أفراد الحامية الرومية واحداً بعد الآخر، وقضى على فرقة^(٣٢) القائد الرومى ستاسيانوس^(٣٣)، ومن ثم اشتد الأمر على مارك أنطونيو، فاضطر إلى التخلي عن أرمينية متكبداً خسائر فادحة والعودة إلى مصر، وعادت أرمينية إلى سيرتها الأولى تابعة لإيران.

زادت هذه الحرب من قدرة فرهاد ومكانته، وعموماً فإن الانتصارات المتوالية التي حازها البارثيون فى هذه الحروب الثلاثة جعلت إيران تبدو فى نظر العالم آنذاك على أنها ند ومنافس قوى لدولة الروم العظيمة، ومن ثم فإن الروم لم يتعرضوا لإيران بعد ذلك ولمدة قرن.

حدثت بعد هذه الحروب ثورة فى بلاط إيران، فقد تمرد على فرهاد شخص يدعى تيرداد وذلك بسبب حدة طبعه وغلظته وعنفه، وأجبر فرهاد على أن يفر إلى آسيا الوسطى، فأجلس الشعب تيرداد على العرش، وحكم ثلاث سنوات، ثم عاد فرهاد بجيش من بدو صحراء آسيا الوسطى إلى إيران وجلس على العرش.

وعندما رأى تيرداد الأوضاع تسير على هذا المنوال، حمل أصغر أبناء فرهاد وذهب إلى أوكتافىوس الذى كان فى سورية آنذاك، حتى يستعين به، فقبله أوكتافىوس واحتفظ بابن فرهاد كرهينة، لكنه امتنع عن حرب فرهاد.

أصبح أوكتافىوس إمبراطوراً على بلاد الروم بعد سبع سنوات، فدخل معه فرهاد فى مفاوضات وطلب أن يسلمه تيرداد، فلم يقبل. ولكنه أعاد ابن ملك إيران، وطلب أن يرد فرهاد فى مقابل ذلك البيارق الرومى. ومع أن فرهاد قد سُرّ لرؤية ولده إلا أنه لم يكن مستعداً لإعادة بيارق الروم، غير أنه أعادها نظراً لإصرار أوكتافىوس.

وقد تركت هذه المسألة أثراً عميقاً فى بلاد الروم، كما أن أهل تلك البلاد سروا بذلك، وسجل كتاب ذلك العصر هذه الواقعة بالتفصيل، ومدح هوراس^(٣٤) الشاعر الرومى المشهور أوكتافىوس.

لم يكن أوكتافىوس يفكر فى توسيع بلاد الروم، وكان يتجنب الحرب ولما كانت دولة إيران طرفاً هاماً وقوياً فى الشرق، فقد أقام صداقة مع فرهاد وتلقى فرهاد تلك العلاقات الطيبة بقبول حسن. وأرسل القيصر بعد ذلك لفرهاد جارية إيطالية تسمى موزا^(٣٥) لتوطيد العلاقات، كما أرسل فرهاد أبناءه عند الإمبراطور ليقيموا فى بلاد الروم. وكان هذا التصرف بإيحاء من زوجته الإيطالية التى كانت تريد إبعاد أبناء فرهاد عن العاصمة لكى تمهد لابنها ولاية العهد.

أرمينية

ظلت الأوضاع التي أوجدها فرهاد في أرمينية كما هي، أي أن أوكتافيوس كان يعترف بأرتاكسياس ملكاً عليها، وصار أخوه ملكاً من بعده. ولكن حدث خلاف في وجهات النظر بين إيران والروم بعد موته بشأن انتخاب ملك جديد. وكان فرهاد يميل إلى تيگران الذي أصبح ملكاً بإجماع الآراء. فصدمت هذه المسألة إمبراطورية الروم، ولما كان غير راغب في الحرب، فإنه أرسل حفيده كايوس^(٣٦) إلى المشرق بصلاحيات تامة حتى يسوّى هذه المسألة. وفي هذه الأثناء مات فرهاد مسموماً بتحريض من ابنه فرهاد الذي أنجبه من المرأة الإيطالية (عامان قبل الميلاد تقريباً).

أشك الخامس عشر - فرهاد الخامس

أطلق المؤرخون الروم اسم فراتاسس^(٣٧) على فرهاد هذا، ويقال إن هذا الاسم هو مصغر فرهاد. جلس على العرش مع أمه بعد سم أبيه، وخلق إمبراطور الروم مشكلة حول الاعتراف به. وفي النهاية استقر الأمر على أن يلتقى فرهاد بكايوس في جزيرة نهر الفرات، وأن تسوّى المسألة ودياً. ولما رأى فرهاد أن مكانته مزعزعة صرف النظر في هذا اللقاء عن أرمينية، بشرط أن يعقد معاهدة صلح مع الروم (اق.م)، غير أن النبلاء قاموا بخلعهم عن السلطنة بسبب كراهية الناس له، ثم قتلوه. ويوجد على نقوده صورة الأم والابن.

أشك السادس عشر - أرد الثاني

كان أميراً أشكانيًا. وجلس على العرش بعد فرهاد، وقتل بعد أربع سنوات في المصطاد (٦م)^(٣٨).

أشك السابع عشر - قانان

طلب المغستان (مجلس الأمراء ورجال الدين الزردشتي) - بعد أرد الثاني - من إمبراطور الروم إرسال أحد أبناء فرهاد حتى يتولى الحكم، فأرسل قانان (ذكر الروم اسمه فنونس)، ولما كان قد اعتاد أخلاق الروم وتخلق بها، فإنه لم يتمكن من الحكم، وجلس مكانه على العرش أردوان (سنة ١١ ميلادية تقريبا).

أشك الثامن عشر - أردوان الثالث

أردوان الثالث هو الذي يصل نسبه من ناحية أمه إلى الأشكانيين، وكان ملكا على آذربايجان وخاضعا لملك إيران. ثم أخذ العرش من قانان وفر إلى أرمينية، وصار ملكاً على هذه المملكة (٦م)، ولكن أردوان أبعدته من هناك بقوة.

وفي تلك الأثناء فر قانان إلى سورية وأصبح تحت حماية الروم، وتدخل الروم في أرمينية وفقاً للاتفاق الذي عقده مع فرهاد الخامس، ونصبوا أرتاكسياس^(٣٩) ملكاً. فغضب أردوان من هذا التصرف، وكتب رسالة شديدة اللهجة إلى تيبريوس^(٤٠) إمبراطور الروم، ثم ذهب إلى أرمينية وأجلس ابنه أركشك على عرش تلك البلاد، فاستشاط تيبريوس من رسالة أردوان غضباً، وأرسل أحد أبناء فرهاد إلى سورية حتى يثير حرباً أهلية في إيران. وحرص سكان الشمال مثل الكرجيين^(٤١) وغيرهم على غزو أرمينية فألقى أركشك القبض عليهم وقتلهم. ودخل أردوان في الحرب، ولكنه لم ينتصر، عندئذ لم يرض عنه البارثيون نظراً لعدم توفيقه هنا وفي أماكن أخرى، فخلعوه وأجلسوا تيرداد مكانه. ذهب أردوان إلى جرجان، وزاد أنصاره بعد فترة، فتوجه إلى طيفسون وجلس على العرش. وعندما رأى إمبراطور الروم الأوضاع على هذه الحالة، أسرع في طلب الصلح مع إيران. وبموجب الاتفاق قبل أردوان أن تكون أرمينية خارج منطقة نفوذ إيران ثم لم

يرض عنه البارثيون فخلعوه من جديد. ولكن لم يمض وقت طويل إلا وعاد إلى عرشه حتى مات (٤٠م). ومن أحداث سلطنته ثورة السلوقيين وقتل اليهود.

أشك التاسع عشر، العشرون، الواحد والعشرون - قاردان - گودرز - قانان الثاني

قامت الحرب الأهلية - بعد أردوان الثالث - بين ولديه قاردان وگودرز وكانت الغلبة لقاردان. ولكن قبل أن يصل إلى العاصمة قبض عليه گودرز وبعد أن كشف فتنة ضد الملك تصالحا. ولم يمض وقت طويل إلا وقتل قاردان وجلس گودرز على العرش، ولما كان قاسياً وظالماً إلى أبعد الحدود طلب (المغستان) من إمبراطور الروم مرة ثانية إرسال مهرداد ابن فرهاد الرابع إلى إيران، ففعل ذلك، ولكن گودرز هزمه وقطع أنفيه حتى لا يتمكن من الحكم، ثم مات گودرز أيضاً بعد ذلك بقليل (٥١م). وجلس قانان على العرش، ثم ترك العرش لابنه بعد مرور سبعة أشهر.

ويرى جوت شميد أن قانان كان أخا لأردوان الثالث، وحكم حتى سنة ٥٤م.

أشك الثاني والعشرون - بلاش الأول:-

جلس بلاش بن قانان على العرش في سنة ٥١م تقريبا، وعزم على الاستيلاء على أرمينية، ولكنه اضطر رغم توفيقه للعودة نظراً لانتشار المرض والقحط. وقامت بعد ذلك المنازعات بينه وبين ملك أديابن التابع له وفي ذلك الحين وصلت أخبار تفيد بأن عشيرة داه وبعض الطوائف من بدو الصحراء هجموا على حدود إيران، فأسرع إلى حدود جرجان. وفي هذه الحزب وفق في إبعادهم عن إيران، وعند عودته كان موضوع أديابن قد سوى، ذلك أن ملكها الجديد ومنوبازوس كان يتصرف بطريقة لا تضايق بلاش. وعندما فرغ بلاش من الشئون الداخلية وجه كل اهتمامه ناحية أرمينية فغزاها بجيش. وفر ملك أرمينية راداميستاس الذي كان خاضعاً للروم، تاركاً عرش بلاده لتيرداد بن بلاش.

ومعروف إلى أى مدى تعارض هذ العمل الذى أقدم عليه بلاش مع عظمة الروم، فعلى أثر ذلك أمر قيصر الروم نيرون^(٤٢) أعظم قائد رومى وهو كربول^(٤٣) بمحو هذه الإهانة. وهنا ظهرت مشكلتان أمام بلاش؛ الأولى ثورة ابنة فاردان عليه، والثانية ثورة أهالى جرجان. وشغل بلاش بالشئون الداخلية، فى حين دخل تيرداد ملك أرمينية فى حرب مع الروم، ولم يحرز تقدماً. وكانت النتيجة أن قسمت دولة الروم أرمينية وأعطتها للملوك المجاورين التابعين لها.

وبعد خلع فاردان وإخماد ثورة جرجان أخبر الملك بلاد الروم بأنه لم يتنازل عن حقه بالنسبة لأرمينية، وهجم بجيشه على ما بين النهرين، ثم بدأت المفاوضات بعد ذلك بين إيران والروم. واستقر الأمر على أن تسحب الدولتان جيوشهما من أرمينية حتى تحل القضية ودياً فى بلاد الروم. لكن سفير إيران عاد من بلاد الروم غير راض، ونشبت الحرب من جديد مع الروم؛ فعبر جيش الروم الفرات، وحصن مواقعهم على الضفة الشمالية منه ودخل بتوس^(٤٤) القائد الرومى الآخر بلاد أرمينية، وأغار عليها فلم يجد مقاومة، إذ إن جيش إيران كان يحتفظ بشاطئى الفرات، ولما وجد أن الأمور قد انتهت على هذه الشاكلة، ذهب إلى المشتى، وأعطى إجازة لكثير من قواده، واستعاد بلاش الذى كان يراقب الأوضاع من ذلك، فحمل على جيش الروم فجأة، وانتصر عليه، وقبل بتوس شروط بلاش للجلء عن أرمينية، غير أن كربول القائد الرومى لم يكف عن القتال، واتجه ناحية أرمينية حتى يعوض هزيمة بتوس. عندئذ كانت المفاوضات التى بدأت مع الروم قد وصلت إلى ما يرضى الدولتين، واستقر الأمر على أن ينصب تيرداد بن بلاش ملكاً على أرمينية بعد أن يذهب إلى بلاد الروم ويتسلم التاج من يد نيرون (٦٣م).

ويتصور أكثر الباحثين أن الإشارة الموجودة في دين كرت^(٤٥) إلى جمع الأستنا في عهد بلاش، تعنى بلاش الأول، ذلك أنه طبقاً للروايات الزرتشتية، فإن الأستنا كانت قد ضاعت بسبب استيلاء الإسكندر والمقدونيين على إيران. فتولى ذلك الملك جمعها، وتم هذا العمل في عهد أردشير بابكان. وقد كان بلاش وعائلته متدينين جداً.

تتويج تيرداد في بلاد الروم

ماطل تيرداد في التحرك، وكان يجب أن يتوج في بلاد الروم طبقاً للمعاهدة، وسافر إلى هناك بعد ثلاث سنوات، وتم سفره كما يقال في أبهة وضجة. واستغرق سفره إلى بلاد الروم وعودته إلى أرمينية تسعة أشهر. وكانت الخزانة الرومية قد دفعت لمصروفاته ثلاثين ألف تومان بعملة اليوم، لأن تيرداد لم يرغب في السفر عن طريق البحر نظراً لتدينه، فالماء أحد العناصر المقدسة ويعد تلويثه بالقاذورات ممنوعاً ومحرمًا طبقاً للدين الزرتشتي.

وبعد عودة تيرداد إلى أرمينية جعل بلاطه كبلاط ملوك الأشكانيين وأوجدت المعاهدة التي عقدت بين بلاش ونيرون سلامًا ثابتًا بين الدولتين الكبيرتين إيران والروم، فلم يحدث نزاع بين الطرفين طوال خمسين عامًا.

وفي عهد هذا الملك اتفق الآلانيون^(٤٦) مع الگرجيين، وأغاروا على أرمينية وأنربايجان، وطلب بلاش العون والمدد من قيصر الروم قسباسين، ولكنه لم يقدم له يد العون، وقد غنمت تلك الشعوب المذكورة غنائم كثيرة من إيران بعد غزواتهم (٧٥م).

وفي سنة ٧٧م توفي بلاش، وحكم من بعده ثلاثة أشخاص غير أنه لا يعرف أصلهم ونسبهم وتاريخ حكمهم على وجه الدقة. ويبدو أن طالبي الحكم آنذاك كانوا

كثيرين نتيجة الحروب الداخلية، وقد حكم كل واحد منهم فى قسم من إيران بلقب ملك الملوك (شاهنشاه)، وعلى أية حال فهى أسماؤهم:

بلاش^(٤٧) باكر الثانى - أردوان الرابع

استمرت تلك الأوضاع حتى سنة ١٠٧م. وفى هذا العام جلس خسرو على العرش، وكان بلاش الأول آخر ملك أشكاني مشهور وقوى نسبيًا. واتجهت من بعده الدولة الأشكانية إلى الانحطاط والتدهور وأصابها الضعف، وإذا دققنا النظر وجدنا أن ضعف هذه الدولة بدأ بعد فرهاد الرابع، ذلك أن الروم عندما وجدوا أنهم لن يتفوقوا على منافسهم فى ميدان الحرب حاولوا إضعافه عن طريق آخر، إذ سبب وجود الجارية الإيطالية فى البلاط الإيرانى أضرارًا كثيرة للدولة الأشكانية، فقد كانت هذه المرأة سببًا فى ذهاب أبناء فرهاد إلى بلاد الروم وإقامتهم هناك، فاستفاد الروم من هذا الوضع فوائد كثيرة، وأظهروا للعالم أن هؤلاء الأمراء رهائن البارثيين فى بلاد الروم. وبهذه الطريقة طووا تحت أجنحتهم طالبي السلطنة. وكلما اقتضى الأمر أوجدوا حربًا أهلية فى إيران عن طريقهم. وكما مر، فقد خدع الروم هؤلاء الأمراء مرة ثانية، وحققت سياسة الروم أهدافها إلى حد ما، وإلا لما وقفوا فى بسط نفوذهم على أرمينية التى كانت داخلة فى منطقة نفوذ إيران بالتحديد.

أشك الثالث والعشرون - خسرو - (١٠٧-١٣٣م)

اشتعلت نيران الحرب من جديد فى عهد هذا الملك بين إيران والروم بعد صلح دام خمسين عامًا، ذلك أن تراجان^(٤٨) إمبراطور الروم آنذاك والذى يعتبر واحدًا من القادة المشهورين فى عصره، قام بفتوحات فى داكية (رومانيا الحالية)، ووفق بالإضافة إلى ذلك فى إعداد جيوش منظمة ومدربة؛ لأنه كان يفكر فى

الاستيلاء على العالم، أى أنه كان يريد أن يجعل من نفسه الإسكندر الثانى، والمعروف أن الاستيلاء على العالم لا بد أن يبدأ من ناحية إيران.

وفى ذلك الوقت تُوفى تيرداد ملك أرمينية (١٠٠م). وأجلس باكر على الفور أحد أبنائه على عرش تلك البلاد، وكان يدعى إكزدارس^(٤٩) دون أن يستشير فى ذلك دولة الروم. ولم يقبل تراجان هذ التصرف مطلقاً، فاتخذ منه ذريعة لتحقيق أحلامه، واتجه بعد ذلك إمبراطور الروم بجيش جرار مدرب إلى آسيا، وعندما بلغ مقدونيا ذهب إليه سفير خسرو محملاً بالهدايا، وأخبره أن خسرو مستعد لعزل إكزدارس وتعيين بارتا مازير^(٥٠) بن تيرداد ملكاً على أرمينية بشرط أن يتسلم التاج من يد الإمبراطور. ولما كان تراجان ميالاً للحرب لم يقبل هذا الوضع، ورفض قبول الهدايا وأجاب بأنه سيعمل ما فيه الصالح بعد دخول الشام. وبعد دخول سورية، وجد الظروف مهيأة فدخل أرمينية (١١٥م)، وانتظر بارتامازير، ذلك لأنه كتب إليه يخبره بأنه سيعترف به ملكاً على أرمينية إذا تسلم التاج من الإمبراطور كوالده، فحضر الأمير الأشكاني بسرعة وأخذ التاج، ووضع طبقة لشروط المعاهدة بين قدى تراجان منتظراً أن يعيد التاج، لكن تراجان لم يرد إليه التاج بل أخبره بأنه معزول عن الحكم، ولم يكتف بهذا أيضاً بل قبض عليه بعد انصرافه وقتله.

وقد كان هذا التصرف من العار إلى درجة أن العالم فى ذلك الوقت استنكره كذلك. قام تراجان بعد ذلك بفتوحات فى أرمينية وما بين النهرين واستولى على آديابن والحضر^(٥١) ودخل بابل، ثم استولى على سلوقية وطيسفون وهبط من دجلة متجهاً إلى الخليج، ورفع العلم الرومى فوق مياهه للمرة الأولى. ومن ناحية أخرى لم يكن خسرو مستعداً أن يمكّن الروم منه، ولكنه لم ير أن من صالحه مواجهة الروم كذلك. فعمد إلى إثارة الولايات الخاضعة لهم، ولم يمض وقت طويل إلا وبلغ تراجان خبر الثورة والعصيان من كل مكان، فأصابه الخوف والذعر، وانقطعت

خطوط اتصاله مع سورية بسبب هذه الفتن، فهاجم الحضر ولكن الثوار أجبروه على التراجع، عندئذ رأى أن السبيل الوحيد الذى يجب أن يسلكه هو الانسحاب، فأجلس أحد الأمراء الأشكانيين على عرش السلطنة فى طيسفون، وأعطى الأمر بالانسحاب وتوفى تراجان بعد ذلك بعام (١١٧م).

صار هادريان^(٥٢) إمبراطورا على الروم. وتغيرت سياسة دولة الروم على يد الإمبراطور الجديد. ذلك أن الحفاظ على ما بين النهرين وأرمينية كان يشكل صعوبة للروم بسبب جوارهم لدولة إيران، مما أدى إلى حروب مستمرة؛ لذا اعتقد هادريان أن رأى أوكتافىوس أوجست إمبراطور الروم الأول حول حدود الإمبراطورية كان صحيحا، وأنها لا يجب أن تتجاوز الفرات. ونتيجة لهذا القرار انسحب الروم من البلدان الثلاثة التى استولوا عليها. وتم لقاء بعد ذلك فى سنة ١٢٢م بين إمبراطور الروم وملك إيران على حدود الدولتين، وكانت لهذا اللقاء نتائج حسنة أفادت العلاقات الطيبة بين البلدين.

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أنه فى عهد تراجان وبعده بقليل كانت دولة الروم فى أوج عظمتها، بينما كانت الدولة الأشكانية تتجه إلى الضعف.

أشك الرابع والعشرون - الخامس والعشرون - بلاش الثانى وبلاش الثالث

جلس بلاش الثانى وبلاش الثالث على العرش بعد خسرو. وبدأت فى عهد بلاش الثانى هجمات الألبانيين من جديد. ويرجع السبب فى هذه المرة إلى تحريض "فَرسٍ من" ملك الكرجيين. ولم يتمكن بلاش من مواجهتهم، فأعطاهم مالا فى النهاية ليبعد شرهم عن آذربايجان والبلاد المجاورة، وقد أظهر هذا التصرف ضعف الدولة الأشكانية (١٣٥م).

توجه بلاش الثالث فى سنة ١٦١م إلى أرمينية وأخرج ملكها الذى كان تابعاً للروم، فخرج لحربه القائد الرومى إليوس - ثريانوس^(٥٣) فهزمه، وعبر بعد ذلك البارثيون نهر الفرات ودخلوا سورية. وهناك صدّهم قائد رومى مشهور يدعى كاسيوس. وكانت حربه فى البداية دفاعية، ولكنه هاجم بعد ذلك البارثيين، فانسحبوا ناحية الفرات. استولى بعد ذلك كاسيوس على أرمينية وخرّب أرتاكساتا، واستدعى ملكها السابق من الروم وأجلسه على عرش أرمينية. ولم يكف بهذا بل أراد أن يفتح بلاداً أخرى مثلما فعل تراجان. وبهذا الهدف استولى على سلوقية ونهبها. وانتشر وباء الطاعون فى ذلك الوقت، فأصاب الجيش الرومى بأضرار بالغة، وانتشر فى كل بلاد الإمبراطورية الرومية. وأدى ذلك إلى دخول القسم الغربى من بلاد ما بين النهرين مع نصيبين ضمن بلاد الروم (١٦٥م). وكانت وفاة بلاش الثالث فى سنة ١٩١م طبقاً لما هو مسجل على النقود.

أشك السادس والعشرون - بلاش الرابع

جلس على العرش بعد أبيه، ونشبت المعارك فى عهده مع الروم من جديد (١٩٤-١٩٧م)، إذ ثار سكان القسم الواقع فيما بين النهرين الذى كان قد ضم إلى الروم، وعندما جاء سبيتمس سقرس^(٥٤) إلى ما بين النهرين للقضاء على الثورة وسير سفناً فى دجلة كما فعل تراجان، استولى على سلوقية وضم آديابن إلى بلاد الروم. ولم يحدث اعتراض من جانب البارثيين بسبب ضعف دولتهم. وعندما رأى سقر مشكلات الفتوحات فى تلك البلاد صمم على العودة، ولكنه كان يريد الاستيلاء على الحضر لوجود معبد خاص بإله الشمس بها، وهذا المعبد له شهرة واسعة لما يحتوى عليه من أشياء ثمينة وثروات طائلة. وطال حصار الحضر وأصاب الإمبراطور اليأس من الاستيلاء عليها فانسحب. ولكن آديابن صارت جزءاً من بلاد الروم، وثبت تفوق الروم فى أرمينية وإيس-الرها-(اورفا)^(٥٥). وتوفى بلاش فى سنة ٢٠٨م.

أشك السابع والعشرون، الثامن والعشرون - بلاش الخامس وأردوان الخامس

بعد بلاش الرابع تتنازع ولداه بلاش وأردوان الملك، وقررا فى النهاية أن يحكم بلاش فى بابل وأردوان فى بلاد إيران الغربية. والمعروف أن أى بلد لا يحتمل وجود ملكين فيه، فاشتعلت الحرب الأهلية. وسُر الروم سرورًا عظيمًا، وهنأ إمبراطور الروم كارا كالا ابن سببتيتم سقر مجلس الشيوخ الرومى على تلك المشاكل التى أصيب بها عدو الروم بسبب الحروب الداخلية. وأرسل كارا كالا - الذى كان قد اعترف فى بداية الأمر ببلاش الخامس حاكما على إيران - سفيرا محملا بالهدايا إلى أردوان، وأخبره فى رسالة معه أنه إذا زوج أردوان أخته له، فإن هذه الصلة ستكون باعثًا على توطيد العلاقات بين الدولتين اللتين تحكمان العالم آنذاك. ولم يقبل أردوان فى بداية الأمر لما كان يعمل عن سلوك كارا كالا المتسم بالخيانة تجاه ملك إيس وأرمينية، وأجابه بأدب ردا على رسالته. ولم يسلم كارا كالا بهذا، بل أرسل سفيرا من جديد مكررا طلبه، فطلب أردوان أن يأتى الإمبراطور ويحمل امرأته. فكان أن قدم كارا كالا بجيش كبير إلى حدود إيران وأقام حفلا، وعندما دخل أردوان ومرافقه خيمة الإمبراطور هجم الروم -الذين كانوا قد أعدوا كمينًا- على البارثيين وقتلوهم جميعًا، ونجا أردوان فقط. وبعد هذه الحادثة المخجلة بوقت قصير قتل [كارا كالا] بالقرب من حران (٢١٧م). أما أردوان فإنه شغل على الفور بجمع جيش واتجه للقاء الجيش الرومى. وقبل أن يصل إلى حدود إيران وصل سفراء مكررى نوس الذى خلف كارا كالا، وبدأت المفاوضات، فطالب أردوان بالانسحاب من ما بين النهرين ودفع غرامة كبيرة. ولما لم يستجاب لطلبه قامت الحرب من جديد، واستخدم الفرسان البارثيون فى هذه المعارك أسلوبهم القديم مرة ثانية، وأعجزت سهام الإيرانيين وحراب فرسانهم لابسى الدروع والراكبين فوق الجمال من جنود الروم. ولم تسفر المعركة عن شيء خلال يومين، وفى اليوم الثالث انتصرت الجيوش الإيرانية نصرا مؤزرا،

وطلب الروم الصلح، ودفعوا مبلغاً كبيراً غرامة^(٤٦). ولكن لم يتم الانسحاب من بعض أقسام بلاد ما بين النهرين التي كانت قد بقيت تحت نفوذ الروم منذ الحرب السابقة، وذلك بسبب انقراض الدولة الأشكانية.

ومن أعمال كارا كالا المتسمة بالخزي والعار أيضاً أنه أخرج عظام ملوك الأشكانيين في أربل وألقاها بعيداً، ويستفاد من ذلك أن الأشكانيين كانوا يدفنون موتاهم، وذلك رغم أن هناك ما يفيد أن المتأخرين منهم كانوا يحرقون موتاهم.

وقد عدّ البعض أردوان الرابع آخر ملوك الأشكانيين، واعتبره جوت شميد أردوان الخامس، ويقول إنه انتصر على بلاش الخامس منذ سنة ٢١٦م.

وفي عهد هذا الملك انقرضت الأسرة الأشكانية نتيجة عدم رضا الشعب عنها والحروب الأهلية طمعاً في عرش السلطنة، والضعف الذي كان يتزايد يوماً بعد يوم. وانتقل الحكم في إيران إلى الأسرة الساسانية. والشخص الذي قاد هذا العمل وصاحب الفضل فيه هو أردشير بابكان الذي خرج على أردوان الخامس ونجح في ذلك (٢٢٤م). وبعد مقتل أردوان في رام هرمز سك شخص من الأشكانيين يدعى آرتافاسدس^(٤٧) نقوداً كثيرة، ولكن ليس معروفاً ما هي الصلة التي كانت تربطه بأردوان، والظن الغالب أنه كان ابنه.

الفصل الثانی

أحوال ایران فی عصر البارثیین

الحضارة الأشکانیة

اتساع الدولة الأشكانية

امتد العصر الأشكاني ٤٧٠ عامًا كما ذكرنا، ويمكن تقسيم ذلك العصر إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول الذي استمر مائة عام على وجه التقريب، وفيه قام الأشكانيون بإرساء قواعد دولتهم الفتية، وقضوا على دولة باختر (بلخ) في الشرق، وأخرجوا السلوقيين من إيران. والقسم الثاني وهو عصر عظمة الدولة الأشكانية وازدهارها، وفيه دخل الملوك الأشكانيون في حروب موفقة مع الروم وشعوب الشرق القوية مثل السك وغيرهم. وكانت إيران البارثية إحدى دولتين عظيمتين تحكمان الدنيا في ذلك الوقت (دولة الروم والدولة الأشكانية)^(٥٨). وفي القسم الثالث اتجهت الدولة الأشكانية إلى الضعف.

أما عن حدود هذه الدولة وهي في أوج عظمتها، فيجب أن يؤخذ في الاعتبار أن الأسرة الأشكانية قسمت إلى عدة شعب، وكانت كل شعبة تحكم قسما: فكانت الشعبة الأولى تحكم في إيران، والثانية تحكم في أرمينية والولايات المجاورة لها مثل أسران (إيس) - الرها - وغيرها، والثالثة تحكم في باختر والمناطق المجاورة لها حتى البنجاب والسند. ومن ثم فإن حدود دولة الأشكانيين المركبة عبارة عن: نهر الفرات من ناحية الغرب، والبنجاب والسند من ناحية الشرق، والخليج وبحر عمان والمحيط الهندي من ناحية الجنوب، وجزال الهيمالايا ونهر سيحون وبحر الخزر والقفقاز من ناحية الشمال.

النظم الإدارية في الدولة الأشكانية

لا توجد معلومات كثيرة حول نظم هذا العصر، ذلك لأنه لم تصل إلينا نقوش عن الملوك الأشكانيين توضح هذا الموضوع. وما نعلمه عنهم مستقى من مصادر أرمينية ورومية ويونانية. ومن هذا كله ومن النقود والمعلومات الناقصة

التى وصلتنا، فمن المسلم به أن الدولة الأشكانية لم تكن دولة ذات إقليم واحد، بل كانت إيران في ذلك الوقت مقسمة لعدة دويلات مثل: أرمينية، ميديا، آديابن، فارس، خوزستان، أصفهان، الري، كرمان، يزد، بلخ، وبعض أقسام الهند وغيرها.

وكانت هذه الدويلات مستقلة في شئونها الداخلية، وتحافظ على دينها وعاداتها وأسر ملوكها (كان الملوك غالبًا من الأشكانيين). أما العون الذى تقدمه للملك الكبير أو ملك الملوك فيكون عن طريق اشتراكها فى مجلس الشورى الذى يعقد لانتخاب الملك الكبير، وإعداد الجيوش فى وقت الحرب، وإرسالها إلى المكان الذى تحدده الحكومة المركزية.

وكانت المدن اليونانية - كما يذكرنا عصر الإسكندر والسلوقيون - حرة تماما فى تسيير أمورها الداخلية أيضا، وتقوم بدفع الضرائب (مثل سلوقية وغيرها). وفى الأماكن التى لم يكن فيها ملك محلى كان يعين الوالى أو الـ (قتياكسا) من قبل العاصمة ويستفاد كذلك أنه لم يكن للملوك الأشكانيين فى العاصمة حكم مطلق، إذ يوجد مجلس شورى يبيت فى الأمور العامة، وهو يشكل من الأمراء الأشكانيين الذين بلغوا سن الرشد أو من رؤساء أسر الدرجة الأولى. وأحيانا كان يشكل من هذين المجلسين معا ومعهم رجال الدين من الدرجة الأولى، ويطلقون على المجلس بصورته هذه اسم مغستان.

وقد أطلق المؤرخون الروم اسم "سنا" (مجلس الشيوخ) على مجلس الأمراء والعظماء. وكان لهذا المجلس نفوذ قوى، فى حين أنه لم يكن لمجلس المغستان مثل هذا النفوذ فى بعض الأمور.

وإجمالا يجب القول بأن البارثيين حافظوا على النظم الآرية أفضل وأكثر نظرا لبعدهم عن بابل وأشور كما سبق أن ذكرنا، ولذا فقد كان لرؤساء الأسر والطوائف صلاحيات أكثر، وكان الملوك المحليون فى الواقع حكاما سابقين

تعارضت اختياراتهم مع قدرات السلطنة فكانت تمر عند انتخاب الملك الجديد فترات تمتد أحيانا لثلاثين عاما.

وقد تبين للباحثين من دراسة أحوال الدولة الشكانية ومقارنتها بأحوال أوروبا في القرون الوسطى وجود تشابه كبير بين هذا العصر وذاك العهد، وهذا نفسه يبين أن النظم السياسية والاجتماعية عند الأريين كانت تتفق مع سائر الشعوب الهند وأوربية مثل الاسكندنافيين والجرمان وغيرهم في العصور القديمة.

الديانة

كان البارثيون يعبدون العناصر والشمس والقمر والنجوم، وذلك أثناء معاشرتهم للسك. وعندما اختلطوا بالفرس والميديين كانوا يعبدون أهورا -مزدا. ولما كانت عبادة الشمس والزهرة (ناهيد) شائعة في إيران، فقد دخلت عبادتهما ضمن معتقدات البارثيين.

وبعد قدوم الإسكندر إلى إيران وانتشار ديانة اليونان وحضارتهم، دخلت عبادة بعض آلهة اليونان كذلك ضمن ديانة الملوك الأشكانيين. ولذا فإنه يجب القول بأن ديانتهم كانت مركبة كحضارتهم. والمعروف أن الديانة الخاصة بعبادة هرمزد لم تبقى على صورتها الأولى بل اختلطت بمعتقدات أخرى، فمثلاً شاعت عند البارثيين - تقليدا لليونان - إقامة التماثيل لهرمز أو رسم صورته وبناء معابد وغير ذلك مما كان يخالف الديانة الزردشتية عند الفرس.

شيء آخر كان يرى عند الأشكانيين ولم يكن له مثيل من قبل وهو عبادة الأجداد، فقد أوصل ملوك الأشكانيين أشك الأول الى مرتبة الإله، ويوضح ذلك أيضا لقب إبي فانس - وهى كلمة يونانية - الموجود على نقود ملوك الأشكانيين. وكان البارثيون يعبدون أجدادهم أيضا، كما كانوا يعنون بحفظ صورهم فى

المنازل. ولم يتقيد الملوك الأشكانيين بديانة الميديين والفرس، ولم يعتنوا بالحفاظ عليها، إلا واحدا من الأشكانيين وهو بلاش الأول الذى تصدى لجمع الأوستا. وكان رجال الدين فى الدولة الأشكانية هم أنفسهم (الموايذة)، ويتولى الملك الأشكاني رئاسة رجال الدين، غير أن القيام بإجراء طقوس الديانة كان من شأن المغان.

وقد بلغ نفوذ الموايذة فى البداية إلى درجة أن المغستان كان يتدخل فى شئون الدولة، وعندما استنكر ملوك الأشكانيين تدخلهم فى الأمور، قللوا من نفوذهم بمرور الوقت بطريقة جعلتهم يفقدون أهميتهم.

ولم يكن عمل الموايذة ينحصر فى الأمور الدينية فحسب، بل كان منهم الكثيرون يعملون أطباء أو مدرسين أو معلمين أو منجمين أو كتّاب تقويم كذلك. وقد ذكر إسترابون أنه كان يقال لرجال الدين فى ذلك الوقت المحافظين على بيت النار. وهذه العبارة ترجمة "آثروان" التى هى بفارسية اليوم (أتشبان=حارس النار). ويستفاد مما ذكر أنه لم يكن لإيران دين رسمى فى عصر الأشكانيين، وكما كان لبابل تأثير فى معتقدات الملوك فى العصر الهخامنشى، فقد حلت اليونان محل بابل فى هذا العصر.

اللغة والخط

لغة هؤلاء القوم أصلا آرية إيرانية، ولكن دخلت فيها كلمات سكانية، وبها أسماء سكانية كثيرة. وهذه اللغة هى نفسها التى عرفت فيما بعد باسم اللغة السجاولية^(٥٩)، وهى منزلة وسطى بين اللغة السجاولية القديمة وفارسية اليوم^(٦٠).

انتشرت اللغة اليونانية أيضا فى البلاط البارثى وبين النبلاء منذ عهد الإسكندر وخاصة منذ عصر سيطرة السلوقيين وما تلاه.

وقد كتبت عبارات النقود الخاصة ببعض الملوك الأشكانيين باللغة اليونانية وخطها. وكان الأمراء الأشكانيون يعرفون اللغة اليونانية غالباً، كما كانوا مطلعين على الأدب اليوناني. ويقال إن أردوان الأول كان يجيد هذه اللغة، وأن أرد الأول تعلم آدابها جيداً، وكتب تاريخاً بها. ولما كان محباً لهذا العلم فإنه أمر بكتابة تاريخ العصر الهخامنشى طبقاً للمصادر الآشورية.

وكانت تقام في بلاط الملوك الأشكانيين العروض المسرحية والألعاب اليونانية وخاصة مصنفات أوريبيد^(١١) اليوناني التي كانت تلقى إقبالاً منقطع النظير. ولكن ضعفت معرفة اللغة اليونانية منذ عهد گودرز وما تلاه، ذلك لأن الخطوط اليونانية المكتوبة على نقود ذلك العصر لم تكن واضحة.

والخط في العصر البارثي خط آرامي سرياني وليس خطاً مسمارياً، والدليل على ذلك شيان:

أولهما، تلك النقود التي كتبت عليها كلمات بهلوية بخط آرامي (مثل نقود مهرداد الرابع وبلاش الأول والثالث والرابع والخامس وأردوان الخامس وغيرها)، وثانيهما، ثلاث نسخ خطية مكتوبة اكتشفت في أورامان بكردستان في سنة ١٩٠٩م، نسختان منها كتبتا بخط يوناني والثالثة كتبت باللغة البهلوية وبخط آرامي.

وقد كتبت هذه النسخ الثلاث على جلد غزال، وترجع إلى عصر الأشكانيين^(١٢). ولكن لا يجب أن نتصور أن الخط المسماري قد ترك كلية، فقد عثروا على ألواح في بابل ترجع إلى العصر الأشكاني وهي بالخط المسماري.

وعندما اتصل الأشكانيون بالروم كانوا يستعملون في بداية الأمر اللغة اليونانية، ولكن ازداد نفوذ لغة الروم وحضارتهم أيضاً في بلاط الأشكانيين بسبب توثيق الصلات معهم وإقامة الأمراء الأشكانيين في بلاد الروم بعد ذلك.

الصناعات والفنون

لم يعثر حتى الآن على آثار معمارية ونقوش حجرية لمسوك الأشكانيين باستثناء فقرة أو فقرتين، ولم تكتشف كذلك نقوش حجرية باللغة البهلوية ترجع إلى عهد الأشكانيين.

وطبقاً لدراسات علماء الآثار القديمة فقد بقيت عدة خرائب من عهد الأشكانيين هي كما يلي:

١- خرائب معبد كنگاور الذى يشبه إلى حد بعيد المعابد اليونانية، ويقال إنه كان معبد الـ"ديان"^(٦٣) الإلهة اليونانية.

٢- هناك معبد فى همدان أيضاً اسمه أناهيتا أو ناهيد، وكانت تقام فيه آنذاك مراسم تقديم القرابين كما ذكر الروم. ويشبه أسلوب تشييد أعمدته واحداً من أساليب تشييد الأعمدة عند اليونان.

٣- توجد خرائب فى الحضر (هاترا) على شاطئ دجلة (من الناحية اليمنى) يصل نصف قطر دائرتها إلى ألف متر تقريباً، وترى فيها أبنية إيرانية ولكن طاقاتها مبنية على الطراز الرومى.

٤- قلد گودرز داريوش الأول فى بيستون وأشار إلى انتصاره على مهرداد بنقوش حجرية بارزة، وأيضاً بكتابة كتبت باللغة اليونانية.

كما عثر بارون دوبود^(٦٤) فى سنة ١٨٤١م على نقوش حجرية فى مضيق سالوك بجبال بختيار، يرجعها بعض الدارسين إلى العصر الأشكاني. ولم يصل إلينا شيء مهم عن الصناعات الأشكانية فى إيران سوى النقود. ولكن عثر على أشياء ترجع إلى العصر الأشكانية من حفريات مدينة تدمر^(٦٥) التى تقع فى الشام،

والتي كانت واسطة تجارية بين إيران وبحر المغرب، وأيضًا في الهند وصناعات هذا العصر من حيث المجموع قليلة جدًا، وهي دون صناعات العصر الهخامنشى.

وتعتبر الفنون الحربية من فنون هذا العصر التي لا شبهة فيها، وكانت رائجة عند البارثيين جدًا، وخاصة الفروسية والرماية التي وجب على الشباب تعلمها. وشاع أسلوب حربي واحد لدى الفرسان البارثيين يعرف بحرب الكر والفر (جنگك گریز)، وقد سبق شرحه. ولم تكن لديهم خبرة بفن الحصار واستعمال آلاته وأدواته، إذ كانوا يحطمون آلات الحصار وأدوات الاستيلاء على القلاع التي يمتلكها الروم بعد الاستيلاء عليها، ولم يكن جنود المشاة يقدرّون قيمتها.

كما أنه لم ير في هذه الفترة الجيش الدائم الذي كان موجودًا في العصر الهخامنشى.

أما بالنسبة لعلوم العصر الأشكاني، فلا يمكننا ذكر شيء في هذا الصدد، إذ إنه لم تصلنا آثار بشأنها. ولكن لما كانت هناك أشياء كثيرة معتادة في عصر الأشكانيين وبقيت كما هي في عصر الساسانيين أيضًا، فمن هنا يمكن استنباط أن رجال الدين كانوا يعلمون الناس القراءة والكتابة والحساب كما هو الحال بالنسبة للعصر الساساني.

التجارة

كان لإيران الأشكانية تجارة جيدة نظرًا لموقعها بين الصين والهند من ناحية وبين البلاد الغربية من ناحية أخرى. ويستفاد مما كتبه المؤرخون الصينيون أن سفارة قدمت إلى إيران للمرة الأولى في عهد مهرداد الثاني الأشكاني (بين ١٢٠ و٨٨٠ ق.م)، كما أرسل سفير إلى إيران وبلاد الروم يدعى كان بينگك^(٦٦) من قبل القائد الصيني المعروف پاچا أو.

وقد انتقل هذا السفير من مدينة صدرواز (المائة بوابة) وهمدان حتى بابل، وكان يريد السفر من خليج فارس حتى خليج العقبة عن طريق البحر، ولكنه انصرف عن ذلك. ويبدو أن الدولة الأشكانية لم تكن ترغب فى أن يعرف الصينيون الطرق البحرية. وبعد فترة قدم سفير للمرة الثانية، ويذكر أن تاتسين - أى الروم - يريدون أن يتاجروا مع الصين عن طريق إيران. ولكن آنسيه - أى البارثيون - يمانعون ويريدون أن تكون تجارة حرير الصين بواسطةهم.

ونرى بعد ذلك، ونظرًا لهذه الممانعة، إمبراطور الروم مارك أرنل أنطونيو^(١٧) يرسل البضائع فى سنة ١٦٦م كعظم الفيل والسلاحف إلى الصين عبر الطريق الممتد من الهند إلى الصين. وتدل هذه المعلومات على أن إيران كانت واسطة التجارة بين الشرق والغرب، ولم يرغب الأشكانيون فى فقدان هذا الموقع وتلك المنزلة، وكانت الجمارك تحصل فى ذلك العصر على الواردات.

النقود

كانت النقود البارثية من الفضة والبرونز فقط. وقد دخلت النقود الذهبية فى عصرهم إلى إيران عن طريق التجارة فقط. ودخل إيران ذهب كثير فى عهد أردوان عن طريق الغرامة التى دفعها الروم لها، وكانت النقود الذهبية الرومية تسمى آيورى^(١٨) (مثل الدريك الهخامنشى بمعنى الذهب). ويقال لوحدة النقود الأشكانية دَرَحْم، وهذه الكلمة يونانية، وكان وزن الدرهم يعادل أكثر من أربعة جرامات أو أقل أحياناً^(١٩). وكانت هذه العملة تنافس الدينار الرومى فى آسيا الغربية كلها. والنقود الأشكانية فئة أربعة دراهم ودرهم واحد، وعلى العموم فقد كانت النقود الأشكانية دون النقود الساسانية من الناحية الجمالية.

والألقاب التى اختارها الملوك الأشكانيون مختلفة جدًا، وكل منها تقليد لنقود دولة، فمثلًا الملك العظيم وملك الملوك تقليد للهخامنشيين، والعاذل والقاتح

والملك^(٧٠) من السلوقيين، وإبى فانس^(٧١) من اليونان. وقد أطلق الملوك الأشكانيون الأوائل على أنفسهم لقب محب اليونان^(٧٢)، وعلى وجه النقود صور الملوك الأشكانيين وقد جلسوا على العرش وأمسكوا في أيديهم قوسا شد وتره. كما يوجد على بعض النقود صور للآلهة اليونانية. ويتضح مما سبق أن الفضة كانت أساسا لنقود إيران في العصر الأشكاني.

الديانات الأجنبية

نهج الملوك الأشكانيين سياسة التغاضي عن الديانات الأجنبية، وكانت هذه السياسة من خصائص الأريين، ولم تحدث في عهدهم أية حروب دينية. وكان الأشكانيون يعطفون على اليهود بصفة خاصة، ويحمونهم من الروم.

كما كانوا يعضون الطرف عن الديانة المسيحية وسائر الأديان، ووصل التسامح إلى درجة أنهم لم يمنعوا نشر الديانات الأجنبية داخل إيران. وذكروا عن بلاش الأول فقط أنه كان ينظر نظرة سيئة إلى نشر الديانات الأجنبية داخل حدود إيران، وذلك نظراً لتعصبه. ولم يكن على وفاق مع اليهود، بل كان يرغب في اشتراك فرسان البارثيين في مساعدة الروم في حرب فلسطين.

النتيجة

نستخلص مما ذكر حول حضارة البارثيين والأشكانيين أن حضارتهم كانت مركبة، أي ترى فيها آثار من عادات السكان وأخلاقهم وديانتهم. كما تركت الحضارة اليونانية بصمات من حيث الدين واللغة والخط وغير ذلك على ملوك الأشكانيين والنبلاء ورجال البلاط وذلك بعد مجيء الإسكندر إلى إيران. ومع وجود هذه الحضارة اليونانية في إيران، فقد كانت سطحية ولم تؤثر في البارثيين بعمق على الإطلاق.

الهوامش

- ١- Krasnowodsk تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحر الخزر.
- ٢- أبى فانس تعنى فى اللغة اليونانية مشهور وعظيم.
- ٣- أشك يذكر عند اليونان باسم أرزاكس، وهذا الاسم الأخير هو يونانية أرشك.
- ٤- Diodore
- ٥- كان مقر السلطنة بالتناوب تبعاً للفصول الأربعة فى المدن الأربعة التالية: مدينة المائة بوابة، الرى، همدان، طيسفون (على شاطئ دجلة).
- ٦- كان المرديون (مردها) يسكنون فى تبورستان.
- ٧- تساوى أربعة ملايين وثمانمائة تومان تقريباً.
- ٨- يعتقد البعض أن خاراكس هى مدخل ميناء بحر الخزر، ويرى آخرون أنها ولاية صغيرة، وهناك رأى آخر يستند على ما ذكره ايزيدور الخاراكسى (وهو أحد الجغرافيين القدماء) من أن وطنه خاراكس يقع فى وسط جبال البرز، فاعتبروا ميناء بحر الخزر مطابقاً لمضيق خوار.
- ٩- Val-Arsaces.
- ١٠- Artaxias
- ١١- Pergam
- ١٢- Paphlagonie

١٣- يرى جوت شميد -العالم الألماني الذي قام بأبحاث حول تاريخ الأشكانيين- أن أردوان جلس على العرش بعد مهرداد الثاني الكبير، وكان جلوسه في سنة ٨٦ق.م تقريبا، وقد اعتبره المؤلف المذكور أردوان الثاني.

١٤- **Dikaios** باللغة اليونانية تعنى العادل.

١٥- **Codovne, Adiabene** هاتان الولايتان كانتا من ولايات آشور القديمة.

١٦- **1-Gabinius – 2- Crassus**

١٧- الاثنان الآخران هما: يوليوس قيصر وبومبي.

١٨- الفيلق أو **Legion** هو الوحدة الرئيسية فى الجيش الرومانى، وقد استعمل المؤلف هنا كلمة "لژیون" فى الفارسية، وهى مأخوذة عن هذه الكلمة المذكورة.(المترجم).

١٩- **Artavardes**

٢٠- **Surena**

٢١- **Carrhae**، كانت حران تقع فى ما بين النهرين بين إيسن (أورغا) ورأس العين، وتعد منذ العصور القديمة مركزا للصابئين، وكان لها أهمية عظيمة قديما نظرا لموقعها التجارى ومن أنجبتهم من الفضلاء والعلماء الكثيرين، وهى الآن ليست أكثر من قرية.

٢٢- **Fabius**

٢٣- **Gaule**

٢٤- **Octaviaus**

٢٥- أوربيد أو أفريبيدس هو شاعر تراجيدى يونانى مشهور، ولد فى جزيرة سلاميس Salamis فى ٢٠ أكتوبر عام ٤٨٠ ق.م. وكرس حياته للتأليف الدرامى وتوفى عام ٤٠٧ ق.م. ويقال إنه كتب خمسا وسبعين مسرحية تراجيدية وصلتنا منها تسع عشرة مسرحية فقط (المترجم).

٢٦- Cassius

٢٧- Vintidius bassus

٢٨- Mare Antoine - الاثنان الآخران هما أوكناقيوس أو أوغست.

٢٩- Artavardes

٣٠- يقال لها فى الفارسية القديمة (فراد اسبه)، وقيل لها بعد ذلك برسبه، وتقع هذه المدينة على بعد ٢٥ فرسخا من بحيرة أورمية من الناحية الجنوبية والشرقية، وهى الآن تعرف باسم تخت سليمان.

٣١- المقصود بميديا (ماد) الصغيرة أى آذربايجان الحالية.

٣٢- ستون: عبارة عن نظام يجعل كل مجموعة من الجيش تقع عقب الأخرى ويتم هذا الترتيب عند التحرك.

٣٣- Statianus

٣٤- هوراس شاعر رومانى صاحب ملحمة الأوديسا (٦٥-٨ ق.م) (المترجم)

٣٥- كان اسم هذه الجارية ت أموزا أورانيا Thea Musa Urania

٣٦- Caius

٣٧- Phrataces

٣٨- م بمعنى ميلادية

Artaxsias - ٣٩

Tiberius - ٤٠

٤١ - گرجستان: كان يسميها اليونان والرومان في ذلك الوقت باسم إيبرى، ويطلق الإيرانيون عليها أيام الساسانيين اسم ورژان وگرژان.

Neron - ٤٢

Corbulo - ٤٣

Lucius Paetus - ٤٤

٤٥ - الدين كرت أحد الكتب الدينية الزرادشتية.

٤٦ - الآلايون من الأريين الإيرانيين، كانوا يسكنون في بداية الأمر بالقرب من وادي داريال، ولكنهم استولوا بعد ذلك على أرض واسعة من السهول الواقعة على شاطئ بحر الخزر وحتى مصب نهر الفولجا أو الأديل. وقد أجبرهم المغول على الهجرة في القرن السابع الهجري وطردهم إلى بلاد أخرى. كما ترى لهم آثار في الصين، ويطلق عليهم أيضا اسم (الأس). وتعد شعوب الأست التي تسكن القفقاز من أعقابهم.

٤٧ - يجب أن يكون هذا هو بلاش الثاني الذي سيأتي ذكره فيما بعد.

Trajan - ٤٨

Exedares - ٤٩

Partamasiris - ٥٠

٥١ - الحضر هي نفسها المدينة التي كان الرومان يطلقون عليها اسم (هاترا) وكانت تقع على مسافة ثلاثة أيام من الموصل الحالية، وبها قلعة حصينة.

وقد ذكر الكتاب المسلمون أشياء عن عظمة هذه المدينة، وهي الآن أطلال
وخرائبها في الطرف الجنوبي الغربي من الموصل.

Hadrien - ٥٢

Aelius Severianus - ٥٣

Septimus Severus - ٥٤

٥٥- كانت أدس مدينة مهمة، وهي تعرف اليوم باسم (أورفا) وتقع بالقرب من
ديار بكر ويسميتها العرب الرها.

٥٦- تقريبا ٢٠ كرور تومان بعملة اليوم.

Artavasdes - ٥٧

٥٨- هذا القسم من مهرداد الثاني حتى آخر سلطنة بلاش الأول.

٥٩- يرى علماء اللغة أن (بَرْتُو) وهو اسم هؤلاء الناس يتفق مع كلمة
(بَرْهَو) طبقا للمعايير العلمية، وبدلت بعد ذلك إلى (بلهو) و(بهلو)، ولهذا
أطلق النبلاء البارثيون على أنفسهم اسم بهلو وبهلوان، وهم الذى كانوا
ينسبون إلى قوم بارت ومن ثم فإن بهلوى وبهلوانى يعنى المنتسب إلى
البارثيين.

٦٠- هناك فرق ضئيل بين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية.

Euripide - ٦١

٦٢- الأراميون شعب من أصل سامى كانوا يسكنون بين الشام الكبرى
ودجلة، وكانت لغتهم لهجتان شرقية وغربية أو كلدانية وسريانية. وقد
راجت لغتهم وخطهم فى العصور القديمة فى آسيا الغربية وخاصة فى

كلده والشام الكبرى. كما كتب العبريون بعض كتبهم بهذه اللغة. والخط الأرامي مشتق من الخط العبرى. واللغة الأرامية غير مستعملة الآن. غير أن بعض أهالى قرى الشام الكبرى يتحدثون بلغة قريبة من هذه اللغة.

٦٣- كانت إلهة القمر **Diane**

٦٤- **Baron De Bode**

٦٥- تدمر هي التي سماها اليونان بالمير، وتقع أطلال هذه المدينة فى صحراء الشام. وتدل الآثار على أنها كانت مزدهرة فى الماضى.

٦٦- **Kan-Ying.**

٦٧- **Marc-Aurele-Antoine.**

٦٨- **Auru** كان الأيورى يزن من ثمانية إلى أربعة جرامات ونصف تقريبا.

٦٩- أربعة أخماس مثقال تقريبا.

٧٠- **Dikaios. Nicatar. Theos**

٧١- **Epiphanes**

٧٢- **Philhellene**

الباب الخامس

عصر البارسيين (الفرس) الثاني

الفصل الأول

الملوك الساسانيون

مقدمة

كان ساسان سادنا لبيت نار أقيم في إصطخر للزهرة (ناهيد)، وكانت زوجته- رام بهشت- ابنة أحد ملوك البازرنكين الذين كانوا يحكمون في نيسايه (سميت هذه المدينة باسم البيضاء، وذلك منذ استيلاء العرب على فارس نظرا لبياض جدرانها).

وكان بابك بن ساسان يحكم في مدينة خير الواقعة على شاطئ بحيرة بختگان، وقد حصل لابنة أردشير على رئاسة قلعة مدينة داراب من گوزهر البازرنكي، ومنذ ذلك الوقت بدأ ارتفاع شأن هذه الأسرة. ثم قتل بابك گوزهر ونصب نفسه ملكاً، وطلب من أردوان الخامس لقب ملك لإبنه الأكبر شاپور، فرفض أردوان.

ومع ذلك أطلق شاپور على نفسه لقب ملك بعد موت أبيه، فأجبر أردشير على تبعيته. ولم يستمر ذلك طويلاً إذ توفي شاپور تحت أنقاض قيو تهدم بقصر ملكه، الذي كان يسمى باسم "هماي"، فأصبح أردشير ملكاً (٢١٢م)^(١)

الأول: أردشير الأول (أرت خستر)

كان أردشير يفكر في سلطنة كبيرة بينه وبين نفسه، إلى أن حان الوقت في سنة ٢٢٣م فرفع راية العصيان وقام بحملة على كرمان، وهزم ملكها بلاش، وجعل ابنه أردشير حاكماً هناك، ولهذا السبب عرفت كرمان لحقبة من الزمن باسم (به اردشير) (كان العرب يسمونها بردشير). ثم خضع له ملوك خوزستان وغان بعد هزيمتهم.

وعندما رأى أردوان الأشكاني ارتفاع شأن أردشير توجه إليه بجيش كثيف،
وحاربه في هرمزد گان بخوزستان، فقتل أردوان (٢٢٤م)^(٢).

ويرجع نسب ساسان طبقاً للروايات الفارسية إلى أردشير صاحب اليد
الطولى^(٣)، أى أن جد جده ويسمى أيضاً ساسان وهو ابن دارا كان معاصراً
للإسكندر، وهاجر من وطنه إلى الهند. ثم إن أحد أبناء ساسان (الجيل الخامس) قدم
من الهند إلى فارس بعد مائتى سنة وتسمى أيضاً ساسان فى عصر بابك وصار
راعياً لأغنامه. وقد زوج بابك ابنته لملك فارس الخاضع لأردوان الأشكاني على
أثر رؤيا كان قد رآها، وجاء أردشير نتيجة هذا الزواج.

وهذه الرواية مشكوك فى صحتها، أولاً: لأنها لا تتفق مع التاريخ، فقد مر
أكثر من خمسمائة عام منذ انقراض الأسرة الهخامنشية وحتى عصر بابك.

ثانياً: إذا كان ساسان قد ذهب إلى الهند وبقى أولاده هناك، فمن المستبعد
جداً أن يبقى إيراني بعد خمسة قرون ويعود ساسان المعاصر لبابك إلى فارس
ويصبح راعياً له. وقد رواها هذه القصة حتى يرجعوا نسب الساسانيين إلى
الهخامنشيين (باليكانيين الأسطوريين). والأشكانيون كما رأينا كذلك يرجعون
بنسبهم إلى أردشير الثانى الهخامنشى.

استولى أردشير على طيسفون بعد سنتين من مقتل أردوان، ودخلت إيران
تحت حكم أردشير بعد ذلك. وبقيت أرمينية وگرجستان مستقلتين مؤقتاً.

ذهب أردشير إلى الهند بعد استيلائه على خراسان وبلخ وخوارزم وتوران
ومكران، فاستولى على البنجاب ووصل بالقرب من سيرهند، وقدم ملكها (جونه)
الجواهر والذهب والأفيال الكثيرة كجزية لأردشير، فعاد أردشير إلى إيران وعقد
العزم على حرب الروم بعد أن أرسى دعائم ملكه، إذ اعتبر نفسه وارثاً
للهمانشين، عبر أردشير الفرات سنة ٢٢٨م، وكتب إليه قيصر الروم إسكندر

سفر رسالة مذكراً إياه بالهزائم التي حاقت بالبارثيين أيام تراجان وسبتيم سفر⁽⁴⁾، فاختار الملك أربعمائة رجل من الرجال الأشداء ذوى القامات الفارعة فى كامل أسلحتهم ومعهم جياذ عليها سروج مذهبة، وأرسلها إلى إمبراطور الروم، وأجابته " إن ما يمتلكه الروم فى آسيا هو إرث لى، ويجب على الروم الاكتفاء بأوروبا والانسحاب من آسيا! فأمر إسكندر سفر بالقبض على سفراء إيران وألقى بهم فى السجن، وشغل بعد ذلك بالاستعداد للحرب وقسم الجيش الرومى إلى ثلاثة جيوش، وكلف الجيش الأول بالاستيلاء على آذربايجان، وتحرك الجيش الثانى ناحية شوش، وتولى هو بنفسه قيادة الجيش الثالث. وأراد أن يغزو قلب إيران وأجابته بقوله "إن ما يمتلكه الروم فى آسيا".

ولما كانت الصلة منقطعة بين هذه الجيوش، فقد استفاد أردشير من ذلك، وهزم الجيش الثانى بكل قواته. ورغم أن الجيش الأول كان موفقاً فى بداية الأمر فإنه أصيب بخسائر فاحشة أثناء انسحابه، وانسحب الجيش الثالث بسرعة بعد هذه الهزائم.

ومن نتائج هذه المعارك أن وقعت نصيبين وحران تحت سيطرة أردشير وكان فى إمكان أردشير أن يدخل سورية، ولكنه رأى ان يتوجه إلى أرمينية أولاً، وقد قاوم خسرو ملك أرمينية مقاومة شديدة، ولما لم يتمكن الفرسان من إضعاف مقاومته، قتل أردشير ملك أرمينية بخدعة فى نهاية الأمر، واستولى على تلك البلاد بعد ذلك، وفر ابن ملك أرمينية.

ولكى يستميل أردشير عواطف الشعب إلى جانبه، قام بجمع الأفضتاء وأكثر من رجال الدين (المغان) وأشعل النار المنطفنة فى بيوت النار، وجعل دين زرتشت هو الدين الرسمى لإيران، ورقى رئيس رجال الدين الذى كان يلقب بالموبدان موبد⁽⁵⁾ إلى أعلى منصب حكومى.

ولكى يحقق أردشير أهدافه استفاد كثيرا من كراهية الناس لإسراف الملوك والأمراء المحليين في شهواتهم واستبدادهم في العصر الأشكاني، وأيضا من عدم رضاء رجال الدين، فتعقب الأمراء الأشكانيين بشدة وبدون رحمة، وقتل كثيرا منهم، وفر بعضهم إلى ما بين النهرين والهند وأفغانستان الحالية. وبقي عدد قليل منهم في أماكن قليلة محصنة وكان أردشير على وفاق معهم (مثل جنسفس في طبرستان).

وتتلخص أعمال أردشير بالنسبة للشئون الداخلية^(١) فيما يلي:

١- إيجاد المركزية وإبدال الملوك والأمراء المحليين بنبلاء البلاط ومنحهم ألقابا مختلفة.

٢- جمع الأشتنا الذي كان قد بدأ منذ عصر بلاش الأول، وقد قدم تتسر - الذي كان هيربذان هيربذ- مساعدات معنوية لأردشير في هذا العمل كما سيأتي فيما بعد.

٣- جعل دين زرتشت دينا رسميا والسماح لرجال الدين بعقاب المرتدين، وفتح وصايا المتوفين وتقسيم التركات.

٤- تقسيم الشعب إلى طبقات وتصنيف موظفي الإدارات.

٥- إحياء جيش داريوش الأول الدائم.

٦- تخفيف العقوبات ومنع قطع اليد.

وكان أردشير يعتقد:

١- بأنه يجب أن تحل النظم والقوانين الواحدة محل الإباحية التي كانت شائعة في عصر الأشكانيين.

٢- أن الدولة والدين توعمان ولا يقوم أحدهما دون الآخر.

الثانى: سابور الأول (شاه بوهن)

جلس شابور (سابور) على العرش بعد أبيه فى سنة ٢٤١م. وفى بداية حكمه ثارت أرمينية وحران، ففضى على ثورة أرمينية بسرعة، ولكن القضاء على ثورة حران كان يشكل صعوبة، فقد سبق أن نكرنا أن تراجان وسبتيم سفر عجزاً أمام أسوارها المحكمة، وتركها المدينة وذهباً. وفى ذلك الوقت حدثت حادثة يسرت الأمر على سابور، إذ أرسلت ابنة ملك حران رسالة إليه تخبره فيها أنها مستعدة لتسليم المدينة بشرط أن يتزوجها، فقبل سابور هذا الاقتراح وخانت الابنة والدها وسلمت المدينة ولكنها أعدمت بعد الاستيلاء على المدينة بأمر الملك كما ذكر المؤرخون^(٧).

الحرب الأولى مع الروم

استمرت هذه الحرب منذ عام ٢٤١ وحتى ٢٤٤م، فعندما رأى شابور اضطراب الأحوال الداخلية فى بلاد الروم حاصر مدينة نصيبين^(٨) واستولى عليها، واتجه بعد ذلك إلى ناحية بحر المغرب واستولى على أنطاكية. ولم يمض وقت طويل إلا وصار كروين^(٩) إمبراطوراً على بلاد الروم بعد منازعات داخلية فأتجه إلى ناحية الشرق بجيش جرار، وهزم جيش إيران فى سورية فاضطر للإنسحاب.

وعبر الجيش الرومى نهر الفرات واستولى على نصيبين، ثم عبر نهر دجلة وحاصر طيسفون. وفى تلك الأثناء ثار الروم على كروين وقتلوه، وتصلح فيليب العربى- الذى اغتصب العرش من بعده- مع سابور، وترك الشرق، وأصبحت أرمينية وما بين النهرين جزءاً من إيران طبقاً للمعاهدة التى عقدت بينهما.

الحرب الثانية- أسرفايلن^(١٠)

استمرت الحرب الثانية من سنة ٢٥٨ حتى سنة ٢٦٠م. وفى هذه المرة عبر شابور نهر الفرات مرة أخرى بنجاح، واتجه ناحية أنطاكية، فاستولى على تلك

المدينة، وهنا أسرع إمبراطور الروم فالريان - الذي كان عجوزاً - لتحرير أنطاكية، فاستردها وتقدم متعقبًا جيش الروم ومحاصرًا، وكلما حاول الروم فتح ثغرة لهم لكى يفروا فشلوا، وأسر الإمبراطور.

وقد أثرت هذه الحادثة تأثيرًا غريبًا آنذاك في العالم، وزادت من عظمة الأسرة الساسانية وقوتها في أنظار العالم زيادة عظيمة، وذكر الكتاب الأجانب المعاصرون أن سابور أجبر قيصر على خدمته وقيد يديه بالسلاسل، وكان يضع قدميه على ظهره أثناء ركوبه.

وفي النهاية، وبعد أن مات فالريان من شدة ما قاساه وعاناه، سلخ جلده وحفظه للذكرى. ويرى بعض الباحثين الجدد ومنهم يوستى^(١١) أن ما نسب إلى سابور كان عن طريق الكتاب المسيحيين (من رجال الدين) بسبب عدائهم للإيرانيين، وليس له أساس من الصحة. ومن المسلم به أن سابور قد أجبر أسرى الروم على إقامة جسر شوشتر والسد العالى المعروف باسم شادروان والمقام من حجر الجرانيت.

نصب سابور بعد هذا الانتصار ممثلًا شخصيًا له من أهل أنطاكية اسمه سيريايس^(١٢) إمبراطورًا على الروم، وأعطاه لقب قيصر. وأجبر فالريان على السجود تكريمًا له. وبعدئذ عبر سابور نهر الفرات واستولى على أنطاكية، ثم توجه إلى ناحية آسيا الصغرى واستولى على قيصرية مازاكا^(١٣) ولكنه لم يؤسس نظامًا في الشام الكبرى ولا في (كابا دوكية) وعمد إلى القتل والسلب، ثم عاد إلى إيران محملًا بالغانم الوفيرة.

أصبح سابور فجأة وبعد هذه الفتوحات خصمًا لأذينة ملك تدمر^(١٤) (٢٦٠-٢٦٣م)، ذلك أن تلك المدينة كانت تقع في وسط الطريق المتجه من ما بين النهرين إلى دمشق، وهى قلعة ينسب بناؤها إلى هادريان إمبراطور الروم. وقد صارت هذه المدينة المذكورة مدينة تجارية نظرًا لما تتمتع به من موقع جغرافى

بين مملكتين غنيتين وقديميتين هما ما بين النهرين وسورية. وعندما توجه شابور بجنده إلى سورية كتب أذينة (أدناطوس عند اليونان) ملكها رسالة إليه وأرسل له هدايا، إلا أن شابور غضب من لهجة رسالته وقال: "من هو أذينة؟ ومن أى مملكة هو، حتى يكتب لسيدة رسالة بهذا الشكل؟ يجب عليه أن يأتينى ويخر ساجدا صاغرا أمامى اعتذارا عما بدر منه".

وأمر بالقاء حاملى الهدايا فى نهر الفرات. وقد سبب هذا الغرور والتصرف الذى لا روية فيه من قبل شابور عناء عظيمًا، ذلك أن أذينه تحين الفرصة وبمجرد أن سمع أن شابور إتجه من آسيا الصغرى إلى إيران محملاً بغنائم لا حصر لها، جهز جيشاً من أعراب البادية وهجم على جيش سابور فى السهول التى لم يكن بها ماء ولا علف، وأنزل به خسائر فادحة واستولى على كثير من الغنائم، وأسر بعض نساء سابور، ووصل جيش إيران فى نهاية الأمر إلى دجلة بعد عناء كبير وصعوبة بالغة، وتخلص من تعقب أذينه له.

أعمال سابور فى وقت السلم

من أعمال سابور بناء سد شادروان الذى بنى على يد مهندسى الروم وأسراهم على نهر كارون فى شوشتر (ربما عرف بسد قيصر لهذا السبب)، وأيضاً بناء مدينة سابور التى كانت تقع بالقرب من غازرون فى فارس، وما زالت أطلالها باقية. وينسب إليه أيضاً بناء نيسابور فى خراسان وجندى سابور فى خوزستان (بين شوشتر ودفول)^(١٥)، وذكر مؤرخو گرجستان أن شابور أرسل ابنه مهران لحكم گرجستان وأسس هناك أسرة السلاطين الخسرويين، ثم اعتنق الدين المسيحى.

ويعتبر سابور واحداً من ملوك الأسرة الساسانية المشهورين، وكان وسيماً شجاعاً صاحب عزم، ومحبوباً من شعب إيران. ولكنه لم يفد إيران كثيراً بفتوحاته بالنسبة للسياسة الخارجية، ذلك أن غروره كان يقضى على انتصاراته أحياناً، ويعتبره البعض دارا (داريوش) الأسرة الساسانية، ولكن لا يوجد وجه للمقارنة بينه

وبين ذلك الملك العظيم. وكانت حروبه لمجرد الكر والفر في أغلبها، وليس من أجل الاستيلاء على البلاد وحكمها.

ومع هذا فقد كان من حسن حظ الأسرة الساسانية أن ملكين من أوائل ملوكها- وهما أردشير وسابور- جعلوا من هذه الأسرة أسرة عظيمة في نظر العالم، ووضعوا دعائم راسخة للدولة الساسانية. وقد توفي في سنة ٢٧١م.

ومن الأحداث المهمة في عصره ظهور ماني الذي أتى بدين أعلن مبادئه على الناس أثناء تنويع سابور (٢٤٢م) وسيأتي شرح هذا الدين في موضعه.

الثالث- هرمز الأول (أنوهرمز)

جلس على العرش بعد أبيه، وحكم سنة واحدة وإستدعى ماني الذي كان قد رحل عن إيران، وحماه في قصره في دستگرد ورعاه، وتوفي سنة ٢٧٢م، ويقال إن هرمز كان شجاعاً وأنه شارك في حروب شابور مع الروم.

الرابع- بهرام الأول (ورهان)

تولى الحكم بعد أخيه، وحكم أربع سنوات. وقد طلبت زنوبيا ملكة تدمر - وهي زوجة أذينة والتي تولت الحكم من بعده- العون من بهرام نتيجة ضغط الروم على بلادها، فاتخذ سياسة خاطئة، إذ أرسل قوة صغيرة لمساعدة الملكة، وكانت النتيجة أن دمرت تدمر، وغضب أورليان^(١٦) إمبراطور الروم أيضاً من تدخل إيران. ولما سمع بهرام أن الإمبراطور على وشك الدخول في حرب مع إيران، أرسل له عباءة فاخرة أرجوانية اللون وهدايا أخرى (اللون الأرجواني من اختراع الفينيقيين، وكانت له أهمية في العالم القديم).

ومع ذلك فقد عرف أورليان بعد قليل أن الدور قد جاء على إيران بعد تدمير،
فعمد إلى إثارة شعوب الآلان حتى يغيروا على شمال إيران من ناحية قفقازية.

وكان موقف إيران صعبا في وجود ملك ضعيف الشخصية كيهرام. ومن
حسن حظه وحظ الأسرة الساسانية أن قتل أورليان بعد دخوله بيزنطة (٢٧٥م)
وسرعان ما مات بهرام كذلك.

وقد تم القبض على ماني بأمر هذا الملك، وسلخ جلده وهو حي وعلق
بسهمين في جنديسابور وعرضوه لكي يشاهده الناس.

الخامس- بهرام الثاني (وره ران)

جلس على العرش بعد أبيه (٢٧٥م)، وكان في بداية الأمر جبارا سفاكا
للدماء، ولكنه غيّر من سلوكه بناء على نصيحة أحد الموابذة بعد ما ثار عليه
الشعب طالبا خلعه، ومن أعماله إخضاع قبائل السك الذين كانوا قد استقروا في
سيستان وأفغانستان في منتصف القرن الثاني ق.م، كما سبق أن ذكرنا. واستولى
بهرام بعد ذلك على بلاد أخرى في الناحية الشرقية من إيران، وكان يريد أن
يوصل فتوحاته غير أن حروب الروم حالت دون ذلك، إذ أراد إمبراطور الروم
كاروس^(١٧) أن يحقق ما رسمه أورليان، وبدأ حربه مع السارماتيين^(١٨) الذين كانوا
يقيمون في نواحي جبال القفقاز وفي جنوب روسيا الحالية، ووصل إلى حدود
إيران. ولما كان بهرام قد توجه بقواته ناحية الشرق، وكان بعيدا عن الحدود
الغربية لإيران، فقد أرسل سفيرا إلى كاروس لكي يقوم بمباحثات حول استمرار
السلام والصلح فأجابه كاروس بقوله: " طالما أن ملك إيران لا يخضع فلن أترك
القتال، وسأجعل إيران جرداء لا شجر فيها كما خلت رأسى من الشعر" وبدأ القتال
بعد ذلك، فاستولى على ما بين النهرين وحتى طيسفون.

ولكن حدث في تلك الأثناء رعد وبرق، ووجد الإمبراطور ميتاً بعد ذلك ولا يُعرف هل صعقه البرق أو توفى لسبب آخر. وعلى أى حال، فقد اعتبرت جيوش الروم هذه الحادثة علامة على غضب الله، وثاروا طالبين العودة. وتوفى بهرام سنة ٢٨٢م. وتوجد على نقوده صورة الملكة وابنها الشاب كذلك.

السادس- بهرام الثالث (وره ران)

جلس ابن هرمز على العرش، ولكنه لم يحكم أكثر من عدة شهور ويعرف هذا الملك باسم سكانشاة، لأنه كان قد نصب حاكماً على سيستان بعد الاستيلاء عليها في عهد أبيه.

السابع- نرسى (نرسه)

جلس بعد بهرام الثالث على العرش (٢٨٢م) واعتبره البعض ابن سابور، وعده البعض الآخر ابن بهرام الثالث، والرأى الغالب أنه ابن سابور. قام نزاع بين نرسى وأخيه هرمز حول عرش السلطنة في بادئ الأمر، وانتصر نرسى.

ومن الأحداث المهمة آنذاك تلك الحروب التى قامت مع الروم، فقد كانت أرمينية تابعة لإيران منذ عهد أردشير، غير أن الأرمن لم يقبلوا أمراء الأسرة الساسانية نظراً لتعصبهم للديانة الزرتشتية. وعندما أصبح ديوكلتين^(١٩) إمبراطوراً على بلاد الروم فى سنة ٢٨٦م أخذ ينفذ سياسة كاروس، وكان أول ما قام به هو تعيين تيرداد بن خسرو ملك أرمينية- الذى كان أردشير قد قتل والده- ملكاً على هذه البلاد، وأرسله بجيش إليها، فاستقبله الأرمن بالترحيب. ولم يدم ذلك طويلاً، فقد أبعد نرسى من هناك، وذهب تيرداد إلى ديوكلتين- الذى كان على درجة كبيرة من القوة فى ذلك الوقت، وطلب حمايته.

فأمر غالوريوس^(٢٠) قائد جيش الروم فى الدانوب بالتوجه إلى سورية وتحريك الجيش الرومى ناحية إيران. ومن ناحية أخرى، هجم نرسى على ما بين النهرين، والتقى الجمعان فى سهول تلك البلاد بالقرب من حران. ونشبت معارك شرسة بين الطرفين، ولم تسفر المعارك عن شئ خلال يومين. وفى اليوم الثالث هزم الفرسان الإيرانيون الجيش الرومى، ففترق ولم تسنح له فرصة الانسحاب، فألقى غالوريوس وتيرداد نفسيهما فى الفرات ونجيا بشق الأنفس (٢٩٦م). وفى العالم التالى وخلال فصل الشتاء (٢٩٧م) أرسل ديوكلتين نفس ذلك القائد إلى إيران حتى يعوض هزائمه. ونظرًا للتجربة التى خاضها غالوريوس، فقد تجنب الحرب مع فرسان إيران فى السهول والوديان، وهاجم إيران من ناحية أرمينية، وفاجأ الجيش الإيرانى ليلاً وإنّصر عليه. وكان من نتيجة ذلك أن جرح نرسى وهرب بصعوبة بالغة. وأسر كثير من النبلاء الإيرانيين، فأرسل نرسى رسولا إلى غالوريوس يطلب الصلح، وقدم بعد ذلك رسول من عند الروم إلى نرسى وحدد شروطاً صعبة للصلح، هى:

أولاً: تسلّم الولايات الخمس الواقعة على الساحل الأيمن لنهر دجلة.

ثانياً: عدم تدخل إيران فى أرمينية، والتنازل عن قلعة زنتا (الواقعة فى أذربايجان) بالبلاد المذكورة.

ثالثاً: التصديق على أن گرجستان تحت حماية الروم ووصايتهم، وتأتى أهمية هذا الشرط من أن الگرجيين كانوا يسيطرون على مضيق داريال بين جبال القفقاز وكان سكان الشمال يستطيعون الاعتداء على حدود إيران بموافقتهم.

رابعاً: الاعتراف بأن نهر دجلة هو الحد الفاصل بين الدولتين.

خامساً: أن تكون نصيبين هى المكان الوحيد الذى يتم فيه تبادل البضائع التجارية بين إيران والروم. (حذف هذا الشرط نزولاً على رغبة نرسى).

وأسماء الولايات المذكورة هي:

١- أرزون. ٢- مَك. ٣- زايدة. ٤- رحيمه.

٥- كاردو أو كُردو^(٢١). وأصبح دجلة حدًا بين الدولتين طبقًا لهذه المعاهدة (٢٩٧م).

وأدى جوار الروم إلى وقوع أذربايجان وطيسفون تحت التهديد.

لم يسبق لإيران عقد مثل هذه المعاهدة السيئة مع دولة الروم في أي وقت سواء في عصر الأشكانيين أو بعد ذلك. ولم يتمكن نرسی فيما بعد من الحكم عقب عقد هذه المعاهدة، فترك الحكم ومات بعد قليل كمدا (٣٠١م).

الثامن- هرمرز الثاني (أثوهرمزد)

جلس على العرش بعد أبيه، ولما كان محبًا للعدل فقد سعى لنشره، وزاد في تعمير إيران.

غير أن مدة حكمه كانت قصيرة (٣٠١ - ٣١٠م) وقتل في إحدى المعارك مع العرب في سنة ٣١٠م، إذ كان العرب قد استولوا على البحرين^(٢٢) واعتدوا من هناك على حدود إيران. وتوجد على نقوده صورة للملكة.

التاسع- أذرنرسی (أذرنرسه)

تولى الملك بعد أبيه، وأدت قسوته وسفكه للدماء إلى إعدامه على يد كبار رجال الدولة، كما فقأوا عيني ابنه (٣١٠م) ولم يكن هناك من يجلس على العرش من زوجة شرعية في العائلة المالكة؛ فقد هرب هرمرز أخو الملك المقتول من سجنه وذهب إلى بيزنطة.

ولم يرغب عظماء إيران في انتخابه كملك بسبب أن عاداته وأخلاقه كانت يونانية. ومن ثم انتظروا ولادة طفل لامرأة هرمز الثاني، وبمجرد أن أعلن الموبد أنه سيكون ولداً اعتبروه ملكاً، وعلقوا التاج في مخدع الملكة، وأصبح الجنين صاحب تاج وعرش.

العاشر- سابور الثاني (شاه بوهر) الكبير

حكم سابور لمدة سبعين عاماً، منها عدة شهور قبل أن يولد. تولى الملك زمام الأمور في سن السادسة عشرة من عمره، وكانت إيران حتى ذلك الوقت قد نهجت في سياستها الخارجية أسلوب الحيطة والروية والدفاع ضد الاعتداءات التي حدثت على حدودها، والتي كانت تحدث أحياناً من ناحية البحرين، وأحياناً أخرى من ناحية ما بين النهرين أو الشمال، وتهدد أيضاً طيسفون نفسها.

وكان أول ما قام به سابور من أعمال أن سير سفناً في الخليج، فخذل عرب البحرين وأصابهم بنكبات. ويروى أنهم كانوا ينقبون اكتاف الأسرى بأمر شابور ويمررون بها حبلاً، ولهذا السبب عرف باسم ذى الأكتاف^(٢٣)، غير أن الباحثين المعاصرين يعتقدون أن نسبة هذا العمل لسابور غير صحيحة، وأنه لقب بهذا اللقب لأنه كان عريض المنكبين، وعندما نسى السبب في تلقبه بهذا اللقب فيما بعد، اختلقوا هذه الرواية حتى يوجدوا سبباً^(٢٤).

الحرب الأولى مع الروم

كان وضع سابور صعباً بعد تسوية الأمور مع العرب، ذلك لأنه إذا لم يحارب الروم سيكون عرضة للاضطرابات الداخلية والسخط، وإذا قام بذلك فإنه سيصير طرفاً في مقابل إمبراطور كقسطنطين الذي كان جاداً نشطاً، ويعتبر أفضل قائد في عصره، ولكي نتفهم الأحداث لابد لنا أن نتذكر أن الدين المسيحي كان

الدين الرسمي للروم في ذلك الوقت (مرسوم ٣١٣ المعروف بمرسوم ميلان)، وصار قسطنطين نفسه بعد أن اعتنق هذا الدين نصيراً مخلصاً له وناشراً إياه، وإعتبر حماية المسيحيين المقيمين في إيران ضمن مهامه أيضاً. ومن هنا أضاف خصومة دينية إلى جانب الخصومة القومية التي كانت موجودة بين الإيرانيين والروم في كل آسيا الغربية. ومن حسن حظ سابور أن تطورت الأمور، ورأى نفسه قادراً على حرب الروم، فقد توفي قسطنطين عدوه اللدود (٣٣٧م)، وغضب أهل أرمينية على الملك تيرداد أيضاً بعد قيامه بنشر الدين المسيحي، ولم يكن خلفاؤه الذين خلفوه بعد موته أقوىاء (٣١٤م).

وأدت تلك الأوضاع إلى قيام الحرب مع الروم، وبدأها سابور، واستمرت هذه الحروب اثني عشر عاماً دون أن يحصل أى من الطرفين على نتيجة حاسمة (٣٣٨ - ٣٥٠م).

وفى تلك الأثناء، وقعت حوادث في الولايات الشرقية اضطر سابور على أثرها إلى ترك حصار نصيبين والذهاب إليها (٣٥٠م) والحادثة التي اقتضت حضور سابور إلى البلاد الشرقية الإيرانية هي هجوم الهون على حدود إيران.

استمرت حروب سابور مع الهون البرابرة سبع سنوات (٣٥٠ - ٣٥٧م)، وخرج من هذه الحروب منتصراً. وفى هذه المرة التي قصد فيها بلاد الروم ثانية كان قسم من الهون مع ملكهم گرومابات ضمن جيشه كذلك، وقد كان لانتصار سابور هذا أهمية كبيرة في الحفاظ على الحضارة الإيرانية^(٢٥).

الحرب الثانية مع الروم (٢٥٩-٣٦٢)

عندما كان سابور مشغولاً بحرب الهون؛ استفاد ملك أرمينية من هذه الظروف، فتزوج ابنة أحد عظماء الروم عن طريق إمبراطورهم، وصارت

الزوجة الرومية ملكة، وعلى أثر ذلك خرجت أرمينية مرة ثانية من تحت سيطرة
 إيران، وفي تلك الأثناء التي كان فيها سابور مشغولاً بالحرب على الحدود الشمالية
 الشرقية الإيرانية سمع أن إمبراطور الروم يرغب في أن تبذل الهدنة إلى صلح
 دائم وثابت، فكتب رسالة بهذا المعنى إلى إمبراطور الروم يقول فيها: "تحية
 وسلاماً من أخي الشمس والقمر الملك سابور إلى أخيه القيصر كنستانسيوس. إن
 كتابك يشهدون على أن المناطق الواقعة بين نهر إستريمون (إستروماي حالياً)
 وسواحل مقدونيا كانت ملكاً لأجدادي في الماضي، وإذا كنت أريد منك إعادة كل
 هذه البلاد فإنني بذلك لا أتجاوز الحد، ولكن روح المسالمة والإعتدال هي التي
 دفعتني إلى الإكتفاء باسترداد أرمينية وما بين النهرين اللتين استوليت عليهما من
 جدى بدون وجه حق. وأفيدكم علماً أنه إذا عاد رسولى دون الحصول على النتيجة
 المرجوة، فإنني سأدخل معك في الحرب بكل ما أملك من قوة بعد مرور الشتاء"،
 ولكي يمنع قيصر الروم وقوع الحرب، أرسل رسله إلى البلاط الإيراني، ولم
 يتحقق الهدف المنشود، ففي سنة ٣٦٠م بدأ سابور الحرب فاستولى على قلعة "أمد"
 الحصينة والتي تعرف الآن بديار بكر بمشقة بالغة، ثم استولى على بزابد^(٢٦)
 (بازبدى)، ولم يستطع كنستانسيوس عمل شيء نظراً لاشتغاله بالشئون الداخلية.
 وعندما صار جوليان^(٢٧) إمبراطوراً على بلاد الروم اقتفى على الفور أثر سياسة
 تراجان الخاصة بإيران، فجمع جيشاً كبيراً في سنة ٣٦٣ في سورية وأرسل سابور
 رسولاً إليه، فرده القيصر بخشونة بعد أن كان قد استعد تماماً، ووصل عدد أفراد
 جيشه إلى مائة ألف جندي، ودخل جوليان مع العرب في مباحثات بحيث يحافظ
 فرسانهم على طرق المواصلات، ويقومون بعمليات ضد فرسان إيران، لكنه لم
 يعطهم نقوداً وقال على الإمبراطور المحارب أن يكون لديه الحديد لا الذهب. ولهذا
 اختلف العرب معه في الباطن، ورغم ذلك عبر إمبراطور الروم بنجاح نهر الفرات
 لما كان له من قوة كبيرة، واستولى على بعض مدن ما بين النهرين ومنها مدينة
 فيروزسابور. وتقدمت السفن الرومية من الفرات إلى دجلة عن طريق قناة رئيسية.

وكان عددها يصل إلى ألف ومائة سفينة. وعبر الجيش الرومى إلى الساحل الشمالى للنهر المذكور.

وعلى شاطئ دجلة نشبت معركة للمرة الأولى بين الفريقين، فقد أرادت حامية طيسفون أن توقف زحف الروم بأقبالها الحربية. ولكن جوليان هجم ليلاً على الساحل الأيسر لنهر دجلة بعد أن تغادى الأفيال. وبعد أن استولى الروم على مواقع حصينة فى الطرف الأيسر للنهر المذكور وقعت المعركة، وقاوم الإيرانيون اثنتى عشرة ساعة ثم احتّموا بطيسفون، ووقعت غنائم كثيرة فى أيدي الروم.

أراد جوليان فى بادئ الأمر حصار طيسفون، لكنه عندما وجد أنها حصينة إنصرف عن ذلك، وأمر بحرق كل السفن الرومية فى نهر دجلة، وانسحب إلى كردستان، وبمجرد أن علم جيش إيران بانسحاب الروم قرر تعقبهم، ووقع الروم فى مشكلة بسبب المؤمن، فقد قطع الإيرانيون خطوط اتصاليهم، وهنا أدرك جوليان قيمة المساعدة التى كان يمكن أن يقدمها العرب للروم. ولم تسفر الحرب عن شئ فى اليومين الأولين، وفى اليوم الثالث هاجم الإيرانيون الجيش الرومى من المقدمة والمؤخرة، وفى الوقت الذى كان فيه جوليان ينتقل من موقع الى موقع لقيادة جيشه رماه أحد الجنود الإيرانيين بحربة فقتله، وبعد موته انتخب أحد كبار رجال الدولة الرومية وهو جوفيان^(٢٨) ليتولى قيادة الجيش. وكان جل همه إخراج الجيش الرومى من منطقة هجمات الجيش الإيرانى. وكانت هذه الهجمات متصلة وشديدة إلى درجة أن الجنود الروم لم يجدوا بدا من عبور نهر دجلة سباحة، فألقوا بأنفسهم فيه.

وبعد أن تعب جيش إيران من الحرب مع الروم أمر سابور بعقد صلح معهم، فقبله الروم بترحاب شديد. وكانت شروط الصلح كما يلى:

أولاً: عودة الولايات الخمس التى سلبت إلى الروم فى عهد نرسى إلى إيران.

ثانياً: عودة نصيبين إلى إيران وكذلك الحال بالنسبة لسنجار.

ثالثاً: أصبح القسم الشرقي من ما بين النهرين مرتبطاً بإيران.

رابعاً: اعتراف دولة الروم بأن أرمينية خارجة عن منطقة نفوذ الروم (٣٦٣م).

وقد أعطت هذه المعاهدة - التي كانت ذات فائدة عظيمة لإيران - مكانة عظيمة لسابور في التاريخ ذلك أن المؤرخين يعتقدون أن إيران لم تكن قد بلغت مثل هذه المرتبة العالية منذ عصر الإسكندر وحتى ذلك الحين، ولهذا السبب، ولفتح سابور الأخرى، أطلقوا عليه لقب الكبير.

وعز على الروم استرداد الولايات الواقعة في تلك الناحية من دجلة، وخاصة ضياع نصيبين التي كانت تعد قلعة حصينة للروم في الشرق. هذه القلعة التي صارت - كما سنذكر - منطلقاً لعمليات الإيرانيين الحربية المهمة في حروبهم ضد الروم، وبدأت من جديد حروب سابور مع الروم بعد قليل، فلم يبق جوفيان في منصب الإمبراطور إلا لفترة قصيرة، وقسم قائلن سين^(٢٩) إمبراطورية الروم بعد موته إلى قسمين، وخص نفسه بالقسم الغربي، وعهد بالقسم الشرقي إلى أخيه والنس^(٣٠). ولما كان جوفيان هو الذي عقد المعاهدة السابقة الذكر، فضلاً عن كونها مهينة للروم، فقد راعى قائلن سين بنودها في الظاهر، ولكنه كان يود إلغائها في الباطن، ومن ناحية أخرى تعجل سابور تنفيذ المعاهدة، فشب النزاع والعداء مرة أخرى بين إيران والروم حول أرمينية وگرجستان، ودخل سابور وقائلن سين في حرب استمرت عدة سنوات دون نتيجة تذكر. وفي النهاية تعب الطرفان في سنة ٣٧٦م وقررا ألا يتدخل أحدهما في شؤون دولتي أرمينية وگرجستان ويسيطر عليهما.

توفي بعد ذلك سابور في سنة ٣٧٩م بعد حكم دام سبعين عاماً، وترك لخلفائه دولة إيران القوية التي تغلبت في عهده على كل المشكلات التي تعرضت لها: فقد توقفت اعتداءات العرب والهون والگرجيين على حدود إيران، وعادت

الولايات التى كانت قد انتزعت منها أيام جده. وكان لصد الهون أهمية كبيرة جدا لإيران، فهم أنفسهم الذين إنتزعوا شعوب اليوئه جى والسك من مواطنهم وأبعدوهم إلى آسيا الوسطى، وهم أنفسهم بدو الصحراء الأجلاف الذين ضغطوا على شعوب أوروبا الشرقية والوسطى أى شعوب القوط الشرقيين^(٣١) والقوط الغربيين^(٣٢) وغيرهم. ونتج عن ذلك هجرة كبيرة لشعوب الجرمان وغيرهم فى أوروبا، كما أدى فى النهاية إلى انقراض دولة الروم الغربية ذات الألف عام، وينسب إلى سابور بناء مدينة شابور فى المرة الثانية.

الحادى عشر- أردشير الثانى (آرت خستر)

جلس على العرش بعد أبيه (٣٧٩-٣٨٢م)، وكان أردشير ضعيف الشخصية، ولكنه كان حسن الطبع والخلق، ومن الحوادث التى وقعت خلال حكمه أنه ألغى كل الضرائب، ومن هنا عرف باسم أردشير الخير. وخلع فى السنة الرابعة بسبب رغبته فى تقليل نفوذ النبلاء العظيم.

الثانى عشر- سابور الثالث (شاه پور)

جلس سابور ابن سابور الثانى على العرش بعد أردشير (٣٨٢-٣٨٨م). ومن أهم الحوادث التى حدثت فى عصره تقسيم أرمينية، فقد استفاد الروم من ضعف أردشير بعد وفاة شابور الكبير وأجلسوا على عرش أرمينية أحد الأمراء الأشكانيين ويعرف باسم فرزدات^(٣٣) وهو الذى قتل الوزير الذى عينه الروم. وثار أخوه مانويل^(٣٤) ضده، وطلب العون من أردشير، فأرسل له جيشاً لمساندته. وأدى هذا العمل وغيره من الحوادث الأخرى إلى اشتداد النزاع بين إيران وبلاد الروم حول أرمينية، ولكن طلبت الدولتان الصلح فى هذه المرة، لأن أردشير لم يكن يميل للحرب، كما كانت دولة الروم مشغولة بالشعوب المسماة بالقوط^(٣٥)، هذه الشعوب

التي اعتدت على أراضي الروم الشرقية (على أثر ضغط الهون على الشعوب الأوروبية). وأدى ذلك إلى انتهاء المباحثات التي كانت قد بدأت أيام أدرشير الثاني، وقبل الطرفين في النهاية تقسيم أرمينية، فقسمت هذه البلاد- التي كانت موضع نزاع وسببا في حروب بين إيران والروم لعدة قرون في العصر الأشكاني وفي هذا العصر- بطريقة جعلت القسم الأكبر منها جزءاً من إيران والقسم الأصغر (الغربي) جزءاً من إمبراطورية الروم، سوى أنه قد عين لحكم القسمين أمراء أشكانيين من قبل إيران وبلاد الروم (٣٨٤م).

الثالث عشر- بهرام الرابع (ورهان)

جلس على العرش بعد أخيه (٣٨٨- ٣٩٩م) ويعرف هذا الملك باسم كرماتشاه، لأنه كان والياً على كرمان أيام أبيه، وفي عهده ثار خسرو والي أرمينية الإيرانية، فقد عهدت إليه دولة الروم بحكم أرمينية الروم أيضاً، وكان أن اتفق خسرو هذا مع تيودوس^(٣٦) إمبراطور الروم على الخروج عن طاعة إيران فأرسل بهرام جيشاً إلى أرمينية، وأحضره إلى إيران، وحبسه في قلعة فراموشى^(٣٧) ونصب أخاه الذي يدعى بهرام سابور بدلاً منه. وقد قتل بهرام أثناء الاضطرابات التي حدثت في صفوف جيشه.

وذكر البعض أن تقسيم أرمينية يرجع إلى عهده، ويعتقدون أن هذه الحادثة حدثت في عام ٣٩٠م^(٣٨).

وفي تلك الأثناء قسم تيودوس إمبراطورية الروم إلى قسمين (٣٩٥م):

القسم الشرقي، وهو الذي عرف بالروم الشرقية أو ببيزنطة. والقسم الغربي، وهو الذي يعرف بالروم الغربية.

وكانت القسطنطينية عاصمة القسم الأول وروما عاصمة القسم الثاني. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا جاورت الروم الشرقية^(٣٩) إيران الساسانية.

الرابع عشر- يزدگرد الأول (يزدكرت)

جلس ابن شاپور الثالث على العرش في سنة ٣٩٩م^(٤٠) ويطلق عليه في الروايات الإيرانية لقب الأثيم (بزه كار) غير أن المؤرخين الأجانب يقولون إنه كان ملكًا ذا إدراك طيب ومروءة. وقد سمي بالأثيم لأنه أراد الحد من نفوذ العظماء ولم يفسح المجال أمام تعصب المغان الديني.

وقد دخلت إمبراطورية الروم الشرقية تحت حماية يزد گرد، فعندما أحس آركاديوس^(٤١) إمبراطور بيزنطة بدنو أجله، وكان ولي عهده تيودوس ما زال طفلاً في المهد، ولكي يجلس ابنه على العرش دون عقبات ويحفظ الإمبراطورية الشرقية من خطر الحروب مع إيران، أوصى بها ليزدگرد في وصيته، وطلب منه حماية الإمبراطورية. وبمجرد أن اطلع يزد گرد على محتوى الوصية أرسل عالمًا عظيمًا مجربًا يدعى أنتيوخوس إلى القسطنطينية حتى يعلم تيودوس ويربيه، وأعلن لمجلس الشيوخ في بيزنطة أن عدو الإمبراطور الصغير هو عدو للملك.

كبر تيودوس الثاني في رعاية يزدگرد وجلس على العرش، ويقال إنه يزدگرد لم ينقص من فتوته ومروءته تجاه بيزنطة في أي وقت طوال حياته، ولم تسبب إيران أي أذى لهذه الدولة. وحتى بعد أن أرسل الإمبراطور رسوله إلى بلاط حاميه طالبًا رعاية المسيحيين المقيمين في إيران، قد استقبل يزد گرد السفير المذكور- وكان من رجال الدين ذوي الدرجة الرفيعة- استقبالًا حارًا، وعدل من سلوكه تجاه المسيحيين، وأصدر أوامره بمنح الحرية لمسيحيي إيران في بناء الكنائس وعبادة المسيح (٤٠٩م).

وفى تلك الأثناء، كانت دولة بيزنطة تعاني بشدة من ضغوط شعوب قوية فتية فى الشمال، وهى تتكون من طوائف مختلفة وتهاجم دائماً القسم الشرقى والغربى من بلاد الروم نتيجة ضغط الهون عليها، كما سقطت مدينة روما عاصمة دولة الروم الغربية ذات الألف سنة فى يد الآلاريك عام ٤١٠م. ويعتقد المؤرخون أن يزدگرد استطاع فى ذلك الوقت الاستيلاء على بقية ما بين النهرين والشام الكبرى وآسيا الصغرى كذلك ولكن حب يزدگرد للصلح والمودة التى أظهرها أركاديوس تجاهه منعت قيام الحرب بين إيران وبيزنطة.

وتعد مدينة يزد من إنشاء يزدگرد، ولا يعرف محل وفاته. وقد توفى طبقاً لرواية إيرانية بالقرب من بحيرة سو (چشمه سيزنیشابور) من رفسة فرس الماء فى حين يظن البعض أنه مات نتيجة مؤامرة (٤٢٠م).

وبعد يزدگرد أراد ابنه شابور - الذى كان يحكم فى أرمينية - أن يجلس مكان أبيه على العرش. ولكن لم يمض وقت طويل إلا وقتله كبار رجال الدولة وأجلسوا على العرش أحد أقرباء يزدگرد ويدعى خسرو.

الخامس عشر- بهرام الخامس (كور)

شب بهرام عند النعمان ملك الحيرة^(٤٢١) فى قصر الخورنق^(٤٢٢)، وجلس على العرش بمساندة المنذر بن النعمان. وطبقاً للرواية الإيرانية فإن الأمر استقر على إنهاء النزاع بين بهرام وخسرو على عرش السلطنة بأن يوضع التاج بين أسدين، ومن يلتقطه من هذين المتنافسين يصبح ملكاً، فوفق بهرام، وفى عصر هذا الملك هاجمت شعوب جديدة من بدو الصحراء الولايات الشمالية الشرقية لإيران وباختر (بلخ)، ولمزيد من الإيضاح لا بد أن نذكر أنه فى سنة ١٦٣ ق. م ضغطت شعوب اليونه جى على السك الذين كانوا يعيشون بين جيحون وسيحون وطرودهم إلى باختر، ثم أخذوا منهم باختر فى سنة ١٣٠ ق. م فأتجه السك إلى البلاد المجاورة لها

من ناحية الجنوب. وقد أخضعت طائفة من اليوثة جي تسمى "كويشان" طوائف أخرى في العصور التالية، وأقامت دولة عرفت باسم "كوشان" وأقام الروم علاقات معهم لكي يسببوا متاعب لإيران.

وفى تلك الأثناء (٤٢٥م) أغارت شعوب من بلاد ما وراء جيحون على بلاد كويشان من جديد، وكانت هناك صلة قرابة بين هذه الشعوب وشعوب اليوثة جي، ويسمىهم الصينيون باسم (يزا) والروميون (هفتالت) والمؤرخون الإيرانيون باسم الهياطلة، ومن المعتقد أن هذه التسمية الرومية والإيرانية لهم مأخوذة من كلمة "يئاليت" بمعنى الرئيس، كما سموهم أيضاً بالهون البيض.

وكان الهياطلة قوماً أقوياء أشداء، وقد سبب ظهورهم فى هذه الناحية من جيحون واحتلالهم لباختر (بلخ) ذعراً فى الشرق (٤٢٥م)، واضطرب الإيرانيون من هجماتهم.

ولكى يخفى بهرام حركته ناحية شمال إيران وشرقها توجه أولاً إلى (أذربايجان)، ثم تحرك فى جوف اللبالي، فوصل بسرعة محيرة إلى الهياطلة، ودخل فى حرب معهم فى طليعة الصباح، فقتل خاقانهم واستولى على غنائم كثيرة. ثم تعقب الهياطلة حتى نهر جيحون، وعبر النهر المذكور ووجه إليهم ضربة كانت من الشدة بحيث لم يتجهوا ناحية إيران مرة أخرى طوال حكم بهرام. وتم تزيين بيت نار أدرگشتاسب المشهور بمدينة شيز^(٤٤) بتاج خاقان الهياطلة الذى كان ضمن الغنائم.

الحرب مع بلاد الروم الشرقية

كان السبب فى قيام هذه الحرب - كما ذكر مؤرخو اليونان - هو ما كان يتعرض له المسيحيون المقيمون فى إيران من أذى، وفرارهم من تعصب المغان (الكهنة الزرادشتيون)، وذهابهم إلى بيزنطة، فطلب بهرام تسليمهم، ولما علم

تيودوس أنهم سيعرضون لعقوبات شديدة امتنع عن تسليمهم فأمر بهرام بحبس العمال الروم الذين كانوا يعملون في صناعة الذهب والفضة ومصادرة أموالهم في إيران. وعلى أثر ذلك تصاعدت الأزمة، وانتهت بقيام الحرب.

دخل مهر نرسی، وهو من عظماء الطبقة الأولى في إيران ويصل نسبه إلى ويشناسب والد داريوش الكبير (دارا)، في حرب ضد جيش بيزنطة قرب نصيبين، ولكنه لم يحقق انتصارًا، عندئذ أسرع بهرام لمساعدة نصيبين. وبمجرد أن علم القائد الرومي بهذا أحرق كل أدوات الحصار ومعداته وانسحب إلى الأراضى الرومية. وحاصر بهرام تيودوسيوبوليس التي تعرف اليوم باسم أرزروم^(٤٥)، ولكنه لم ينجح في السيطرة عليها.

استمرت الحرب بعد ذلك في السنة التالية (٤٢٢م)، ورغم أن الإيرانيين لم يوقفوا فيها، فإنهم سرعان ما عوضوا خسائرهم. وتعب الروم في نهاية الأمر فطلبوا عقد صلح، وتم عقد معاهدة مدتها مائة عام كان من بنودها حرية الديانة المسيحية في إيران وحرية الديانة الزرتشتية في الروم.. وطبقًا لشرط آخر من شروطها تعهدت دولة الروم بدفع مبلغ سنوي لدولة إيران لرعاية الحاميات القوية في قلعة داريال بالقفقاز، حتى يمنعوا بذلك اعتداءات سكان الشمال على حدود إيران والروم. ولم تنفذ المادة الخاصة بحرية الديانة المسيحية بسبب معارضة المغان. وتوفي بهرام سنة ٤٢٨م، ويقال إنه سقط في مستنقع. وقد أطلقوا عليه لقب بهرام گور، لأنه كان مغرمًا بصيد حمار الوحش. وقد نظم نظامي الكنجوى كتاب "هفت گنبد" عن هذا الملك^(٤٦). وكانت الهزيمة التي حاقت بالهياطلة على يد بهرام ذات أهمية كبيرة بالنسبة لإيران في ذلك الوقت.

وفي عهده طلب عظماء أرمينية تعيين حاكم، لأنهم لم يرغبوا في أن يكون ابن بهرام شابور ملكا على أرمينية، وأن تصير هذه البلاد إحدى ولايات إيران، وطبقًا للروايات الإيرانية، توجه بهرام إلى الهند بعد انتصاره على الهياطلة، فسلم

إليه ملك الهند ولايتى السند ومكران فى مقابل إبعاد خطر الهياطلة الذين كانوا يشكلون خطرا عظيما على هذه البلاد، وأحضر بهرام معه من هناك اثنى عشر ألف شخص من اللوريين^(٤٧) للعزف والغناء فى إيران.

ولا نعرف مدى صحة هذه الروايات، ولكنها تبين وجود علاقات بين إيران والهند فى ذلك العصر.

السادس عشر- يزدگرد الثانى (يزد كرت)

جلس على العرش بعد أبيه، وقد منعه غارات الهياطلة على الولايات الشمالية والشرقية الإيرانية من الاهتمام بأمر الروم. وفى ذلك الوقت كانت الديانة المسيحية قد انتشرت فى أرمينية، وأراد يزد گرد أن يجعل الزرتشتية دينها حتى لا تتفصل عن إيران، ولكن الخط الذى كان قد اخترعه ميسروب الأرمنى (٣٩٧م) قوى أسس القومية لدى الأرمن، وشجعهم على المقاومة والصمود.

وقد نشر وزير إيران مهر نرسى إعلانا رفض فيه مبادئ الدين المسيحى، وكتب كبار رجال الدين الأرمن اعتراضا على هذا الرفض، وثار بعد ذلك الأرمن.

وهنا أسرع يزد گرد إلى أرمينية بعد أن أنهى حروبه فى الشرق مع الهياطلة ونشبت حرب دموية فى آواراثير، وقتل قائد جيش الروم إردان مامى كنى، وأسر زعيم رجال الدين الأرمن مع عشرة من كبار القساوسة. وساد الهدوء بعد ذلك وأشعلت النيران فى بيوت النار. وكانت الردة التى حدثت عن المسيحية واعتناق الدين الزردشتى ناتجة عن عدم تأصل الدين المسيحى بين عامة الشعب فى ذلك الوقت. ومن أحداث سلطنة يزد گرد تلك المعاهدة التى عقدها مع الروم الشرقية، وتعهد تيودوس بموجبها بعدم إقامة تحصينات بالقرب من الحدود الإيرانية، وقبل كذلك دفع مبلغ سنوى حتى ترعى إيران حامية قوية فى دربند

(قفقازية- على شاطئ بحر الخزر) حتى تمنع سكان الشمال من الاعتداء على حدود إيران والروم الشرقية، ولم يوفق يزدگرد في حروبه مع الهياطلة ذلك التوفيق الذى كان لبهرام گور، ولكنه رغم ذلك وفق في منع غاراتهم على حدود إيران. وقد استمرت هذه الحروب من سنة ٤٤٣ حتى سنة سنة ٤٥١م.

السابع عشر- هرمز الثالث (أنوهر مزد)

جلس على العرش بعد أبيه، لأن أخاه الأكبر فيروز كان فى سيستان بعيدًا عن العاصمة (٤٥٧م)، وعلى أثر هذا الخبر ذهب فيروز إلى خان الهياطلة واستعاد العرش من أخيه بمساعدته.

الثامن عشر- فيروز الأول (بيروز)

جلس على العرش بعد أخيه (٤٥٩م)، وفى عهده حدث قحط كبير فى إيران، واستمر عدة سنوات. ولكن فيروز أدار البلاد بحكمة؛ إذ خفف الضرائب ووفر المؤن والغلال من خارج البلاد للشعب، وقرر مساعدة الأغنياء للفقراء.

وفى ذلك العهد نشأ الاحتفال بعيد المطر (آب ريزگان)^(٤٨) كتذكارة للأمطار التى سقطت.

ولم تقم الحرب فى عهده ضد بيزنطة، إذ شغلت الدولتان كلاتهما بشعوب الشمال القوية التى أغارت على بلادهما، فقد أغار الهياطلة على إيران وأغار الهون وغيرهم على بلاد الروم الشرقية. وحدث أن استفاد الآرانيون (الألبان)^(٤٩) من الحروب التى وقعت بين هرمز وأخيه فيروز، فتمردوا ثم خضعوا من جديد لإيران نتيجة ما بذله فيروز.

حروب الهياطلة

بعد أن فرغ فيروز من هذه المشاكل اتجه إلى النواحي الشرقية من إيران حتى يشتبك في حرب مع الهياطلة ولكنه لم يوفق، فطبقاً للروايات الإيرانية رضى ملك الهياطلة، الذى يسميه بعض المؤرخين آخ شنواز ويسميه البعض الآخر خشنواز، بالصلح بشرط أن يزوجه ملك إيران ابنته. فقبل فيروز ولكنه أرسل له جارية بدلاً من ابنته، وأدرك خشنواز تلك الخدعة، فطلب من ملك إيران أن يرسل له عددًا من كبار الإيرانيين لتعليم جنوده وتدريبهم وإعدادهم للحرب. عندئذ أرسل فيروز ثلاثمائة من كبار رجال الدولة، فقتل خشنواز بعضهم وأصاب الباقين بعاهات وأعادهم إلى فيروز مع رسالة يبلغه فيها بأن هذه الفعلة هي الرد على الخدعة التى قام بها الملك. وهكذا بدأت الحرب الثانية بين الهياطلة وفيروز.

هجم فيروز هذه المرة من ناحية جرجان فأسر. وتفصيل ذلك كما جاء فى الروايات الإيرانية التى ذكرها الطبرى أن خشنواز سحبه بالخدعة إلى واد ليس له مخرج، وعندما دخل فيروز بجيشه هذا الوادى سد مدخله. ولم يكن هناك بد أمام فيروز سوى بدء مباحثات الصلح، وقبل خشنواز الصلح الأبدى بشرط أن يخر ملك إيران صاعراً أمامه على الأرض. وكان قبول هذا الشرط من جانب فيروز أمراً صعباً جداً، لكنه لما لم يجد بداً من ذلك قبل وقال له أحد الموابذة مطيئاً خاطره: إن هذه الحركة من جانب الملك تعنى عبادته للشمس. وفى النهاية غضب فيروز من سلوك خشنواز المتسم بالإهانة، فصمم على الخروج من هذا الشرك.

ولما كان قد اتفق فى المعاهدة، وكذلك أقسم فيروز على ألا يتجاوز المنارة، فقد انتزعوا هذا العمود بأمر الملك وحركوه فى مقدمة الجيش. وبهذه الطريقة توجه فيروز إلى بلخ بجيش كبير وخمسمائة فيل، ولكن الهياطلة سدوا عليه الطريق وقالوا لجنوده إنهم إذا حاربوا فإن القسم الذى أقسمه ملك إيران بالألا يتجاوز تلك المنارة سيمنعهم. ولهذا انفصل نصف جنوده فى خندق كان خشنوار وجنوده قد حفروه على رأس الطريق وأخفوه، ولقوا جميعاً حتفهم (٤٨٣م).

وأحداث هذه الواقعة متناقضة، وأغلبها يشبه الأساطير، فمثلاً إذا كان فيروز قد حوَّصر في واد فكيف تأتي له جمع خمسمائة فيل، وإذا كانت الأفيال معه فلماذا لم يستول عليها خشنواز بعد حصار فيروز؟ شيء آخر، إذا كان جيش خشنواز قد سد مدخل هذا الوادي ولم يكن له مخرج فكيف تسنى لفيروز الذهاب إلى بلخ؟ كذلك تبدو مسألة المنارة شيئاً خرافياً. وحقيقة الأمر يجب أن تكون على النحو التالي: أغار فيروز على الهياطلة من ناحية گرگان ولم يوفق، فأراد أن ينسحب بعد ذلك، فضل الطريق في صحراء آخال الحالية دون ماء ولا علف، وحوَّصر بعد ذلك في موضع ما وقتل أثناء القتال.

ولا يجب أن تكون مسألة إرسال جارية إلى خشنواز بدلا من أخت فيروز صحيحة كذلك، ولهذا السبب اختلفوا هذه الرواية وهي أن تزويج خان الهياطلة غير المتحضر من ابنة ملك إيران كان أمراً عسيراً على الإيرانيين.

شيد فيروز سورا في گرگان امتد من بحر الخزر على امتداد نهر گرگان من الناحية الشمالية حتى يكون سدا في مقابل الهياطلة، وتعرف بقاياها اليوم باسم سد الإسكندر.

وفي عهد فيروز ثارت أرمينية وانتخب لحكمها ملك يدعى ساهاك، ويرجع سبب هذه الثورة إلى تعصب المستخدمين الإيرانيين ومعاداتهم للدين المسيحي، ولحق الگرجيون بالأرمن أيضاً، غير أن القائد الإيراني "زرمهر" قاد جيشاً على نفقته إلى أرمينية وذلك في غياب فيروز وقاتل ساهاك وقتله. وخدمت الفتنة مؤقَّتاً لكن الأوضاع الحقيقية لهذه البلاد لم تكن على ما يرام.

التاسع عشر- بلاش (ولگاش):

حكم بعد أبيه (٤٨٣ - ٤٨٧). وقد أمر حاكم سيستان "سوخ" بالدخول في مفاوضات مع "خشنواز" وعقد صلح معه، ولكي يوفق هذا الحاكم في مفاوضاته أعد جيشاً ثم بدأ المفاوضات.

ووافق خشنواز على إعادة الأسرى والغنائم التي كان قد غنمها من جيش فيروز مع "فيروز دخت" ابنة فيروز وزوجاته، وعلى عقد الصلح مع إيران بشرط أن تدفع مبلغاً سنوياً.

وقبل البلاط الإيراني هذا الاقتراح (٤٨٣ - ٤٨٥ م). ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا المبلغ كان يدفع لمدة عامين. واهتم بلاش بشئون أرمينية بعد استرداد الأسرى، وطلب "واهان" قائد الأرمن من الملك أن يعلن حرية الدين المسيحي في أرمينية، لكن بلاش لم يوافق في بداية الأمر. وفي غمرة هذه المشاكل تعرض بلاش لكارثة حرب أهلية، ذلك أن أخاه "زارن" طالب بعرش السلطنة. فأسرع وأهاب بكل قواته لمساعدة الملك. وكان أن قبل بلاش رغبة واهان بعد أن انتهى من هذه الحرب، وصار الدين المسيحي ديناً رسمياً في أرمينية وكرجستان. وأصبحت هاتان الدولتان حليفين لإيران سرّاً.

العشرون - قباد الأول (كوات)

قباد هو ابن فيروز. أراد أن يستولى على العرش أيام حكم بلاش لكنه لم يوفق. وهرب إلى خشنواز، فاستقبله خان الهياطلة بحفاوة بالغة، وأعد له جيشاً بعد ثلاث سنوات لكي يحارب بلاش. لكن بلاش مات في تلك الأثناء (٤٨٧ م). وقبل عظماء إيران تولى قباد للعرش، وقد حكم هذا الملك مرتين خلال سنتي ٤٨٧ و ٥٣١ م، وأهم أحداث عصره ما يلي:

اهتم قباد في بداية الأمر بشعوب الخزر، وهم شعوب من الجنس الأصفر الذين اختاروا الإقامة على السواحل الغربية لبحر الخزر، واشتغلوا بالتجول في الصحراء والإغارة على البلاد المجاورة لهم، وكانوا غالباً ما يقدون إلى وادي نهر

كورا (كوروش القديم)، فدخل قباد معهم في حرب وانتصر عليهم وقتل عددا كبيرا منهم، واستولى على غنائم لا حصر لها.

ظهور مزدك - خلع قباد وعودته إلى الحكم

كان مزدك بن بامداد من أهالي نيسابور (يعتقد البعض أن مزدك من مكان تعرف أطلاله اليوم باسم تخت جمشيد). وقد جاء هذا الشخص بدين سيأتي الحديث عنه في موضعه، وخلصته أنه يجب أن تكون الأموال والنساء شركة، وقد قبل قباد دينه في أول الأمر بهدف الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين، ولكن ضاعت هيئته بعد ذلك بين الناس، فاجتمع النبلاء ورجال الدين على أثر ذلك وخلعوه، وأجلسوا أخاه جاماسب على العرش. وبلغ الغضب بالناس إلى درجة أنهم أرادوا قتله بادئ الأمر، لكن جاماسب منعهم من هذا التفكير وحبسه في قلعة فراموشى (السيان) (٤٩٨م).

هرب قباد من محبسه بمساعدة زوجته وذهب إلى الهياطلة، ثم عاد إلى إيران بمساعدتهم. ولما لم يقاومه جاماسب، جلس على العرش من جديد (٥٠١م) ولم يتبع مزدك في هذه المرة رسمياً، وقد ذكر البعض أنه كان يؤمن به سرا، لكن سلوكه بعد فترة يكذب هذا.

الحرب مع بيزنطة

كان قباد قد تعهد في مقابل مساعدة الهياطلة له بدفع مبلغ إضافي، ولكن لم يكن بالخرانة ما يكفي لهذا، وفي هذه الظروف تذكر قباد أنه يجب على دولة الروم الشرقية أن تدفع مبلغاً سنوياً للمحافظة على الحامية القوية في دربند طبقاً للمعاهدة الأخيرة التي عقدت بين يزيدگرد الثاني وتيودوس إمبراطور بيزنطة ومدتها ستون سنة، ولم تدفعه في وقت الصلح؛ لذا طالبها بالأقساط وتعلل آناستاس (٥٠٠) إمبراطور

بيزنطة بأنه مادامت إيران لم تطالب بهذا الحق في حينه فإن مرور الوقت يسقط حقها. وعلى أثر هذا الرد بدأت الحرب بين الدولتين، ولكي لا يعطى قباد مجالاً للعدو حتى يعد نفسه دخل بسرعة مدهشة أرمينية الروم، وحاصر أرزروم واستولى عليها، ثم استولى بعد ذلك على آمد (ديار بكر) أيضاً، واشتبك في معركة مع جيوش بيزنطة وهزمها. وماكاد يقترب من عقد صلح مع الروم بشروط صعبة إلا ووصله خبر هجوم الهياطلة على شمال شرق إيران، فاضطر إلى التوجه إلى هذه الناحية. وبمجرد أن علم الروم بما يواجهه من مشاكل حاصروا آمد ونصيبين. وأخيراً التقى سفير من قبل قباد بالروم، وعقد هدنة لمدة سبع سنوات، ودفعت بيزنطة مبلغاً إلى إيران وأعدت آمد^(٥١).

وفي سنة ٥٠٦ م قبلت دولة الروم الشرقية دفع مبلغ سنوي لدولة إيران للحفاظ على الحامية القوية في قلاع القفقاز ثم اتجه قباد إلى الهياطلة فحاربهم لمدة عشر سنوات، وانتصر نصراً مؤزرًا أبعد خطرهم عن إيران بعد ذلك (٥٠٣-٥١٣ م).

الحرب الثانية مع بيزنطة

بعد أن فرغ قباد من حرب الهياطلة إتجه إلى بلاد الروم الشرقية، ذلك أن جرجستان ثارت على إيران في ذلك الحين، ويرجع السبب في ذلك إلى أن قباد اتبع السياسة السابقة للبلاد الإيرانية بالنسبة لتعقب المسيحيين وتقييد حرية دينهم التي كانت قد منحت لهم في عصر بهرام گور، وأدت هذه السياسة إلى لجوء گرگين ملك جرجستان إلى الروم. وكان الروم قد استفادوا من قبل من اشتغال قباد بحربه مع الهياطلة، فأقاموا قلاعاً على حدود إيران (منها مدينة دارا بالقرب من نصيبين) فاعترض الملك، لكن الإمبراطور لم يعطه جواباً شافياً.

تحالف بعد ذلك جوستين^(٥٢) مع الهون الذين كانوا يقيمون في شمال القفقاز ضد إيران، واستمال إلى جانبه أيضا لازيكا (كان القسم الغربى لگرجستان الحالية على شاطئ البحر الأسود يعرف باسم لازيكا) وفى سنة ٥٢٦م دخلت الجيوش الإيرانية گرجستان ولازيكا واحتلت هذه المناطق.

قدم الروم أيضا إلى أرمينية إيران، ولكنهم لم يوقفوا هناك ولا فى ما بين النهرين، فقامت الحرب من جديد بعد سنتين وهزم بى ليزار^(٥٣) قائد بيزنطة الشهير، ونتيجة لهذه الظروف أضاف جوستيان^(٥٤) ألفين من الجنود إلى الجيش الرومى، وأخذ جيشا متطوعا من الشعوب الشمالية المعروفة باسم (ماساجيت) واستعد لحرب جديدة.

ذهب القائد الإيرانى فيروز مهران إلى دارا، وهناك نشبت الحرب بين الفريقين، فأظهر رماة السهام الإيرانيون مهارة فائقة، وعندما نفذت سهامهم قاتلوا الروم وجها لوجه، فانصرفوا على ميمنة الجيش الرومى وميسرته. غير أن الماساجيتيين كانوا يعضدون الروم فى المرتين، فانسحب الإيرانيون، وكانت خسائر الروم كبيرة لدرجة أن بى ليزار لم يتعقبهم.

وقد كانت لهذه الحرب أهمية كبيرة رغم أنها انتهت بانتصار الروم فى الظاهر، ذلك أنها اثبتت أن جيش بيزنطة كان ضعيفا بالنسبة لسابق عهده، ومن المؤكد أنه كان سيهزم لولا مساندة الماساجيتيين له. والواضح أن الإيرانيين كانوا قد تقدموا فى فن الحرب بالنسبة للعصور السابقة، ولهذا السبب أثارت مقاومة الإيرانيين وانضباطهم العسكرى دهشة بى ليزار القائد البيزنطى الشهير.

وفى سنة ٥٣١م توجه جيش إيران إلى سورية، وقطع بى ليزار الطريق على الإيرانيين بجيشه المكون من طوائف رومية وغير رومية فأدى ذلك إلى نشوب معركة فى كالينيكوس^(٥٥) هزم فيها الجيش الرومى. غير أن الإيرانيين لم

يستفيدوا أى فائدة تذكر من هذه المعركة، إذ سرعان ما وصل خبر موت قباد، فتحركت الجيوش الإيرانية الى ناحية دجلة.

والخلاصة أن حروب قباد مع الروم لم تؤد إلى نتيجة تذكر، ومن ثم ظل الطرفان على أوضاعهما التى كانا عليها قبل الحرب. وعموما يجب القول بأن الحروب التى قامت بين إيران والروم أو العكس منذ عصر قباد وما تلاه قد أضعفت دولتين قويتين كانتا صاحبتى نفوذ وسيطرة فى العالم آنذاك، ومهدت السبيل للفتوحات العربية.

اتباع مزدك

ثار أتباع مزدك فى أواخر حكم قباد وأجبروا الملك على ترك الحكم لابن من أبنائه يدعى كيوس^(٥٦)، لأنه كان قد وعد بإعلان الديانة المزدكية دينا رسميا.

وقد أظهر قباد شعورا طيبا فى بداية الأمر، ولكنه غافل أتباع مزدك بعد ذلك ودعاهم إلى احتفال وقتلهم جميعا بمساعدة ابنه خسرو (كسرى أنوشيروان فيما بعد) ما عدا مزدك الذى فر (٥٢٩م).

وتوفى قباد فى سن الثانية والثمانين من عمره (٥٣١م)، وكان اعتناقه لدين مزدك لخدمة سياسية وهى الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين. ولما وصل قباد إلى مراده بعد ذلك قضى عليهم، ويقال إن أحدا من ملوك الساسانيين لم يشيد مدنا بقدر ماشيد هو، ومن هذه المدن مدينة كازرون فى فارس ومدينة گجنه فى قفقازية. وقد بدأ فى عهده كذلك حصر الأملاك بهدف تعديل الجباية ومنع اعتداءات موظفى الدولة وظلمهم، وأتم ذلك أنوشيروان.

الحادى والعشرون- خسرو الأول أنوشىروان العادل (خسراو أنوشك ريان)

يقول الطبرى: عندما فر قباد وذهب إلى الهياطلة، تزوج ابنة دهقان فى نيسابور وولد له منها خسرو. وكان قباد يحبه حبا جما؛ ذلك لأن مولده صادف موت بلاش وانتهاء الحرب الأهلية، فتفاعل بهذه المصادفات. ولما كان لقباد أبناء آخرون أقرب لعرش السلطنة من خسرو فقد رأى فى أواخر حياته أن يودع ابنه خسرو عند جوستين إمبراطور الروم حتى يجلس على العرش بعد موته بمساعدة القيصر، وذلك كما فعل من قبل إمبراطور الروم أركاديوس الذى أودع ابنه تيودوس عند يزدگرد الأول وأقدم على ذلك لتحقيق هدفه.

لكن الإمبراطور رفض طلبه ويرجع السبب فى ذلك إلى احتمال توفر ظروف الاستفادة للروم فى المستقبل، وحينئذ يضطر الإمبراطور للتضحية بالسياسة فى سبيل الوفاء بوعده، كما حدث ليزدگرد فى مثل تلك الظروف. وظل الأمر على هذا المنوال إلى أن توفى قباد، واشتعل النزاع بين خسرو وأخويه كيوس وجام على العرش، إلا أن عرش السلطنة وتاجها كانا من نصيبه بسبب مساعدة مهبوذ الذى كان وزيراً، وسرعة تصرف خسرو. ويجب تقسيم أعمال خسرو المهمة إلى قسمين:

السياسة الداخلية

أولى خسرو اهتماماً بالغاً فى بداية الأمر بإخراج إيران من حالة اضطراب الفكر وإعادتها إلى حالتها الطبيعية. وذلك أن مذهب مزدك كان قد انتشر فى أنحاء إيران ووجد له أنصاراً إلى حد انقسام الناس إلى فريقين أحدهما مزدكى والثانى غير مزدكى حتى فى أرمينية المسيحية، ودب النزاع بينهما فرأى خسرو ضرورة اتخاذ ما يلى:

أولاً: القضاء على مزدك وأتباعه وإزالة الأسباب التي أدت إلى تقدم هذه الديانة، ومن ثم قام بالقضاء على زعيم هذه الديانة وأتباعه من ناحية، ويعمل إصلاحات مهمة من ناحية أخرى. وكان مزدك قد بقي سالماً بعد فراره في عصر قباد، ولكن قبض عليه بأمر خسرو وقتل مع عدد كبير من أتباعه. وعندما علم خسرو بعد ذلك أن من أسباب انتشار هذا الدين وتقدمه سنوات القحط التي حدثت أيام فيروز واعتداءات عمال الدولة على الشعب وسيطرة النبلاء ورجال الدين ونفوذهم الكبير، قام بإصلاحات بدأها بتعديل الضرائب. والخلاصة فإنه على أثر الإصلاحات التي تمت بجهد خسرو وكفاحه أمر بأن تكون الضرائب عشر المعلوم ثم خفضها ثانية. وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

ثانياً: أرسل القضاء إلى الولايات لكي يحققوا في شكاوى الناس ويحولوا دون ظلم عمال الدولة.

ثالثاً: قسم إيران إلى أربعة أقسام لسرعة تنفيذ الأحكام ومنع نفوذ الأقوياء وعين على كل قسم حاكماً ذا كفاءة عالية. ويطلق على كل قسم من هذه الأقسام بادكس^(٥٧) وعلى الحاكم اسم بادكس بان.

رابعاً: حول الجيش غير النظامي إلى جيش دائم، وقرر للجند والقادة رواتب وموّن.

وكان الملك بالإضافة إلى هذه الإجراءات يحقق في المسائل القضائية بنفسه وكانت الأحكام التي يحكم بها تتفد على وجه السرعة في أنحاء إيران.

وبعد أن قام خسرو بإصلاح حال الجيش والبلاد اتجه إلى المعارف كما سيأتي في موضعه.

أما عن أمن البلاد، فبالإضافة للحرب التي خاضها خسرو ضد سكان الصحراء كالهياطلة والخزر وغيرهم وأدت إلى خضوعهم له أو هزيمتهم على يديه، فإنه شيد قلاعاً وأسواراً متعددة للحيلولة دون هجماتهم مثل سد دربند^(٥٨) في قفقازية وقلاع گرگان وأترك وغيرها.

ومن أعمال خسرو أيضاً عنايته الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة، فقد أعطى الزراع الأرض والبذور والحيوانات المستأنسة حتى تتقدم الزراعة، وأمر بأن يتزوج كل رجل حتى يزداد عدد السكان؛ كما عاقب المتسولين والمتشردين، ومهد الطرق لإزدهار التجارة، واستقبل المسافرين الأجانب بترحاب ومودة. ولما كان خسرو قد أمن بأعماله راحة إيران ورفاهية أهلها، لذلك سمي بأنوشه روان (الروح الخالد)^(٥٩)

السياسة الخارجية

عندما جلس خسرو على العرش، لم تكن الأوضاع تستدعي أى خصومة مع بلاد الروم الشرقية مطلقاً؛ فقد كان خسرو يعلم تماماً أنه يجب القيام بالإصلاحات الداخلية بادئ ذى بدء، وأن يعيد البلاد إلى حالتها الطبيعية وكذلك الحال بالنسبة لجوستينيان إمبراطور بيزنطة الذى كان مشغولاً بشئون إيطاليا وأفريقيا، وكان قائده "أوبى لى" قد تقدم تقدماً عظيماً؛ لذا لم يكن يود أن يصبح طرفاً مع إيران فى المشرق. فعقدت الدولتان معاهدة بالشروط التالية:

١- أن تدفع دولة بيزنطية مبلغاً سنوياً لدولة إيران، وأن ترعى دولة إيران حامياً قوية فى دربند والأماكن الأخرى فى القفقاز^(٦٠) (تجنبت دولة الروم احتواء المعاهدة على مثل هذه المادة؛ إذ تصورت أن دفع مبلغ سنوى لإيران يعتبر نوعاً من الجزية).

٢- أن يبقى كل ما كان تحت سيطرة الطرفين من ولاية لازيكا قبل حرب قباد مع الروم كما هو. (هكذا كانوا يسمون جرجستان الغربية الحالية وكانوا يسمونها قديما باسم كلشيد).

٣- يمكن للروم حكم مدينة دارا، ولكن لا ينبغي جعلها مركزا لقواتهم في ما بين النهرين.

٤- أن تتحد إيران وبيزنطة (٥٣٢م).

وقام جوستينيان بعد هذا الصلح بفتوحات في إيطاليا وإفريقيا، وأحرز انتصارات عظيمة على يد قائدة الشهير " بي لي زار".

فكر خسرو في المكاسب التي حصلت عليها الروم، وكان يعتقد أن قوة الإمبراطورية الشرقية تشكل خطرا على إيران، فأراد في بادئ الأمر أن يطلب تعويضات من جوستينيان، ولكن انصرف عن هذا التفكير؛ لأنه كان يشكل مانعا دون تنفيذ هدفه الأصلي وهو الحيلولة دون قوة بيزنطة، فقرر الحرب.

الحرب الأولى مع بيزنطة

كان لابد من وجود سبب لقيام الحرب وسرعان ما توفر لخسرو هذا السبب، إذ حدث نزاع بين الملكين العربيين الحارث بن جبلة والمنذر بن النعمان. وكان الأول ملكا على غسان وتحت حماية الروم الشرقية. وكان الثاني حاكما على الحيرة وهو من ملوك اللخمييين ويتبع إيران. فتدخل جوستينيان في النزاع القائم بينهما، وجعل من نفسه حكما دون الرجوع الى دولة إيران. واستفاد أنو شيروان- الذي كان يبحث عن ذريعة- من هذه القضية، فعبّر دجلة بجيش جرار وهجم على ما بين النهرين، ثم عبر الفرات بسرعة واتجه ناحية الشام، واستولى على أنطاكية التي كانت عروس مدن آسيا الغربية. وأحضر من هناك غنائم كثيرة، فاضطربت

دولة بيزنطة التي كانت مشغولة بالحرب في أماكن أخرى. وكانت هذه الضربات مفاجئة لها. وبدأت مفاوضات الصلح بعد ذلك من جانب الروم وقبل (أنو شيروان) اقتراحهم بعد أن كان قد وصل إلى تحقيق مراده. واشترط للصلح ما يلي:

أولاً: أن تدفع دولة بيزنطة خمسة آلاف ليبرا ذهباً (٣٢٥,٠٠٠ متقلاً من الذهب) كغرامة للحرب.

ثانياً: أن تدفع إلى إيران مبلغ خمسمائة ليبرا من الذهب سنوياً لرعاية قوات الحامية في قلاع القفقاز (٥٤٠م).

ولم يدم هذا الصلح أيضاً؛ وبدأت الحرب من جديد في لازيكا كما سيأتى ويقال إن مدينة أنطاكية حازت إعجاب أنو شيروان إلى درجة أنه أقام مدينة مشابهة لها على يد اليونانيين بالقرب من طيسفون (المدائن)، عرفت باسم (به از انديو خسرو)^(١١)

الحرب من أجل لازيكا:

نظراً لجوار إيران وبيزنطة لللازيكا فقد كان يحس نفوذ كلتا الدولتين هناك تماماً، وكانت بلاد الروم قد عينت حاكماً على مدينة بتر^(١٢) (على شاطئ البحر الأسود)، وعندئذ حدد حاكم هذه المدينة التجارة؛ فنار ملك لازيكا ضد الروم؛ لأنه لم يرض عن هذا التصرف، وطلب العون من إيران. فاعتم أنو شيروان هذه الفرصة لكي يصل بحدود إيران إلى البحر الأسود، وهناك يؤسس قوة بحرية ويهدد القسطنطينية عند اللزوم.

وكان أن جهز جيشاً على الفور ودخل لازيكا وحاصر مدينة بتر واستولى عليها. ورغم أن هذه الولاية كانت خاضعة لإيران، فإن سلوك الإيرانيين الزرتشتيين مع الأهالي المسيحيين أوجد عداً بينهما أضرباً أهداف أنوشيروان.

وبعد عدة سنوات من الحرب وبعد ما تعب الطرفان، إلى جانب أعمال أنوشيروان المهمة في الأماكن الأخرى، فقد استقر الأمر على عقد هدنة لمدة خمس سنوات، وبدلت هذه الهدنة في سنة ٥٦٢م بصلح مدته خمسون سنة بالشروط التالية:

١- أن تتخلى إيران عن لازيكا وتعيدها إلى الروم، وتتعهد دولة الروم بنفع ثلاثين ألف قطعة ذهبية سنويا ولمدة خمسين عاما لإيران في مقابل هذا^(٦٣).

٢- أن يتمتع مسيحيو إيران بالحرية في ديانتهم، ولكن ليس من حقهم الدعوة لدينهم.

٣- أن تحتفظ إيران بحامية في قلعة دربند بالقفقاز.

الحرب مع الهياطلة

استفاد أنوشيروان من صلحه مع بيزنطة، فأغار على مملكة الهون البيض. ولكي يضمن نجاحه تحالف قبل ذلك مع الترك ضدهم. ولا نعلم كيفية هذه الحروب، وما نعلمه هو أن ملك الهياطلة قتل أثناءها، وأن هذه المملكة قُسمت بين إيران وبين خاقان الترك، بحيث صار نهر جيحون هو الحدود الشمالية الشرقية لإيران، وصارت باختر وطخارستان (في شرق باختر) وزابلستان ورُخج جزءا من إيران (في حدود ٥٥٧م تقريبا).

ويعتقد البعض أن ممتلكات إيران في الهند خرجت عن سيطرتها مؤقتا بسبب ضغط الهون، وعادت إليها في ذلك الوقت. ومن ثم يعتبرون السند والبنجاب ضمن بلاد إيران آنذاك.

ولكي يضمن أنوشيروان تنفيذ هذه المعاهدة تزوج ابنة خاقان الترك. ولما كان اسم الترك يذكر للمرة الأولى، فلا بد من بيان أن الترك كانوا طائفة من الهون، وكانت هذه الطائفة التي تعرف باسم (أسنا) قد هاجرت إلى الغرب هربا من ضغط

إمبراطور الصين فى سنة ٤٣٣م، وانقسمت إلى قسمين فى أزمنة لاحقة، فاختار القسم الشرقى الإقامة فى الأراضى الواقعة بين مغولستان وجبال الأورال، واحتل القسم الغربى المناطق الواقعة بين جبال آلتاى وسيحون. وكلمة ترك مأخوذة من الجبل الشبيه بقبعتهم، التى تسمى فى التركية دورك^(٦٤) ويدعى ملكهم خاقان، وتومن^(٦٥) هو أول خاقان للترك، وقد توفى سنة ٥٣٣م تقريباً. ويسمى خاقان الترك الذى عاصر أنوشيروان باسم موكان خان^(٦٦) (٥٥٤م).

الحرب مع الخزر

توجه فى ذلك الوقت أنوشيروان إلى الخزر، إذ إنهم قاموا بالاعتداء على الولايات الواقعة على حدود إيران، وانتهت الحرب معهم بانتهاز الإيرانيين أيضاً. ولكى يبيث أنوشيروان الرعب والخوف فى قلوبهم قتل آلافاً منهم، واستولى على غنائم كثيرة.

السيطرة على اليمن

لجأ أحد أمراء أسرة حمير التى كانت تحكم فى اليمن إلى البلاط الإيرانى فى عهد أنوشيروان وطلب العون منه لاسترداد التاج والعرش الذى ضاع منه، ذلك أنه فى أوائل القرن السادس الميلادى حكم الحبش المسيحيون بلاد اليمن، ودعم القائد الحبشى أبرهة حكمه هناك بعد قيامه بعدة فتوحات، وأقام كنيسة فى صنعاء. وسر إمبراطور الروم لهذه الأوضاع بينما غضب لذلك أنوشيروان فكان أن استفاد أنوشيروان من لجوء الأمير المذكور وأرسل من يدعى وهرز بجيش للاستيلاء على اليمن. وتقدم هذا القائد بنجاح من الخليج حتى اليمن فاستولى على عدن، وطرد الجيش من اليمن (٥٧٠م)^(٦٧).

استقرت بعد ذلك أسرة حمير وخضعت لإيران؛ وبقي بها وهرز وجنوده الإيرانيون، واختلطوا بالأهالي، وسموهم العرب في العصر الإسلامي بالأبناء.

الحرب مع الترك

قوى الترك بعد أن استولوا على قسم من مملكة الهياطلة، وأرسل ديزابول^(٦٨) خاقان الترك سفيرا في سنة ٥٦٧م إلى بلاط إيران لعقد معاهدة اتحاد بينهما. فغضب أنوشيروان من تصرفه هذا غضبا شديداً، وتوفى بعد ذلك سفير الترك (من المعتقد أن أنوشيروان دس له السم)، وغضب خاقان الترك على أثر هذه الحادثة وأرسل سفيرا إلى بيزنطة، وذهب سفير من القسطنطينية إلى الخاقان أيضا (٥٦٩).

وبدأ الترك يغيرون على حدود إيران، ولكنهم انسحبوا بمجرد أن توجه جيش إيران إلى تركستان. ولما رأى ديزابول فيما بعد أنه لم يستطع مواجهة إيران في ميدان الحرب عاد فأرسل سفيرا إلى إمبراطور الروم، وحرص دولة الروم الشرقية على نقض معاهدتها مع إيران (٥٧١م). وأثرت تحريضات خان تركستان في بلاط الروم، إذ كان الطريق ممهدا، ذلك لأن إمبراطور بيزنطة جوستين الثاني كان قد أصابه قلق شديد بسبب فتوحات أنوشيروان خارج إيران وخشى من تأثير قوة إيران في التوازن، كما أن أنوشيروان كان قد بلغ من العمر سبعين عاما في ذلك الوقت، فظن القيصر أن ملك إيران لن يقوى على القيادة بسبب شيخوخته، وستكون مدة الحرب قصيرة. ومن ثم نقض معاهدة عام ٥٦٢، وحاصر الجيش الرومي نصيبين (يمكن اعتبار رغبة دولة الروم في امتلاك كل أرمينية وأيضا جرجستان من ضمن دوافع هذه الحرب).

الحرب الثالثة مع بيزنطة (٥٧٢-٥٧٩م)

بمجرد أن علم الملك بنقض المعاهدة ومحاصرة نصيبين، تولى قيادة الجيش بنفسه على خلاف ما كان يتوقعه إمبراطور الروم وعبر دجلة بسرعة فائقة. وأسرع لمساعدة نصيبين وطرد جيش الروم من هناك، حتى تقدم إلى مدينة دارا وحاصر هذه المدينة وهناك أغارت على سورية قوة طائفة^(٦٩) قوامها ستة آلاف من خيرة الفرسان بقيادة أذرهمان، وأشعلت هذه القوة أطراف أنطاكية وخربت مدينة أبارما ثم عادت. ولحقت بجيش إيران أسفل قلعة مدينة دارا (٥٧٢م).

وفي سنة ٥٧٣ خضعت قلعة دارا لجيش إيران، فبجانب آلات الحصار وأدواته التي استخدمها أنوشيروان للسيطرة عليها، قطع الماء عن المدينة، فاضطرت القلعة للتسليم. وأحدث سقوط مدينة دارا أثرا عظيما في عالم ذلك الوقت. إذ كانت هذه المدينة قلعة الروم الحصينة في الشرق، وكانت السيطرة عليها تبدو من الأمور المحالة. وأدى هذا الانتصار إلى عدم قدرة جوستين على الحكم بعد ذلك فترك الحكم وخلفه كونت تي بربوس^(٧٠) وحينئذ فهم أن الأسد العجوز ما زال قويا وخطيرا.

بعد أن جلس الإمبراطور الجديد على العرش لم يجد بدا من عقد هدنة مدتها عام مع أنوشيروان. وقد اشترى هذه الهدنة بمبلغ خمسة وأربعين ألف قطعة نقود ذهبية، وشغل بجمع جنود من الرجال الأشداء الأقوياء من سكان سواحل نهري الراين^(٧١) والدانوب^(٧٢) ولكنه لم يجرؤ على الدخول في حرب مرة أخرى بعد إنتهاء مدة الهدنة. ومن ثم جدد الهدنة لثلاث سنوات أخرى، وقبل أن يدفع لإيران مبلغ ثلاثين ألف قطعة ذهبية كل عام. ذهب أنوشيروان بعد ذلك إلى أرمينية إيران واستولى عليها، ثم دخل أرمينية الروم. وهناك هزم هزيمة جزئية من كورس^(٧٣) السكاثي الذي كان في خدمة قيصر الروم مع عدد كبير من السك. ولكنه سرعان ما عوض هذه الهزيمة؛ إذ هاجم أطراف جيش الروم ليلا بالمشاعل المشتعلة

وهزمه، ثم عاد إلى إيران في عام ٥٧٦م لقضاء الشتاء. وأنزل أنوشيروان بالجيش الرومي هزيمة فادحة، وشغل الطرفان بالحرب في السنوات التالية دون أن يحصل أى منهما على نتيجة حاسمة فعبر أنوشيروان - الذى كان يتعرض لهجمات الروم - نهر دجلة لتجهيز معدات الحرب، ودخل طيسفون و سرعان ما قضى نحبه^(٧٤).

صفات أنوشيروان

يعتبر المؤرخون الشرقيون أنوشيروان أعظم ملك في إيران القديمة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن ملوكاً مثل كوروش وداريوش الكبير قد دخلوا فى طى النسيان، لكن هذا لم يحدث لأنوشيروان خاصة بعد أن عرفت الآن أوضاع إيران القديمة وأحوالها^(٧٥). أما عن كونه أعظم ملك فى ملوك الأسرة الساسانية، فهذا أمر لا شك فيه، والتاريخ يبين أنه نادراً ما تجتمع صفات القيادة وخصائص إدارة الدولة فى شخص واحد. ويمكن أن نقول بشأنه أيضاً إنه كان ملكاً عادلاً وحازماً، محارباً وإدارياً، قائداً ومديراً، وتتضح صفاته هذه من أعماله التى ذكرت فى هذا الفصل وما سيأتى ذكره فى الفصل التالى أيضاً.

وصلت الأسرة الساسانية فى عصره إلى أوج عظمتها، فقد هزمت أباطرة الروم ودفعوا لها الغرامات وزالت دولة الهياطلة من الوجود. وتأدب أهل الخزر البرابرة، واستقر أتراك جيحون فى موطنهم، وتم إجلاء الحبش عن اليمن التى خضعت لإيران. ومن ناحية أخرى، فإن الإصلاحات التى قام بها للشئون الداخلية فى إيران نفخت فى إيران روحاً جديدة، واطلع الإيراني للمرة الأولى على العلوم اليونانية. والجدير بالذكر أيضاً أن أنوشيروان كان آخر نجم لمع فى أفق إيران القديمة، إذ إن إيران الساسانية اتجهت بسرعة من بعد موته الى التدهور نتيجة تخطيط خلفائه ولأسباب أخرى.

ولم يمض وقت طويل إلا وانقرضت دولة أردشير بابكان وبدأ عهد جديد لإيران.

وعلى هذا، فإن أنوشيروان العادل هو آخر ملك جسد في شخصه عظمة إيران القديمة^(٧٦).

وطبقا لما تذكره الروايات الإيرانية فإن بزر جمهر (بزرگ مهر) هو الشخص الذى قدم مساعدات قيمة لأنوشيروان فى الإصلاحات التى قام بها فى البلاد. وقد كان بزرجمهر فى بداية الأمر معلما لهرمز بن أنوشيروان، وعندما شاهد الملك علمه ولياقته اختاره للوزارة. وقد رويت حكايات كثيرة بشأن حكمة عقل هذا الوزير وكفاءته لا يمكن أن يضمها هذا المختصر. ويقال إن (بزر جمهر) قتل فى عهد خسرو برويز وبأمره^(٧٧)

الثانى والعشرون - هرمز الرابع (أهور مزد)

تولى الحكم بعد أبيه (٥٧٩م). وتعاقبت الحروب التى كانت قد بدأت فى عهد أنوشيروان، ولكن لم يصل أى من الطرفين إلى نتيجة حاسمة. ذلك لأن كلا الطرفين كان يعطى أهمية كبيرة للاستيلاء على دارا. وفى سنة ٥٨٨م عندما كان جيش إيران فى حرب مع الروم، وصل خبر هجوم الترك على الحدود الإيرانية، إذ كان خاقان التركستان قد رأى كراهية الشعب لهرمز وانشغال جيش إيران بالحرب، فأراد أن يستفيد من هذه الظروف. وكان وضع هرمز شينا، إلا أن قائدًا إيرانيًا شهيرًا يدعى بهرام جوبين (رئيس أسره مهران) أسرع إلى ناحية التركستان ومعه نفر قليل من الجيش، ودخل فى معركة طاحنة مع الخان الكبير فقتله، ثم دخل معركة أخرى مع الترك وأسر ابن الخان الكبير واستولى على غنائم كثيرة. ويقال إنه احتاج لمائتين وست وخمسين جملاً لحمل الذهب والجواهر التى استولى عليها. وكان خاقان التركستان قد استخدم فى تلك الحرب الأفيال والأسود الحربية، ولكنها ارتدت نتيجة سهام الرماة الإيرانيين، وعادت إلى مواقع جيش الترك. وقد استفاد القائد الإيراني من الاضطراب والفوضى اللذين حدثا فى جيش الخصم، فأنزل بهم هزيمة ساحقة، حتى إنهم قبلوا دفع ضريبة سنوية لإيران (٥٨٨م).

وأصاب القلق هرمز بعد هزيمة الترك وانتصار بهرام، فأرسله لحرب الروم في لازيكار (٥٨٩م) وهنا هزم بهرام، وبدلاً من أن يمد له هرمز يد العون سر بهزيمته، وأرسل له علبة بها أدوات الحياكة وملابس النساء. فغضب جنود إيران من سلوك هرمز هذا تجاه قائدهم، واتفقوا مع جيش إيران الذي كان يحارب في ما بين النهرين، وتحركوا إلى ناحية طيسفون حتى ينتقموا من هرمز وأرسل هرمز جيشاً لمنعهم من ذلك، ولكنه انضم للمتمردين كذلك. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى العاصمة ثار الشعب وفر هو ووقع في يد بيستام (ويستاخم) الذي كانت تربطه به صلة قرابة وقتل عام ٥٩٠م.

وبالنسبة لهرمز يجب القول بأنه ذكرت روايات تبين ما له وما عليه، بمعنى أنهم اعتبروه سفاكاً وعادلاً في نفس الوقت. ومن ثم يعتقد بعض الباحثين أن هذا الملك كان يريد الحد من نفوذ العظماء، وعدم إعطاء مجال للمغان ليتعصبوا للدين، وكان نفس هذا الحسم باعثاً على وصفهم له بأنه سفاك، فقد قيل مثلاً إن المغان طلبوا منه إيذاء المسيحيين، لكنه رفض اقتراحهم بسخرية واستهزاء قائلاً: كما أن عرش ملكنا لا يقوم على قاعدتين فقط ويلزمه قاعدتان أخريان، فكذلك لا تستقيم حكومتنا إذا أذينا المسيحيين وأتباع المذاهب الأخرى، وجعلناهم أعداء لنا. ارفعوا أيديكم عن أذيتهم والإضرار بهم، وافعلوا الخير معهم حتى يروا أعمالكم الطيبة فيتبعونكم^(٧٨).

الثالث والعشرون - خسرو الثاني المعروف بكسرى پرويز (خسراو - اپرويز)

جلس خسرو على العرش بعد أبيه، وكتب رسالة إلى بهرام جوبين يدعوه للحضور إلى بلاطه ويعدده بأعلى منصب في الدولة، فأجابه بهرام بأنه يجب عليه الذهاب إليه، وطلب الصفح. وحاول خسرو استمالته مرة أخرى ولكنه فشل. وأخيراً أعد جيشاً وذهب قاصداً إياه فهزم وفر. وبعد أن عبر نهر دجلة دخل

سيرسز يوم (٧٩) التي كانت تابعة لبيزنطة، فاستقبله الروم باحترام، وطلبوا الإذن من القسطنطينية فحضر موريس (٨٠) إمبراطور بيزنطة واعتبر خسرو ابناً له وفي حمايته إلى أن يعود إلى عرش إيران بشرط أن يعيد إلى دولة بيزنطة أرمنيّة إيران مع مدينة داراً في مقابل تلك المساعدة. توجه خسرو بعد ذلك إلى إيران بجيش رومي، وكان بهرام جوبين قد دخل طيسفون بعد هزيمة خسرو وجلس على العرش، وما إن شاع خبر مجيء خسرو مع جيش الروم إلا وتزعزعت مكانته.

وفي سنة ٥٩١م عبر خسرو دجلة، وهزم بهرام في تلك المعركة التي نشبت بين الجيش الرومي والأذربيجاني من ناحية وجيش بهرام من ناحية أخرى، وفر هارباً إلى خاقان تركستان. ودخل خسرو بعد هذا النصر طيسفون وجلس على العرش. ثم سمح لجنود الروم بالعودة محملين بالهدايا الكثيرة، وقبض على كل من تسببوا في خلع والده وقتله، وقضى عليهم. ويرجع السبب في هزيمة بهرام إلى عدم مساندة أكثر كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش له، إذ إنهم كانوا يعتقدون أن الساسانيين فقط هم الذين يستطيعون أن يخلفوا الهخامنشيين.

حروب كسرى پرويز مع بيزنطة

استمرت هذه الحروب من سنة ٦٠٣ حتى سنة ٦٢٧م، وقد حدثت على النحو التالي:

كانت العلاقات بين البلاطين ودية في عهد موريس، غير أنه قتل في سنة ٦٠٣م وقدم ابنه إلى إيران محتماً بملكها، ولم يعترف بفوكاس (٨١) إمبراطوراً حفاظاً على حقوق الإمبراطور المقتول. وبدأت الحرب بين الدولتين على إثر ذلك، فدخل كسرى بجيش جرار ما بين النهرين، وتقدم منتصراً وحاصر مدينة دارا واستولى عليها بعد ثلاثة شهور (٦٠٥م). ثم استولى على آمد (ديار بكر) وإس (الرها) وحران وسائر المواقع الرومية الحصينة. وعبر جيش إيران نهر الفرات بعد ذلك، وأغار على

المنطقة القريبة من بيروت الحالية. ومن ناحية أخرى، هاجم جيش إيراني آخر كبادوكية من ناحية أرمينية، وأغار على فريكية وولايتين أخريين في آسيا الصغرى وتقدم فيها إلى درجة أصابت أهالي القسطنطينية بالذعر والاضطراب.

وتميزت الأوضاع في دولة بيزنطة آنذاك بالفوضى والاضطراب؛ فلم يتمكن فوكاس من عمل شيء في مواجهة فتوحات كسرى، وتسبب ضغط الإيرانيين في ذعر بلاد الروم الشرقية واضطرابها، مما أدى إلى ظهور أزمة. وعلى أثر هذه الأحداث، جاء هراكليوس - الذي يعرف في تاريخ إيران ومصر باسم هرقل - من أفريقيا إلى القسطنطينية بسفن، وتولى زمام الأمور بمساعدة الشعب (٦١٠م). واستمر كسرى في فتوحاته، فأغار في سنة ٦١١م على الشام واستولى على أنطاكية ودمشق، ثم استولى على بيت المقدس بمساعدة ست وعشرين ألف يهودي، وأرسل صليب عيسى إلى إيران. وقد تركت هذه الفتوحات المتواصلة التي قام بها كسرى أثراً غريباً على عالم ذلك الوقت وخاصة الاستيلاء على بيت المقدس وإحضار الصليب الذي لم يكن هناك شيء أكثر قدسية منه في نظر العالم المسيحي.

ولم يكتف كسرى بهذه الفتوحات بل أرسل واحداً من قواد إيران ويدعى "شهر براز" بجيش إلى مصر فعبر الصحراء التي تفصل بين الشام ومصر ودخل الإسكندرية التي كانت مدينة تجارية مشهورة في ذلك الوقت (٦١٦م).

وقد أحدث هذا الفتح الذي قام به القائد الإيراني تأثيراً عظيماً في العالم آنذاك، ذلك أن مصر كانت قد خرجت من تحت سيطرة إيران لقرون عديدة وكان الملوك الساسانيون يريدون دائماً أن يمدوا حدود إيران إلى تلك الحدود التي كانت عليها أيام الهخامنشيين.

ومن ناحية أخرى، ففي سنة ٦١٧م عبر قائد إيراني شهير آخر كبادوكية واستولى على ولايات آسيا الصغرى واحدة تلو الأخرى، ووصل إلى كالدون^(٨٢) (خالقودن) بالقرب من القسطنطينية.

وهناك التقى هرقل بالقائد الإيراني، وفكر فى الصلح، وأرسل رسولا إلى كسرى پرويز لإجراء مباحثات بهذا الصدد. لكن المباحثات لم تسفر عن شىء؛ ذلك لأن فتوحات كسرى أصابته بالغرور والتكبر ولم يحضر مباحثات هرقل مقيدا بالأغلال أمام عرشه. وسرعان ما استولى على كالسدون (خالقدون)، ووصلت إيران إلى حدودها التى كانت عليها أيام الهخامنشيين تقريبا (٦١٧م).

أما عن أحوال بيزنطة فى ذلك الوقت فقد كانت غاية فى السوء، إذ تم الاستيلاء على أرمينية الروم والمدن والقلاع الرومية فى ما بين النهرين وعلى كل بلاد آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر. وكانت القسطنطينية أيضا موضع تهديد من قبل إيران والآوار، وكانت شعوب الآوار - التى سببت المتاعب للروم الشرقية من ناحية الشمال - تريد الاستيلاء على هذه العاصمة الكبيرة عن طريق البر. ووصلت أحوال بيزنطة السيئة فى هذا الوقت إلى درجة أن هرقل كان يريد فى بداية الأمر الهرب من العاصمة والذهاب إلى قرطاجنة، لذا فقد حمل خزائنة الروم من القسطنطينية^(٨٣)، غير أن رجال الدين والشعب منعه من ذلك، وقبل فى النهاية البقاء والإنفاق من خزائن الكنائس ونفائسها على إعداد الجيوش.

حروب هرقل

عبر هرقل بجيوشه فى سنة ٦٢٢م بوغاز هلس بنت (الدردنيل حاليا)، ودخل درابوس^(٨٤) اليابسة، وقامت معركة بينه وبين شهر براز بالقرب من أرمينية انتهت بانتصار الروم، وعاد هرقل إلى القسطنطينية بعد ذلك. وفى العام التالى تعاون مع شعوب شمالية كالخزر وغيرهم وهاجم إيران من ناحية لازيكا، فأسرع خسرو بجيش قوامه أربعون ألف جندي إلى شيز (الواقعة فى آذربايجان)، وأمر جيشه بالإسراع لملاقاة العدو، إلا أن هرقل دخل معهم فى الحرب قبل أن تتجمع جيوشهم وانتصر عليهم، ثم قام بالإغارة على مدن إيران وخرّب بيوت النار (٦٢٢م)، ومنها بيت نار آذر گشتاسپ.

وفى العالم التالى، أراد كسرى أن يهجم على أران ويحطم قوات هرقل، فأمر جيوشه الثلاثة بالإسراع إلى هناك. لكن هرقل سبقه ودخل أرمينية، وقبل أن تتجمع جيوش إيران دخل فى حرب مع كل منها على حدة وانتصر عليها.

حصار القسطنطينية

أراد كسرى پرويز - الذى كان قد أصابه الذعر من فتوحات قيصر الروم- أن ينزل ضربة قاضية بالروم، واستخدم آخر مسعى له لتحقيق هذا الهدف، فكون جيشين: أحدهما تحت قيادة شاهين الذى حاصر القسطنطينية واتحد مع الأواريين للاستيلاء عليها، والثانى ويقوم بعمليات ضد هرقل (٦٢٦م). وترك هرقل قوات للمحافظة على القسطنطينية واتجه بنفسه إلى لازيكا. وهاجم من هناك تفليس، ولكنه لم يوفق. ودخلت حامية القسطنطينية فى معركة مع شاهين وانتصرت فى معركتها نظراً؛ لأن رياحاً عاتية هبت فى مواجهة جيش إيران، وكانت تلقى بالتراب على وجوه الجنود، فرددتهم واستعادت مدينة كالدون (خالدون). ومات شاهين كمدا بعد هذه المعركة بسبب غضب كسرى عليه.

وأغار الأواريون على القسطنطينية كذلك، ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها لأن الإيرانيين لم يتمكنوا من مساعدتهم. ويرجع السبب فى عدم نجاح إيران فى هذه المعارك إلى فقدان قواتها البحرية، فى حين أن هرقل استفاد فى كل المعارك المذكورة من سيطرة بيزنطة على البحار.

معركة دستگرد

وفى سنة ٦٢٧م توجه هرقل قاصداً دستگرد، وكان هذا المكان يقع على بعد عشرين فرسخاً من طيسفون تقريباً، وكان مقاماً لكسرى. وحدثت معركة بين الجانبين بالقرب من نينوى القديمة، ورغم أن القائد الإيرانى قد قتل فى هذه المعركة، فإن جيش إيران صمد إلى أن انسحب فى نهاية الأمر إلى خنادقه. واتجه

بعد وصول الإمدادات إلى ناحية قناة نهر براز وجعلها خندقاً له واستعد للحرب. لكن الخوف استولى على كسرى في هذه الظروف؛ فترك جيش إيران على أثر ذلك وفر هارباً. ومع كل هذا قاوم جيش إيران إلى أن تجمعت قواته، وانضم إليه مائتا فيل حربي. وعندما رأى هرقل بعد ذلك ثبات جيش إيران وصموده، غير من خطته الأولى التي كان يريد بها تعقب كسرى ومحاصرة طيسفون، وذهب إلى كنزك (٦٢٧م).

خلع كسرى پرويز وقتله

أدت هزيمة كسرى في دستگرد وفراره على وجه الخصوص إلى ثورة العظماء والشعب في طيسفون، وزاد من نفور الناس منه إساءته لشهربراز والإهانة التي وجهها إلى نعش شاهين. ويقال إن كسرى قتل كل قواده الذين فشلوا في حروبهم، وكان يريد قتل شهر براز وشاهين اللذين كانا محبوبين جداً بسبب فتوحاتهما السابقة. وأدت كراهية الشعب له إلى خلعه عن السلطنة والزج به في سجن مظلم إلى أن قتل بعد حين (٦٢٨م) وكانت لشيرويه (قباد فيما بعد) - كما يقال - يد في هذه المسألة؛ إذ كان كسرى يريد تنصيب مردان شاه ولياً للعهد وهو ابنه الأصغر من سيدة سريانية تدعى شيرين. ووصل نفور أعداء كسرى منه وكرهيتهم له إلى حد أنهم قطعوا رأس ابنه مهرداد أمام عينيه. ومن أهم أحداث سلطنة كسرى فيضان نهري الفرات ودجلة الذي جعل منطقة ما بين النهرين مستنقعا، وانتشر وباء الطاعون الذي تسبب في وفاة عدد كبير من الناس.

صفات كسرى پرويز

يعتبر كسرى پرويز أشهر ملك ساساني بعد أنوشيروان، وقد بقيت حكايات عن قصوره الشاهقة ومنازل حريمه وأبهة بلاطه، كما ذكر كتاب العصور

الإسلامية وشعراؤها في قصصهم أو في شعرهم أنه لم يكن لأحد من الملوك الساسانيين مثل ما كان له من الخزائن والكنوز والزينة. وذكر المؤرخون أن عدد زوجات هذا الملك وصل إلى ثلاثة آلاف زوجة، هذا بالإضافة إلى أن قصر حريمه كان يضم عدة آلاف من الجوارى اللاتي كن يقمن بالغناء والعزف^(٨٥).

ومن هنا يمكن إدراك كم كانت ميزانية البلاط الإيراني آنذاك، وإذا أخذنا في الاعتبار أن كسرى پرويز كان يقول في سجنه وفي مقام الدفاع عن نفسه أنه ضاعف محتويات خزائن إيران إلى أربعة أضعاف، ونضيف إليها ما صرف على الحروب التي دامت خمسة وعشرين عامًا مع بيزنطة، فإنه يمكن بسهولة معرفة ما تحمله الشعب الإيراني في عصره. وقد أضعفت حروبه مع الروم قوة إيران، ففي السنوات الأولى للحرب أحرز كسرى انتصارات، وكانت هذه الانتصارات نتيجة خبرة الجيش الإيراني ومرانه في عصور الملوك السابقين، وللإصلاحات التي قام بها أنوشيروان في شئون الجيش، وكذلك لخبرة قائد إيران الشهيرين في ذلك الوقت شهر براز وشاهين ولياقتهما. وعلى أثر هذه الانتصارات جاء الوقت الذي استطاع فيه أن يمن على هرقل ويقبل اقتراحه الخاص بالصلح. ويعقد معاهدة بشروط مرضية ليصل بإيران إلى حدودها الطبيعية التي كانت تصل إلى البحر الأسود ونهر الفرات (أي أن تنضم إلى إيران لازيكا وكذلك بقية أرمينية وما بين النهرين). لكن كسرى پرويز لم يدرك هذه الأمور بسبب غروره وتكبره، وبدد قواته عبثًا في البلاد المختلفة وكان الحفاظ عليها أمرًا صعبًا بالنسبة لإيران في ذلك الوقت نظرًا لعدم وجود بحرية قوية. ووصل الأمر إلى أنه عندما هاجم هرقل إيران من ناحية الشمال قضى على الجيش المدرب بسبب الحروب المستمرة التي خاضها، ومات أحد قائديه المشهورين كمذا لعدم اعترافه بأفضاله، أما الآخر فأصبح معذبًا بانسًا.

كان كسرى پرويز ملكًا ضعيف الشخصية متكبرًا ظالمًا، ينساق وراء شهواته، ناكراً للجميل، وقضى مدة حكمه فى الحروب. والواقع أن حروبه لم تقدم شيئاً لإيران، بل إنها أضعفتها إلى أبعد الحدود، وجرتها إلى التدهور بسرعة عجيبة.

الرابع والعشرون - قباد الثانى (كوات) .

جلس على العرش بعد خلع أبيه، وكان اسمه شيرويه، إلا أنه عرف بعد جلوسه على العرش باسم قباد. ومن أعماله الصلح مع بيزنطة، فقد تعبت إيران وبلاد الروم الشرقية من الحروب المتصلة، وبمجرد أن طلب قباد الصلح وافق هرقل وتقرر الصلح بالشروط التالية:

١- أن يعيد كل طرف من الطرفين ما أخذه من أراضي غيره، وأن يتبادلا الأسرى.

٢- أن يعيد الإيرانيون صليب المسيح الذى أخذه من بيت المقدس، وقد أقيمت الاحتفالات فى بلاد الروم الشرقية لعودة الصليب (٦٢٩م)^(٨١).

أولى قباد بعد ذلك اهتمامه للشئون الداخلية لبلاده؛ فأوقف دفع الضرائب التى كان قد فرضها سلفه، وأطلق سراح المسجونين، وعطف على كل من أصابه ظلم أو إجحاف على يد پرويز. ولكن سرعان ما أصبح معلوماً أن هذه الإجراءات التى قام بها لم تكن بحسن نية، بل أراد بها تثبيت مكانته. ولم يمض وقت طويل إلا وقتل كل إخوته ومات هو أيضاً بسبب الطاعون الذى كان قد انتشر فى إيران. وكانت مدة حكمه سنتين وعدة أشهر.

الخامس والعشرون: أردشير الثالث (أرت خستر)

تولى الملك بعد قياد ابنه أردشير الذى كان طفلاً فى السابعة من عمره، وهنا فكر شهر براز - الذى رفض إطاعة أوامر قياد، كما أنه لم يرد آسيا الصغرى وسورية ومصر إلى الروم - فى الاستيلاء على العرش. ولكى يستميل هرقل إلى جانبه قبل أن يعيد البلاد المذكورة إلى الروم، ويدفع مبلغاً من المال كذلك، فتحالف هرقل معه وأقام علاقات طيبة.

استولى شهر براز بعد ذلك على العرش، لكنه لم يتمكن من الاحتفاظ به أكثر من شهرين، إذ خرج عليه كسرى بن قياد فى خراسان، وبالتالي ثار عليه جنود بهرام، ولم يمض وقت طويل حتى قتل على أيديهم.

وقد حدثت فى هذين الشهرين حادثتان مهمتان هما: الجلاء عن آسيا الصغرى ومصر وسورية وإعادتها إلى بيزنطة. واستيلاء الخزر على أرمينية (٦٢٩م).

السادس والعشرون إلى الرابع والثلاثين - عصر الفوضى والاضطرابات

تولى الحكم بعد شهر براز كسرى الثالث حفيد هرمز الرابع، وحكم من بعده "جوان شير" ابن كسرى پرويز (٦٢٩م). ثم حكمت من بعدهما بوراندخت ابنة كسرى پرويز^(٨٧).

وعندما رأت أنها لا تستطيع الحيلولة دون تدهور إيران وهزائم جيشها، تركت الحكم بعد سنة وخمسة أشهر. وحكم بعد ذلك كشناسب برده أخو كسرى الثالث، وتولت ملك إيران من بعده أزر ميدخت ابنة كسرى وأخت بوراندخت لفترة، وخلعت بواسطة رستم فرخ هرمز وإلى خراسان. ثم حكم البلاد اثنا عشر شخصاً خلال أربع سنوات، وكان كل منهم يخلع بعد فترة أو يقتل.

وذكر الباحثون أسماء الذين جلسوا على العرش بعد آزرميدخت كما يلي:
هرمز الخامس (٦٣١م)، كسرى الرابع (٦٣١م)، فيروز الثاني (٦٣١م) كسرى
الخامس (٦٣١م)، يزدگرد الثالث (٦٣٢م).

والأولان من أحفاد كسرى پرويز، أما التاليان لهما فهما من أحفاد كسرى
الأول أنوشيروان.

ومن الأحداث الخاصة بالسياسة الخارجية في عصر تلك الحكومات ذلك
الصلح النهائي الذي عقدته بوراندخت مع هرقل وأخذت فيه إيران نصيبين.

الخامس والثلاثون - يزدگرد الثالث - (يزدكرت)

جلس على العرش في سنة ٦٣٢، ولا يعرف نسبه على وجه التحديد، ويقول
الطبري إنه كان ابناً لشهريار (أى حفيد كسرى پرويز)، وإن أمه كانت زنجية. وقد
اضطروا إلى توليته الحكم عندما لم يجدوا أحداً من الأسرة الحاكمة. وحينما وصل
يزدگرد إلى الملك تجلت آنذاك كل آثار التدهور والانحطاط، بالإضافة إلى أن
يزدگرد كان شاباً غير محنك، ولم يكن هناك من يساعده من أفراد الأسرة الحاكمة
بعد مقتل قباد.

نهوض العرب نحو إيران

مقدمة

كانت شبه الجزيرة العربية - كما سبق أن ذكرنا أثناء حديثنا عن تاريخ عيلام - تخرج منذ زمن سحيق أقواماً منها كل عدة قرون، فيستولون على البلاد المجاورة ويشكلون حكومات.

ومن هؤلاء الشعوب السامية الأصل التي هاجمت بلاد السومريين والأكاديين في عصور موغلة في القدم، وأسست دولاً في رأس الخليج وما بين النهرين. وقد توجه الكلدانيون الذين قدموا إلى ما بين النهرين، والآراميون الذين أغاروا على بابل وآشور في القرن الثالث عشر، إلى الشام بعد ذلك. وجاء الدور على العرب من بعدهم، فاتجهوا منذ زمن بعيد ناحية سورية وكلدنة القديمة وما بين النهرين، وأقاموا دويلات في بلاد العرب الشمالية المجاورة لسورية ونهر الفرات (مثل الحيرة وغسان وغيرهما).

وكانت هناك مناطق كثيرة يقيم فيها العرب في كلدة القديمة وما بين النهرين لكن النهضة الحقيقية والعظيمة للعرب خارج شبه الجزيرة العربية هي التي بدأت بعد ظهور الإسلام، أي منذ الربع الثاني من القرن السابع الميلادي. وقد واجه المسلمون في فتوحاتهم العظيمة هذه دولتين مشهورتين في ذلك الوقت وهما اللتان كانتا تسودان العالم آنذاك^(٨٨)، إحداهما إمبراطورية الروم والثانية إمبراطورية إيران. وكان السبيل ممهداً أمام فتوحات المسلمين في هاتين الدولتين، ذلك أن كلا منهما كانت في حالة من التدهور بسبب ما عانته من الحروب المتصلة والدائمة التي خاضتها مع الأخرى، حتى أصبحت في الرمق الأخير. أما العرب فكانوا قوماً

أشداء اعتادوا تحمل مشاق الترحال فى الصحراء العربية ومصاعبه واعتقوا ديننا أوجد بينهم مبادئ المساواة والإخاء وشجعهم على التضحية بالنفس والفداء إلى أقصى الدرجات، وجعل جزاء من يقاتل ويقتل الجنة العالمة. وإذا تجاوزنا ما حصل عليه الفاتحون أثناء فتوحاتهم من خزائن هاتين الدولتين القديمتين من غنائم و ذخائر لا تحصى ولا تعد، فإن الفتوحات العربية فعلت شيئاً لم يسبق له مثيل؛ إذ قضت على الإمبراطورية الساسانية وقعدت الإمبراطورية البيزنطية كل ممتلكاتها تقريباً فى آسيا وإفريقيا، وأقام المسلمون دولة امتدت من ما وراء سيحون إلى جبل طارق. وهنا يبرز سؤال، وهو: ماذا كانت حالة إيران فى ذلك الوقت؟ ويمكن وصف ذلك باختصار فيما يلى:

فقدت إيران آنذاك كل الأشياء التى تميز بها المسلمون، وتميزت بما يلى:

١- الاضطرابات العقائدية نتيجة تشتت المذاهب والأديان، كما سيأتى فى الفصل الثانى من هذا الباب.

٢- الاضطرابات السياسية والنفوذ الكبير الذى كان يتمتع به العظماء ورجال الدين، وعدم وجود ملك مجرب قوى الإرادة يتولى زمام الأمور ويقوم بالإصلاحات. وأفضل دليل على هذا الوضع هو تغيير اثنى عشر ملكاً خلال أربع سنوات (٦٢٨-٦٣٢م).

٣- ضعف الجيش وتمزقه نتيجة حروب كسرى پرويز التى لا طائل منها.

٤- فقر الشعب وضيقة بسبب دفع الضرائب التى فرضها عليه پرويز، وإجبار أفراد على دخول الجندية.

٥- تدهور الزراعة والتجارة والصناعة نتيجة تفشى الظلم والجور.

واقعة ذى قار:

رغم أن العادة جرت على اعتبار معركة القادسية المعركة الأولى للعرب مع إيران في ذلك الوقت، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار نتائج المعركة، فإننا نعتبر معركة ذى قار هي أول معركة لهم مع الإيرانيين. أما عن كيفية وقوع هذه المعركة، فقد حدث أن سمع كسرى برويز أثناء حربه مع الروم أن النعمان ملك الحيرة له ابنة رائعة جميلة، فأراد أن يتزوجها ولكن النعمان رفض بسبب دسيسة. فغضب كسرى وقرر إرسال جيش لتأديبه. وبمجرد أن علم النعمان بهذا ذهب إلى بنى شيبان وأودع ممتلكاته عند رئيسهم، وقدم إلى كسرى طالباً الصفح والاعتذار، لكن كسرى لم يقبل وقتله ثم طلب بعد ذلك من شيخ الشيبانيين كل أموال النعمان فامتنع، فأرسل كسرى جيشاً مكوناً من الإيرانيين والعرب قوامه أربعون ألف رجل حتى ينفذ أوامره، وحدثت عدة معارك بين الجيشين الإيراني والعربي، وانتهى الأمر بأن فر العرب الذين كانوا في الجيش الإيراني أثناء معركة ذى قار وهزم الجنود الإيرانيون وقضى عليهم. ورغم صغر هذه المعركة إلا أن لها نتائج مهمة، ذلك أن العرب عرفوا لأول مرة أنه يمكن التغلب على جيش إيران وهزيمته بحملات جريئة (يعتقد نولدكه أن هذه المعركة حدثت بين ٦٠٤ و ٦١٠م، ولكن بعض الباحثين الآخرين يذكرون أنها حدثت في سنة ٦١١).

موقعة ذات السلاسل (٨٩):

توجه خالد بن الوليد قائد المسلمين الشهير ناحية الشمال في عام ١٢ من الهجرة (٦٣٣م). ودخل منطقة تقع بالقرب من الخليج والكويت الحالية، وهي حدود إيران آنذاك، وتعرف باسم الحفير. وهناك طلب من هرمز حامي حدود تلك المنطقة الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، وعلى أثر ذلك طلب هرمز من خالد أن يتحاربا رجلاً لرجل أى يتبارز القائدان، فقتل هرمز على يديه.

وهجم العرب بعد ذلك على الإيرانيين وانتصروا عليهم. وقد أطلق على هذه المعركة اسم (جنگزنجير) أو ذات السلاسل. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم - كما ذكر الطبري - أعدوا سلاسل حتى يقيدوا بها أسرى المسلمين (ذكر البعض أنهم قيدوا بها أرجل جنود إيران حتى لا يفروا من المعركة). وسلك خالد بعد ذلك طريق ساحل الفرات واتجه إلى أعلى، ونشبت معركة ضارية في أليس بين قوات إيران والمسلمين.

وعندما أخذ الطرفان يتبادلان النصر غضب خالد من مقاومة الإيرانيين وثباتهم وأقسم بأن يجعل من دمانهم نهرًا جاريًا. وانتهى الأمر بأن انتصر المسلمون نصرًا مؤزرًا، وأوفى خالد بقسمه وقتل جميع الأسرى الإيرانيين. ثم كان النصر حليف خالد أيضًا في مدينة رومية تعرف باسم "فيراز".

وحدث أن طلب فورًا لقيادة جيش إسلامي في مكان آخر، وتولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة الجيش بدلاً منه. ويجب اعتبار معارك خالد بن الوليد مع الإيرانيين معارك حدود، لأنه حارب فيها حاميات الحدود والمحافظين عليها.

موقعة الجسر (١٢ هجرية)

أدى تهديد المسلمين لحدود إيران إلى استدعاء رستم فرخ هرمز حاكم خراسان من قبل البلاط الإيراني ومنحه الصلاحيات الكاملة لحرب العرب؛ فجهز جيشًا وأرسله إلى الحدود تحت قيادة بهمن جاذويه وعندما وصل هذا الجيش بالقرب من بابل أقام المسلمون قنطرة من القوارب بأمر أبي عبيدة مسعود الثقفي الذي كان يرأسهم، وعبروا الفرات لكي يدخلوا المعركة مع الإيرانيين. وفي هذه المعركة سببت فيلة الجيش الإيراني الحربية ذعرًا واضطرابًا بين خيول المسلمين مما جعلها تعصى الفرسان الذين امتطوا صهوتها، وأدى ذلك إلى خلل في صفوفهم. عندئذ اضطرب العرب للحرب راجلين.

وحمل أبو عبيدة على فيل أبيض وأصابه بجرح، فوطأه الفيل بقدمه. عندئذ صار النصر حليف الإيرانيين، وقتل قواد العرب. وكانت خسائر المسلمين في هذه المعركة أربعة آلاف جندي، ذلك أن ثلاثة آلاف جندي هربوا وعاد ألقان إلى المدينة. وتوفي المثنى بعد فترة متأثراً بالجرح الذي أصابه في موقعة الجسر.. وكان من نتيجة هذه الهزيمة التي حاقت بالمسلمين أنهم تخلوا عن الساحل الأيمن لنهر الفرات والمناطق المجاورة، غير أن هذه الولايات المذكورة عادت إليهم بعد الحرب التي قامت بين الإيرانيين والمسلمين في البويب والتي انتصر فيها العرب (١٤ هجرية).

وفي سنة ١٤ هجرية (٦٣٥م) فرغ عمر من أمر الشام، ولما كان من غير الضروري أن يقيم جيش كبير في سورية، فقد استعد للحرب مع إيران واختار سعد بن أبي وقاص للقيادة، وأعد جيشاً قوامه ثلاثون ألف جندي عربي، كما أعد يزدگرد أيضاً جيشاً بقيادة رستم فرخ هرمز (أو فرخ زاد) (وكان يتكون من مائة وعشرين ألف جندي كما رووا). وفي نفس هذه السنة أرسل عمر رسله إلى البلاط الإيراني، وكانوا اثني عشر رجلاً. وكان مظهرهم يدعو للاستخفاف عند دخولهم طيسفون. إلا أن يزدگرد استقبلهم بحفاوة واحترام، لأن المسلمين كانوا قد فتحوا دمشق في ذلك الحين. وسألهم يزدگرد قائلاً: ما هدفكم؟ قالوا: يجب أن تقبل الإسلام أو تدفع الجزية. فنظر إليهم الملك نظرة احتقار وأشار إلى ملابسهم قائلاً: إنكم أناس تأكلون الحرباء، وتقتلون بناتكم (كانت عادة بعض العرب قبل الإسلام أن يندوا بناتهم)، فأجاب المسلمون: لقد كنا فقراء جائعين، ولكن الله أراد أن نغتنى ونشبع، الآن وقد اخترت السيف، فإنه سيكون الحكم بيننا وبينك.

معركة القادسية والاستيلاء على المدائن (٩٠): (١٤ هجرية - ٦٢٥م)

كانت القادسية تقع بالقرب من مكان عرف بعد ذلك باسم كربلاء. وهناك التقى الجمعان، ونشبت معركة حامية الوطيس استمرت أربعة أيام، وكان النصر فيها حليفاً للإيرانيين خلال اليوم الأول بسبب الغيلة؛ فقد تمردت خيول المسلمين نتيجة الذعر الذي أصابها منها.

وفى اليوم الثانى وصلت الإمدادات إلى المسلمين من الشام، فهزموا فرسان إيران وأنزلوا بهم خسائر فادحة قدرت بحوالى عشرة آلاف فارس.

وفى اليوم الثالث فقا القعقاع بن عمرو - وهو قائد جيش الإمداد الذى كان قد وصل من الشام - عين فيل أبيض بحرية، وفعل آخر نفس الشئ بفيل آخر، فارتدت القبلة، وأصاب صوف الجيش الإيرانى بالخلل والفوضى. وفى مساء اليوم الرابع انقسم المسلمون إلى مجموعات متعددة وأغاروا ليلا على الجيش الإيرانى، ولم يتركوا مجالاً له حتى يرتاح، إذ استمرت الحرب طوال الليل^(٩١).

وفى اليوم الرابع نشبت معركة شديدة، وفى هذه الأثناء هبت ريح عاتية ألقت بتراب ميدان الحرب فى وجوه الإيرانيين، وأدت إلى حدوث خلل واضطراب شديدين فى صفوفهم. واستفاد المسلمون من هذا الوضع، وحملوا بشدة عليهم، فمزقوا قلب الجيش الإيرانى، وألقى رستم بنفسه فى الماء وسبح هاربا، لكن مسلماً يدعى هلال بن علقمة تعقبه وقتله، ثم وضع رأسه على حربة وصعد على عرشه وصاح قائلاً: قسماً برب الكعبة لقد قتلت رستم. بعد ذلك صمد الجيش الإيرانى من جديد، ولكن وصل إمداد للمسلمين وهزم جيش إيران. وفى هذه الحرب سقط علم كاويان (درفس كابينان) فى يد المسلمين. ويروى أن جواهره كانت تساوى مائتى ألف تومان تقريباً بعملة اليوم، لكن العربى الذى حصل عليه باعه بخمسة آلاف تومان.

أعطى سعد بن أبى وقاص بعد هذا الانتصار راحة لجنوده لمدة شهرين بأمر من عمر، ثم قام بالاستيلاء على البلاد الواقعة بين الفرات ودجلة. وفى سنة ١٦ هجرية تحرك قاصدا المدائن، فعرض عليه يزيدگرد أن يعيد للمسلمين البلاد الواقعة ناحية دجلة ويعقد الطرفان صلحاً، لكن سعد رفض هذا الطلب باستهزاء. ومهما كان لموقعة القادسية من أهمية كبيرة من حيث الانتصارات التى أحرزها العرب، إلا أن يزيدگرد كان يملك وسائل الدفاع التى تمكنه من صد هجماتهم. ومن ذلك مثلاً أنه يستطيع أن يعطل عبورهم لدجلة فترة، نظراً لعدم خبرتهم بصناعة السفن،

لكنه لم يقدم على ذلك. وكذلك فبمجرد أن علم باقتراب المسلمين من دجلة غادر طيسفون، وبعد أن استولى سعد على "وه اردشير" (سلوقية) حدس أن فى دجلة مكاناً غير عميق، فعبر النهر المذكور بجيشه. وأصيب العرب بالحيرة والدهشة بعد دخولهم طيسفون إذ شاهدوا عظمة هذه المدينة وثراءها وأبتها، ووقعت فى أيديهم غنائم وذخائر لا تحصى^(٩٢). ولم تكن أغلبية العرب تعرف الذهب، وكانوا يظنون الكافور ملخاً. وإذا نحينا العرش والذهب والجواهر والأشياء النفيسة وسجادة بهارستان^(٩٣) التى أرسلت إلى عمر جانباً، فقد وصل نصيب كل عربى من الغنائم التى قسمها المسلمون إلى ألفين وخمسمائة تومان بعملة اليوم كما يقال، فى حين أن عدد المسلمين كان يصل إلى ستين ألف رجل.

موقعة جلولاء

أراد سعد فى بداية الأمر أن يتعقب جيش إيران، غير أن عمر أمره بقضاء الصيف فى المدائن. وبعد فترة علم سعد أن يزيدگرد جمع جيشاً فى حلوان^(٩٤)، وأنه بصدد الحرب، فما كان منه إلا أن أرسل هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو مع اثنى عشر ألف رجل إلى هناك، ونشبت معركة حامية بين الطرفين فى جلولاء^(٩٥). ووصلت إمدادات لكلا الطرفين، وانتصر العرب مرة ثانية. وكان قائد الجيش الإيرانى من أهل الرى ويدعى مهران (ذكر البعض أن اسمه خرّه زاد). وأصاب العرب غنائم كثيرة بعد هذه المعركة فأخذوا من ميديا مائة ألف جواد أصيل (١٦ هجرية / ٦٣٧م).

وأراد سعد بعد ذلك أن يتعقب يزيدگرد، لكن عمر كتب له يخبره بأن بلاد ما بين النهرين كافية للعرب. وباليات كان هناك سد بين بلاد ما بين النهرين والبلاد التى تقع ناحية الجبال (المقصود بالجبال جبال كردستان أو جبال زاغروس) حتى

لا يتمكن الإيرانيون ولا العرب من عبورها، ومن ثم قام سعد بالاستيلاء على مدن ما بين النهرين (١٦ هجرية).

وفي السنة التالية شيد المسلمون مدينتي الكوفة والبصرة (١٧ هجرية)، فأقيمت الكوفة بالقرب من الحيرة القديمة، وبنيت البصرة على أنقاض مدينة الأبله، وبعد بناء هاتين المدينتين انحط شأن المدائن والحيرة.

اتجه المسلمون صوب البحرين لكي يغيروا على فارس عن طريق البحر وساحل الخليج، وتقدموا منتصرين، ولكنهم هزموا بعد ذلك. ومع أنه وصل لمساعدتهم اثنا عشر ألف جندي إلا أنهم اضطروا للعودة إلى البصرة. وشجع هذا النصر الذي أحرزه الإيرانيون آنذاك الهرمزان حاكم خوزستان على إخراج العرب من الأهواز، فقامت بينه وبين العرب معركة استردوا بعدها الأهواز (١٩ هجرية = ٦٤٠م)، ولكن طال حصار شوشتر وخضعت هذه المدينة لسيطرة المسلمين بعد ثمانية عشر شهراً فقط، فذهب الهرمزان إلى عمر وقتل بعد ذلك في المدينة على يد ابن عمر.

موقعة نهاوند: (٣١ هجرية = ٦٤٢م)

كانت هذه المعركة آخر المعارك التي خاضها يزيدگرد مع المسلمين، ذلك أنه استغل توقف جيوش العرب في ما بين النهرين وانشغالهم بالشئون الداخلية وأعد جيشاً من جديد. ولما علم المسلمون بما يعده يزيدگرد، تحرك جيش بقيادة النعمان بن مقرن إلى حلوان ليهاجم الري من هناك.

وهناك وصلت أخبار تفيد أن جيش يزيدگرد في نهاوند، عندئذ أسرع النعمان إلى تلك الناحية مع ثلاثين ألف مقاتل، ونشبت معركة نهاوند. ورغم تفوق الجيش الإيراني من ناحية الكم فقد اختار الحرب الدفاعية كما أمر بذلك قائده فيروزان،

وحارب الإيرانيون خلف الخنادق ولم يحاربوا في السهول إلا قليلاً. ولذلك طالبت الحرب وأوشكت مؤن الجيش العربي على النفاذ. وفي هذه الأثناء اصطنع النعمان حيلة، إذ انسحب معلناً أنه ذاهب إلى المدينة لوصول خبر وفاة الخليفة.

وعلى أثر هذا انخدع فيروزان وتعبه، ولكن بمجرد أن خرج جنود إيران من خنادقهم ووصلوا إلى المكان الذي أراده النعمان، عاد المسلمون وحملوا عليهم بشدة حتى قضاوا عليهم. وقتل النعمان خلال المعركة وحل محله حذيفة، وانتهى القتال. وقد سمي رواة العرب هذا الانتصار باسم فتح الفتوح.

الاستيلاء على ولايات إيران وموت يزدگرد

بعد معركة نهاوند وخلال عشر سنوات خضعت أصفهان وفارس وأذربايجان (حتى دربند) والرى وسيستان ومكران وغيرها من الولايات للعرب، غير أن كل ولاية من هذه الولايات والمدن جمعت جيشاً ودخلت في حرب مع العرب سواء على حدودها أو في داخلها، وكانت الهزيمة من نصيبها. وحافظت طبرستان فقط على استقلالها حتى منتصف القرن الثاني الهجري (٧٦٩م)، وحكمت هناك أسرة السيهديين^(٩٦). واستولى العرب على خراسان بعد استيلائهم على سائر ولايات إيران.

وعلى العموم، وكما يستفاد مما ذكره المؤرخون العرب؛ فقد دخل الإيرانيون في معارك كثيرة مع العرب، وصمدوا أمام المسلمين أكثر من الروم بمراحل كثيرة. قتل يزدگرد بعد عشر سنوات من موقعة نهاوند (٣١ هجرية = ٦٥٢م) إذ انتقل آخر ملك ساساني بعد هزيمة نهاوند من الرى إلى أصفهان، ثم إلى مكران، ثم إلى بلخ ومرو، وأرسل رسولاً إلى الصين طالباً العون من فغفور، ولكن الصين امتنعت عن تلبية طلبه نظراً لبعدها عن إيران ودخل يزدگرد بعد ذلك في

مفاوضات مع خاقان الترك الذي قبل في البداية مساعدة يزدگرد ولكنه امتنع بعد ذلك نتيجة عدم رضائه عن تصرفاته.

وعلم يزدگرد بسوء النية التي يبنيها له ماهوى مرزبان مرو، ففر هارباً ولجأ إلى طحان^(٩٧) بالقرب من مرو ليقضى الليل عنده، ولكنه قتل يزدگرد طمعاً في ملابسه الفاخرة وجواهره، ويقال إنه دفن في فارس طبقاً لبعض الروايات.

الأسرة الساسانية بعد موت يزدگرد

بلغت مدة حكم هذه الأسرة في إيران ٤١٦ عاماً، غير ان انقراضها لا يتفق مع وقت زوال الدولة الساسانية؛ فقد ذكر المؤرخون الصينيون أن يزدگرد الثالث أرسل في السنة السادسة عشر من الهجرة (٦٣٨م) رسله إلى البلاط الصيني طالباً العون، ولكن فغفور الصين امتنع نظراً لبعد إيران. وبعد موت يزدگرد نصب ابنه فيروز الثالث نفسه ملكاً على إيران، واعترف به فغفور على هذا الأساس.

وبقي فيروز بعد ذلك في جبال طخارستان^(٩٨) لإعداد جيش يحارب به العرب، وساعده ملك طخارستان الذي كان في منأى عن العرب، واعترف به ملكاً على إيران.

وفي سنة ٦٦١م نظمت دولة الصين ممالكها الغربية، وأنزلت هزيمة بأثر اك تركستان أثناء ذلك، وكونت دولة باسم إيران وفوضت حكمها إلى فيروز، وكانت هذه المملكة تسمى (تزي كيك). ولا يعرف أين كانت. ولم يتمكن فيروز بعد فترة من البقاء في تزي كيك بسبب هجمات المسلمين، فذهب إلى الصين وطلب من فغفور السماح له بإقامة بيت نار في "چان كان"، ولكنه سرعان ما قضى نحبه. وطبقاً لما ذكرته المصادر الصينية كذلك؛ فقد أقام أمراء من إيران علاقات مع الصين من بعده.

وذكر المؤرخون الصينيون أيضاً أن ملك إيران أرسل فى سنة ٧٣٢م (كيلى) النسطورى رسولا إلى بلاط الصين، ولكنهم لم يذكروا اسم ذلك الملك.

إيران بعد موقعة نهاوند

دخل العرب بعد معركة نهاوند فى حروب ومعارك مع الإيرانيين فى أنحاء إيران المتفرقة، ومع أن طبقة الحرفيين والعمال الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم لأهل المدن سرعان ما قبلوا حكم العرب بسبب عدم رضائهم عن تضيق المغان على بعض المكاسب والحرف، بينما قاوم سكان القرى والعشائر والقلاع، نظراً لأن مالكي الأرض كانوا غالباً من طبقة الأشراف، ولم يستسلموا بسرعة للحكم العربى. ومثال ذلك ما حدث لقلعة "أستونند" فى الرى التى قاومت حتى سنة ١٤١ هجرية، كما بقى الملوك والأمراء المحليون فى بعض مناطق إيران عدة قرون بعد الغزو العربى، ولم يتمكن الحلفاء الأمويون والعباسيون من السيطرة عليها تماماً (مثل طبرستان وجيلان).

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار كذلك أنه على الرغم من أن إيران فقدت استقلالها فى ذلك الحين بسقوط الدولة الساسانية، فإن روح الرغبة فى استقلال إيران ظلت حية، وظل الخلفاء الأمويون يرسلون بجيوش تتكون من مائة ألف أو مائتى ألف جندى إلى إيران كل عدة سنوات وخلال أكثر من قرن لإخماد الثورات الإيرانية. ورغم كل ما بذلوه من جهد، فإنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها. وانتهت المعارك والمنازعات بين الإيرانيين والخلفاء فى نهاية الأمر بانتصار أولى؛ إذ أطاح الإيرانيون بخلافة بنى أمية وأسسوا خلافة بدلاً منها كانت من حيث نظمها وإدارتها شبيهة بالدولة الساسانية، فأمنت نفوذ إيران فى بلاط الخلفاء العباسيين. ولم تنته الحرب الإيرانية مع الخلفاء رغم وجود هذا التغيير المهم، وأخذت الدلائل كلها تشير إلى أن الإيرانى لم يعد يحتمل بعد ذلك السيادة السياسية لبغداد، وعلى

أثر ذلك الإحساس تأسست دويلات في مناطق مختلفة من إيران كانت تعترف اسماً بخلافة بغداد، ولكنها كانت في الحقيقة مستقلة (كالديالمة وغيرهم). وبهذا النظام عاد استقلال إيران السياسى تدريجياً منذ أواخر القرن الثالث الهجرى تقريباً، بعد أن كان قد ضاع بسقوط الدولة الساسانية، ودخلت إيران مرحلة جديدة، وشرح هذه الأحداث يدخل في عصور أخرى من تاريخ إيران.

الفصل الثانى

الحضارة الإيرانية فى العصر الساسانى

المبحث الأول

طبقات الشعب - النظم الإدارية - النقود - التجارة - العلاقات الخارجية

الطبقات

قسّم شعب إيران إلى أربع طبقات:

- ١- طبقة رجال الدين (أثروان).
- ٢- طبقة رجال الحرب (آرتشتاران).
- ٣- طبقة المستخدمين بإدارات الدولة أو الكتاب (دبيران).
- ٤- طبقة الزراعة والصناع (واستري يوشان وهتخشان).

وتقسم كل طبقة من هذه الطبقات إلى أقسام أخرى، ولكل منها رئيس يرأس مجموعة من المستخدمين مثل المفتش والمحاسب والناظر وغيرهم ممن يؤدون الأعمال الخاصة بالطبقة.

وكان رجال الدين ينتخبون من المغان، ويقال للواحد منهم مؤيد^(٩٩)، ويطلق على رئيس المواعدة اسم المويذان مويذ، وهو الذى يفصل فى كل الأمور الدينية فصلاً نهائياً ويبت فيها وينتخب الملك، ويعين بقية رجال الدين طبقاً لرأيه. وستأتى ألقاب رؤساء سائر الطبقات فيما بعد^(١٠٠).

وترى كذلك تقسيمات فى عصر الساسانيين يعتقد الباحثون أنها ميراث من عصر البارثيين، وأن الساسانيين حافظوا عليها. وعلى أية حال فهى كما يلى:

- ١- طبقة الشهر داران (شترتاران)، أى الذين يحكمون البلاد مثل ملوك أرمينية والحيرة التابعين وغيرهم، وحكام الولايات وحكام الثغور أو المرازبة

مرزبان ها) ويلقب الحكام (شهرداران) الذين ينتسبون إلى الأسرة الحاكمة بلقب ملك (شاه).

٢- طبقة ويس پوران (ويسپوهران)^(١٠١)؛ وهذا الاسم يطلق على سبع عائلات ممتازة: ثلاث منها پارثية وتلقب نفسها بلقب بهلو، وأربع عائلات أخرى كانت تطلق على نفسها أيضًا لقبًا بهلويًا، لأنهم كانوا يعتقدون أن نسبهم يصل إلى البارثيين. ولرؤساء تلك العائلات مناصب خاصة متوارثة كما أسندت لهم بعض الوظائف الشرفية. ولم يكن محل إقامتهم يتغير (مثلا كانت أسرة قارن تقيم في نهاوند، وسورن في سيستان، وإسبنديار في الري، وسيهبد في گرگان، ومهران في فارس). وكانت هذه العائلات تملك أرضًا وأملًا واسعة لا تتدخل الدولة في إدارتها، ولكن لا يسمح لهم ببيعها؛ أي أنها تنتقل من جيل إلى آخر.

٣- طبقة العظماء (وزرگان)؛ وهي تشتمل على كل من يتصدون للأعمال المهمة بالمملكة. وأصحاب المناصب المهمة كما يبدو هم:

(أ) كبير الوزراء (وزرك فرماذار).

(ب) كبير الموازنة (مؤيدان مؤيد) وهو الرئيس العام لرجال الدين.

(ج) رئيس كتاب الملك (إيران دبیربذ).

(د) السبسالار أو القائد (إيران سپهبد).

(هـ) رئيس طبقة الزراعة (واس تری یوشان بذ).

(و) رئيس طبقة التجار والمهنيين (هتخشان بذ).

وكان هؤلاء يديرون شؤون الدولة، كما كان الأول ممثلًا لملك وكان الآخرون ممثلين للطبقات الأربعة.

٤- آزادان أو الأشراف (آزاتان)؛ ليس معروفًا من أين جاء لقب آزادان هذا، ويقال إنه عند مجئ الإيرانيين إلى أرض إيران، أطلقوا على أنفسهم لقب آزاد تمييزًا لهم عن السكان الأصليين، ودخل تحت هذا اللقب قسم من العظماء بعد ذلك، وكانوا يعيشون في الغالب داخل أملاكهم وأراضيهم، وهم مستعدون للمشاركة في الحرب عندما يتطلب الأمر ذلك، كما كان بعض الأشراف يقيم في البلاط ويصل إلى أعلى المناصب (مثل وه رز). وهناك لقب آخر هو الدهقان (دهكان)، ويعتبر الدهاقنة من طبقة تلي طبقة النبلاء، وكانوا يعيشون أيضًا في أملاكهم وعملهم الرئيسي هو جمع الضرائب. ولأنهم كانوا على علم دقيق بالضرائب المحلية، فلم يكن يستغنى عنهم، وكانت لهم أهمية في تاريخ إيران، إذ استفاد من دراسات الباحثين أنهم كانوا حلقة اتصال بين سواد الشعب والعظماء الآريين، وانتشرت عن طريقهم في المجتمع الصفات الحسنة التي اتصف بها العظماء من شجاعة أخلاقية وفتوة، ورسخت به. ويعتقد بعض الباحثين أنه كان للعظماء الإيرانيين عيوب كثيرة، ولكنهم كانوا أيضًا يتصفون بصفات لم تتوفر لدى أي أمة من الأمم القديمة حتى أمة الروم، هذه الصفات هي الأدب والمروءة.

ولم يكن الزراع يستطيعون تغيير مواطنهم وسانتهم، وتلقى على عاتقهم أعباء الخدمة العسكرية وأعمال السخرة إذا دعت الضرورة لذلك. وكان سكان المدن فقط هم الذين يدفعون ضريبة الرؤوس ويعفون من تأدية الخدمة العسكرية ويتم الانتقال من الطبقة الأدنى إلى طبقة العظماء بعد تدقيق وامتحان وبإذن من الملك.

النظم الإدارية:

كانت إيران قد قسمت قبل أنوشيروان إلى عدة أقسام، يحكم كل قسم منها حاكم، وفي هذا العصر لم يكن يذكر لقب خستر بوان، وغالب الظن أنه اندثر على

عهد الأشكانيين. وكانوا يسمون حكام الأقاليم أو الثغور بالمرازبة، ويعطى للمرازبة ذوى الأهمية عرش من فضة ما عدا مرزبان حدود الخزر الذى كان عرشه من الذهب. ويلقب الحكام الذين ينتسبون إلى الأسرة الحاكمة بلقب ملك، وعندما دخل العرب إيران كان عدد الملوك قد وصل إلى ستة وعشرين ملكاً. وقد قسم أنوشيروان كل إيران إلى أربعة أقسام، وأطلق على كل قسم منها بإذكس وسماه باسم إحدى الجهات الأربع:

الشمالي - أوختر، الشرقى - خور آسان، التى صارت خراسان فيما بعد، الجنوبي - نيمروز، الغربى - خور وران (أو: خربان). وعين على كل قسم من هذه الأقسام حاكماً يدعى "إذكس بان"، وهو الذى يعين الحكام ونواب الحكومة، غير أن الجيش لم يكن تحت إمرته. وينفذ الحكام تعليمات قائد الجند الذى لقب بالسپهبد، وكان عدد هؤلاء القادة أربعة فقط. وفى بعض المناطق كان الحكام يعينون من قبل حكام المديریات (استندارها)، وكانوا يديرون الأملاك الحكومية فى السابق. وفى أوائل العصر الساسانى ووسطه لم يكن للإصبهبيين أى تفوق على الحكومة الاقليمية غير أنه منذ زمن أنوشيروان وحتى نهاية الأسرة الساسانية دخل حكام الأقاليم والثغور تحت إمرة الأصهبهبيين، وكانت إدارات الدولة تسمى بالدواوين^(١٠٢)، ويبدو أن الديوان وجد فى إيران منذ عصر الهخامنشيين.

المالية:

كان دخل الدولة الساسانية يأتى من نوعين من الضرائب، أولاً من الخراج أو الضرائب العقارية. ثانياً، من الجزية (كزيت) ضريبة الرؤوس التى سميت فى العصر الإسلامى بالجزية. ولم يتغير النوع الأخير من الضرائب؛ بمعنى أنه كان يحدد مبلغ لكل قسم من أقسام المملكة ويقسم على عدد سكان القرية، ويحدد خراج كل ناحية طبقاً لدرجة خصوبتها، وعلى كل قرية أن تدفع من سدس إلى ثلث

محصولها حسب سنوات الرخاء أو القحط، أو بالنظر إلى المسافة بينها وبين المدينة، وأعفى من دفع الضرائب النساء والأطفال والشيوخ. أما من يدفعون ضريبة الرؤوس فهم من ليس لهم نسب ملكي وكذلك اليهود والمسيحيون. ولما كانت هذه الضرائب تقدر جزافاً، وأدت جبايتها إلى الظلم والاعتداءات المتكررة من قبل موظفي الحكومة، ولما كان موظف الحكومة لا يحدد مقدار الضرائب التي يجب على الزارع أو المالك دفعها، مما يعطل جني المحصول؛ لذا فقد فكر قياد في إعداد نظام جديد للضرائب، أتمه أنو شيروان فيما بعد، فمسحوا الأراضي الخصبة والمزروعة وجعلوا الكريب - وكان يعادل ألفين وأربعمائة ذراع مربع بقياس اليوم - أساساً لضرائب الأرض، أى أن يطالب بمقدار معين ومحدد من الضرائب عن كل كريب^(١٠٣) وتحصل الضرائب على أربعة أقساط، وكانوا يطلقون على القسم اسم (سى مرك) أو ذى الثلاثة شهور. وأعفيت المحاصيل التي لم تذكر في هذا الهامش من الضرائب.

وكان هذا الإصلاح الضريبي مع عيوبه سبباً في سعادة الشعب ورفاهيته نظراً لما كان يقاسيه من عدم تحديد الضرائب وكثرتها في العهود السابقة. وقد تم إصلاح جزية الرؤوس أيضاً في عهد أنوشيروان، إذ قسم الشعب من ناحية الملكية التقريبية إلى عدة طبقات، وقرر لكل طبقة مبلغ لجزية الرؤوس^(١٠٤)، وأعفى من دفع هذا النوع من الجزية رجال الحرب ورجال الدين والكتاب والمستخدمون في إدارات الدولة. وكانت جزية الرؤوس تؤخذ من سن العشرين إلى سن الخمسين، ولتفويض القرارات المذكورة صدر الأمر إلى قضاة الولايات بالإشراف على تنفيذها والتحقق في الشكاوى التي تقدم لتعدى موظفي الدولة، وإطلاع العاصمة على هذا بانتظام.

كانت الضرائب إذن هي أهم موارد الدخل العادية للدولة الساسانية، ولكن وجدت موارد دخل كبيرة كذلك للدولة كالغنائم الحربية والغرامات التي كانت تحصلها من بلاد الروم، والهدايا التي كان يقدمها أثرياء المدن في عيدي النوروز

والمهرجان، وعائد معادن الذهب وغيره. ويظن البعض أنهم كانوا يحصلون الجمارك في ذلك الوقت، ولكن هذا غير مؤكد. وقد وصل دخل الدولة في عصر كسرى پرويز إلى مائتين وأربعين مليوناً من الدراهم تقريباً (١٠٥).

الجيش:

كان الأساورة (الفرسان) يشكلون القسم الرئيسي من الجيش، ويتكون الفرسان من:

أولاً: الأساورة الخالدون - تذكّر العصر الهخامنشى - ولا يعرف كم كان عددهم.

ثانياً: الأساورة المتطوعون، وهم الذين كان يعدّهم الملوك التابعون للخدمة، ويرى بينهم كل أنواع الطوائف (من ديالمة وغيلگيين وبدو گرگان وأمرن وغيرهم).

ثالثاً: الأساورة الفدائيون "جان اسپار" وهم جنود ماجورون.

وتتكون الأسلحة الدفاعية التي يستخدمها الفرسان من ترس وخوذة ودرع وجوشن وأشياء أخرى تغطى الرأس والصدر واليدين والقدمين وغير ذلك، وتغطى أجساد الخيول أيضاً بقطع الحديد.

أما الأسلحة الهجومية، فكانت عبارة عن السهم والقوس والسيف والدبوس والبلطة والأنشوطه، وكان الفرسان المسلحون بأسلحة ثقيلة يحملون أسلحة هجومية ودفاعية، وكانت ميزة الجيش الإيراني في العصر الساساني، والتي تميز بها عن نفس الجيش في العصر الأشكاني، هي احتواؤه على الفرسان المسلحين بأسلحة ثقيلة. وقد مدح المؤرخون الروم واليونانيون رماة السهام الإيرانيين.

ولم يكن للمشاة أهمية تذكر، فقد كانوا يجمعون القرويين ويعطونهم الأسلحة والتروس ويرسلونهم للحرب (لم تكن تدفع لهم مرتبات في الغالب)، ولما كانوا أحياناً يلقون بأسلحتهم ويفرون، فقد استخدموهم غالباً في تأدية الأعمال البعيدة عن صفوف القتال. واستخدموا الفيلة خلف الصفوف، لأنهم كانوا في حكم النخيرة "أو القوات الاحتياطية"، إذ كانوا يضعون فوقها أبراجاً مليئة بالمحاربين. وكانت الفيلة ذات فائدة عظيمة في الحروب التي قامت بين إيران والروم، واستخدمت أحياناً في مقدمة الجيش لبث الذعر بين خيول فرسان العدو كذلك. وكانت راية الجيش هي علم كاويان "درفش كاويانى" (وهو تنكار من كاوه الحداد الأسطوري)، ولهذا العلم احترام كبير عند الإيرانيين القدماء، لأنهم اعتبروه علماً خاصاً بإيران. وقد زادوا بعد ذلك من طول هذا العلم وعرضه حتى أصبح طوله اثنين وعشرين قدماً وعرضه خمسة عشر قدماً فى أواخر العصر الساسانى، وزين كله بالجواهر الثمينة.

وكانوا قبل الحرب يقومون بإجراء عادة دينية وهي صب الماء المقدس فى أقرب مجرى مائى، ولا بد من غسل السهم الأول بالماء المقدس، وأحياناً وقبل أن يلتحم الجيشان كان القائد أو المحارب يطلب مبارزاً ويصيح قائلاً: "مَرْدٌ ومرد" أى رجل ورجل، وإذا كان الملك هو قائد الجيش وضعوا له عرشاً وسط الجيش ليجلس عليه ويعطى أوامره. ولم يكن الملك يقوم بالهجوم بنفسه عادة، لكنهم ذكروا أن سابور الكبير ألقى بنفسه بين صفوف الأعداء.

وقد راجت فنون الحصار فى حروب العصر الساسانى مثل حفر الخنادق، وإقامة الأبراج، واستخدام المنجنيق وسائر الآلات، وثقب جدران القلاع وإلقاء الرصاص المذاب على رؤوس المهاجمين، والاستيلاء على أدوات الحصار من العدو بواسطة الأنشطة وغيرها. وكان الإيرانيون يؤدون هذه الأعمال بمهارة، ويطيعون الأوامر العسكرية طاعة عمياء. ويجب على قائد الجيش - بالإضافة إلى خبراته العسكرية - أن يكون صلباً هادئاً شديد التحمل.

وكان طعام الجيش يتكون فى وقت الحرب من الخبز واللحم واللبن، وبلغ الحد الأقصى للمرتبات ٤٠٠١ درهماً، وهو الذى كان يدفع للقائد العام أى الملك (١٠٧).

القضاء:

كان القضاء يعينون من بين رجال الدين، لما كان لهم خاصة من اطلاع وعلم بأصول التقاضى. وأحياناً كانوا يعينون من أفراد العائلات العريقة لكن تعيينهم يكون للحكم بين العظماء، وهناك قاض لكل ناحية. والدهقان فى القرية هو الذى يحقق فى القضايا، ويفصل فيها أحياناً. وبالإضافة لهؤلاء عين قاض لكل جيش، وقسمت الجرائم إلى ثلاثة أنواع:

١- جريمة فى حق الدين "ردة".

٢- جريمة فى حق الملك كالخيانة والتمرد والثورة والفرار من الجيش أثناء الحرب وما إلى ذلك.

٣- جريمة فى حق الأفراد، أى التعدى على الغير أو على أموالهم. وكانت عقوبتها شديدة، لكن أنوشيروان خفف من العقوبات؛ فالمرتدون كانوا يسجنون ويحاولون بالموعظة ردهم عن الدين الجديد، فإذا نجحوا فى ذلك أطلقوا سراحهم، وبالنسبة للجرائم التى تكون فى حق الملك، فقد كان يصدر الحكم بالإعدام فى اثنتين منها فقط: الثورة والفرار من الحرب، وأما جرائم النوع الثالث، فلم يكن يصدر حكم بالإعدام بل يكتفى بعقاب المجرم ببيت عضو من أعضائه أو تغريمه. غير أن عقوبة السرقة كانت شديدة، إذ كانوا يلقون باللص فى السجن مقيداً بالأغلال ويشنق بعد أن يقر ويعترف فى حضور القاضى.

ومن العقوبات الشائعة في ذلك الوقت أيضا قطع الأذان أو الأنف، والصلب، والرجم حتى الموت، ولكن أنوشيروان خفف هذه العقوبات أيضا واكتفوا في الجرائم التي كانت عقوبتها البتر بتغريم المجرم غرامة مالية في المرة الأولى، وإذا تكرر منه هذا الجرم كانوا يقطعون أذنه أو أنفه (كان قطع اليد ممنوعاً). وعندما كان يحدث شك في ارتكاب المتهم للجريمة كانوا يستخدمون وسائل وهمية (وريه)، فمثلا كانوا يجبرون المتهم على المرور بين نارين، فإذا خرج سالماً اعتبروه غير مذنب.

ومن مساوي عقوبات العصر الساساني انتقال عقوبة الجاني إلى أسرته فيتعرض أفراد أسرته (وخاصة أقرب أقربائه) للعقوبة كذلك^(١٠٨)، وكان الملك يستقر فوق مكان مرتفع وقد امتطى جواده أثناء التحقيق، ويحقق في شكاوى الناس. وفي أوائل العصر الساساني كان الملك يعطى إذناً عاماً مرتين كل عام إحداهما في النوروز^(١٠٩) والثانية في المهرجان^(١١٠)، ويعلن المنادون الناس قبل ذلك بعدة أيام حتى يحضر من كان له شكوى في ذلك اليوم. وفي اليوم المذكور كان منادى القصر الملكي يصيح قائلاً: "من يمنع أصحاب الشكاوى من الحضور سيسأل عن ذلك".

وعموماً، فقد أصبح من المسلم به نتيجة دراسة الباحثين أنهم كانوا يولون اهتماماً للعدالة والقضاء في إيران القديمة، وكانوا يحترمون منزلة القضاء ومقامه ويعينون في هذه الوظيفة أشخاصاً من ذوى المعلومات القضائية وممن يتصفون بالنزاهة والخبرة والتجربة ومن الممكن أن يتظلم الناس من حكم الملك إلى الملك نفسه، وفي هذه الأحوال كان الملك ينزل من على العرش ويكلف الموبذان موبذ بالحكم، فإذا كانت الشكوى في محلها أرضى الشاكى وإلا فإنه ينزل العقاب به.

دوائر البريد:

جاء ذكر تنظيم هذه الدوائر في نظم العصر الهخامنشى الإدارية، وقد اقتبس الخلفاء العباسيون كذلك هذا النظام من إيران الساسانية، وأقاموا إدارات البريد وأمنوا طرق البلاد وعبدوها، وأرسلوا سعاة بريد راجلين بالنسبة للمناطق الجبلية، وسعاة بريد من راكبي الإبل بالنسبة للأماكن الصحراوية القاحلة.

رجال الدين:

لما كان الدين الزرتشتى هو الدين الرسمي خلال العصر الساسانى؛ فقد تمتع رجال الدين بنفوذ كبير فى شئون البلاد، فكان المغان يملكون أملاكاً كثيرة فى إيران وخاصة فى آذربايجان، وأعطاهم الشعب العشور والهدايا كذلك. وكما يذكر أم مين مارسلن^(١١١) فإنهم لم يخضعوا لقوانين البلاد، بل كانت لهم قوانين خاصة. وطبقات رجال الدين على النحو التالى:

(أ) المغان وهم أقل الطبقات.

(ب) الموبدان أو رؤساء المغان والهرابذة أو سدنة بيوت النار وهم أعلى من المغان.

(ج) الموبدان موبذ أو رئيس الموابذة، والهيربذان هيربذ أو رئيس الهرابذة. وهما أعلى من الجميع. ويعتقد أن الأول كان رئيساً عاماً لكل رجال الدين، وكان الثانى قاضى القضاة. وكان الموبدان موبذ الكبير يقيم فى الرى ويحكم هذه البلاد. وقد ذكر المؤرخون المسلمون أن لقبه مصمغان^(١١٢).

أما بيوت النار فهى كما يلى:

(أ) كانت لكل أسرة نار، ويجب على رئيس الأسرة مراقبتها حتى لا تخمد.

(ب) لكل قرية نار أيضا وتسمى آذران.

(ج) لكل إقليم نار كذلك وتسمى بهرام.

(د) كانت هناك ثلاثة معابد للنار لها احترام وقدسية خاصة في كل إيران:

١- آذر فرنباغ في كاريان بفارس وهي خاصة برجال الدين.

٢- آذر كشناسب، وتقع في شيز بأذربايجان، وهي خاصة بالملك والمحاربين. وكان الملوك يذهبون إليها سيرًا على الأقدام بعد تتويجهم.

٣- آذر برزين مهر، وهي في ريوند بخراسان، وقد خصصت لطبقة الزراع.

النقود الساسانية:

كانت النقود الساسانية تسك من الذهب والفضة والنحاس، ومن خليط النحاس والبرونز. وتتساوى النقود الذهبية الساسانية في عصر شاپور الأول والثاني في الوزن مع النقود الرومية الذهبية. ولكن اختلف وزنها فيما بعد^(١١٣). والنقود الفضية الساسانية هي نفسها الدرخم، ويستفاد من دراسات الباحثين أن كلمة "درخم" لم تكن تستعمل في عصر الساسانيين، وأن النقود الفضية كانت تسمى (زوز) أو كرشه. وتزن العملة الفضية ما يقرب من مثقال واحد، وتتساوى في القيمة من ٣٢ إلى ٣٥ شاهي بعملة اليوم. والظن الغالب أن النقود النحاسية كانت تسمى "معا" (كلمة معا سامية). والنقود الساسانية تلفت النظر من ناحية جمال شكلها، ومن المعتقد أن فنيين يونانيين كانوا يعملون في دورسك النقود بإيران، وتاريخ سك نقود الملوك الساسانيين هو سنوات سلطنتهم (فمثلا كتب على أحد وجهي قطعة نقود من نقود عصر أنوشيروان چهار وجهل^(١١٤) أي سنة أربع وأربعين). وكانت الكتابة باللغة

الپهلوية وحروفها، ويوجد هزوارش بها، أى أن بعض الكلمات كانت تكتب باللغة الآرامية وتقرأ باللغة الپهلوية^(١١٥). وتوجد على النقود عبارة تعرف الملك^(١١٦).

وقد راجت النقود الساسانية لفترة فى إيران والبلاد المجاورة بعد انقراض الساسانيين، ولكن كتب عليها "بسم الله" بدلاً من صورة الملك ومعبد النار. والفضة هى أساس النقود فى عصر الساسانيين كما كان الحال بالنسبة لعصر الأشكانيين.

الرصيد النقدي للخزانة:

لم يكن قدره معروفاً قبل كسرى پرويز، ولكن وصل - طبقاً لما ذكره المؤرخون - فى أواخر عهده إلى ألف وستمئة مليون درخم عدا الأشياء النفيسة والأمتعة والأقمشة القيمة. وكانت النفقات الرئيسية للدولة عبارة عن:

١- نفقات البلاط.

٢- مرتبات المستخدمين بالإدارات والجيش.

٣- نفقات الحروب.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن بعض الملوك الساسانيين كانوا يقومون بالأعمال التى يطلق عليها اليوم الخدمات العامة من قبيل إقامة السدود (للرى) والجسور، وشق الطرق، وبناء القلاع والمدن على الحدود وفى الأماكن اللازمة، ويلاحظ أن قسماً من هذه الأعمال كان يتم بكد الشعب وعنائه. وذكر كتاب الأرمن أن الرصيد النقدي للخزانة كان يصهر فى بداية حكم كل ملك وتضرب نقود باسم الملك الجديد.

الحرف والتجارة:

ازدهرت التجارة في عهد الساسانيين، فقد كانت إيران هي طريق النقل الوحيد بين اليونان وبلاد الروم وآسيا الصغرى وما بين النهرين والشام ومصر من ناحية وبين الصين والهند وآسيا الوسطى من ناحية أخرى، وكان لابد لكل القوافل التي تحمل بضائع الطرفين أن تمر بإيران أو بالبلاد التابعة لها.

وكانت إيران نفسها تتاجر في بضائع كثيرة تحملها إلى أوروبا والصين والهند، ومن صادرات إيران القيمة في ذلك الوقت المنسوجات التي كانت لها شهرة عظيمة آنذاك، وكانوا ينسجون منها أنواعاً وأقساماً مختلفة. وقد شكلت المنسوجات المزركشة بالذهب والأقمشة والملابس الحريرية وريش الطيور والمصوغات والجلود وغير ذلك جزءاً رئيسياً من صادرات إيران.

ولما كانت بابل جزءاً من إيران، فقد كان لسجاد هذه المدينة سوق كبيرة في الصين، ويعتبر من البضائع المهمة للتصدير. وكذلك كان لمواد الزينة التي تصنعها إيران رواج في بلاد الصين^(١١٧). وكانت الصين تصدر لإيران الحرير والورق، وتصدر الهند الحرير والأدوية والأحجار الكريمة، وكان يصدر من إيران إلى الصين الياقوت الإيراني ومرجان البحر الأحمر، وتمر القوافل التي تتجه من الصين إلى إيران والقوافل التي تتجه من إيران إلى الصين من جنوب صحراء جوبي^(١١٨) والصغد. وقد عمل الصغديون على المحافظة على هذه القوافل وحمايتها.

وذكر المؤرخون أسماء ثلاث مدن على وجه الخصوص من المدن الحرفية الإيرانية. وهي: الري ومرو وتوز (في فارس)، وكان للساسانيين عادة ساعدت على تقدم الصناعات والحرف في إيران رغم قسوتها، وهي أنهم كانوا ينقلون الأسرى الأجانب أو سكان الأقاليم ويسكنونهم في مناطق أخرى كما فعل سابور الأول الذي نقل الروم- الذين أسروا مع قائليريان إمبراطور الروم-

إلى (جندی شاپور)، وجعلهم يقيمون هناك، وكلف المهندسين الروم ببناء السدود. وكذلك فعل شاپور الثاني بعد فتح آمد (ديار بكر)، إذ نقل سكانها إلى شوش وغيرها من المدن، وكلفهم بعمل المصنوعات الذهبية ونسج الأقمشة الحريرية، فنهضت هذه الحرفة في إيران.

علاقات إيران بالدول الأجنبية:

لقد ذكرنا ما يجب ذكره بالنسبة لعلاقات إيران مع دولة الروم أثناء سردنا للأحداث التي وقعت، ولكن يقتضى الأمر إضافة بسيطة وهى أن الطرفين لم يتبادلا السفراء الدائمين فى بلاطيهما، وكانا يرسلان رسولا للمباحثات كلما لزم الأمر، وجرت العادة على أن يخبر الملوك الساسانيون وأباطرة الروم الشرقية بجلوس كل منهم على العرش حتى لو كان تغيير الحكم قد حدث أثناء الحرب. وتشدد الروم كثيرا فى هذا الصدد، فقد غضبوا على هرمز الرابع لأنه لم يخبر إمبراطور الروم بجلوسه على العرش. وكان الملك والإمبراطور يخاطبان بعضهما فى المراسلات بلقب الأخ^(١١٩).

ورغم عدم وجود علاقات منتظمة مع الصين فى العصر الساسانى، فقد كان هناك تبادل كثير للسفراء منذ العصر الأشكانى. ولم تكن هناك علاقات بين الدولتين لمدة مائتى سنة، وذلك بعد آخر سفير قدم من الصين إلى البلاط الإيرانى. وعادت العلاقات من جديد منذ سنة ٣٨٦م واستمرت حتى سنة ٥٨٤، بمعنى أنه تم تبادل عشر سفارات بين الصين وإيران تقريبا، وكانت آخر السفارات الصينية التى قدمت إلى البلاط الإيرانى فى عصر قباد وأنوشيروان. ويستفاد من المعلومات التى قدمها السفراء المذكورون إلى بلاط الفغفور أن الصينيين كانوا يطلقون على إيران اسم بوسز، وذكروا أن طيسفون (المداين) كان بها مائة ألف أسرة.

وقد استرعى انتباههم على وجه الخصوص بيض النعام، وكانت الهدايا التي أرسلها ملك إيران لفغفور الصين تحتوى على عدد من الفيلة وكمية من بيض النعام (كانوا يحصلون على هذه الحيوانات من صحراء إيران الكبرى) وقد ظن المؤرخون الصينيون أن هذه الهدايا جزية^(١٢٠). وتوضح المعلومات المستقاة من المصادر الصينية والخاصة بالبضائع الإيرانية أن صادرات إيران كانت كثيرة جدًا^(١٢١). ولا توجد معلومات وفيرة حول العلاقات بين إيران والهند، ولكن من المسلم به أن سفيرًا قدم إلى إيران من قبل راي الهند في عهد أنوشيروان وأحضر معه شطرنجًا هدية. وقد ذكرنا من قبل علاقات بهرام گور مع الهند.

المبحث الثاني

الديانات في العصر الساساني

الدين الزرتشتي:-

اتخذ الساسانيون من دين زرتشت دينا رسميا لإيران، ولم يكن لها دين رسمي حتى ذلك الوقت، وكانت الشعوب التابعة لإيران حرة في اعتناق الدين الذي يقبله كل شعب منها.

زمن ظهور زرتشت:-

لم يتمكن المستشرقون والعلماء الذين قاموا بدراسات حول هذا الدين من تحديد الزمن الذي كان يعيش فيه زرتشت على وجه اليقين، أو المنطقة التي كان يقيم فيها داخل إيران، أو التاريخ الذي كتب فيه الأوستا (الأوستا) كتاب الزرتشتيين الديني، ولغة أي قوم من الأقوام كانت لغة ذلك الكتاب. ولهذا نشأ خلاف كبير بين الباحثين حول الوقت الذي ظهر فيه زرتشت ولغة الأوستا وتاريخها، وما زال هذا الخلاف قائماً. وقد جعل بعضهم عصر زرتشت قبل الميلاد بألف سنة وستمئة أو بألفين بل بستة آلاف سنة. وتقدم البعض بهذا التاريخ فاعتبروا زرتشت معاصراً لأحد الملوك الهخامنشيين وهو كوروش الكبير أو داريوش الأول. ونظراً للاختلافات البينة بين وجهات نظر العلماء والباحثين حول هذه المسألة، فقد قامت بينهم مناقشات وبحوث طويلة انتهت بأن أعلن جاكسون^(١٢٢)، وهو متخصص في الدين الزرتشتي عن طريق دراساته الدقيقة والمتعمقة - رأيه الذي أيدته الأغلبية. فهو يرى أن زرتشت ولد في النصف الثاني من القرن السابع وتوفي في النصف الأول من القرن السادس ق.م، ومن المعروف أن هذا الرأي لا يضع لهذه المسألة حلاً نهائياً. وطبقاً للروايات الزرتشتية فإن زرتشت ولد في القرن السابع قبل

الميلاد، وقام بالدعوة لدينه على شاطئ بحيرة أورميه، وتُوفى في أوائل النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد. وتحدد بعض الكتب البهلوية المعروفة^(١٢٣) أيضا عصر حياته بنفس هذا التاريخ مع اختلاف ضئيل. أما بالنسبة للغة الأوستا وماهيتها، فإن دارمستتر^(١٢٤) يعتقد أن الأوستا كتبت بلغة الميديين، وإذا تم اكتشاف نقوش لملوك الميديين فسيحقق هذا الظن. ويرى "وست" (وهو متخصص في اللغة البهلوية) أن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ربعها فقط، وأن الباقي مفقود. وتقسّم الأوستا الحالية إلى خمسة أقسام^(١٢٥) وطبقًا لما جاء في كتاب دين كرت^(١٢٦)، فإن الأوستا التي كانت موجودة في العصر الهخامنشى قد احترقت عندما أشعل الإسكندر المقدوني النيران في قصر السلطنة بتخت جمشيد، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها من كنز شابيكان الذى لا يعرف موضعه، وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية، وأقوها بعد ذلك في النار. أمر بلاش الأول الأشكاني بجمع الأوستا، وفي عهد أردشير الأول الساساني رتب الأوستا شخص يدعى تنسر^(١٢٧) وكان كبيرًا للهرايزة (هيربذ) ثم جمع شابور الأول بعد ذلك كل ما حذف من الأوستا عن علم الطب والنجوم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند وسائر البلدان، وأضافه إلى الأوستا، وتم الاعتراف بهذه الأوستا رسميًا في عهد شابور الكبير، واعتبرت قانونًا للدولة.

حياة زرتشت:-

تقول الأخبار والروايات الزرتشتية إن زرتشت^(١٢٨) ولد لأب يدعى بأورثسنب ولأم تدعى دوغذ. وقد حاول السحرة وكاشفو الغيب في عصره إبطال أعماله الخارقة للعادة ومعجزاته، ولكنهم فشلوا في ذلك. واعتزل زرتشت الناس في سن العشرين، وأخذ يقضى أوقاته في الرياضة الروحية. وعندما بلغ الثلاثين

من عمره أمر بدعوة الناس إلى معرفة الله، وذلك على شاطئ نهر دائيتي يا (يعتقد بعض العلماء أن النهر المذكور هو نهر إرس الحالي).

وقد صعد به وهو منة - القوة الخالدة المقدسة والفكر الطيب^(١٢٩) - إلى حضرة آهور امزدا، وقام زرتشت بعد ذلك بالدعوة لمذهبه ونشره بين أهل توران وسگستان. لكنه لم يحرز تقدماً في هذا الصدد بسبب ثورة رجال الدين عليه آنذاك. عندئذ أمره آهورا مزدا بالذهاب إلى بلاط الملك گشتاسب ملك باختر (بلخ)، فنفذ ذلك. واعتق هذا الملك دينه بعد سنتين من العناء والتعب وكان لحماية جاماسب وزير گشتاسب دخل وتأثير في هذا النجاح. وتزوج جاماسب بعد ذلك بروچيست ابنة زرتشت.

وبعد أن قبل گشتاسب عقيدة زرتشت، انتشرت هذه العقيدة في توران وإيران والهند وآسيا الصغرى. وقد حارب زرتشت في أواخر حياته من أجل نشر مذهب، وقتل أثناء حربه مع شعب الهيون^(١٣٠) وهو في حالة دفاع^(١٣١).

ديانة زرتشت:-

أراد زرتشت - كما يقول في الكاثات (كاتها) - أن يعيد عقيدة الناس في ذلك العصر إلى صفائها وطهرها الأول. وخالصة هذه الديانة كما يستفاد من الأوستا والكتب الجهلوية (التي سيأتي ذكرها فيما بعد) هي: أن العالم ناشئ من أصلين النور والظلمة، وهذان الأصلان في نزاع معاً، ويتناوب الاثنان الانتصار والهزيمة فيما بينهما. ولهذا قسم العالم إلى قسمين: جيش النور أو الخير وجيش الظلمة أو الشر. وعلى رأس قوى قسم الخير آهورا مزدا^(١٣٢)، ويرأس جيش قوى الشر أهرمين (أنگرمينو)^(١٣٣)، ويساعد آهورا مزدا ستة كائنات مجردة هي التي تعرف باسم (امش سينتان) أى القوى الخالدة المقدسة وهي تقف أمام عرش آهورا مزدا وتنفذ أوامره، ويدير آهورا مزدا العالم بواسطتهم^(١٣٤)، وتحمي كل قوة من هذه القوى

المقدسة مخلوقات (فمثلا يعتبر بهمن حاميا للنار، واسفندارمذ حاميا للأرض وإلهها)،
ويلى الـ (امش سبنتان) كائنات مجردة تسمى يَزَت (١٣٥) وعددها كثير، ويصل عدد
أشهرها إلى ثلاثين وتختص بكل يوم من أيام الشهر واحدة منها، وتقسم اليزتات أو
الآلهة (يزت ها) إلى طبقتين: طبقة سماوية وطبقة أرضية. ويأتى هرمز (اهورا
مزدا) على رأس الطبقة السماوية، وأعظم اليزتات الأرضية هو زرتشت. ويحمى
كل إله من هذه الآلهة شيئا كذلك: فالشمس والقمر والنجوم والماء والنار والتراب
والريح وكذلك الصفات المعنوية كالصدق والاستقامة والقدرة والنصر والراحة
والسلم وغير ذلك تحت حماية أحد الآلهة وإشرافه. ويلى ذلك كائنات مجردة تعرف
باسم فروشى (ملائكة)، كل منها له حكم ملك يحفظ الإنسان. وقبل أن يولد الإنسان
تكون هذه الملائكة فى السماء، وبعد موته تصعد روحه إليها.

ويكون لأهرمين جيش كذلك فى مواجهة جيش هرمز، ويقال لمساعديه ديو
(دَبَو) (الشياطين)، وعلى رأسهم أهرمين، وفى مقابل القوى المقدسة الخالدة (إمش
سبنتان) يوجد ستة شياطين أو عفاريت ومهمة أهرمين والشياطين هى منع تقدم
الخير، أما مخلوقات أهرمين فهى الشر والكذب والطغيان والتكبر، وإذا لم يَتمكّن
أهرمين من منع الخير، فلا أقل من أن يسعى لتقليل نتائجه والحد منها. خلق هرمز
الحياة وخلق أهرمين الموت ومملكته هى مملكة الظلمة، الظلمة التى لا حد لها ولا
نهاية، وتمتلى جهنم بالشياطين والكذب وب إيرىكا (يعتقد أن هذه الكلمة تعنى الجن)
والتعابين (آزى دهاك) ومردة آخرين من خلق أهرمين.

وكما أن القوى المقدسة الخالدة (امش سبنتان) والآلهة (يزت ها) يحمون
مخلوقات الخير، فإن الشياطين والأرواح الشريرة تحمى كذلك مخلوقات الشر،
فمثلا "دروغ" يحمى الأشياء الكاذبة، ويكون وهومنه "الفكر الطيب" فى مقابل أك
منة "الفكر السيئ".

وتبين الأوستا والكتب البهلوية بخاصة خلق العالم على النحو التالي: خلق أهورا مزدا عالم الأرواح في بداية الأمر وحكمه ثلاثة آلاف سنة دون منازع ثم ظهر أهريمن بعد ذلك من الظلمة، فدخل عالم النور بعنف، وانبهرت عيناه بنور هرمز، وطلب هرمز منه الصلح فلم يقبل. فقال له هرمز: إذا فلنتحارب، وأعطى لأهريمن فرصة مدتها تسعة آلاف سنة، وقد كان يعلم أن الفوز سيكون للنور. ثم شغل هرمز فيما بعد بخلق العالم المادى، وخلقه في ستة مراحل، وخلق الإنسان في المرحلة الأخيرة. وقد استغرق خلق العالم المادى ثلاثة آلاف سنة. وفي هذه الأثناء كان أهريمن قد فقد قدرته تماما، ثم تخلص من الاسترخاء والضعف وشغل بخلق كائنات وأشياء شريرة في مقابل المخلوقات الخيرة التى خلقها هرمز، ومنذ ذلك الحين بدأ النزاع بين هرمز وأهريمن، واستمر ثلاثة آلاف سنة حتى ظهر زرتشت وبولادته ضعف جيش أهريمن، وستزداد انتصارات هرمز دائما حتى يعود أهريمن إلى عالم الظلمة، وعندئذ يعم النور الذى يجلب السعادة إلى كل العالم.

ومن تعاليم مذهب زرتشت أن الروح ليست فانية، وأنها تحس بعد الموت بلذاذ أيام الحياة أو بالآمها لمدة ثلاثة أيام. ثم تحملها الرياح وتصل إلى صراط يعرف باسم جينوت، وهناك تحاكم أمام ثلاثة قضاة^(١٣٦)، يزنون أعمالها الطيبة والشريرة بالميزان، ويصدرون أحكامهم بناء على ذلك. ويجب عليها أن تعبر بعد ذلك الصراط المذكور الذى يمتد من جبال البرز وحتى نهر دانييتيا، فإذا كانت أعمالها صالحة صار الصراط عريضا أمامها، وإذا كانت عكس ذلك ضاق، وسقطت في النهاية في وادى الظلمة. والروح الطيبة لا بد وأن تمر بثلاث مراحل حتى تدخل أفضل عالم، هذه المراحل الثلاث هي: مرحلة الفكر الطيب، ومرحلة القول الطيب، ومرحلة العمل الطيب. ويعرف ذلك العالم باسم الجنة "بهشت"^(١٣٧).

أما الروح الشريرة فإنها تدخل مقر الآلام والمحن، ويوجد بين الجنة والجحيم حد وسط يسمونه "همشنگان"، أى مقر الأوزان المتساوية، وهذا المكان هو مقر الأرواح التى تتساوى أعمالها الصالحة والسيئة. ويجب أن تنتظر هناك حتى

يوم القيامة. وسوف يعلن اقتراب يوم القيامة شخص يدعى سا أشيان، وهو مخلص العالم، وسوف يحيى الأرواح ويقوم بمحاكمتها المحاكمة الأخيرة، ثم يصب على الأرض سيلًا من المعادن المذابة. وحينئذ تشتعل الحرب بين هرمز وأهريمن ويكون الفوز الأكيد من نصيب هرمز. ولكي يوفق الإنسان بعد الموت، ولكي يساعد كل إنسان هرمز بقدر استطاعته، عليه أن يتبع الأصول الثلاثة: الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب^(١٣٨).

ديانة مانى:-

لم تكن فى متناول أيدينا حتى وقت قريب مصادر مباشرة حول ديانة مانى أو كتب باقية من عصره أو من عصر أتباعه المقربين منه، وكل ما قيل فى هذا الصدد إنما هو من أقوال المؤرخين المسيحيين وغيرهم. ومضى الحال على هذا المنوال إلى أن ظهرت منذ فترة كتب خطية تركية وبهلوية حول مذهب مانى وعقيدته، وذلك بالقرب من تورفان فى آسيا الوسطى، وتم الحصول على عدة كتابات عن هذا الموضوع. ويستفاد من مقارنة مضمون هذه الكتابات مع ما كتبه الصينيون والمؤرخون المسلمون والمسيحيون أن مانى ولد - كما يقول هو نفسه - فى قرية تعرف باسم (مردى نو) بالقرب من بابل، وكان والده يدعى فوتق بابك^(١٣٩) كما ذكر صاحب الفهرست^(١٤٠). ويقول مانى إنه أوحى إليه فى سنة ٢١٥م مرتين لكى ينشر الدين الحقيقى بين الناس، ومن ثم أعلن عقيدته فى سن الخامسة والأربعين وخلال عهد شابور الأول.

والعالم فى الديانة المانوية قائم على أصلين هما الخير والشر أو النور والظلمة، والله هو صاحب الأول والشيطان هو الملك الثانى ومملكتهما بلا نهاية^(١٤١).

ويرى مانى أن الشر كان موجودًا على الدوام، وسيظل موجودًا إلى الأبد أما بالنسبة للإنسان وسائر المخلوقات فقد كان يرى أن الخير والشر ممتزجان معًا فيه،

لأن الإنسان له روح الخير والشر، ويوجد في مقابل عقل الخير ووجدانه وشعوره عقل الشر ووجدانه وشعوره. وقد خلقت الروح الخيرة الرحمة والأصل الطيب والصبر والحكمة، وخلقت الروح الشريرة الحقد والغضب والشهوة والحماقة. وفي عقيدة ماني أن التناقض يكون فقط بين النور والظلمة فلن ينتهى أحدهما ولن يتصل بالثاني، وكانا موجودين دائماً وسيبقيان.

والشيء الوحيد الذى أعطاه ماني أهمية هو العرفان^(١٤٢)، وقد رفض التوراة تماماً وقيل الإنجيل فقط. وكان يقول إنه هو آخر حوارى عيسى وأنه يبين الحقائق، وأن العالم سيسقط فى الجحيم وتحترق عناصره فى نهاية الأمر، ويعود الخير والشر مرة أخرى إلى سيرتهما الأولى، أى أنهما سيبقيان منفصلين عن بعضهما إلى الأبد، إذ يفصلهما سد لا يمكن عبوره. وقد ألف ماني كتاباً لنشر دينه، ومنها كتاب ألفه لسابور باللغة البهلوية^(١٤٣) والكتب الأخرى باللغة السريانية. كما اخترع خطأً مقتبساً من الخط الآرامى^(١٤٤). وكانت مؤلفاته مزينة برسوم اشتهرت فى كل أنحاء العالم واعتبره الإيرانيون منذ أقدم العصور وحتى الآن نقاشاً عظيماً. وسموا كتاب نقوشه باسم ارزنگ أو أرتنگ^(١٤٥). وكان الهدف من النقوش هو بيان الخير (النور) والشر (الظلمة) بأنواع الصور وأقسامها حتى يدرك المتعلمون عقيدته بطريقة أفضل، ويتمكن غير المتعلمين من فهمها.

ويتضح مما ذكرناه باختصار أن ديانة ماني ديانة مركبة، أى أنه اقتبس معتقداته من ديانات أخرى وألف بينها.

انتشرت هذه الديانة أول الأمر فى بابل التى كانت مركزاً للعقائد والديانات المختلفة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى سورية وفلسطين وبلاد النبط (الشمال الغربى لبلاد العرب)، ثم انتشرت فى مصر فيما بعد، ومنها انتقلت إلى طرابلس وقرطاجنة. وفى نفس الوقت راجت هذه الديانة فى بلاد الغال^(١٤٦) (فرنسا الحالية) وإيطاليا، كما أن عدداً كبيراً فى بلاد الروم قد اعتنقها حتى القرن السادس الميلادى. وقد بقى

لهذه الديانة أتباع في آسيا حتى عصر الخلفاء العباسيين. وأظهر رجال الدين المسيحي عداً شديداً لديانة ماني، وتعرض المؤرخون المسلمون لهذه الديانة وأطلقوا على كل من يعتنقها اسم الزنديق^(١٤٧).

وقد أظهرت حفريات تورفان أخيراً أن هذه الديانة انتشرت حتى تركستان الشرقية والصين شرقاً، واعتنقها في ذلك الوقت عدد من الترك.

ورغم أن ديانة ماني المركبة لم تكن ديانة صالحة للبقاء والدوام، فإنها سميت في الخارج باسم الديانة الإيرانية نظراً لأن مؤسسها كان إيرانياً، وانتشر عن طريقها اسم إيران والإيراني القديم في أطراف العالم وأكنافه.

دين مزدك:-

كان مزدك بن بامداد من أهل نيسابور، وقد ظهر في عهد قباد. وكما بين المؤرخون المسلمون كالشبه ستاني وابن النديم^(١٤٨) الوراق، فإن ديانته كانت قريبة جداً من عقيدة ماني، ذلك أن مزدك كان يعتقد أن النور منفصل تماماً عن الظلمة، والأول يعمل بحرية وحكمة، والثاني يعمل خبط عشواء وبجهل. واختلاط الاثنين ببعضهما كان مصادفة، وانفصالهما أيضاً مصادفة، وحرّم كذلك ذبح البهائم وإراقة الدماء كالمناويين.

وفي رأيه أن العالم مركب من ثلاثة عناصر: الماء والنار والتراب، والخير والشر من تركيبها، فالخير من قسم طيب والشر من قسم سيئ.

وفي عقيدة ماني أن عالم الأرواح شكل كالعالم الأرضي؛ فإله السموات قد جلس على عرش كالمملك، ووقفت أمامه أربع قوى هي: الشعور، والعقل، والحفظ، والبهجة. هذه القوى الأربع تدير شؤون العالم بمساعدة ستة وزراء^(١٤٩). والوزراء في حركة بين اثني عشر روحانيا^(١٥٠). والإنسان الذي يجمع في نفسه أربع قوى

وستة وزراء وصلاحيات اثني عشر روحانيًا يصل إلى درجة لا يتحمل فيها مسؤولية بعد ذلك. ولإزالة العداوة والحقد - وكلاهما من الظلمة- لابد من إدراك أصلهما. وأصلهما يتركز في المرأة والمال ولكي تزيل تلك المساويء المذكورة لا بد أن يكون هذان الأصلان مشتركان. ولمزدك كتاب مفقود، ويذكر المؤرخون المسلمون أنه كان موجودًا وأن ابن المقفع ترجمه إلى العربية. وقد قضى أنوشيروان على أتباع مزدك كما ذكرنا ولكن المزدكيين ظلوا في إيران بأسماء مختلفة (مثل خرم دینان وغير ذلك) حتى عام ٣٠٠هـ تقريبًا، ودخلوا في حروب مع الخلفاء العباسيين إلى أن هزموا وقضى عليهم نهائيًا.

القسم الثاني - عبادة الشمس - ميثر (مهر):

هو أحد الآلهة القديمة جدًا للشعوب الآرية، وقد وضعته الأوستا بين هرمنز وأهرمين، واعتبرته واحدًا من أعظم آلهة النور. وكان أتباع زرتشت يعتقدون أن مهر مكلف من قبل الإله بدفع الشر والسوء ويعتبرونه رب الشمس وما تتجه الأرض وحاميًا للعهد. وصار مهر حاميًا للأسرة الحاكمة في عهد أردشير الثاني الهخامنشي. وراجت عبادته في آسيا الصغرى بعد الإسكندر. ثم انتقلت هذه العقيدة إلى اليونان وانتشرت في بلاد الروم أيام بومبي، ووصل الأمر إلى أن أعلن ديوكليان وسائر أباطرة الروم أن مهر هو حامى دولة الروم، ذلك لأن أتباع هذا المذهب كانوا يعتبرون حكم الأباطرة تفويضًا من الله. وانتشر المذهب المذكور بعد فترة في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا القديمة (عثروا على آثار خاصة بهذا المذهب في باريس).

وفي القرن الثالث الميلادى دخلت المسيحية في حرب معه، وانتصرت فى نهاية الأمر فى أواخر القرن الرابع الميلادى، ومع كل هذا فإن آثارا من عبادة مهر مازالت باقية عند المسيحيين حتى الآن، ومن ذلك عيد ميلاد المسيح (نويل) الذى كان عيدًا لميلاد مهر قبل المسيحية.

أما بالنسبة لمهر، فيرى عابده أنه ظهر من قطعة حجر، ودخل في حرب مع الشرور من أجل خير البشرية وسينتصر في النهاية. ومن أعماله المشهورة كما يحكون: أنه اصطدم ذات يوم بثور هرmez المقدس فقتله، فانتشر دم ذلك الحيوان على الأرض وصار سبباً للحياة وباعثاً لها. ولهذا رسم الفنانون القدماء المشهورون مهر وقد أخضع ثوراً، وتدلّت من على صدره حربة، ويرتوى ثعبان (أى الحياة) من دم الثور الذى يغلى ويسمن^(١٥١).

المسيحية والبوذية:

انتشر في إيران في العصر الساساني دينان آخران أجنبيان غير الأديان التي كانت قد ظهرت داخل إيران، فانتشرت المسيحية في الغرب والبوذية في الشمال والشرق.

الدين المسيحي:

لم يكن الملوك الساسانيون يهتمون بادئ الأمر بالدين المسيحي الذى انتشر على حدود إيران من ناحية اِدس (الرها)، ولم يكونوا يحسون خطراً من وجود المسيحيين على أرض إيران، ولكن عندما طلب شابور الكبير من دولة الروم استرداد الولايات التي كانت إيران قد سلمتها للروم فى عهد نرسى، وبدأت الحرب، تغيرت سياسة إيران بالنسبة للمسيحيين. وبما أن دولة إيران كانت تعتبرهم أصدقاء للروم فى الخفاء، فإنها أجبرتهم على دفع جزية كبيرة للـسريوس (ضعف ما كان يدفعه الإيرانيون)، وتمسكت بذلك على ما يبدو لكى يعفى المسيحيون من دخول الجندية، وطلبت الدولة منهم الارتداد عن دينهم، فقاوم المسيحيون وزادت الدولة من شدتها وخشونتها وأصدرت أوامرها بهدم الكنائس. وقد أحسن يزدگرد معاملة المسيحيين، ولذلك عرف لدى رجال الدين الزرتشتي

بالأنيم، وفي عصره أقيمت كنائس المسيحيين في أكثر مدن إيران، واعتقت أسر كبيرة الدين المسيحي. ولكن زاد بعد ذلك التجرو على رجال الدين المسيحي، وعادت المشاكل السابقة تواجه المسيحيين. واستمرت هذه المشاكل في عصر بهرام گور ويزدگرد الثاني. وفي عهد أنوشيروان - وبعد أن بدأ حربه مع الروم - أساء الإيرانيون معاملة المسيحيين في الشام، وأبعدوا (مارابا) الراهب الكبير، ولكن عندما عقد أنوشيروان معاهدة صلح مع الروم لمدة خمسين سنة، كانت إحدى مواد المعاهدة تنص على حرية العقيدة بالنسبة للمسيحيين بشرط ألا يقوموا بالدعوة إلى دينهم. ولم يكن كسرى برويز الذي انتصر على الروم في بداية الأمر يسيئ معاملة المسيحيين، ولكنه اتخذ سياسة متشددة بالنسبة لهم بعد الانتصارات التي أحرزها هرقل، إلى درجة أن المسيحيين اعتبروا وفاته نجاة لهم. وقد منح المسيحيون حرية كاملة في عهد شيرويه. وكانت مراتب رجال الدين المسيحي في إيران ونظامهم يماثل ما هو موجود في بلاد الروم.

البوذية:

يستفاد من الدراسات التي تمت في أفغانستان أخيراً أن الآثار البوذية هناك كثيرة، وأن نوبهار بلخ -الذي اعتبره بعض المؤرخين العرب بيت نار فارسي- كان معبدًا بوذيًا لأن كلمة نوبهار الفارسية مأخوذة من نوهار بمعنى المعبد الجديد، وكذلك أخذت أسرة البرامكة -التي كان لها مقام رفيع على عهد خلافة هارون الرشيد- اسمها من اللقب برمكه، وكان البوذيون يلقبون رئيس الدير البوذي بهذا اللقب.

وتؤيد الكتابات الصينية أن مثل هذه المعابد كان موجودا في الطريق الذي كان يقطعه الزوار الصينيون من بلاد الصين الغربية إلى الهند، وفي أيدينا كتابات لأحد السائحين الصينيين الذين ذهبوا إلى بلخ في أواخر العصر الساساني ورأى

النوبهار^(١٥٣). وفي النهاية أطلق قداماء مؤرخى العرب اسم بيت الأصنام على النوبهار.

معتقدات الأريين الإيرانيين من وجهة نظر التاريخ:

توصل الباحثون بعد تعمق فى دراسة المعتقدات الدينية للأريين الإيرانيين إلى أن الشعوب المذكورة كانت تعبد آلهة فى العصور السحيقة قبل التاريخ، وإذا كانت عبادة هرمز قد دخلت هى أيضاً فى معتقداتهم، فإن مذهبهم -على أية حال- لم يصل إلى درجة الاعتقاد فى الإله الواحد، ولكن يشاهد فى القرون اللاحقة وخاصة فى العصور التاريخية أن مذهب زرتشت قد انتهى إلى التوحيد، ذلك لأن جميع الامش سبنتات واليزتات من خلق هرمز، وسينهزم أهريمن فى النهاية وتزول الظلمة.

ومن ثم نتساءل: هل هذا الاتجاه فى طريق التكامل والرقى بالنسبة للمعتقدات الدينية للأريين الإيرانيين كان نابغاً منهم أو كان بتأثير معتقدات أجنبية عليهم. وهنا يجب أن يؤخذ فى الاعتبار - بالنسبة للمذاهب الأجنبية- أن كل شعوب آسيا الغربية وأفريقيا الشمالية باستثناء شعوب بنى إسرائيل كانوا جميعاً مشركين وعبدة أصنام فى العصور الموعلة فى القدم، ويستفاد من التاريخ أن السومريين والأكاديين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين والمصريين كانوا يؤمنون بآلهة متعددة ويعبدون تماثيلها؛ لذا فمن غير الممكن أن يكون لهذه العقائد تأثير فى رقى عقيدة الأريين وتطورها. وليس من الممكن كذلك أن يكون اليونان والرومان أصحاب تأثير؛ ذلك أنهم كانوا مشركين أيضاً، بصرف النظر عن وجود بعض الحكماء والعلماء عندهم. وحتى عندما قدم الإسكندر إلى إيران، فقد كان اليونانيون والمقدونيون ينظرون إلى معتقدات الإيرانيين القداماء على أنها أفضل من معتقداتهم ويحترمونها.

ومن ثم، فإن الديانة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها تأثير في رقى عقيدة الآريين الإيرانيين هي ديانة بنى إسرائيل التي قامت على التوحيد الصرف. ولذا يجب البحث حول رقى معتقدات الآريين، وهل تأثرت بديانة بنى إسرائيل أو تأثرت بنواح أخرى. وخلاصة ما يستفاد من دراسات الباحثين هو أنه لم يكن هناك تأثير لدين موسى، وأن رقى المعتقدات المذكورة كان نابعاً من الآريين أنفسهم. فقد وصل الآريون الهنود إلى التوحيد بمفردهم رغم أنه لم تكن لهم أى صلة ببنى إسرائيل. كما أنه لا ترى في عقيدة الآريين الإيرانيين رسوم من الديانة الإسرائيلية.

المبحث الثالث الأخلاق - العقوبات

الأخلاق:

إن الطبيعة الإنسانية في نظر الأريين الإيرانيين عبارة عن ميدان حرب، يتنازع فيه الخير والشر أو النور والظلمة، وتظهر نوعية الإنسان من خوضه لتلك المعارك في هذا الميدان. وفي عقيدتهم أن الإنسان الصالح هو الذي يتمكن من مساعدة المخلوق الخير أكثر وبطريقة أفضل، وأن يعادى المخلوق الشرير. والأعمال التي تساعد الخير هي: بناء المنازل، وإصلاح الأرض، وبنو البذور بكثرة، وحفر القنوات، وغرس الأشجار المثمرة، ورعاية الحيوانات المستأنسة كبيرها وصغيرها وتربيتها، لأن هرمز يحب هذه الأعمال. ولكن هل تكفى هذه الأعمال لنجاة فاعلها وخلصه؟ لا، إنما يجب على عابد الإله مزده أن يحب أقباءه، وأن يكون صديقاً لهرمز وعدواً لأهرمين من كل قلبه حتى تكتب له النجاة. ولكن كيف تتم معرفة هذه الصفات التي يتصف بها عابد مزده؟ يكون ذلك عن طريق الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب، ومن تشجيعه للفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب^(١٥٤).

ويكون شكر هرمز والتضرع إليه وتقديم القرابين له مقبولاً عندما تتوفر هذه الصفات الثلاث في عابد مزده، وإلا فلن يستجاب له. ومن خصائص أخلاق الإيرانيين القدماء التي أثارت دهشة الشعوب في القرون اللاحقة أن قيمة الأعمال ليست بالنية، في حين أنه من المسلم به لدينا أن الأعمال بالنيات، لكن هذا الاعتقاد كان نتيجة منطقية لمعتقداتهم الدينية، فعندهم أن العمل السيئ عندما يقع سواء كان متعمداً أم سهواً فإنه يزيد من قوة أهرمين ويقلل من قيمة فاعله. ومن ثم؛ فإن

مرتكب العمل السيئ يكون على أية حال مكلفًا بالكفارة لمحو تأثير فعله، أى أنه لابد وأن يعمل عملاً صالحًا فى مقابل العمل السيئ حتى يقدم بالتالى عونًا لهرمز .

شئ آخر سبب دهشة المسلمين وحيرتهم عندما قدموا إلى إيران وهو منع الصوم، وقد ذكر أبو الريحان البيرونى أن كفارة الصوم للفارسى الزرتشى هى إطعام عدة أفراد، وهذا من معتقداتهم الدينية كذلك، فهم يؤمنون بأن الصوم يضعف الإنسان، فلا يتمكن من مساعدة هرمز ومخلوقاته بالقدر الكافى.

ويتضح لنا مما سبق ذكره باختصار أن أخلاق الأريين الإيرانيين كانت نتيجة منطقية لمعتقداتهم، وهى مؤسسة على منفعة الإنسان. ومع هذا كله فى استفاد من التاريخ ومن دراسات الباحثين أن هذه الأخلاق التى بنيت على أصول: الفكر الطيب، والقول الطيب، والفعل الطيب، كانت جديدة فى العالم القديم. وعندما قدم الأريون الإيرانيون إلى آسيا الغربية وأقاموا دولاً عظيمة، تسببوا فى نوع من الثورة الأخلاقية، لأن أخلاقهم كانت أفضل من أخلاق الأمم السابقة عليهم كالسومريين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين الذين كانوا يحكمون فى آسيا الغربية. ومن هنا اعتبر الباحثون استيلاء الأريين الإيرانيين على آسيا الغربية حدثًا مهمًا، واعتبروا إيران القديمة عاملاً من عوامل تطور الحضارة البشرية فى التاريخ، مما كان له أهمية حقيقية.

العقوبات:

اعتقد الإيرانيون القدماء - طبقاً لمعتقداتهم الدينية - أن للإنسان إرادة حرة وأنه مخير فى فعله، أى أنه مخير فى أن يكون صديقاً لهرمز وتكتب له النجاة، أو يكون صديقاً لأهرمين ويكون العذاب والعقاب فى هذه الحالة من نصيبه. ووضع الإيرانيون القدماء عقوبات دنيوية على هذه الأسس:

١- التوبة.

٢- التزكية.

٣- الجزاءات.

والتوبة عبارة عن الندم الداخلى للمذنب، وهى لا تحول دون تنفيذ العقوبات العرفية أو الدنيوية، وترجع أهميتها فقط إلى أنها تطهر روح المذنب طبقاً لما تقضى به المعتقدات الدينية، وتمنع عنه العقاب فى الآخرة. فالشخص الذى يتوب لم يكن من واجبه ارتكاب الأعمال السيئة فحسب، بل كان يجب عليه أيضاً عمل أعمال صالحة إزاء الأعمال السيئة التى ارتكبها.

والتزكية هى إبعاد الأرواح الشريرة عنه بواسطة الطقوس الدينية. أما بالنسبة للجزاءات، فيجب القول بادئ ذى بدء أنهم اعتبروا بعض الجرائم والآثام غير قابلة للعفو، بمعنى أنها تستوجب القتل فى هذه الدنيا، وتكون سبباً فى العذاب الأخرى مثل أكل الجيف وقطع الطريق وبعض الجرائم الأخرى.

وكانت الجزاءات عبارة عن الإعدام فى أحيان قليلة، والعقوبات البدنية والغرامات النقدية فى أحيان أخرى (وستتجاوز عن شرح الجزاءات لضيق المجال هنا).

المبحث الرابع

اللغة - الكتب البهلوية - الآداب - الخط - التاريخ

اللغة - الكتب البهلوية:

لغة هذا العصر هي اللغة البهلوية، وقد مر ذكرها فيما سبق، ويتضح من الشواهد أن هذه اللغة كانت مستعملة منذ أواخر العصر الهخامنشى. وعلى أية حال، فقد كانت لغة الحديث في عصر الأشكانيين والساسانيين، وظلت كذلك لفترة في إيران وخاصة طبرستان بعد نهاية الساسانيين.

وأول كتابة وصلت إلينا على ورق باللغة البهلوية هي التي عثر عليها في الفيوم بمصر، وهي مكتوبة على ورق البردى. ويعتقد وست المتخصص في هذه اللغة أن هذه الكتابة ترجع إلى القرن الثاني الهجرى أو الثامن الميلادى. وقد ألفت كتب العصر الساسانى بهذه اللغة، غير أن الكتب التي وصلتنا من العصر الساسانى قليلة جدًا. وينسب وست الكتب البهلوية التي بين أيدينا الآن إلى قرون ما بعد العصر الساسانى باستثناء الأوستا، ويقسم هذا العالم تلك الكتب إلى ثلاثة أقسام:

(أ) تراجم الأوستا ونفاسيرها.

(ب) الكتب التي تتحدث عن مسائل وأمور دينية، وتشمل اثنين وثمانين كتابًا أو رسالة^(١٥٥).

(ج) كتب غير دينية^(١٥٦).

وهناك كتب أخرى كانت موجودة في القرون الإسلامية الأولى وترجمت إلى العربية، ولكن لا يوجد الآن بين أيدينا شيء من أصولها أو من ترجماتها.

واللغة البهلوية كانت شائعة حتى القرن الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، واستخدمت فيما كتبه الزرتشتيون حتى القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) طبقاً لما وجد من آثار^(١٥٧). ولا يمكن الإفاضة في القول بالنسبة للعلوم في هذا العصر؛ ذلك أنه لا توجد مصادر بين أيدينا. وما نعلمه هو أن أنوشيروان قد استفاد من لجوء سبعة علماء وحكماء من الإسكندرية إلى إيران، وأقام مدرسة للطب في جندي سابور وتخرج من هناك أطباء، وكذلك كلفهم بترجمة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة^(١٥٨). وأحضر برزويه الطبيب كتاب كليلة ودمنة (بيدباي) الهندى بأمر أنوشيروان، وترجم إلى اللغة البهلوية، ثم ترجمه ابن المقفع إلى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، غير أن ترجمته إلى البهلوية ضاعت. وقد ترجم هذا الكتاب في القرون اللاحقة من اللغة العربية إلى لغات أخرى؛ وعثر أخيراً على ترجمة سريانية له في أحد أديرة النصارى بالقرب من حلب. ويستفاد من هذه الترجمة أنها نقلت عن اللغة البهلوية مباشرة؛ أي أنها تمت في عهد أنوشيروان، وهي غير الترجمة التي نقلت من العربية إلى السريانية فيما بعد. وكذلك ألف في عصر يزديگرد الثالث كتاب عن ملوك إيران وأحداث حكمهم، وهذا الكتاب كان يعرف باسم خوتاي نامك (خدای نامه)، ويشير صاحب كتاب الفهرست إليه، وقد نقله ابن المقفع إلى العربية، ثم ترجم بعد ذلك في سنة ٣٤٦ هجرية (٩٥٧ ميلادية) إلى اللغة الفارسية بواسطة أربعة من الزرتشتيين من هراة وسيستان وغيرهما، وذلك لحاكم طوس أبي منصور بن عبد الرزاق.

ولم يصل إلى أيدينا أي من هذه الكتب، ويعتقد أكثر الباحثين أن الدقيقى والفردوسى استفادا منها. وتدل كتابات كتاب المسلمين في القرون الأولى للإسلام على أن الإيرانيين اعتنوا منذ منتصف العصر الساساني بالفنون والآداب، وكانت هذه النهضة الأدبية على أشدها في عصر أنوشيروان، فقد ذكر صاحب كتاب الفهرست أسماء كتب كثيرة ترجمت من البهلوية إلى العربية، وكانت أصولها

وترجماتها موجودة في القرن الرابع ويصل عدد هذه الكتب إلى نحو السبعين كتاباً، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام حسب موضوعاتها:

- ١- الطب والبيطرة.
- ٢- الموضوعات الدينية.
- ٣- الفنون الحربية.
- ٤- السياسة والحكم.
- ٥- القصص والحكايات الاجتماعية.

الأدب:

أما بالنسبة للأدب المنثور، فبالإضافة للكتب التي بقيت من العصر الساساني - طبقاً لرأى بعض العلماء - ووصلت إلينا (مثل كارنامه أردشير بابكان، ويادگار زيرران، وغير ذلك)، تدل القرائن الأخرى على أن كتابة القصص الخاصة بالحرب والمجالس كانت شائعة في ذلك العصر، وذلك لما يلي:

أولاً- كانت هناك حكايات في عصر الساسانيين دخل قسم منها في التاريخ القضي لإيران مثل حكاية بهرام چوبين وغيرها.

ثانياً- بالنسبة لبعض الحكايات الخاصة بالحرب والمجالس التي كتبت في القرون الإسلامية الأولى، فأغلب الظن انها كتبت في الأصل باللغة البهلوية مثل قصة ويس ورامين، ووامق وعذراء، وخسرو وشيرين وفرهاد، وزال ورودايه، وبيژن ومنيزه، وغيرها. كما أن قسماً من الكتب التي ذكرها صاحب كتاب الفيرست (ابن النديم الوراق) يدور حول الأدب^(١٦٠).

الخط في العصر الساساني:

الخط الذي استعمل في تلك الحقبة هو المعروف بالخط البهلوي، وكانت كتابته وقراءته أمراً غاية في الصعوبة. ويمكن القول إن إيران الساسانية قد تخلفت بسبب هذا الخط، ذلك أنه كان يكفي لقراءة الخط المسماري الفارسي وكتابته معرفة إحدى وأربعين علامة أو أصل، بينما كان يلزم لقراءة الخط البهلوي معرفة أكثر من ألف علامة، ولا يمكن أيضاً الاطمئنان إلى أن الحروف تقرأ طبقاً للأصوات التي كانت لها أيام الساسانيين، وتأتي هذه الصعوبة من شيئين:

الأول- أنه لما كان الخط البهلوي مقتبساً من الخط الآرامي، فلا توجد علامة خاصة لأصوات اللغة البارسية (بهلوية ذلك الوقت)، وأحياناً تدل العلامة على عدة أصوات.

الثاني- أنه شاع في عصر الساسانيين استعمال كلمات آرامية في الكتابة ولكنهم عند القراءة كانوا يستخدمون كلمات بهلوية بدلاً منها، فمثلاً كانوا يكتبون كلمة (ملكا) باللغة الآرامية، وهي بمعنى ملك ولكنهم يقرأونها (شاه). وأيضاً يكتبون (من) ويقرأونها (أز). هذا النوع من الكتابة يسمى (هوزوارش) أو (زوارش)^(١٦١) كما ذكر ابن المقفع. ويصل عدد هذا النوع من الكلمات الآرامية التي استعملت في اللغة البهلوية إلى أكثر من ألف كلمة. مما جعل قراءة الكتابة البهلوية صعبة إلى أبعد الحدود. غير أن الكتب التي تم العثور عليها في آسيا الوسطى باللغة البهلوية كانت خالية من الهوزوارش لحسن الحظ. وهو عون كبير للتاريخ ولعلم اللغة. وكان الزوارش شائعاً أيضاً في بلاد أخرى في آسيا الغربية. فمثلاً كان البابليون والآشوريون يستعملون في العصور القديمة كلمات سومرية وكانوا يقرأونها بالبابلية^(١٦٢). ويستفاد مما ذكر بإيجاز أن الخط في العصر الساساني كان هو نفسه الخط البهلوي، غير أن الكلمات البهلوية كانت تكتب أحياناً بهذا الخط فقط كالكتب التي عثر عليها في آسيا الوسطى، وأحياناً كانت تكتب

الكلمات البهلوية والآرامية معاً وهي التي تسمى بالزوارش. وعلى أية حال، فالواضح أن لغة النقوش والكتابات كانت هي اللغة البهلوية؛ ذلك لأنها عند القراءة كانت تقرأ بالبهلوية دائماً. وليس الزوارش بعيد الشبه بطريقة كتابتنا، فإننا نكتب المائة أو الألف ونقرأها (صد) أو (هزار). ويبدو أن علامات الخط البهلوي كانت خمساً وعشرون علامة، ولكنها كانت في الواقع تزيد على الألف علامة كما ذكرنا.

التاريخ:

كان حساب الأيام والشهور والسنين في هذه الفترة أفستائياً، أى أن السنة الشمسية تقسم إلى اثني عشر شهراً، وكانت أسماء الشهور هي نفسها التي نستعملها اليوم. والشهر ثلاثون يوماً، ويسمى كل يوم من أيامه باسم أحد اليزتات. ويضيفون في نهاية السنة خمسة أيام بعد الشهر الثاني عشر، ويسمونها اندرگاه. ولما كانت السنة الطبيعية أكثر من السنة الأفستائية بست ساعات تقريباً، فقد جعلوا كل مائة وعشرين سنة سنة أفستائية كبيسة، ويحسبون ثلاثة عشر شهراً بدلاً من اثني عشر شهراً، مثلاً اثنان فروردين واثنان أردى بهشت، وقس على هذا. وبهذا تتطابق السنة الأفستائية مع السنة الطبيعية. (يعتبر تفصيل هذا الموضوع خارجاً عن نطاق هذا الكتاب).

المبحث الخامس

الفنون

العمارة والنحت:

بقيت آثار لهاتين الصناعتين من العصر الساساني هي:

١- طاق بستان بالقرب من كرمانشاه، وفيه ترى رؤوس الأعمدة التي تدل على تأثير فن العمارة اليونانية والبيزنطية. وفي هذا الموضع حفرت ثلاث صور لأشخاص على الحجر، اثنان منهما قد طرحا شخصاً على الأرض وأخذا بركلانه. ولكن لا يمكن تحديد شخصية هذا الأسير ولا شخصية هؤلاء الأشخاص الثلاثة، وذلك لعدم وجود كتابة تبين ذلك، وفي أسفل الطاق نحتان بارزان أحدهما يطابق كتابات سابور الثاني، والثاني لفارس (من الجائز أنه كسرى برويز). ويرتدى هذا الفارس خوذة مدببة على رأسه، ودرعاً على جسده، وقد تسلح بحربة وقوس، ويبدو من مظهره أنه من الأساورة الإيرانيين في ذلك العصر. وقد كتبوا عن هذه الصورة يقولون: "إن هذه الصورة المنحوتة جذابة، ولا يمكن التطلع إليها والتدقيق في تفاصيلها دون أن تصيب الإنسان بالدهشة والإعجاب. إن هذا الشخص هو أحد أساورة إيران، وإذا كان ملكاً فإنه يتسلح بنفس هذه الأسلحة أيضاً، غير أن أسلحته تكون أكثر قيمة. إنه الفارس الذي أحرز كل هذه الانتصارات على الروم، واستولى في عهد كسرى برويز على الشام الكبرى وبيت المقدس ومصر، وحاصر أطراف القسطنطينية"^(١٦٣).

كما يرى في أطراف الطاق نحت حول صيد الملك. والشيء الجدير بالاهتمام هو تلك الأقمشة الفاخرة التي يرتديها الأشخاص، وتدل على أن نسج الأقمشة قد بلغ درجة عالية من الجودة في ذلك العصر.

٢- قصر شيرين، أى القصر الذى شيده كسرى برويز لشيرين السريانية، وتدل أطلاله على أن سقف الحجرة كان مقوساً، وقد غطيت جدرانه بالجص الأبيض، وأقيمت أعمدته من الأجر المخروط والجص. وكان للقصر حديقة تصل مساحتها إلى ١٢٠ جريباً، وبها أبنية متعددة.

٣- طاق كسرى (إيوان كسرى) بالقرب من دجلة، وهو بهو الاستقبال الملكى ذو السقف المقوس، الذى أقيم على شكل بيضاوى. وهذا الإيوان قسم من القصر الأبيض الذى بناه أنوشيروان فى سنة ٥٥٠م، والإيوان (إباندن) أو قاعة العرش عليه بساط مزركش بالذهب ومرصع يعرف باسم بهارستان كسرى. وطبقاً للقرائن وكما ذكر البعض فقد كان طوله مائة ذراع وعرضه سبعين ذراعاً. ويغمر الضوء هذه القاعة الكبيرة والمجالس المتعددة بها عن طريق مائة وخمس عشرة كوة أعلاها. وقد غطيت أعمدة المجالس والطاقت والجدران الداخلية لهذه القاعة بألواح فضية وذهبية منقوشة ووضع العرش فى أقصى الطاق خلف ستار. هذه الزينة الضخمة للطاق والبساط القيم وغيره، وكذلك تلالؤ الأحجار الكريمة والأضواء التى تنفذ من أعلى إلى أسفل الإيوان، كل هذا كان يؤثر تأثيراً غريباً على من يرونه لأول مرة. والشيء الجديد هنا هو جدران البناء التى تثبت مع بعضها بواسطة قطع خشبية، ويبدو أن الإيرانيين قد اقتبسوا هذه الطريقة من الروم. ويقع قبر سلمان الفارسى بالقرب من هذا البناء.

٤- طاق الإيران (على شاطئ كرخة الذى يصب فى كارون بالقرب من شوش): هو خرائب بناء يشبه كنائس القرون الوسطى فى أوروبا، وقد بنيت عقوده بطريقة مدببة الرأس أو على الطراز القوطي^(١٦٤). ويبدو أن هذا البناء كان قصرًا للسلطنة.

٥- جسور دزفول وشوستر التى يبلغ طولها ٣٨٠ ذراعاً وعرضها سبعة أذرع ونصف. وقد أقيمت هذه الجسور على الطريقة الرومية، وجسر شوستر من صنع مهندسين روميين.

٦- يرى في نقش رستم بالقرب من تخت جمشيد عدة مجالس حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساساني^(١٦٤).

٧- يوجد في نقش رجب (بالقرب من تخت جمشيد) مجلس يصور سابور الأول والمكلفين بالعمل عنده في حالة حركة. وفي هذا المكان أيضا مجلس يبين انتقال التاج من أردشير الأول إلى سابور الأول.

٨- توجد في سابور (على بعد خمسة فراسخ من كازرون) عدة نقوش حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساساني، ويبين مجلس انتصار سابور الأول على فالريان، وقد نصب سابور سرياديس إمبراطورًا على الروم، ويقدم فالريان فروض الطاعة والولاء للإمبراطور الجديد وهو راعع على ركبته صاغرا^(١٦٦).

٩- بناء فيروز آباد (في الطريق المؤدى من شيراز إلى دارابگرد)، وقد بقيت منه عقود وجدران متهدمة.

١٠- بناء سروسنان - وترى فيه أيضا طاقات ما زالت في حالة سليمة ويعتقد ديولاقوا أن بناء فيروزآباد وبناء سروسنان يرجعان إلى العصر الهخامنشى. ومن هنا نستنتج أن الإيرانيين لم يقتبسوا فن بناء الطاقات من الروم، بل هو خاص بهم. غير أن باحثين آخرين رفضوا هذا الرأي، واعتبروا البنائين المذكورين من العصر الساساني. وقد تم اكتشاف بعض الآثار خارج إيران مثل خرائب قصر مشينا الذى بنى فى الناحية الغربية من بحر لوط (البحر الميت) فى الشام على الطريقة البيزنطية.

النقوش الحجرية الساسانية:

إن كتابات هذا العصر الحجرية التى تم اكتشافها ولقيت اهتمامًا كثيرًا؛ ولكن لما كنا لا نتمكن من الحديث عنها جميعًا فى هذا المختصر فسنكتفى بذكر بعضها:

أولاً: توجد عدة كتابات حجرية فى نقش رستم (بالقرب من تخت جمشيد):

١- كتابة حجرية لأردشير بابكان باللغات البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية واليونانية. ونذكر هنا ترجمة لها كنموذج على التعريف الذى كان يذكره الملوك الساسانيون عن أنفسهم: "هذه صورة أردشير عابد الإله مزده، إمبراطور إيران ذى الأصل السماوى من نسل الآلهة ابن الملك بابك".

٢- كتابة حجرية لسابور الأول باللغة اليونانية يعرف فيها نفسه.

ثانياً: توجد كتابة حجرية فى حاجى آباد (تقع على بعد ثلاثة فراسخ من تخت جمشيد) لسابور الأول باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية ولم يتمكنوا من قراءة هذه الكتابة تماماً حتى الآن، ولكن بالنسبة لموضوع السهم الذى أطلقه سابور فى حضور الأمراء والنبلاء، فإن سابور يعرف نفسه فى هذه الكتابة بأنه إمبراطور إيران وغير إيران (المقصود بغير إيران البلاد الخاضعة لإيران خارج أراضيها).

ثالثاً: نحتت صور سابور الثانى فى طاق بستان، وتوجد كتابة حجرية تعرفه أيضاً.

رابعاً: توجد كتابة حجرية فى بايكولى (تقع فى منطقة جبلية بين قصر شيرين والسليمانية)، وهى كتابة مفصلة جداً لنرسى الساسانى كتبت باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية، ويشرح فيها نرسى كيف أنه أنزل بهرام الثالث من على العرش واعتلاه هو، وتعتبر هذه الكتابة أطول كتابة ساسانية، كما أنها تعطى معلومات حول حدود إيران فى ذلك العصر.

خامساً: كتابتان لسابور الثانى حفرتا فى الممر الجنوبى لقصر داريوش إحداهما تتناول مجيء سابور لهذا المكان، والثانية تتحدث عن أعماله التى قام بها.

الرسم:

لم يصل إلى أيدينا شيء خاص بالرسم في عصر الساسانيين في إيران نفسها ولكن تم العثور على رسوم في حفريات تورفان بالتركستان الصينية، وهي موجودة في برلين. وتبين هذه الرسوم أتباع ماني، وقام برسم هذه الصور الإيرانية كلها صينيون. ومن هنا نستنتج أن هذه الرسوم قد نقلت عن الرسوم التي نقلها أتباع ماني من إيران إلى الصين. وقد تقدم فن الرسم في العصر الساساني، ومن المسلم به لدى أهل الفن أن الإيرانيين إقتبسوا فن التصوير من الصين في عصر ماني وغيروا فيه، وانتقل هذا التغيير بعد ذلك إلى الصين وأثر في فن الرسم الصيني، إذ يرى بوضوح الأثر الإيراني في بعض الرسوم الصينية.

الشعر:

لم يكن هناك شعر بالمعنى المعروف الآن (أى النظم طبقاً للعروض) في العصر الساساني، ولكن يوجد بالكلام الذي ينظمونه وينشدونه نوع من الترتيب أو النظام (مثلاً الشعر ذو الثمانية مقاطع وأمثال ذلك) (١٦٧).

الموسيقى:

كان هذا الفن موضع عناية واهتمام، وقد بلغ درجة عالية من الرقي في أيام كسرى برويز. ومن أشهر الموسيقيين في ذلك العصر: باربذ، نكسيا، بام شاذ، رامتين.

اللغات الإيرانية القديمة وخطوطها

رغم أننا تحدثنا عن بعض اللغات والخطوط في إيران القديمة في مواضعها، لكننا سنتحدث هنا باختصار عن هذا الموضوع، لأننا لم نذكر البعض الآخر:

أولاً: اللغات الإيرانية القديمة هي:

١- الفارسية القديمة؛ وهي التي كتبت بها كتابات الملوك الهخامنشيين.

٢- اللغة الأستانية، أي اللغة التي كتبت بها الأقسنا.

٣- اللغة البهلوية ولها لهجتان: البهلوية الشمالية أو الأشكانية والبهلوية الجنوبية أو الساسانية، ويفهم من الأسماء أنهم كانوا يتحدثون بهاتين اللغتين في العصرين الأشكاني والساساني. ولا نعلم يقيناً أي قسم من سكان إيران القديمة كان يستعمل اللغة الأستانية، ولكن الاعتقاد الغالب أن الميديين كانوا يتحدثون بهذه اللغة.

واللغات التي يتحدث بها الإيرانيون في إيران اليوم مشتقة من إحدى اللغات القديمة المذكورة، كاللغة الفارسية الحالية والكردية والبلوچية والريّة والگيلكية والمازندرانية والگبرية والسيوندية ولغة يهود إيران والنظنزية والكاشية والسمنانية والتاتية والطالشية وغيرها، وكذلك لغة البشتو أو البختو في أفغانستان ولغة بخارى أو التاجيكية في آسيا الوسطى ولغة الأستين في القفقاز. وعموماً فإن شعب اللغة الفارسية المتناثرة في تركستان (الأفغانية والروسية) والبامير كثيرة^(١٦٨).

وقد تم العثور أخيراً على آثار للغتين في آسيا الوسطى، إحداهما قريبة من اللغات الأوروبية والثانية قريبة من اللغات الإيرانية، وقد أطلق عليهما بعض الباحثين اسم اللغة الطخارية واللغة الختنية (أو الإيرانية الشرقية). وخلاصة القول فإن اللغات الإيرانية كانت منتشرة من أقصى بلاد البامير حتى آسيا الصغرى، وأن اللغة الفارسية كانت مستعملة في القرن العاشر الهجري (١٦م) في منطقة تمتد من اسطنبول حتى كلكتا في الحديث والكتابة السياسية والأدبية.

ثانيًا: الخطوط:

تتاولنا فيما سبق كل خط من الخطوط الإيرانية أثناء حديثنا عن موضوعات مختلفة وفي مواضع متفرقة، ولكننا سنوجز القول هنا حول الخط الأوستائي فقط. هذا الخط مأخوذ من الخط البهلوي، وكان يكتب من اليسار إلى اليمين، ولكنه كان ألف بائياً أي أن به علامة لكل صوت من الأصوات المتحركة والساكنة. والثابت أن هذا الخط اخترع في القرن السادس الميلادي، وسمى بالخط الأوستائي نظراً لأن الأوستا قد كتبت به، وبناء على ما ذكرنا الآن وما سبق ذكره، فقد كانت خطوط إيران القديمة هي: الخط المسماري، والخط الفارسي، والخط البهلوي، والخط المانوي، والخط الأوستائي. كذلك تم اكتشاف خط في آسيا الوسطى يعرف الآن باسم الخط الصغدي؛ وهو مقتبس من الخط الآرامي، وقد انتشر في آسيا الوسطى وبدل بالخط (الأويغوري)، وكان الخط الأخير مستخدماً في كتابة اللغة التركية، ثم تبدل بخط المغول والمنجو، مثلما هو متبع الآن أيضاً.

الهوامش

- ١- يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن السنوات التي ذكرت حتى سنة ٣١٠ بشأن تاريخ سلطنة ملوك الساسانيين تقريبية (نولدكه).
 - ٢- ذكر البعض أنه عام ٢٢٦م.
 - ٣- يرى البعض أن المقصود بلقب أردشير دراز دست- الذي ترجمه بعض المؤلفين العرب أو اليونان القدماء ترجمة حرفية بمعنى الطويل اليدين أو طويل اليد أو طويل الباع، وعللوا ذلك بأن يده اليسرى كانت أطول من يده اليمنى، أو أن يده كانت تصل إلى ركبته عندما يكون واقفاً- هو علو همته وقدرته.
 - (انظر مقالة الدكتور محمد معين: دراز دست- دراز أنكل- ريوند دست. بمجلة روابط فرهنگی هند وإيران- العدد ٢ و ٣- ١٩٥١ كلكتا). (المترجم).
- #### 4- Sptimus severus.
- ٥- تستعمل مؤبذان مؤبذ بدلا من مؤبذ مؤبذان في اللغة البهلوية، أى يقدم المضاف إليه على المضاف.
 - ٦- يذكر صاحب مروج الذهب بعض الإصلاحات والتنظيمات التي قام بها أردشير في مملكته فيقول: "رتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أفواج: فأولها: الوزراء، ثم الموبذان وهو القائم بأمر الدين، وهو قاضى القضاة، وهو رئيس الموابذة، ومعناها القوام بأمر الدين فى سائر المملكة، والقضاة المنصبون للأحكام، وجعل الأصبهذيين أربعة: الأول بخراسان، والثانى بالمغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال، فهؤلاء

الأربعة هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة، فكل واحد منهم صاحب ربع منها، ولكل واحد من هؤلاء مرزيان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة. ورتب أردشير الطبقات الأربعة من أصحاب التدبير ومن إليهم أزمة الملك وحضور المشورة في إيراد الأمور وإصدارها، ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة الموسيقية... (انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ص ١٨٦، ج ١، طبعة القاهرة ١٩٦٦م) (المترجم).

٧- ذكروا أن شابور لم يكن يود قتلها في بداية الأمر، ولكنه عندما علم بعد ذلك أن هذه الفتاة كانت قد نشأت في عز ونعيم ومع ذلك خانت والدها، أمر بقتلها بعد إحساسه بالنفور منها والكراهية لها.

٨- نصيبين Nissibin هي مركز أروستان، وتقع على بعد ٢٥ فرسخاً من مدينة الموصل الحالية.

9- Gordien.

10- Valerien.

١١- أساس فقه اللغة الإيرانية.

12- Cyriadis.

١٣- كانت في كابادوكية.

١٤- Palmyra تدمر هي نفسها بالمير عند اليونان، وهي مملكة نبطية وعربية.

١٥- كان اسم هذه المدينة أصلاً "وه انتيوك شابور" أي مدينة شابور الأفضل من مدينة أنطاكية. ثم بدل هذا الاسم بعد ذلك إلى وندى شابور وگندى

وجُنْدَى شَابُور" ويقال إن هذه المدينة قد شيدت على أيدي أسرى
المسيحيين الروم، وكان سكانها من أهل انطاكية في الغالب، وهى فى
العربية جنديسابور.

16- Aurelien

17- Carus.

١٨- يعتبر البعض أن السارماتيين من الشعوب الآرية، وعلى أى حال، فلا
شك فى أنهم من الجنس الهندو أوربى.

19 - Diocletien.

20 - Galerius.

21 - Arzanene, Moksoene, Zabdicene, Rehimene, Corduene.

ذكر ماركوارت أسماء الولايات الخمس هكذا: أرزن- أنغل- سفين-
زابده- كردو (ماركوارت- دولة إيران).

٢٢- كانت البحرين ولاية تقع فى شرق جزيرة العرب على شاطئ الخليج،
وهى تسمى الآن باسم الحساء، وقد سميت جزيرة البحرين بهذا الاسم فى
القرون اللاحقة.

٢٣- أطلق عليه الإيرانيون لقب ذى الأكتاف لأنه كان ينقب أكتاف الأسرى
من العرب وذلك فى حربه معهم، فسموه هو به ستبان، ويقول المسعودى
فى كتابه مروج الذهب (ص ١٩٢ ج١): وخلق بعد ذلك أكتاف العرب،
فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكتاف. (المترجم).

٢٤- يوستى- أساس فقه اللغة الإيرانية.

٢٥- يطلق اليونانيون اسم خيونيت على الهون، ولكنهم يعرفون في التاريخ باسم الهون، وقد سببوا بلاء عظيمًا لأوروبا، وكانت كارثتهم على أوروبا تماثل كارثة المغول على إيران وسائر البلاد. وكان أتيلًا ملكهم يقول: "أينما يطأ جوادى الأرض بقدمه فلا ينبغي أن ينبت نبات".

٢٦- يطلق العرب على بزابد بازبدى، وكانت تقع فيما بين النهرين.

27- Julien.

28- Jovien.

29- Valentien.

30- Valens.

31- Ostrogoths.

32- Wisigoths.

33- Varazdat.

34- Manuel.

35- Goths.

36- Theodose.

٣٧- كانت قلعة فراموشى (النسيان) تقع فى "گل کرد، شرق شوشتر، وسميت بهذا الاسم لأنه لم يكن يذكر اسم المحبوسين بها مطلقًا أمام الملك (راولين سن).

٣٨- تولدكه - دراسات تاريخية حول إيران القديمة.

٣٩- إن لفظ (رومى) الذى استعملوه ويستعملونه هو بهذا المعنى.

٤٠- يعتبره نولدكه ابن شاپور الثانى.

41- Arcadius.

٤٢- كانت الحيرة مدينة تقع على بعد فرسخ من الكوفة، واسمها آرامى بمعنى الخيام. وينسب بناؤها لبخت النصر. وكان الملوك اللخميون يحكمون هناك أيام الساسانيين وكانوا تابعين لإيران. وقد قضى كسرى برويز فى سنة ٦٠٢ على هذه الأسرة وعين حاكمًا هناك. وسقطت الحيرة فى يد المسلمين، وهى من ناحية المبانى أقل من الكوفة، وقد اندثرت تمامًا قبل القرن العاشر الميلادى أو الرابع عشر الهجرى.

٤٣- يقال إن بهرام كان ينشد الشعر بالعربية، نظرًا لنشأته بين العرب فى الحيرة، ومن شعره عندما ظفر بخاقان وقتله قوله:

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإنى حامى ملك فارس كلها وما خير ملك لا يكون له حام
وقوله أيضًا:

لقد علم الأنعام بكل أرض بأنهم قد أضحوا لى عبيدا
ملك ملوكهم وقهرت منهم عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقعى حذارى وترهب من مخافتى الورودا
وكنت إذا تشاوس ملك أرض عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطىنى المقادة أو أوافى به يشكو السلاسل والقيرودا

(مروج الذهب ص ١٩٨ ج ١) (المترجم)

٤٤- شيز هي نفسها كنزك، وكانت لأذربايجان في ذلك الوقت عاصمتان: كنزك وأردبيل، وكنزك هي تخت سليمان الحالية.

٤٥- كانت هذه المدينة تسمى في البداية باسم كارين ثم تحول إلى كالاك، وفي منتصف القرن الخامس الهجري خرب السلاجقة مدينة أرزن الواقعة في شرق هذه المدينة، وهاجر سكانها إلى كالاك وسميت أرزن الروم، ثم صارت بعد ذلك أرز الروم وأرزروم ومن ثم فإن اسم هذه المدينة هو أرزروم، (ارضروم).

٤٦- نظم الشاعر نظامي الغنجوي هذه القصة في عام ٥٩٣هـ، وجعل بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء وهو بهرام گور أو بهرام الخامس، وصوره من ناحيتين، ناحية عامة تتعلق بحروبه وفتوحاته، وناحية خاصة تتصل بحبه وزواجه وحياته العائلية، وربط بين الناحيتين ربطاً وبيحاً، وتسمى أيضاً "هفت بيكر" أي الصور السبع، وهي الصور التي اكتشفها بهرام في غرفة سرية في قصره، وقد تبين له أنها صور سبع أميرات من بلاد مختلفة يتميزن بالجمال والحسن، فلما رأى صورهن وقع في حبهن جميعاً، فلما مات أبوه وتولى العرش مكانه، كان أول ما فعله أن جد في طلب هؤلاء الأميرات من بانهن، واستطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعاً، وقد أسكن كل واحدة من هؤلاء الأميرات السبع في قصر مستقل، جعله في لونه يمثل إقليماً من الأقاليم السبعة التي ينقسم إليها الكون، ثم أخذ في زيارتهن بالتناوب في سبع ليال متتالية، وتحقق به كل أميرة خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيته عندها جملة من الحكايات الممتعة كالتي نجدها عادة في قصة ألف ليلة. انظر نظامي الغنجوي شاعر الفضيلة للدكتور عبد النعيم حسنين ص ٣٢٣، وما بعدها، تاريخ

الأدب في إيران من الفردوسى للسعدى لبروان- الترجمة العربية،
ص ٥٢١. (المترجم).

٤٧- لورى أوكولى تعنى طائفة من الهنود الراقصين والمغنين الذين قدموا
إلى إيران فى عصر بهرام گور، ويقال لهم بالفارسية كذلك لولى.
(المترجم).

٤٨- هو عيد قديم عند الإيرانيين يحتفلون به فى الثالث عشر من شهر تير،
وهو عيد رش الماء ويروى الگرديزى فى كتابه "زين الأخبار" سبب
الاحتفال بهذا العيد فيقول: ".. وسبب ذلك أن الأمطار امتعت عن إيران
فى عهد فيروز بن يزجرد جد أنو شيروان العادل؛ فذهب فيروز إلى بيت
النار المسمى بأذرخوره وتعبد كثيرا وقدم الصدقات للفقراء؛ وتضرع لله
تعالى وتوسل إليه كثيرا إلى أن سقطت الأمطار..."

"انظر زين الأخبار ص ٢٤٧ طبعة بنياد فرهنگ ایران".

٤٩- كانوا من آرى ايران، وسكنوا فى المنطقة الواقعة بين نهر كورا وبحر
الخرز ودريند وارس، وسماهم الأوربيون بالألبان أيضا، ولذلك لا يجب
الخلط بين هذه الشعوب وبين ألبان شبه جزيرة البلقان أو شعب
أرناؤوستان، فهم ليسوا من آرى ايران، بل هم شعبة مستقلة من الفروع
الهندية الأوروبية.

50- Anastase.

٥١- بلغ المبلغ الذى دفع لإيران إلى ألف ليبرا ذهبًا، والليبرا وزن خمسة
وستين مثقالًا حاليًا.

52- Justin.

53- Bilisare.

54- Justinien.

55- Callinicus.

٥٦- ذكر المؤرخون الأجانب اسمه: فئاسوارسا. ويعتقد الباحثون أنه تصحيف لـ "بشخوارشاه" وأنه لقب. وبشخوار جبل من جبال البرز بين سارى ودامغان.

57- Padhgos

٥٨- كانوا يسمون سد دربند فى العصر الإسلامى باسم باب الأبواب.

٥٩- يذكر المسعودى أن أنو شروان كان يدعى كسرى الخير وأن الشعراء قد ذكروه فى أشعارهم، ومن هؤلاء عدى بن زيد العبادى الذى قال:

أين كسرى خير الملوك أنوشر
لم يهبه رب المنون فولى إلا
وان؟ أم أين من قبله سابور
ك عنه قبابه مهجور
ف فألوت به الصبا والدبور
حين ولوا كأنهم ورق جفـ

مروج الذهب ص ٢٠٢ ج ١ (المترجم).

٦٠- كان هذا المبلغ أحد عشر ألف ليبرا ذهباً، والليبرا تزن ٢٢٥ جراماً أو ٦٥ متقالاً تقريباً.

٦١- أى مدينة خسرو الأفضل من أنطاكية.

٦٢- باطوم الحالية كانت تسمى بئرا.

٦٣- تصور الطبرى أن دفع هذا المبلغ سنوياً يعتبر جزية.

64- Durk.

65- Tumen.

66- Mokan khan.

٦٧- هناك اختلاف حول تاريخ هذه الحادثة بين الباحثين، كما أن بعضهم قد جعل تاريخها في سنة ٥٧٦م.

68- Dizabul.

٦٩- طائرة (طيار) استعملت هنا استعمالا استعازيا، والمقصود بها الفارس الذى يحمل أسلحة خفيفة، ويتحرك من مكان لآخر بسرعة. وكان هذا النوع من الفرسان يقوم بعمليات حول الجيش الأسمى فى العهد تمهيدا للهجوم ولبث الذعر فى قلوب السكان، وإجبار العدو على تقسيم قواته.

70- conte Tiberius.

71- Rhin.

72- Danube.

73- kurs.

٧٤- يستفاد من المصادر الرومية أن دولة الروم قبلت أن تصرف النظر عن أرمينية إيران وكل گرجستان وأن تعقد معاهدة صلح. ولكن لم تسفر المباحثات عن نتائج بسبب موت أنوشيروان.

٧٥- والثابت الآن أن كوروش هو أعظم ملوك إيران الأقدمين، فهو الذى ذكرته التوراة ثم القرآن وهو الذى أعلن وثيقة حقوق الإنسان وهو منشئ الإمبراطورية الإيرانية.

٧٦- يقول دارمستتر: إن أنوشيروان كان واحدا من هؤلاء الذين يتميزون بالوجهة، وهو يعد فردريك إيران الكبير. ومن الجائز أن يكون أنوشيروان أقل دهاء من فردريك، إلا أنه ترك في مضمار الحضارة أثارا نافعة وأكثر دواما، فعن طريقه ظهر الفردوسى فى إيران، وعندنا (فرنسا) ظهر لافونتتين وفى أوربا ظهر الشطرنج.

٧٧- كان بزرجمهر وزيرا لانوشيروان طبقا لما ترويه المصادر الشرقية. ولكن الباحثين الأوربيين لم يتمكنوا من إبداء رأى قاطع فى هذا الصدد، لأنهم لم يتقنوا من أنه شخصية تاريخية.

٧٨- يقول نولدكه: كم يجب أن يسبب هذا الكلام خجلاً للمسيحيين الذين كانوا يتعقبون أتباع الأديان الأخرى.

79- Circesium.

80- Maurice.

81- Phocas.

82- Chalcedoine.

٨٣- وقعت هذه الخزانة فى يد قائد كسرى پرويز وسميت باسم فىء الرياح (كنج بادآورد).

يقول المستشرق كريستسن عن هذا الكنز: "عندما حاصر الفرس الإسكندرية حاول البيزنطيون أن ينفذوا نفائس المملكة، فجمعوا خزانتهم وذخائرهم فى سفن كثيرة، فلما لججت فى البحر عصفت الرياح فسيرتها إلى صفوف الإيرانيين حتى ظفر بها شهربراز وقبض عليها كلها وبعثها

إلى المدائن فتعجب منها كسرى وسر بها، وقد سميت كنج باداورد أى
فى الرياح).

انظر إيران فى عهد الساسانيين- ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، ص
٤٤٧ (المترجم).

٨٤- هذا هو نفس المكان الذى كان ميدانا للحرب بين الإسكندر وداريوش
(دارا).

٨٥- تاريخ الطبرى - ذكر بعض المؤرخين أن عدد نساء قصره كان يتراوح
بين عشرة آلاف واثنى عشر ألفاً. وكانت أشهر زوجاته مريم ابنة موريس
قيصر بيزنطة وشيرين السريانية، وهى التى قتلت نفسها عندما أراد قياد
الثانى أن يتزوجها بعده.

٨٦- يحتفل حتى الآن بيوم استرداد الصليب، وهذا اليوم يوافق ١٤ سبتمبر،
ويعرف بعيد ارتفاع الصليب **Exaltation De La Sainte Croix**.

٨٧- كتبها البعض بوراندخت، ويجب أن تكتب بهذا الشكل: بوراندخت بواو
مجهولة، أى تقرأ مثل واو كلمة (دوران).

٨٨- فردريك زاره - صنائع إيران القديمة.

٨٩- لما كان تاريخ الفتح الإسلامى مرتبطاً بالعصور الوسطى لتاريخ إيران،
فإننا اكتفينا فى هذا الكتاب بذكر الأحداث التى تتعلق بنهاية العصور
الإيرانية القديمة وقد سجلت الأحداث المذكورة طبقاً لروايات العرب التى
ذكرها الطبرى وابن الأثير، ذلك أنه لا توجد مصادر أخرى غير عربية
بين أيدينا.

٩٠- المدائن هي نفسها طيسفون. وقد أطلق العرب عليها اسم المدائن لأنها كانت تتكون من ثلاث مدن.

٩١- تسمى هذه الليلة بليلة الهرير.

٩٢- يصف ابن كثير في كتابه البدايه والنهاية (ج ٢ ص ٦٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤م) الغنائم التي غنمها المسلمون في هذه المعركة فيقول: "واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه. وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقبأوه وبساط إيوانه، وكان مربعاً ستون ذراعاً في مثلها، من كل جانب، والبساط مثله سواء، وهو منسوج بالذهب واللائي والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، بلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكنوزها، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده..."

٩٣- سيأتي وصف هذه السجادة.

٩٤- كانت حلوان في ذلك الوقت قلعة في جبال كردستان (زاجروس).

٩٥- كانت جلولاء قريبة من حلوان.

٩٦- كانت هذه الأسرة من عائلة قارن يهلو البارتي.

٩٧- يطلق الفردوسي على هذا الطحان اسم خسرو.

٩٨- تقع طخارستان شرق بلخ وعلى شاطئ نهر جيحون.

٩٩- كانت كلمة موبذ في الأصل مغوبات ثم تحولت إلى مغ بت ثم إلى موبذ.

١٠٠- تحدث تنسر في كتابه عن طبقات الشعب الإيراني في ذلك العصر بقوله "اعلم أن الناس في الدين أربعة أعضاء، وقد ورد كثيراً في كتب الدين، بلا

جدال أو تأويل أو خلاف أو أقاويل، أن هؤلاء يسمون الأعضاء الأربعة. ورأس هذه الأعضاء الملك. والعضو الأول هو أهل الدين. وهذا العضو أصناف، فمنه الحكام والعباد والزهاد والسنة والمعلمون. والعضو الثاني المقاتلة، وهم قسمان: الفرسان والرجالة، وهم يتفاوتون بعد ذلك بمراتبهم وأعمالهم. والعضو الثالث الكتاب، وهم أيضاً طبقات وأنواع، فمنهم كتاب الرسائل والمحاسبات والأفضية والسجلات والعقود وكتاب السير. ويدخل فى طبقتهم الأطباء والشعراء والمنجمون. والعضو الرابع المهنة، وهم الزراع والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف، والناس فى عهد زاهر دائماً ما حافظوا على هذه الأعضاء الأربعة ولم ينتقلوا من طبقة إلى أخرى.

ولا يجوز مطلقاً أن ينتقل أحد من طبقة إلى أخرى، إلا أن يلاحظ فى امرئ أهلية شائعة فإن أمره يعرض على الملك، بعد اختبار الموابذة والهرابذة إياه وطول مشاهدتهم له، فإذا رآوه مستحقاً أمر الملك بإلحاقه بغير طبقتهم". كتاب تنسر ص ٣٢ (المترجم).

١٠١- يقال لطبقة ويس بور بربيد كذلك، وهى كلمة آرامية بمعنى رئيس العائلة أو رب الأسرة.

١٠٢- كانت الدواوين على النحو التالى:

(أ) الشئون الحربية.

(ب) الطرق ودوائر البريد.

(ج) الأوزان والمكاييل.

(د) الضرائب.

(هـ) النقود.

(و) إرسال المراسلات.

(ز) محكمة العقوبات.

(ح) الامتيازات الحكومية.

١٠٣- هذه المقادير هي: درهم من القمح والشعير، ثمانية دراهم من كرم العنب، سبعة دراهم من البرسيم، خمسة أسداس الدرهم من الأرز. وكانوا يحصلون ضرائب عن أشجار النخيل والزيتون طبقاً لعدد الأشجار: درهم لكل أربع شجرات نخيل ولكل ست أشجار زيتون.

١٠٤- كانت الطبقة الأولى تدفع اثني عشر درهماً في العام، وتدفع الطبقة المتوسطة ثمانية أو ستة دراهم، ويدفع بقية الأهالي أربعة دراهم.

١٠٥- تعادل أربعين مليون تومان بعملة اليوم تقريباً - يرى يوستى أن الدخل المذكور يعادل ٢٩٤ مليون مارك ذهبياً (أساس فقه اللغة الإيرانية).

١٠٦- كان لدى الساسانيين، كما كان للأكمينيين، فرقة من الفرسان المختارين تسمى (فرقة الخالدين) وهي تتكون كأنموذجها الأكميني، من عشرة آلاف رجل يحمل رئيسهم لقب (ورهر نيكان خوداي).

انظر إيران في عهد الساسانيين - كريستنسن، ص ١٩٨ (المترجم).

١٠٧- كان يجب على نوى المناصب والأفراد المرور في عرض لاستلام مرتباتهم، فإذا كانت ملابسهم أو أسلحتهم ناقصة لا تعطى لهم الرواتب. وذات يوم اضطر أنوشيروان للعودة إلى منزله لاستكمال ملابسه وأسلحته؛ لكي يقبض مرتبته.

١٠٨- الاعتقاد الغالب أن هذه العقوبة كانت تنفذ عند ارتكاب الجرائم السياسية.

١٠٩- النوروز (روز نو) - أى اليوم الجديد - عيد أول العام، أى اليوم الأول من شهر فروردين - وقد جاء فى كتاب "إيران فى عهد الساسانيين، لكريستسن (ص١٦٢). عن النوروز: "أنه كان من أكبر الأعياد الشعبية كما هو اليوم فى إيران ويسمى فى البهوية نوك روز، وهو يوم رأس السنة الذى يلى عيد فرورديگان مباشرة فى السنوات البسيطة. وقد جاء فى الدينكرد، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم فى جميع الولايات فى هذا اليوم السعيد، وكان من يشتغل يسترىح ويحتفل بالعيد، وقد عدد نص بهلوى حديث كل الحوادث الماضية والمستقبل المتصلة بالنوروز منذ خلق أهرمزد الدنيا ومنذ عهد المجد فى التاريخ الخرافى حتى نهاية الدنيا. وقد تحدث عن هذا العيد، عدا البيرونى، كتاب من العرب والفرس كما أن شعراء كالفردوسى ومانوچهرى قد تغنوا به، أنه عيد ربيعى قد حفظ بعض خصائص الزجموك Zagnok الذى هو عيد البابليين القدماء. كانت الضرائب المجبية تقدم للملك فى النوروز، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم، وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ويستمر العيد ستة أيام متوالية، وفى هذه الأيام يجلس ملوك الساسانيين للعامّة، ويقابلون العظماء وآل ساسان فى نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا، وفى اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته، والواقع أن اليوم الأول واليوم الأخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالاً يحوى كل المظاهر الشعبية. وكانوا يصحون مبكرين فى اليوم الأول ويذهبون إلى مجارى المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضاً بالماء وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى. وكانوا فى الصباح، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات، ويدلكون أجسامهم بالزيت ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الأمراض والآفات" (المترجم).

١١٠- يقول البيروني في كتابه الآثار الباقية (ص ٢٢٢ طبعة بغداد): "شهر مهرماه اليوم السادس عشر وهو روز مهر (أي يوم مهر) عيد عظيم الشأن ويعرف بالمهرجان، واسمه موافق لاسم الشهر وتفسيره محبة الروح، وقد قيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من آنين (عادة) الأكاسرة في هذا اليوم التتوج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها وفيه يقوم للفرس سوق... (المترجم).

١١١- أم مين مارسلن مؤرخ رومي معاصر لسابور الثاني.

١١٢- المصمغان معرب مسمغان أي العظيم أو كبير المغان.

١١٣- من خمسة مثاقيل إلى ثلاثة.

١١٤- كانوا يقدمون الأحاد على العشرات.

١١٥- سيرد ذكر هذا الموضوع فيما بعد.

١١٦- تذكر هنا عبارة نقود بهرام گور كنموذج، وهي: مزديسن بغى وره ران ملكان ملكا إيران وانيران مينو جيتري من يزتان. أي: عابد مزدا الملك الكبير بهرام ملك ملوك إيران وغير إيران، ذي الأصل السماوي من الآلهة. والكلمات التي تحتها خط آرامية، ولكنهم كانوا ينطقونها بالبهلوية، فمثلاً "ملكا" كانت تنطق "شاه".

١١٧- المقصود بها المواد التي تعرف اليوم (بمواد بزكى) أو مواد الزينة.

Gobie. - ١١٨

١١٩- فرينريك زاره - صنائع إيران القديمة.

١٢٠- فقد ذكروا عن السفير الذي ذهب إلى الصين محملاً بالهدايا في عصر قباد وكان رذا على سفارة أرسلتها الصين إلى بلاد إيران: "أن دولتهم (يعنى إيران) قد أرسلت في عهد سنكوى سفيراً يحمل رسالة وجزية من البضائع المحلية، ومضمون الرسالة هو: من ابن المملكة السماوية الكبرى وابن السماء، ونتمنى أن تكون مملكته هي كل البلاد التي تشرق الشمس عليها. إن ملك إيران كوهوتو (يقصد قباد) يدفع ألفاً وعشرة آلاف كرنش إظهاراً للمودة. وقد تلقى البلاط ما أبداه بقبول حسن. وأرسلوا بعد ذلك وبسرعة الهدايا إلى البلاط. وفي السنة الثانية (سنة ٥٥٥م) أرسل ملكهم هدايا من البضائع المحلية". ويجب أن يكون سفير السنة الثانية سفيراً لأنوشيروان، لأن التاريخ المذكور يتفق مع زمن حكم هذا الملك.

١٢١- كتاب ويشو المؤرخ الصينى.

122- Jakson, A.V.W

١٢٣- مثل بندهشن وارتاويرا فنامك وغيرهما.

١٢٤-١٢٤ Darmeseteter عالم فرنسى ألف كتاب (دراسات إيرانية).

١٢٥- يسنة: وهو يشتمل على الآداب الدينية، وتعتبر الكائنات (كائنها) أى الأناشيد الدينية جزءاً منه.

١٢٦- هو أحد الكتب البهلوية المشهورة.

١٢٧- قيل إنه كان من كبار رجال الدين أيام أردشير، وقيل بل كان أيام أنوشيروان. ويقول بهرام خورزاد، الذى نقل عنه ابن المقفع مقدمته: إنه سمى تنسر لأن الشعر قد نما بغزارة فوق جسده حتى كان جسده كله مثل رأسه (تن- جسد، سر- رأس) وجاء فى دينكرد (جمع فى القرن التاسع الميلادى)

أن الملك أردشير كلف تنسر (هربدان هربد) - رئيس سدنة بيوت النار - بجمع متون الأوستا، كتاب الإيرانيين الزردشتيين، وبأن يعيد سطره، ولما أتم هذا العمل أطلق على تنسر لقب "يوربوتكيش" أي حافظ دين الأقدمين. انظر مقدمة الدكتور يحيى الخشاب على كتاب تنسر ص ٤) (المترجم).

١٢٨- لم يتمكنوا من معرفة معنى كلمة زرشت على وجه اليقين، والرأي الغالب أنها مأخوذة من (زرشتر) أي الجمل الأصفر.

١٢٩- سيأتي الحديث عن القوى الخالدة المقدسة فيما بعد.

١٣٠- كان هؤلاء تورانيين طبقا للأخبار الزرشتية.

١٣١- كان قائد الأعداء هو أرج تسب (أرجاسب). ويدعى قائل زرشت توري براتروخش.

١٣٢- كلمة هرمز كانت في الأصل آهورمزده، وكلمة أهور مأخوذة من أسور إله الأريين الهند وإيرانيين (عندما كان دينهما واحدا). ومزده تعنى عالم.

١٣٣- كلمة أنكرمينيو تعنى الطبيعة أو الضمير المظلم، وصارت بعد ذلك أهرمين.

١٣٤- أمش سبنتان (أي القوة الخالدة المقدسة) هي:

أ) وهو منه - بهمن (الفكر الطيب).

ب) اش وهشت - أردى بهشت (أفضل القوى).

ج) خستر وى رى - شهريور (الدولة أو الحكومة الحسنة).

د) سبنت أره أى تى - اسفندار مذ (الموت مع الفتوة).

هـ) هنوروات - خرداد (السلامة والعافية).

و) امرتات - امرداد (خالد - غيرفان).

١٣٥-يزد صارت بعد ذلك يزد وايزد (الله).

١٣٦-أسماء القضاة الثلاثة هي: ميتر - سرا أش - راشنو.

١٣٧-أنهو وهيشت.

١٣٨-في لغة الأوستا هومت - هُوخت - هورشت.

١٣٩-يعتقد الباحثون أن فوتق معرب بأنك.

١٤٠-ابن النديم الوراق.

١٤١-ذكر ابن النديم أن اسمه مانى بن فتق بابك بن أبى برزام من الحسكانية واسم أمه ميس ويقال أوتاخيم ويقال من مريم من ولد الأشغانية، وقيل أن أصل أبيه من همدان وانتقل إلى بابل وكان ينزل المداين فى الموضع الذى يسمى طيسفون كما ذكر أن الوحي أتاه وهو فى سن الثانية عشرة، وأن الملك الذى جاءه بالوحي كان يسمى التوم وهو بالنبطية ومعناه القرن، فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه التوم فقال له قد حان لك أن تخرج فتادى بأمرك.

أما عن مذهبه فقد قال مانى إن مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة، كل واحد منهما منفصل عن الآخر، فالنور هو العظيم الأول وليس بالعدد وهو الإله ملك جنان النور، وله خمسة أعضاء اللحم والعلم والعقل والغيب والفتنة، وخمسة آخر روحانية وهى الحب والإيمان والوفاء والمرورة والحكمة، وزعم أنه بصفاته هذه أزلّى ومعه شينان اثنان أزيلان أحدهما الجو والآخر الأرض. وقال إن أعضاء الجو خمسة اللحم والعلم والعقل والغيب والفتنة، وأعضاء الأرض النسيم والريح والنور والماء والنار، والكون الآخر هو الظلمة وأعضاؤها خمسة الضباب والحريق والسموم والسم

والظلمة. (انظر الفهرست ص ٣٢٧ إلى ص ٣٢٩ طبعة بيروت ١٩٦٤م)
(المترجم).

142- Gnosticisme

١٤٣- يعرف أحد كتبه التي ذكرها أبو الريحان البيروني باسم شابورگان.

١٤٤- هكذا اشتهر، ولكن لا يعرف إلى أي حد يتفق هذا مع الحقيقة.

١٤٥- الخط المناني - كما يقول ابن النديم- خط مستخرج من الفارسي
والسرياني، استخرجه ماني، وقد أورد حروف هذا الخط في كتابه الفهرست
(انظر الفهرست ص ١٧) (المترجم).

146- Gaule

١٤٧- يتصور البعض أن كلمة زنديق مأخوذة من كلمة سنديق السريانية، وأن هذه
الكلمة جاءت من صنيق، والصديق أحد مراتب أتباع هذه العقيدة.

١٤٨- يقول ابن النديم (الفهرست ص ٣٤٢) في حديثه عن مذهب الحزمية
والمزديكية: "...وصاحبهم مزدك القديم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على
بلوغ الشهوات والأكل والشراب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم
على بعض، ولهم مشاركة في الحرم والأهل ولا يمتنع الواحد منهم من
حرمة الآخر ولا يمنعه، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير وترك القتل
وإدخال الآلام على النفوس...وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذي ظهر
في أيام قباد بن فيروز وقتله أنوشروان وقتل أصحابه" (المترجم).

١٤٩- الوزراء الستة هم: سالار (الزعيم)، بيشكار (الرئيس)، باروان (حامل
العبء)، كاردان (الخبير)، دستور (المستشار)، كوندك (الغلام- الخادم).

١٥٠- الاثنا عشر روحانيا هم: خواننده (الداعي)، دهنده (المعطي)، ستاننده (الأخذ)، كشنده (القاتل)، زتنده (الضارب)، كنده (العامل)، أينده (الآتي)، شنونده (السامع)، برنده (الفائز)، خورنده (الأكل)، دونده (المسرع)، خيزنده (القائم)، وزاد الشهرستاني أيضا: باينده (الباقى)، وهو غير موجود فى الكتب الأخرى.

١٥١- يوجد الآن أحد هذه النقوش الحجرية - التى تعتبر من الأعمال الفنية العظيمة- فى الفاتيكان، أى فى المقر البابوى بروما.

١٥٢- يرى المستشرق كريستسن فى كتابه "إيران فى عهد الساسانيين" (ص ٢٩ وما بعدها) أن البوذية قد تغلغت فى إيران إبان العهد الإغريقى، فإن الملك الهندى أشوكا الذى اعتنق البوذية أرسل مبشرين بها إلى قندهار (إقليم فى وادى كابل) وإلى بلخ فى سنة ٢٦٠ ق.م وأن الدين البوذى قد شاع على مذهب المهيانة فى أقاليم آسيا الوسطى، وقد أقام البوذيون فى قندهار كثيرا من الأديرة فى القرون الأولى الميلادية، ووجدت فى خرائب هذه الأديرة نقوش إغريقية هندية تمثل مناظر حياة بوذا. وفى باميان، غربى كابل تماثيل عظيمة تمثل بوذا، نحتت فى صخور على شاطئ البحر. وقد تأكد وجود أديرة بوذية فى إيران الساسانية حتى القرن السابع بما ذكره هيون تسياج فقد كان حسب روايته، أتباع ديانات أخرى هندية، من غير شك، فى المقاطعات الشرقية من المملكة. (المترجم).

١٥٣- تاريخ البرامكة - تأليف بوفا الفرنسى L. Boovat Barmecides, Paris 1921.

١٥٤- الفكر الطيب - عبارة عن محبة هرمرز والاعتقاد بأن الخير المطلق منه، وتجنب التكبر والكفر والحسد والبخل. والقول الطيب - أى العبادة والامتاع

عن الكذب والغش والسب والغيبة والافتراء. والعمل الطيب - هو أداء الطقوس الدينية، والعمل بالتقوى، وتأدية الصدقة، ومد يد العون للضعفاء، والامتناع عن ارتكاب الأشياء المحرمة.

١٥٥- أشهر هذه الكتب الدينية:

(أ) دين كرت (كاردين) الذى ألف فى القرن الثالث (التاسع الميلادى) ويحتوى على التاريخ والآداب والسنن الزرتشتية.

(ب) بندهشن (معطى الأساس) ويرجع إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).

(ج) داتستان دينيك (المعتقدات الدينية) وهو مؤلف فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى).

(د) ديناي مى نيوكَ خردَ (عقائد روح الحكمة).

(هـ) ارتا ويرافنامك (يكتبه البعض ارته واردي ولكن وست كتبه بهذ الشكل)، وهو عما أصاب مذهب زرتشت من خلل بسبب استيلاء اليونان، وازدهاره فى عصر الساسانيين. ومن المعتقد أنه كتب فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجرى (١٤ و٩ الميلادى).

(و) شكندكو مانيك وى جار، وهو فى الدفاع عن دين زرتشت.

١٥٦- أشهر الكتب غير الدينية:

(أ) كارنامك أرت خشير. بابكان (كتبه زالمان باوكان)، وهذا الكتاب كتب طبقاً لإحدى الروايات فى أواخر القرن السادس الميلادى، ولكن وست يعتقد أنه يرجع إلى القرون اللاحقة

(ب) يات كارُ زَيران (شاهنامه كُشتاسب أو الشاهنامه البهلوية)،
وينسبها البعض إلى سنة خمسمائة ميلادية.

(ج) درخت آسور.

(د) خسرو كواتان والگلام خادمه.

(هـ) كتاب القوانين الاجتماعية للبارسيين في العصر الساساني.

(و) شطرنج نامه (كتاب الشطرنج).

(ز) أسلوب كتابة الرسائل.

(ح) نظم عقد الزواج

(ط) عجائب مملكة سكتان.

(ي) معجم بهلوى.

١٥٧- لما كنا نذكر الكتب البهلوية وهي تعد وثائق تاريخية، فيجب أن نأخذ في الاعتبار: أن أردشير بابكان كلف تتسر الذي كان كبير الهرايزة بجمع الأوستا، فكتب تتسر رسالة إلى ملك طبرستان جسنفس شاه (جسنفس معرب كُشتاسب) وشجعه على التعاون مع أردشير ومساعدته، وقد ترجم ابن المقفع هذه الرسالة في القرن الثاني للهجرة من البهلوية إلى العربية، وترجمها ابن اسفنديار بعد ذلك إلى الفارسية في القرن السادس الهجرى (١٢١٠م) وضمها إلى مدخل كتاب تاريخ طبرستان، وهذا الكتاب موجود الآن في متحف الهند بلندن، وقد اعتبره دارمستتر أقدم الوثائق التاريخية الإيرانية بعد الكتابات الهخامنشية والأوستا. (رغم أن أصل الرسالة مفقود).

وقد ترجم د. يحيى الخشاب نص ابن اسفنديار إلى العربية في القاهرة سنة ١٩٥٤ نقلاً عن النص الذي نشره مجتبى مينوى. (المترجم).

١٥٨- كان هؤلاء العلماء قد لجأوا إلى إيران نتيجة تعصب الروم الديني للبارسيين في العصر الساساني، ولكنهم أرادوا العودة إلى الإسكندرية بعد فترة، وقد اشترط أنوشيروان في معاهدة سنة ٥٤٩م التي عقدها مع الروم ألا يتعرض الروم لهم.

١٥٩- هذه أسماء بعض الكتب من النوع الرابع: وصية أردشير لشابور- وصية أنوشيروان لهرمز وجوابه عليها - رسالة أنوشيروان للمرزبان وردة عليها - كتاب أنوشيروان إلى كبار رجال الدولة في الشكر - كتاب الأسياء التي استخرجت من المكتبات بأمر أردشير. وبالنسبة لما كتب عن السياسة وشئون الحكم: وصية أنوشيروان لأهل بيته - كتاب تنسر. وسياى ذكر أسماء كتب النوع الخامس.

١٦٠- أسماء الكتب الأدبية هي: كتاب هزار أفسان أو أفسانه (وقد تمت ترجمته إلى العربية وهو الذى يعرف باسم ألف ليلة وليلة) - كليله ودمنة - هزار دستان (الألف قصة) - سندباد (ترجمة من الهندية إلى البهلوية) [ونقله للفارسية السيد العميد أبو الفوارس القناوى سنة ٣٣٩هـ - ٩٥٠م بأمر الأمير ناصر الدين أى محمد بن نصر الساماني رابع الأمراء السامانيين ونقله للعربية أمين عبد المجيد بدوى ونشرته بنياد فرهنگ إيران بالقاهرة سنة ١٩٧٨م] - قصة بهرام ثوبين - أسطورة كشت وگذار - خرس وروباه (الدب والثعلب) - مشك زنانه وشاه زنان (مسك النساء وملك النساء) - رستم واسفنديار - شهر براز واپرويز - بينان دخت - بهرام دخت - كتاب كاروند - أنوشيروان - بهرام ونرسى - دارا والصنم الذهبى - كتاب الفأل.

١٦١- ذكر ابن النديم هذه الكتابة باسم زوارشن فقال: "ولهم هجاء يقال له زوارشن بها الحروف موصول ومفصول. وهو نحو ألف كلمة ليفصلوا بها بين المتشابهات مثال ذلك أنه من أراد أن يكتب گوشت وهو اللحم بالعربية

كتب بسرا ويقراه گوشت..وإذا أراد أن يكتب نان وهو الخبز بالعربية كتب لهما ويقراه نان..وعلى هذا كل شيء أرادوا أن يكتبوه إلا أشياء لا يحتاج إلى قلبها تكتب على هذا اللفظ" (الفهرست ص ١٤) (المترجم).

١٦٢- كانوا يقولون مثلاً في اللغة الأكادية للأب (اندا)، ومن ثم كانوا يكتبونها (اد) ويقرأونها (أب).

١٦٣- كليمان هووار - إيران القديمة.

١٦٤ - Gothic أو Ogival هو أسلوب القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في أوروبا. ويدعى الفرنسيون أنه أسلوب فرنسا في ذلك الوقت. وطاقت هذا الأسلوب ليست مدورة، بل هي تشكل زاوية حادة عندما تلتقى أقسام الطاقات مع بعضها، ولا بد أن تسمى هذه الطريقة في الفارسية باسم (بيكاني) (أى كالنصل أو كالحرية).

١٦٥- (أ) مجلس يبين انتصار سابور الأول على فالريان إمبراطور الروم.

(ب) نقش حجرى بارز يصور فارسين أحدهما يقدم التاج والآخر يأخذه، ويعتقد أن الأول هو أهورا مزدا والثاني هو أردشير الأول.

(ج) مجلس يبين بهرام الثانى والمكلفين بالعمل معه.

(د) فارسان يتحاربان، ويعتقد البعض أن هذا المجلس يصور حرب بهرام الخامس مع خان الهياطلة، ويرى راولين سن أن هذا الملك هو بهرام الرابع.

١٦٦- المجالس الأخرى هي:

(أ) مجلس آخر يبين انتصار سابور على فالريان.

(ب) صورة شخص راكع على ركبتيه بين أهورا مزدا وسابور الأول.

(ج) مجلس يصور منح التاج لبهرام الأول بواسطة هرمز، ويظن البعض أن هذا الملك هو نرسی.

(د) يصور بهرام الثاني وقائد جيشه الذي انتصر على العدو، ويعتقد أن هذا المجلس خاص بالاستيلاء على سيستان.

(هـ) مجلس يصور شخصنا جالسا على كرسى وقد وقف على يمينه سبعة أشخاص في خضوع طائعين، ومن الناحية اليسرى وقف ستة أشخاص في حالة من التعظيم، ووقف شخص أسفل، وقد وضع بعضهم يديه على صدره والبعض الآخر عقد يديه، ويوجد أيضا جواد عليه سرج. ولعدم وجود كتابة، فلا يمكن معرفة الحادثة التي يشير إليها المجلس.

١٦٧- يعتقد كثير من الباحثين أن الشعر في إيران قبل الإسلام كان يقوم على نظام عدد المقاطع، ويراعى في ترتيبها كيفية المقطع من حيث الطول والقصر، كما يرى البعض الآخر منهم أن الوزن في الشعر البهلوي كان يقوم على أساس كمية المقاطع ونبر الكلمة كما هو الحال في الأشعار العامية والمحلية. (انظر في هذا الموضوع بالتفصيل كتاب دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري - الفصل الأول - تأليف دكتور محمد نور الدين عبد المنعم - القاهرة ١٩٧٦م، وكذلك كتاب أوزان الشعر الفارسي للدكتور برويز خانلري - ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم) (المترجم).

١٦٨- مثل اللغة اليُغُنُوبية والوَخَانِيَّة والهروية والشَغْنَانِيَّة وغيرها.

الخاتمة

نظرة إجمالية على إيران القديمة خلال أربعة عشر قرناً:

بعد أن تحدثنا عن كل ما يخص إيران القديمة خلال أربعة عشر قرناً في هذا الكتاب، فإن هذا يقتضى إلقاء نظرة شاملة على تاريخ هذه الحقبة الطويلة والحديث عنها بإيجاز.

انفصل الآريون الإيرانيون عن غيرهم من الآريين في وقت غير معروف، وقدموا إلى أرض إيران تدريجياً منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وسموها باسمهم وانقسموا إلى أقوام وعشائر متعددة. وتبع قومان من هذه الأقوام دولة آشور وهما الميديون والفرس، واقتبسوا أشياء كثيرة من الآشوريين والبابليين وتعلم الميديون بعد ذلك فنون الحرب عملياً من الآشوريين وتحرروا من قيودهم بعد ذلك كثير من التضحيات في عصر هو وَخْشْتَر، وسرعان ما قضوا على دولة آشور القديمة الراسخة، وكانت هذه الحادثة ذات طابع جديد، إذ إنها كانت أول مرة يمهد فيها السبيل أمام الآريين للسيطرة في آسيا الغربية. ولم يتمكن الميديون فيما بعد من مقاومة البارسيين (الفرس) فأعطوهم مكانهم. ولم يكتف هؤلاء بأن يكونوا حراساً لإيران بل أرادوا غزو العالم والسيطرة عليه. ولم يمض وقت طويل إلا وصار البارسيون (الفرس) يحكمون منطقة تمتد من ما وراء سيحون وحتى الحبشة، ومن البنجاب بالهند وحتى برقة (حتى قرطاجنة في رأى البعض)^(١). وأسس قوروش الكبير هذه الدولة، وجعلها داريوش الكبير في وضعها الصحيح^(٢). وبتأسيس الدولة الهخامنشية حدثت أربعة أشياء لأول مرة في التاريخ هي:

أولاً:

انتصار الآريين في آسيا الغربية بل في عالم ذلك الزمان؛ ذلك لأنه حتى ذلك الوقت، وبقدر ما يذكره التاريخ، كان النصر والغلبة لأقوام لغتهم قريبة من لغة شعوب الأورال والألتائيين كالعيلاميين والسومريين والحيثيين أو قريبة من لغة شعوب سامية الأصل كالكلدانيين والآشوريين والفينيقيين وغيرهم.

ثانياً:

لم تؤسس دولة عظمى كهذه الدولة حتى ذلك الحين؛ إذ كانت دولة آشور أعظم دولة حينذاك قبل علو شأن الميديين، ومن الجائز أنها كانت تعادل نصف الدولة الهخامنشية⁽³⁾.

ثالثاً:

لم يكن لأي دولة عظمى نظم إدارية كالتى كانت لإيران فى عهد داريوش الأول، ذلك أن حكام آشور وغيرهم غالباً ما كانوا يستولون على البلاد بهدف الإغارة عليها أو تحصيل الضرائب منها. ولم يضع أحد نظاماً للبلاد التابعة كنظم داريوش الأول. ولهذا كانت نظم داريوش الإدارية جديدة فى التاريخ، وأصبحت الدولة الهخامنشية أول تجربة للآريين بل للشعوب الهندو أوروبية فى إقامة دول كبيرة.

رابعاً:

لم تكن أى دولة آسيوية قد قامت بغزو أوروبا حتى عصر داريوش الأول (سفر داريوش غازياً إلى تراقية وما وراء الدانوب).

اصطدم البارسيون (الفرس) فى تحركهم ناحية الغرب باليونان وخضع لهم ثلثها، إلا أن بقية اليونان أبدت مقاومة أدت إلى وقف زحفهم ناحية الغرب: لقد أراد اليونانيون بتقدمهم فى ماراتن وسلامين أن يزلزلوا حماية البارسيين للعالم، ولكن لم يمض وقت طويل إلا وكان النصر حليف البارسيين من جديد بسبب الحروب الداخلية فى اليونان، وأصبحت الدول اليونانية تسير فى فلك سياسة الأريين نتيجة ثروة إيران والنزاع الداخلى فى تلك البلاد. وقد قضى ظهور الإسكندر على هذه الأوضاع، وبدأ الزحف اليونانى صوب الشرق، وصارت إمبراطورية الإسكندر من حيث النظم الإدارية نسخة ثانية من إمبراطورية داريوش مع اختلاف وهو أن استبدل بسيطرة الأريين الإيرانيين على العالم سيطرة شعبة أخرى من الشعوب الهندو أوروبية (المقدونية واليونانية)؛ أى سيطرة شعوب لم تكن آرية ولكنها ذات صلة قرابة بالأريين.

انتشرت الحضارة اليونانية فى إيران بسرعة، ولكنه كان انتشارا سطحيا لم يصل إلى الأعماق، وتحرك الإيرانيون بسبب الحروب المستمرة لخلفاء الإسكندر والفساد الذى ترتب عليها، وكذلك بسبب التصرف المتسم بعدم الروية من جانب السلوقيين تجاههم. وتقدمت جماعة من الشعوب الإيرانية القوية التى لم تكن قد وطأت بأقدامها حتى ذلك الحين ميدان السياسة، وطردت السلوقيين ويونانيين باختر (بلخ) من إيران. ثم تحالفوا مع الروم الأقوياء وشغلوا بتقسيم بلاد آسيا الغربية. هذه الشعوب، أو على الأصح هذا الجيش المحارب الذى عرف فى التاريخ باسم دولة بارث، هو الذى تولى حماية الشرق لقرون عدة، وأوقف زحف الروم صوبه.

وقد اتخذت إيران فى ذلك العهد شكل الدولة المتحدة، وقامت أوضاع هناك تكررت بعد ذلك نظائرها فى أوروبا خلال القرون الوسطى.

بعد أن سد الأشكانيون الطريق فى وجه الزحف الرومى ناحية الشرق، وأنهبوا توسيع الروم العظيمة فى آسيا، خرجوا من ميدان الحرب تاركين أماكنهم

للبارسيين (الفرس) كما فعل الميديون، وذلك نظراً لأنهم لم يهتموا بالنواحي الدينية عند الإيرانيين. واتخذت الدولة الساسانية ديناً رسمياً، ولم يكن لهذه الخطوة نظير في تاريخ إيران من قبل.

لقد أراد البارسيون في بادئ الأمر إحياء الدولة الهخامنشية من جديد، ولكنهم سرعان ما أدركوا أنهم يواجهون دولة الروم القوية التي سيطرت على البابليين والفينيقيين والمصريين منذ سبعمائة عام، وكان نهر الفرات هو الحد الطبيعي بين إيران وبلاد الروم، حتى أضعف كل من الطرفين الآخر، واستمرت الحرب بين الدولتين قرناً، ومع وجود الحروب المتكررة والطويلة فإن الدولتين كانتا تتفقان أحياناً وتختلفان أحياناً أخرى حول تقسيم البلاد.

واجهت الدولة الساسانية ضغط الشعوب القوية المحاربة من الشمال والشرق، ومع هذا كله، فقد تغلبت تماماً عليها، وانتهى الأمر بنجاة الحضارة الإيرانية لصالح إيران. وقد بلغت هذه الدولة أوجها خلال أربعة قرون، وأخيراً خارت قواها في سبيل أن تكون أفضل دولة في العالم، ولكنها لم تتمكن من مواجهة شعوب المسلمين القوية المتحدة. ونتيجة لهذا، أصبحت السيطرة والتفوق بيد شعوب سامية الأصل مرة أخرى وبعد اثني عشر قرناً ونصف في آسيا الغربية.

الأعمال التي ساهم بها الآريون الإيرانيون في بناء الحضارة الإنسانية:

يمكننا أن نستنتج منذ الوهلة الأولى أن مآثر الشعوب التي ترجع إلى أصول مختلفة وأعمالها بينها ارتباط، فكل شعب منها تاريخ منفصل ومستقل عن الآخر. ولكننا حينما نأخذ في الاعتبار كل البشر وننظر إلى تاريخ الأمم من الناحية الإنسانية؛ فإننا سندرك بسهولة أن الحضارات الحالية - مع وجود اختلافات بينها - إنما هي نتيجة أحداث وقعت في عصور ما قبل التاريخ، أو أعمال تمت في العصور التاريخية.

وقد قدمت الأمم والشعوب التاريخية التي كانت تنتمي إلى أصول مختلفة - كل أمة بدورها- أعمالاً للجنس البشرى وأورثتها إياه ثم مضت. وقد أنجب الآريون الإيرانيون كذلك شعوباً عظيمة، قامت بأعمال بطبيعة الحال. ويجب علينا معرفة هذه الأعمال، وبماذا تميزت هذه الشعوب عن غيرها من الشعوب التي كانت تتحكم في مصير الأمم، وأي منزلة نألتها في تاريخ الحضارة والمدنية؟.

ولكى نفهم هذه المسألة، لا بد أن نأخذ في الاعتبار تاريخ إيران القديم ونستخرج منه كليات، ونقارن هذه الكليات التي تم استنباطها من تواريخ أمم العصور القديمة الأخرى، حتى نبين الحقيقة دون انحراف عن جادة الحيدة. وإذا أردنا القيام بالمقارنة والموازنة في هذه الصفحات، وتسجيل النتيجة التي نتوصل إليها، فإننا سنتجاوز الحدود المخصصة لهذا الكتاب، لذا فإننا نكتفي بتقديم النتائج.

ومن تلك المقارنة التي تحدثنا عنها نجد أن الأعمال التي قام بها الآريون الإيرانيون والأشياء الجديدة التي أدخلوها في العالم القديم، وصارت ميراتاً بشرياً فيما بعد، وأثرت في حضارات سائر الأقوام والأمم وعلى مدى عصور مختلفة، هي:

أولاً:

تأسيس دولة كبيرة لم يكن لها نظير حتى ذلك الوقت في التاريخ سواء من ناحية مساحتها واتساعها، أو من ناحية نظمها الإدارية.

ثانياً:

إدخال معتقدات أكثر نقاء وأخلاق أكثر سموًا من التي كانت لدى أكثر الشعوب القديمة في آسيا الغربية والشرق الأدنى.

ثالثاً:

إن طريقة معاملة الأمم التابعة وإدارتها طبقاً لأصول ومبادئ أدت إلى تقارب الشعوب، ومهدت الطريق أمام اختلاطها وامتزاجها معاً. هذه الطريقة فى الحكم هى التى صارت بعد ذلك مثلاً يحتذى لدى الشعوب التى جاءت بعد الآريين الإيرانيين، واستكملت فيما بعد بمرور الوقت إلى أن وصلت إلى أسسها الحالية.

رابعاً:

الابتكارات التى أدخلوها على الصناعات القديمة فبدت أكثر رقةً وجمالاً.

خامساً:

تغيير الخط المسمارى الصعب بخط مسمارى أكثر سهولة ويسراً.

أما بالنسبة لموقع الآريين الإيرانيين فى العالم القديم، فمعرفة سهلة جداً وذلك بعد إلقاء نظرة واحدة على خريطة آسيا وأوروبا وأفريقيا. فقد ربطت إيران القديمة بين آسيا الشرقية وآسيا الوسطى والهند وبين العالم الغربى، ولما كانت الملاحة فى ذلك الوقت غير ميسرة لعدم معرفة البوصلة وأشياء كثيرة ضرورية كذلك، فمن هنا يتضح كم كانت أهمية هذا الموقع؛ إذ كانت إيران تقع على طريق التجارة الدولى وطريق هجرة الشعوب القوية من آسيا الوسطى إلى الغرب.

ولا نعرف ما هى الشعوب التى مرت عبر إيران فى عصور ما قبل التاريخ متجهة صوب الغرب، وما نعرفه عن عصور ما قبل التاريخ هو فقط ما تملكى به أساطيرنا من حروب الإيرانيين مع الشعوب الشمالية التى أغارت على إيران، وقد شغل فى العصور التاريخية هو وخشتر وقوروش عدة سنوات متوالية بشنون الشمال الإيرانى. كما دخل الملوك الأشكانيون والساسانيون كذلك فى حروب مع

الشعوب الشرقية على الرغم من انشغالهم بأمر الروم. وإذا كنا لا نعلم شيئاً عن كيفية هذه الحروب؛ فإن هذا ناتج عن عدم وجود مصادر حول هذا الموضوع، والمعروف أن إيران نشرت حضارتها في الشرق ومهدت سبل التجارة وقربت البحار من بعضها، ووفرت الأمن للقوافل التجارية وقربت بين الشعوب من ناحية، وأقامت سداً في مواجهة الشعوب القوية الشمالية الشرقية والشمالية مثل شعوب السكّ والماساژت واليوئه جي واليهون واليهون البيض (الهياطلة) والخزر والترك وغيرهم من ناحية أخرى.

وإذا دققنا النظر في موقع إيران هذا؛ فإننا سنفهم بسهولة لماذا ظهرت أديان مختلفة في إيران؛ إذ لما كانت إيران القديمة تقع على مفترق طرق العالم القديم، لذا التقت فيها أو على حدودها الأديان الهندية والمعتقدات الخاصة بشعوب آسيا الغربية واليونان⁽⁴⁾ والعقائد التي نتجت عن فلسفة حكماء اليونان مثل أفلاطون وأفلوطين وغيرهما. وظهرت مذاهب بسبب مراودة أتباع المذاهب والمعتقدات السابقة الذكر واختلاطهم ببعض مثل عبادة الشمس والديانة المانوية. واتخذت طابع المعتقدات الأصلية للآريين الإيرانيين⁽⁵⁾. ولما انتشرت هذه المذاهب في البلاد الأجنبية، فقد انتشرت عن طريقها بالتالي الأفكار والعقائد الإيرانية في شرق العالم القديم وغربه وأثرت إيران في معتقدات الشعوب المختلفة وحضارتهم في بلاد بعيدة بطريقة غير مباشرة (مثل أوروبا الغربية وأفريقيا الشمالية من ناحية وتركستان والصين من ناحية أخرى).

هذه هي أعمال الآريين الإيرانيين في العالم القديم بشكل مجمل ومختصر. ويفيد هذا الموجز أنه إذا كان ما قدمته هذه الأمة من أعمال في سبيل الحضارة البشرية لا يصل من حيث الكيف إلى أهمية ما قدمه اليونانيون القدماء من أعمال؛ فإنه من حيث الكم ليس أقل مما قدموا، بل هو في رأى البعض أكثر. ولهذا اعتبر الباحثون الشعوب الآرية الإيرانية شعوباً تاريخية. وبناء على ما سبق، وبالنظر لما

هو معروف عن تاريخ العالم القديم؛ فإن الأمم التاريخية في العصور القديمة طبقاً لترتيب تقدمها التاريخي هي: المصريون والبابليون، والآريون الإيرانيون، واليونانيون والرومان. ولا يدخل الهنود والصينيون في هذه الزمرة لأنهم يشكلون طائفة أخرى في تاريخ المدنية.

حواشى الخاتمة

١) هناك خلاف بين الباحثين حول قرطاجنة، ويستفاد صراحة من القرائن أنه قد عقد اتفاق بين إيران والمملكة المذكورة أيام الهخامنثيين، وكان هناك نوع من السيطرة لإيران على قرطاجنة تبعاً لهذا الاتفاق؛ فمثلاً كتب جوستان المؤرخ الرومى (من القرن الثانى الميلادى) يقول إن داريوش بعث بأوامره إلى قرطاجنة، ليمنع التضحية بالإنسان كقربان ودفن الميت، ونفذ مجلس الأعيان فى قرطاجنة ذلك.

٢) "أن را بترتيب صحيح" هى نفس عبارة كتابة نقش رستم لداريوش الأول.

٣) لهذا السبب تعتبر الدولة الهخامنثية أول دولة غزت العالم طبقاً للترتيب التاريخى.

٤) خاصة بعد مجيء الإسكندر إلى إيران.

٥) تسمى هذه المذاهب فى الخارج بالمذاهب الإيرانية.

الملاحق

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	<p>عيلام</p> <p><u>العهد الأول لتاريخ العيلاميين</u></p> <p>مانيشتو يؤسس حكم أسرة الكيشيين، ويخضع عيلام للأكاديين خضوع انزان لگود - goudea ملك سومر</p>	<p>منذ الأزمنة السحيقة حتى: ٢٨٠٠-٣٢٢٥ حوالي ٢٥٠٠</p>
كودورنن- خوندى	<p>ملك عيلام يتم الاستيلاء على مدينة أور ويحمل تمثال نه نه معه إلى شوش استقرار جماعة سامية تعرف بـ"تى سين" في سومر</p>	<p>٢٢٨٠ ٢٢٣٥</p>
ريم سين	<p>يقضي على آل نى سين</p>	<p>حوالي ٢١١٥</p>
	<p><u>العهد الثاني في تاريخ عيلام</u></p> <p>استقرار أول جماعة سامية في بابل قوانين حمورابي حمورابي يخرج ريم سين لارسا استقرار آل كاسى في بابل</p>	<p>٧٤٥-٢٢٢٥ ٢٢٢٥ ٢٠٨٠-٢١٢٣</p>

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شوتروك - ناخون تا	يستولي على بابل ويحمل معه إلى شوش أشياء نفيسة وتاريخية من بينها تُرام سين	حوالي ١٩٩٠
شيل خاكين - شوش ناك	يزيد من ازدهار عيلام، ويجدد المباني القديمة - ويحافظ على الآثار القديمة، ويصل بالآداب العيلامية والصناعات إلى الأوج بداية استقلال آشور ظهور الأراميين وشنهم الحملات على بابل وآشور هجوم الكلدانيين على بابل	حوالي ١١٧٠ بين ١٨٠٠ و١٥٠٠ حوالي ١٣٠٠ ٩٧٠
	<u>المرحلة الثالثة في تاريخ عيلام</u> الحرب الأولى بين آشور وعيلام في دوريلو الحرب الثانية والثالثة	٧٤٥-٦٤٥ بين ٧٣٢ و٧٠٥ ٦٨٨
ت اومان	الحرب الرابعة المعروفة بـ"توليز" الحرب الخامسة	٦٥٩ ٦٥١
خوم بان	الحرب الأخيرة بين آشور وعيلام	٦٤٥

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كالداش	وانقراضها	
	الأريون الإيرانيون <u>قدوم الأريين إلى إيران</u> نقش مضيق كَوَاي ذكر اسم آمادا وبارز سوا لأول مرة في نقوش الآشوريين. هجوم ادادنيرارى الثالث على ماد حرب تيكلات بي ليستر الثالث مع الميديين والاستيلاء على المزيد من الغنائم والأسرى من الميديين عبور جيش آشور من دوهاروند في عهد آشورحيديين	بين ٢٠٠٠-١٤٠٠ حوالي ١٣٥٠ ٨٢٧ ٨١٠ ٧٤٤ ٦٧٤
اسم الملك	<u>عهد الميديين (الماديون)</u>	٦٥٥-٧٠١
ديا اوگو	يؤسس دولة الميديين - مدة حكمه	
فروز تيش	يحارب آشور ويقتل - مدة حكمه	٦٣٣-٦٥٥
هووخشتر	مدة حكمه انتصاره في حرب الباسكيين وإخراجهم	٥٨٤-٦٣٣

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	من إيران	٦١٥
	الاستيلاء على نينوا وانقراض دولة الآشوريين على يد الميديين	٦٠٥
هووخ شتر	الحرب مع ليديا والصلح معها موت هووخ شتر	٥٨٥-٥٩١ ٥٨٤
ايخ تويغو	مدة حكمه هزيمة ايخ تويغو من كورش وانقراض دولة الميديين	٥٥٠-٥٨٤ ٥٥٠
هخمانش	عهد البارسيين (الفرس) <u>الأسرة الهخامنشية</u> أولاً: ملوك بارس وانزان يعتقد بعض الباحثين أنه كان رئيساً للطائفة ولم يكن ملكاً	
چيش پش	كان ملكاً في بارس	حوالي ٧٣٠
كبوجيه	وكان يحكم بارس	
كورش	وكان ملكاً في بارس	
چيش پش	وكان ملكاً في بارس	

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كورش الكبير	ثانياً : مرحلة ازدهار بارس (فارس)	٥٥٩-٥٢٩
	حكم في انزان ثم في جميع مناطق إيران ويؤسس الإمبراطورية الإيرانية ومدة حكمه.	٥٥٠
	الاستيلاء على همدان وانقراض دولة الميديين.	٥٤٦
	الاستيلاء على سارد وانقراض دولة الليديين.	٥٤٥
	الاستيلاء على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى.	٥٣٨-٥٤٦
	حروب كوروش في الممالك الشرقية.	٥٣٨
	الاستيلاء على بابل وتتويج كورش ملكاً عليها.	٥٢٩
موت كورش.		
كمبوجيه	مدة حكمه	٥٢٩-٥٢٢
	حملته الحربية على مصر والاستيلاء عليها	٥٢٦-٥٢٢
	إرسال جيش إلى قرطاجنة وغزو	٥٢٤

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	الحبشة قيام برديا المكذوب	٥٢٢-٥٢١
	مدة حكمه	٤٨٦-٥٢١
	الحروب الداخلية وقلع المتمردين وقمعهم (الاستيلاء على بابل)	٥١٧-٥٢١
	الاستيلاء على البنجاب والسند	٥١٥-٥١٢
	هجوم داريوش على مملكة السكا	٥١٤
داريوش الأول (دارى وهش)	الأثينيون يخرجون هيب ياس الجبار من أثينا	٥١٠
	الفرس (البارسيون) يستولون من جديد على تراكيه	٤٩٢
	حرب الماراتون	٤٩٠
	مدة حكمه	٤٨٦-٤٦٥
خشيارشا الأول	القضاء على تمرد المصريين والاستيلاء على مصر من جديد	٤٨٤
	حملة خشيارشا إلى اليونان - عبور مضيق ترموبيل - الحرب البحرية في	

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	أرتى ميزيوم - الاستيلاء على أثينا	٤٨٠
	حرب سالامين	٤٨٠
	حرب بلاتنه	٤٩٧
	مقتل خشيارشاه، تولى أردوان السلطة نائباً عنه	٤٦٥-٤٦٤
	مدة حكمه	٤٦٤-٤٢٤
أردشير الأول (دراز دست) أرت خستر	تمرد المصريين والقضاء على ذلك اتفاقية كيمون - مشكلة الاستقلال الداخلي لليونانيين في آسيا الصغرى التي كانت جزءاً من اتحاد دلوس	٤٦٤-٤٥٤ ٤٤٩
خشيارشا الثاني	مدة حكمه ٤٥ يوماً ومقتله على يد سغديانس	٤٢٤
سغديانس	حكم ستة أشهر	٤٢٤
داريوش الثاني (داريوش)	مدة حكمه	٤٢٤-٤٠٤
	ثورة مصر	٤١٥
أردشير الثاني	مدة حكمه	٤٠٤-٣٦٠
أرت خستر	حرب كورش الصغير في كوناكسا -	٤٠١

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	ومقتله اتفاقية آنتا لسيداس (آنتا لكيداس) وخضوع يوناني آسيا الصغرى خضوعاً تاماً لإيران	٣٨٧
أردشير الثالث	مدة حكمه	٣٢٨-٣٦٠
أرت خستر	الاستيلاء على صيدا ومصر من جديد	٣٤٤-٣٤٥
أرشك	مدة حكمه	٣٢٦-٣٣٨
داريوش الثالث	مدة حكمه مجيء الإسكندر لإيران: حرب گرانيك حرب إيسوس حرب گو كامل موت داريوش - انقراض الأسرة الهخامنشية	٣٣٠-٣٣٦ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٣٠
اسم الملك الإسكندر	<u>العصر المقدوني والسلوكي</u> مدة حكمه بعد انقراض الأسرة الهخامنشية	٣٢٣-٣٣٠

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	غزو الإسكندر للهند	٣٢٥-٣٢٧
	عودة أرخ من الهند بالسفن اليونانية	٣٢٤
	موت الإسكندر وبداية عهد الركود	٣٢٣
سيليكوس الأول	الملوك السلوكيون يؤسس الدولة السلوكية - بداية التاريخ السلوكي	٣١٢
سيليكوس الأول	مدة حكمه	٢٨١-٣١٢
أنطيوخوس الأول	مدة حكمه	٢٦٢-٢٨١
أنطيوخوس الثاني	مدة حكمه بداية استقلال باختر وبارت	٢٤٦-٢٦٢ ٢٥٠-٢٥٦
سليكوس الثاني	مدة حكمه	٢٢٦-٢٤٦
سليكوس الثالث	مدة حكمه	٢٢٣-٢٢٦
أنطيوخوس الثالث	مدة حكمه	١٨٧-٢٢٣
سليكوس	مدة حكمه	١٥٧-١٨٧

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
الرابع		
أنطيوخوس الرابع	مدة حكمه	١٧٥-١٦٤
أنطيوخوس الخامس	مدة حكمه	١٦٤-١٦٢
دمتريوس	مدة حكمه	١٦٣-١٥٠
دمتريوس الثاني	مدة حكمه	١٥٠-١٣٨
أنطيوخوس السادس	مدة حكمه	١٣٨-١٢٩
أرشك	عصر البارثيين الأسرة الأشكانية أسس دولة بارت - مدة حكمه	٢٥٦-٢٥٣
تيرداد	حكم الدولة البارتية - مدة حكمه	٢٥٣-٢١٤
أردوان الأول	ضم جرجان - مدة حكمه	٢١٤-١٩٦
فرى يابت	مدة حكمه	١٩٦-١٨١
فرهاد الأول	شيد مدينة خاراكس في البرى - مدة حكمه	١٧٠-١٣٨

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
مهرداد الأول	حارب السلوكيين وانتصر عليهم مدة حكمه	١٢٥-١٣٨
فرهاد الثاني	حارب أنطيوخوس سي ده السلوكي وانتصر عليه وأبعد السلوكيين عن حدود إيران	١٢٥-١٣٨
أردوان الثاني	جُرح في حرب مع طائفة اليونه جي وتوفي	١٢٤-١٢٥
مهرداد الثاني الكبير	أنزل بأقوام السك هزيمة ساحقة، وأقامت إيران في عهده علاقات مع دولة الروم، وبلغ بحدود إيران جبال الهمالايا في الشرق وبين النهرين في الغرب- مدة حكمه	٨٧-١٢٤
سننروك	مرت فترة بعد مهرداد الكبير إلى أن جلس هذا الملك على العرش في سنة ٧٧- مدة حكمه	٦٩-٧٧
فرهاد الثالث	مدة حكمه	٦٠-٦٩
مهرداد الثالث	مدة حكمه	٥٦-٦٠
أرذ الأول	مدة حكمه	٣٧-٥٥
فرهاد الرابع	مدة حكمه	١-٣٧

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	حرب إيران الثانية والثالثة مع الروم - هزائم أنطونيوس - يأس الروم من الاستيلاء على إيران - عقدهم للصلح الدائم معها.	
فرهاد الخامس	حكم حتى سنة ٢ ميلادية	السنة الميلادية
أرذ الثاني	مدة حكمه	٦-٢
وانان الأول		١٦-٧
أرذوان الثالث	كان ملكاً على ميديا وتابعاً للبارثيين، ثم استولى على العرش من وانان	١٥-١٦
واردان	حروب داخلية	
غودرز	حرب إيران الأولى مع الروم - فتح حران - مقتل كراسوس	٥٣
وانان الثاني	حروب داخلية	٥١-١٦
بلاش الأول (ولگش)	مدة حكمه - انتصر في حربه مع عشيرة دها	٧٧-٥١
باكر الثاني وأرذوان الرابع	كان عصر الفطرة الذي استمر حتى سنة ١٠٧ ميلادية	١٠٧

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كسرى	حرب تراجان إمبراطور الروم مع إيران وانسحابه صلح الروم مع إيران - مدة حكمه	١٣٣-١٠٧
بلاش الثاني بلاش الثالث		١٩١-١٣٣
بلاش الرابع	الحرب مع الروم - انسحاب سبتيم سفر إمبراطور الروم	٢٠٨-١٩١
بلاش الخامس	مدة حكمه	٢١٦-٢٠٨
أردوان الخامس	مدة حكمه مجيء كارا كالا إلى إيران - هزيمة الروم ودفعهم الغرامة لحكومة إيران. انقراض الدولة الأشكانية	٢٢٤-٢١٦ ٢١٨-٢١٧ ٢٢٤
	العهد الثاني للبارسيين (الفرس) الأسرة الساسانية	
بابك	كان يحكم في جزء من بارس (فارس)	
شابور	كان يحكم في بارس	٢١٢-٢١١

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أردشير الأول	كان يحكم في بارس	٢١٢-٢٢٦
	الحرب مع أردوان الخامس ومقتل آخر ملك أشكاني	٢٢٤-٢٢٦
	حكم أردشير	٢٢٦-٢٤١
	الحرب مع الروم	٢٢٨-٢٣٢
شابور الأول	مدة حكمه	٢٤١-٢٧١
هرمز الأول	الحرب الأولى لشابور مع الروم	٢٤١-٢٤٤
	الحرب الثانية لشابور مع الروم - أسنر فالريان إمبراطور الروم	٢٥٨-٢٦٠
	إعلان ماني لديانته	٢٤٢
بهرام الأول	مدة حكمه	٢٧١-٢٧٢
بهرام الأول	مدة حكمه قضى الروم في عهده على حكومة تدمر	٢٧٢-٢٧٥
بهرام الثاني		٢٧٥-٢٨٢
بهرام الثالث	حكم أربعة أشهر	٢٨٢

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قَبْل الميلاَد
نرسی	مدة حكمه	٢٠١-٢٨٢
	هزيمة جاليريوس القائد الرومي	٢٩٦
	الحرب الثانية مع الروم والتخلي عن خمس ولايات	٢٩٧
هرمز الثاني	مدة حكمه - قُتِل في حربه مع العرب	٣١٠-٣١٠
آذر نرسی		٣١٠
شابور الثاني الكبير ذو الأكتاف	مدة حكمه	٣٧٩-٣١٠
	حرب شابور الأول مع الروم	٣٥٠-٣٢٨
	الحرب مع الهون وانتصار شابور الصلح بين الروم وإيران واسترداد الخمس ولايات التي انفصلت عن إيران	٣٥٧-٣٥٠
	على عهد نرسی الحرب مع الروم من أجل أرمينية وگرجستان ومعاهدة عدم تدخل الجانبين في هاتين المملكتين	٣٦٣
		٣٧٦
أردشير الثاني طيب الفعّال	مدة حكمه	٣٨٢-٣٧٩

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شاپور الثالث	مدة حكمه	٣٨٨-٣٨٢
	تقسيم أرمينية بين إيران والروم	٣٩٠-٣٨٤
بهرام الرابع	لقب بلقب كرامانشاه - مدة حكمه	٣٩٩-٣٨٨
يزدكر الأول	لقب بالأثيم - ترك إمبراطور الروم آركاديوس ولي عهده تيودوس عنده وتولى يزدكر عاينته إلى أن جلس على العرش - مدة حكمه	٤٢٠-٣٩٩
بهرام الخامس	الملقب بـ"بهرام گور" - مدة حكمه الحرب مع بيزنطة دون نتيجة - معاهدة الصلح مع الروم الحرب على الهياطلة وهزيمتهم	٤٣٨-٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٥
يزدگرد الثاني	مدة حكمه - قضية الديانة في أرمينية	٤٥٧-٤٣٨
هرمز الثالث	مدة حكمه	٤٥٩-٤٥٧
فيروز الأول	مدة حكمه حارب الهياطلة وقُتل	٤٨٣-٤٥٩
بلاش	الصلح مع المياطلة - إعلان الدين المسيحي ديناً رسمياً في أرمينية وكرجستان - مدة حكمه	٤٨٧-٤٨٣

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
قباد الأول	مدة حكمه في المرة الأولى ظهور مزدك - خلع قباد من السلطنة وفراره من السجن - ذهاب قباد عند الهياطلة	٤٨٧-٤٩٨ ٤٩٨
جاماسب	مدة حكمه	٤٩٨-٥٠٢
قباد الأول	مدة حكمه في المرة الثانية الحرب مع بلاد الروم الشرقية - الاستيلاء على ديار بكر والصلح مع بيزنطة الحرب مع الهياطلة وهزيمتهم هزيمة نكراء الحرب الثانية مع الشرق - طلب بيزنطة المساعدة من الماساجتيين والهون - معاهدة استاتوكو: بقاء الحال على ما كان عليه (أي عودة الجانبين إلى حالة ما قبل الحرب)	٥٠١-٥٣١ ٥٠٣ ٥٠٢-٥١٣ ٥٣١
خسرو الأول أنوشيروان	لقب بالعاذل - مدة حكمه القضاء على المدركية - الإصلاحات	

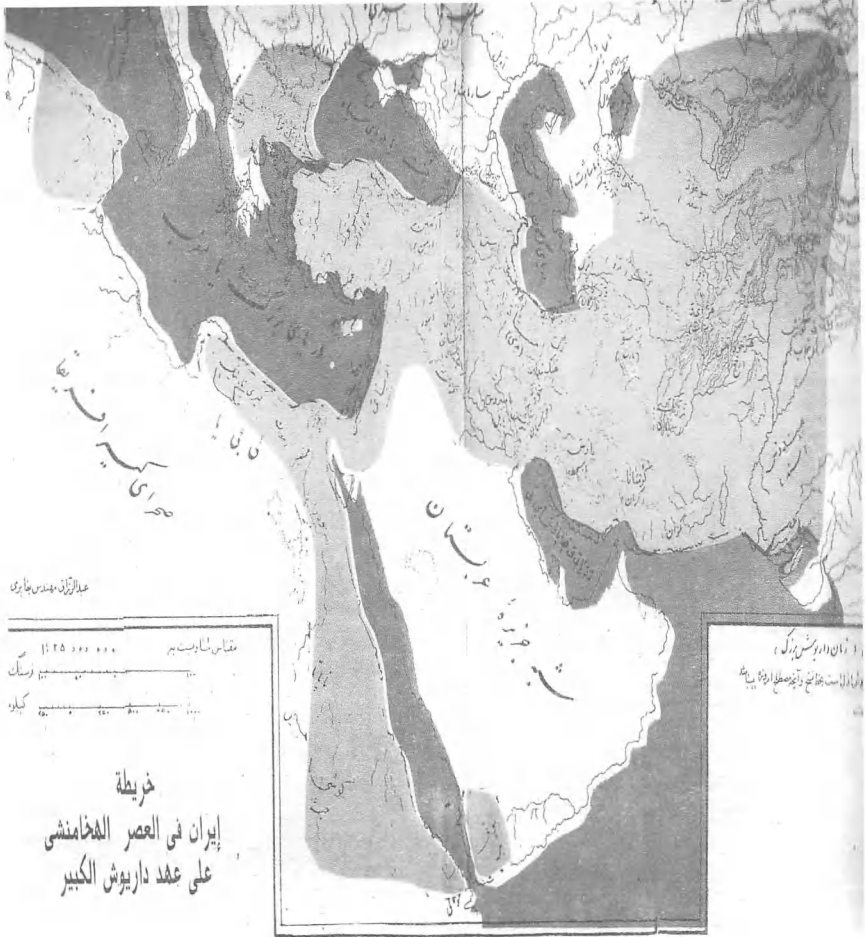
اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	في الجيش والمالية والقضاء - تشجيع الزراعة والتجارة ونشرهما - الإصلاحات الإدارية في إيران - تأسيس مدرسة الطب في جنديشابور - ترجمة كتب اليونان الفلسفية وكتاب بيدباي الهندي (كليلة ودمنة)	٥٧٩-٥٣١
	عقد معاهدة صلح مع الروم الشرقية الحرب الأولى مع الروم من أجل لازيكا- الهدنة مع بيزنطة	٥٣٢
	الصلح مع الروم لمدة خمسين سنة- تعهدت بيزنطة بدفع مبلغ كل عام ولمدة خمسين عامًا لإيران	٥٥٧-٥٤٠
	الحرب مع الهياطلة وتقسيم بلادهم بين إيران وأترك ما وراء نهر سيحون	٥٥٧
	سفر الإيرانيين الحربي إلى اليمن وإخراج الأحباش من هناك	تقريبًا ٥٥٧
	الحرب مع الأتراك- انسحاب خاقان التركستان	٥٧٠
	الحرب الثالثة مع بيزنطة-موت أنوشيزوان	

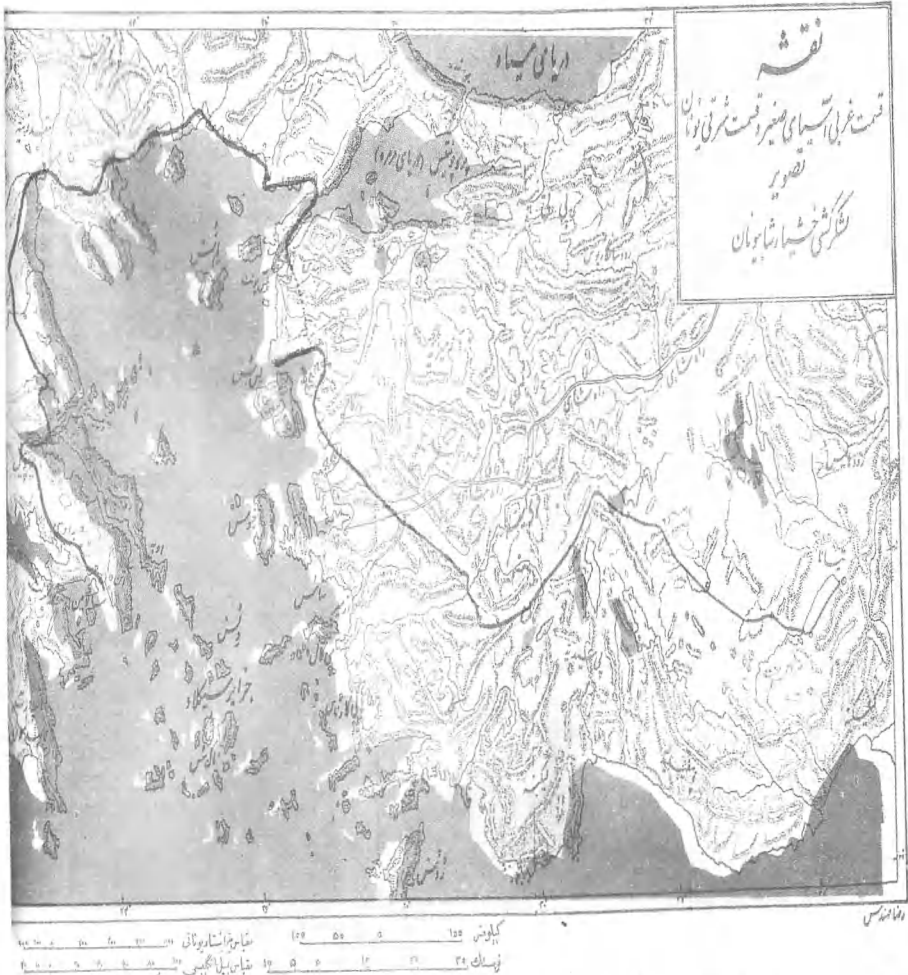
اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
		حوالي ٥٧١ ٥٧٩-٥٧٢
هرمز الرابع	مدة حكمه الحرب على بيزنطة الحرب مع الأتراك وهزيمتهم على يد بهرام جوبين القائد الإيراني-مصرع خاقان التركستان وأسر ابنه- دفع الأتراك الجزية لإيران	٥٧٩-٥٩٠ ٥٧٩-٥٩٠
خسرو الثاني برويز	مدة حكمه تمرد بهرام جوبين على خسرو-ذهابه إلى الروم ومجيئه إلى إيران مع جيش بيزنطة- وفاة موريس إمبراطور بيزنطة- حروب خسرو برويز مع الروم- فتوحات خسرو - الاستيلاء على آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر على يد شهرآز وشاهين- إحضار صليب المسيح إلى إيران- قدوم هرقل قيصر بيزنطة إلى إيران وشراكته- محاصرة القسطنطينية بمساعدة شاهين القائد الإيراني.	٥٩٠-٦٢٧ ٦٠٣-٦١٧ ٦٢٢-٦٢٧

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	موت القائد المذكور - هجوم هرقل على دستگرد خلع خسرو برويز ومقتله	٦٢٦-٦٢٧ ٤-٥ هـ / ٦٢٦م ٥-٦ هـ / ٦٢٧م
قباد الثاني شيرويه	استرداد صليب المسيح الذي أحضره الإيرانيون من بيت المقدس وإعادته إلى الروم	٥-٧ هـ / ٦٢٧م
أردشير الثالث		٧ هـ / ٦٢٩م
خسرو الثالث		٧ هـ / ٦٢٩م
جوانشير		٧ هـ / ٦٢٩م
بوران دخت	عقدت صلح نهائي مع الروم وبقيت نصيبين مع إيران	٨ هـ / ٦٣٠م

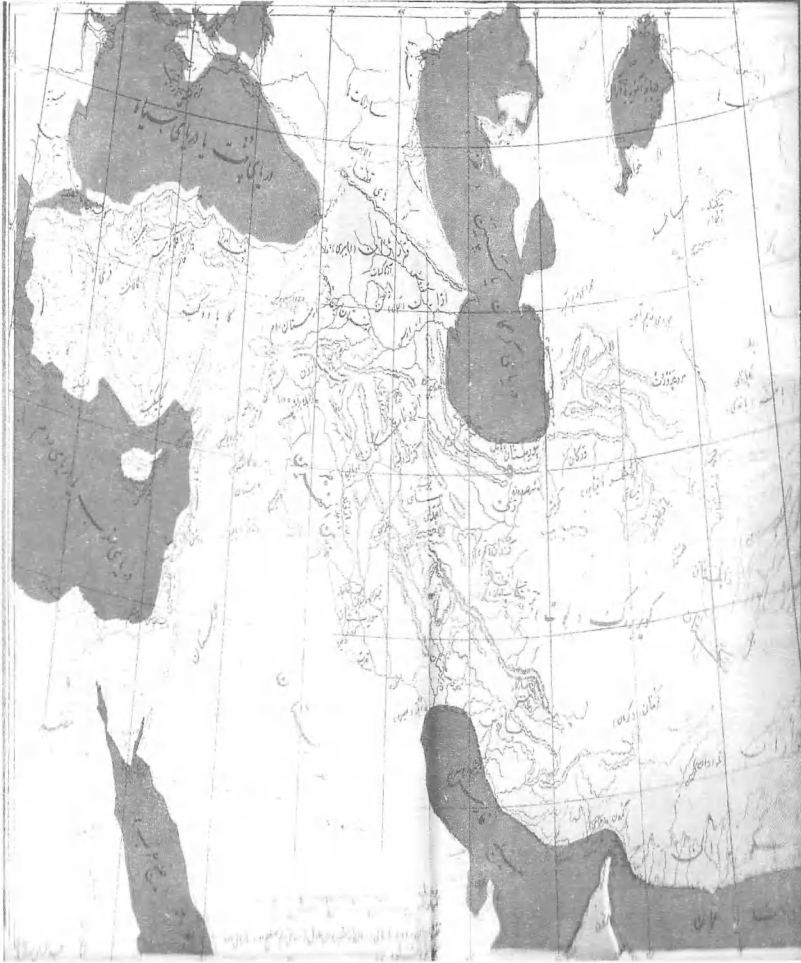
اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كشناسب بنده		٦٣١ هـ / ٦٣١ م
أزرميدخت		٦٣١ هـ / ٦٣١ م
هرمز الخامس		٦٣١ هـ / ٦٣١ م
خسرو الرابع		٦٣١ هـ / ٦٣١ م
فيروز الثاني	أبوه هو مهر كشناسب حفيد قياد الأول وأمه هي چهار بخت حفيدة أنو شيروان	٦٣١ هـ / ٦٣١ م
خسرو الخامس	الملقب بـ"خورزاد" و"فرخ زاد"	٦٣١ هـ / ٦٣١ م
يزدگرد الثالث	مدة حكمه	٦٣٣-٦٥٢
	المعارك الحدودية مع المسلمين (ذات السلاسل-الجسر-اليويب وغيرها- معركة القادسية-استيلاء المسلمين على المدائن	١٠- ٣١ ١٢- ١٤
	معركة جلولاء	١٤
	إرسال يزدگرد بمبعوثين إلى الصين وطلبه العون من فغفور	١٦
	معركة نهاوند	١٦
	مقتل يزدگرد الثالث وانقراض الدولة الساسانية	٢١
		١٠- ٣١
		١٢- ١٤

السنة قبل الميلاد		الوقائع المهمة - ملاحظات	اسم الملك
٦٥٢	٣١	اعتراف فغفور الصين بإبن يزدگرد ملكا على إيران وفوض إليه أمر	
٦٦١	٤٠	ذهاب فيروز عند فغفور الصين وحصوله على إذن بالإقامة بيت نار في جان گای (شنغهاي)	
٦٧٤	٥٣		
الأشخاص الذين لم يكونوا من الأسرة الساسانية			
	٤٢٠	استعاد بهرام الخامس العرش منه	خسرو
	٥٩٠	المعروف بـ"بهرام چوبين" الذي أطلق عليه اسم بهرام السادس بعد جلوسه على العرش وحكم عدة شهور فقط	بهرام السادس
	٥٩٦-٥٩٢	حكم في ماد مستقلا أربع سنوات	بيستام
	٦٢٩-٧	حكم شهرين ورد مصر وسورية وآسيا الصغرى إلى الروم	شهربراز





خریطة القسم الغربي من آسيا الصغرى والقسم الشرقي من اليونان وهي تصور غزو جيوش خشيارشا لليونان



خريطة إيران في العصر الساساني على عهد أنوشيروان العادل

1. ...
 2. ...
 3. ...
 4. ...
 5. ...
 6. ...
 7. ...
 8. ...
 9. ...
 10. ...

نموذج من الخط الزندي أو الاقستائي
 من كتاب جيگر وكوهن
 (أساس فقه اللغة الإيرانية)

المؤلف في سطور:

حسن بيرينيا مشير الدولة

- ولد عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م).
- أتم دراسته العسكرية ثم دراسته القانونية في كلية الحقوق بموسكو.
- أسس مدرسة لدراسة القانون افتتحت عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م).
- تدرج في المناصب السياسية حيث عين سفيرا لإيران في بطرسبورج، وشارك في وضع الدستور، ثم عين وزيرا للعدل عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).
- رأس هو نفسه عدة وزارات كانت أولاها عام ١٣٣٣هـ (١٩٣٥م).
- اعتزل العمل السياسي وتفرغ للكتابة والتأليف حتى توفي عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).
- من أهم مؤلفاته كتاب "القانون الدولي" وكتاب "إيران القديم" وكتاب "قصص إيران القديم" وغيرها.
- حصل على عدة أوسمة ونياشين من إيران وروسيا، وإنجلترا وفرنسا وهولندا وتركيا.

المترجمان فى سطور:

(١) محمد نور الدين عبد المنعم عبد القادر

- حاصل على دكتوراه الآداب فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.
- يعمل حاليا أستاذا متفرغا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.

تولى عدة مناصب إدارية وفنية مهمة منها:

رئيس قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة.

وكيل كلية اللغات والترجمة.

عميد كلية اللغات والترجمة.

مقرر لجنة ترقية أساتذة اللغات الشرقية.

رئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثنون الإسلامية.

- قام بالتدريس فى عدة جامعات بالداخل والخارج منها:

جامعة الأزهر - جامعة المنصورة - جامعة القاهرة - جامعة

الإسكندرية - جامعة عين شمس - جامعة بغداد بالعراق - جامعة

الملك سعود بالمملكة العربية السعودية.

- ألف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا أهمها:

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى - اللغة

الفارسية: بحوث فى النشأة والتطور - جوانب من الثقافة الإيرانية -

البلاغة العربية أثرها في نشأة البلاغة الفارسية وتطورها - معجم
النور لمعاني ألفاظ القرآن الكريم (عربي - فارسي) - معجم
المصطلحات السياسية والعسكرية - معجم المصطلحات الفلسفية -
ترجمان البلاغة - كمال الدين بهزاد المصور الإيراني المبدع -
أوزان الشعر الفارسي.

- كتب ما يقرب من خمسة وسبعين بحثًا ومقالة منشورًا، منها:

الألفاظ الفارسية في العامية المصرية - كلمات فارسية في شعر أبي
نواس - وصف مصر في كتاب حدود العالم - تأثيرات عربية في
كتب البلاغة الفارسية - البازار ودوره في المجتمع الإيراني - ترجمة
فارسية منظومة لمعاني القرآن الكريم - المخطوطات الفارسية بدار
الكتب المصرية - المصاحف الإيرانية المخطوطة في مكتبات مصر
ومتاحفها - المجمع اللغوي الإيراني - المقاهي الإيرانية ودورها
الاجتماعي والثقافي.

(٢) السباعى محمد السباعى

أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، شغل منصب وكيل ثم عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة فرع بنى سويف، وأسس مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ورأس تحرير مجلتى رسالة المشرق ومجلة الدراسات الشرقية.

ومقرر لجنة ترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى الجامعات المصرية وعضو لجنة تحكيم دولية وعربية. شارك فى العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية وله عشرات المقالات والبحوث والكتب ومنها: جلال الدين الرومى وكتابه فيه ما فيه، وعبد الوهاب عزام رائداً ومفكراً. ومن ترجمته "تاريخ إيران القديم"، "الإسلام فى إيران"، كما راجع العديد من الترجمات والمعاجم ونال عدة أوسمة من إيران والكويت وسوريا وجامعة القاهرة.

التصحيح اللغوى: عايدى جمعة
الإشراف الفنى: حسن كامل

